

الروض الأنيب

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

الرَّوَضُ الْأَنْفُ

فِي شَرْحِ السَّيْرِ النَّبَوِيِّ لِابْنِ هِشَامٍ

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّهْلِيِّ

٥٠٨ - ٥٨١ هـ

وَمَعَهُ

السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِلْإِمَامِ ابْنِ هِشَامٍ

الْمُتَوَفَى ٢١٨ هـ

الجزء السادس

تَحْقِيقٌ وَتَعْلِيقٌ وَشَرْحٌ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْوَكِيلُ

تَوْزِيعُ

بِئْتَبَارِ الْعَالَمِ بِحَبْرَةٍ

حَى الشَّغَرِ

ث ١٤٠١٧٧٦٨

الْمُطْبَعَةُ

مَكْتَبَةُ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ

الْقَاهِرَةُ ١٠٤٢ هـ

١٩٩٠ - ١٤١٠

مقدمة



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، محمد
صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الأئمة المهتدين .

« وبعد » فهذا هو الجزء السادس من السيرة وشرحها «الروض الأنف»
للإمام السهيلي

والله وحده أسأل أن يعين على تمامه ؟

عبد الرحمن التوكيل

قتل الرسول لأبي بن خلف

(قال) : فلما أُسِّد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في الشَّعب أدركه أبي بنُ خلفٍ وهو يقول : أيُّ محمد ، لا نَجَوْتُ إنْ نَجَوْتُ ، فقال القوم : يا رسول الله ، أيعْظِفُ عليه رَجُلٌ مِنَّا ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : دَعُوهُ ؛ فلما دنا ، تناول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الحَرْبَةَ من الحارث بن الصَّمَّةِ يقول بعضُ القوم ، فيما ذُكر لي : فلما أخذها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منه انتَفَضَ بها النِّمْفَاضَةَ ، تَطَايَرْنَا عَنْهُ ، تَطَايَرُ الشَّعْرَاءِ عن ظهر البعير إذا انتَفَضَ بها - قال ابن هشام : الشعراء : ذباب له لدغ - ثم استقبله فطَعَنَهُ في عُنُقِهِ طَمَعَةً تَدَأْدَأُ مِنْهَا عَن فَرَسِهِ مَرَارًا .

قال ابن هشام : تَدَأْدَأُ ، يقول : تَقَلَّبَ عَن فَرَسِهِ ، فجعلَ يَتَدَحَّرُجُ .

قال ابن إسحاق : وكان أبي بن خلف ، كما حدَّثني صالحُ بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، يَبْلُغُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بِمَكَّةَ ، فيقول : يا محمد إن عِنْدِي الْعَوْذَ ، فَرَسًا أَعْلَفُهُ كُلَّ يَوْمٍ فَرَقًا مِنْ ذَرَّةٍ ، أَقْتُلْكَ عَلَيْهِ ؛ فيقول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أَقْتُلُكَ إن شاء الله . فلما رَجَعَ إلى قُرَيْشٍ وَقَدْ خَدَّشَهُ فِي عُنُقِهِ خَدَشًا غَيْرَ كَبِيرٍ ، فَاحْتَقَنَ الدَّمُ ، فقال : قَتَلَنِي وَاللهُ مُحَمَّد ! قالوا له : ذهب والله فؤادك ! والله إن بك من بَأْسٍ ؛ قال : إنه قد كان قال لي بِمَكَّةَ : أنا أَقْتُلُكَ ، فوالله لو بَصَقَ عَلَيَّ لَمَقَتَلَنِي . فماتَ عَدُوَّ اللهِ بِسَرَفٍ وَهُمْ قَافِلُونَ بِهِ إِلَى مَكَّةَ .

شعر حسان في مقتل أبي بن خلف.

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت في ذلك :

لَقَدْ وَرِثَ الضَّلَالَةَ عَنْ أَبِيهِ أَبِي يَوْمَ بَارَزَهُ الرَّسُولُ
أَتَيْتَ إِلَيْهِ تَحْمِلَ رِمَّ عَظْمٍ وَتُوْعِدُهُ وَأَنْتَ بِهِ جَهْلُ
وَقَدْ قَتَلْتَ بَنُو النَّجَّارِ مِنْكُمْ أُمَيَّةَ إِذْ يَفُوتُ : بِأَعْقِيلِ
وَتَبَّ ابْنَا رَبِيعَةَ إِذْ أَطَاعَا أَبَا جَهْلٍ ، لَأَمَمَا الْهَبُولِ
وَأَفْلَتَ حَارِثٌ لَمَّا شَفَلْنَا بِأَسْرِ الْقَوْمِ ، أَسْرَتَهُ قَلِيلِ
قال ابن هشام : أسرته : قبيلته .

وقال حسان بن ثابت أيضاً في ذلك :

أَلَا مَنْ مَبْلُغٌ عَنِّي أُبَيًّا لَقَدْ أَقْبَيْتَ فِي سُجْقِ السَّعِيرِ
تَمَنَّى بِالضَّلَالَةِ مِنْ بَعِيدٍ وَتَقَسَّمَ أَنْ قَدَرْتَ مَعَ النَّذِيرِ
تَمَنَّىكَ الْأُمَانِي مِنْ بَعِيدٍ وَقَوْلُ الْكَفَرِ يَرْجِعُ فِي غُرُورِ
فَقَدْ لَأَقَتَكَ طَعْنَةُ ذِي حِفَافٍ كَرِيمِ الْبَيْتِ لَيْسَ بِذِي فُجُورِ
لَهُ فَضْلٌ عَلَى الْأَحْيَاءِ طُرًّا إِذَا نَابَتْ مُلِمَّاتُ الْأُمُورِ

انتهاء الرسول إلى الشعب

(قال) : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فَمِ الشَّعْبِ خَرَجَ
على بن أبي طالب ، حتى ملأ دَرَقَتَهُ مَاءً مِنَ الْمِثْرَاسِ ، فجاء به إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم يشرب منه ، فوجد له ريحا ، فعافه ، فلم يشرب منه .
وغسل عن وجهه الدم ، وصب على رأسه وهو يقول : اشتد غضب الله على من
دمى وجه نبيه .

جرص ابن أبي وقاص على قتل عتبة

قال ابن إسحاق : فحدثني صالح بن كيسان عن حدثه عن سعد بن
أبي وقاص أنه كان يقول : والله ما حرصت على قتل رجل قط كحرصى على
قتل عتبة بن أبي وقاص ، وإن كان ما علمت لسيئ الخلق مبعضا في قومه ،
ولقد كفانى منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشتد غضب الله على من
دمى وجه رسوله .

صمود قريش الجبل وقتال عمر لهم

قال ابن إسحاق : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعب ، معه
أولئك الأقر من أصحابه ، إذ علّت عالية من قريش الجبل .

قال ابن هشام : كان على تلك التحيل خالد بن الوليد .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إنه لا يبنى
لهم أن يقاتلوا ! فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم
من الجبل .

ضعف الرسول عن النهوض ومعاونة طلحة له

قال ابن إسحاق : ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من

الجبَل ليعلموها ، وقد كان يَدْن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وظاهر بين
درعين ، فلما ذهب ليمهض صلى الله عليه وسلم لم يستطع ، فجلس تحته طلحة بن
عبيد الله ، فمهض به ، حتى استوى عليها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
كما حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن
الزبير ، عن الزبير ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يقول :
أوجب طلحة حين صنع برَسُول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع .

قال ابن هشام : وبلغني عن عكرمة عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يبلغ الدرجة المنيّة في الشعب .

صلاة الرسول قاعداً

قال ابن هشام : وذكر عمر مولى غفرة : أن النبي صلى الله عليه وسلم
صلى الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح التي أصابته ، وصلى المسلمون
خلفه قعوداً .

مقتل اليمان وابن وقش

قال ابن إسحاق : وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى انتهى بعضهم إلى المُنَقَّى ، دون الأعوص .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن كبيد ،
قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد ، رفع حُسيل بن جابر

وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان ، وثابت بن وقش في الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدهما لصاحبه ، وما شيخان كبيران : لأبأ لك ، ما تنتظر ؟ فوالله لا يبقى لواحد منا من عمره إلا ظمء حمار ، إنما نحن هامة اليوم أو غد ، أفلا نأخذ أسيافنا ، ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، لعل الله يرزقنا شهادة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأخذوا أسيافهما ثم خرجا ، حتى دخلا في الناس ، ولم يُعلم بهما ، فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون ، وأما حُسَيل بن جابر فاختلفت عليه أسياف المسلمين ، فقتلوه ولا يُعرفونه ، فقال حذيفة : أبي ، فقالوا : والله إن عرفناه ، وصدقوا . قال حذيفة : يَغْفِرُ الله لَكُمْ وهو أرحم الراحمين ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَدَّيْهِ ؛ فتصدق حذيفة بدينه على المسلمين ؛ فزاده ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً .

مقتل حاطب ومقالة أبيه

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن رجلاً منهم كان يدعى حاطب بن أمية بن رافع ، وكان له ابن يُقال له يزيد بن حاطب ، أصابته جراحة يوم أحد ، فأُتي به إلى دار قومه وهو بالموء ، فاجتمع إليه أهل الدار ، فجعل المسلمون يقولون له من الرجال والنساء : أبشر يا بن حاطب بالجنة ؛ قال : وكان حاطب شيخاً قد عسا في الجاهلية ، فنجم يومئذ نفاقه ، فقال : بأى شيء تبشرونه ؟ بجنة من حرمل اغررتم والله هذا الغلام من نفسه .

مقتل قزمان منافقاً كما حدّث الرسول لذلك

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : كان فينا رجلٌ
أَتَيْنِي لَا يُدْرِي مَن هو ، يقال له قُزْمَان ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
يقول ، إذا ذُكِرَ له : إنه لمن أهل النار ، قال : فلما كان يوم أحد قاتلَ قتلاً
شديداً ، فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بأس ، فأثبتته
الجراحة ، فاحتُمِلَ إلى دار بني ظَفَر ، قال : فجعل رجالٌ من المسلمين يقولون له :
والله لقد أبليتَ اليوم يا قُزْمَان ، فأبشر ، قال : بماذا أبشر ؟ فوالله إن قاتلتُ
إلا عن أحساب قومي ، ولولا ذلك ما قاتلتُ . قال : فلما اشتدَّت عليه جراحته
أخذَ سَهْمًا من كِذَابَتِهِ ، فقتلَ به نفسه .

قتل مخيريق

قال ابن إسحاق : وكان ممن قُتل يوم أحدٌ مُخَيْرِيق ، وكان أحدُ بني
مُغَلْبَةَ بنِ الْفُطَيْيُون ، قال : لما كان يوم أحد ، قال : يا مَعْشَرَ يَهُودَ ، والله لقد
علمتم أن نصر محمد عليكم حَقٌّ ، قالوا : إن اليوم يوم السبت ، قال لاسَبَّتْ لَكُمْ .
فأخذ سيفه وعدته ، وقال : إن أُصِيبْتُ فمَالِي لِمُحَمَّدٍ يَصْنَعُ فِيهِ مَا شَاءَ .
ثم غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقاتلَ معه حتى قُتل ؛ فقال
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما باغتنا - مُخَيْرِيقُ خَيْرُ يَهُودَ .

أمر الحارث بن سويد

قال ابن إسحاق : وكان الحارث بن سويد بن صامت مُنافقاً ، فخرج يوم

أُحِدَ مع المسلمين ، فلما اتقى الناسُ ، عدا على المُجَذَّر بن زياد البَلَوِي ، وقُتِلَ ابن زيد ، أحد بني ضُبَيْعَةَ ، فقتلهم ما ، ثم لحق بِمَكَّةَ بِقُرَيْشٍ ؛ وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما يذكرون - قد أمر عُمر بن الخطاب بقتله إن هو ظفر به ، ففاته ، فكان بِمَكَّةَ ؛ ثم بعث إلى أخيه الجُلاس بن سُويد يطلب التوبة ، ليرجع إلى قومه . فأنزل الله تعالى فيه ، فيما بلغني ؛ عن ابن عباس : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ، وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ إلى آخر القصة .

تحقيق ابن هشام فيمن قتل المجذر

قال ابن هشام : حدثني مَنْ أثق به من أهل العلم : أن الحارث بن سُويد قتل المُجَذَّر بن زياد ، ولم يقتل قيس بن زيد ، والدليل على ذلك : أن ابن إسحاق لم يذكره في قَتْلَى أَحَدٍ ؛ وإنما قتل المُجَذَّر لأن المُجَذَّر بن زياد كان قتل أباه سُويداً في بعض الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج ، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى من هذا الكتاب .

فبينما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، في نفر من أصحابه ، إذ خرج الحارث ابن سُويد من بعض حوايط المدينة ، وعليه ثوبان مُطَرَّجان ، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان ، فَضْرَبَ عُنُقَهُ ، ويقال : بعضُ الأنصار .

قال ابن إسحاق : قتل سُويدَ بن الصَّامِت معاذ بن عفراء غيلةً ، في غير حربٍ رماه بِسَهْمٍ فقتله قبل يوم بُعث .

أمر أصيرم

قال ابن إسحاق : وحدثني الحُصَيْن بن عبد الرحمن بن عمرو بن سَعْد بن معاذ عن أبي سفيان ، مولى ابن أبي أحمد ، عن أبي هُرَيْرَةَ قال : كان يقول : حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يُصَلِّ قطُّ ، فإذا لم يعرفه الناسُ سألوهُ : من هو ؟ فيقول : أصيرم ، بنى عبد الأشهل ، عمرو بن ثابت بن وقش . قال الحُصَيْن : فقلت لمحمد بن أسد : كيف كان شأن الأصيرم ؟ قال : كان يأبى الإسلام على قومه . فلما كان يوم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أحدهم بداله في الإسلام فأسلم ، ثم أخذ سيفه ، فعدا حتى دخل في عرض الناس ، فقاتل حتى أُنْبِثَتْهُ الجراحة . قال : فبينما رجالٌ من بنى عبد الأشهل يَلْتَمِسُونَ قَتْلَهُمْ في المعركة إذا هم به ، فقالوا : والله إن هذا للأصيرم ، ما جاء به ؟ لقد تركناه وإنه لَمُنْكَرٌ لهذا الحديث ، فسألوهُ ما جاء به ، فقالوا : ما جاء بك يا عمرو ؟ أَحَدَبٌ على قومك أم رَغْبَةٌ في الإسلام ، ؟ قال : بل رَغْبَةٌ في الإسلام ، آمَنت بالله وبرسوله وأسلمتُ ، ثم أخذت سيفي ، فعدوتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني ، ثم لم يلبث أن مات في أيديهم . فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه لمن أهل الجنة .

مقتل عمرو بن الجحوح

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن أشياخ من بني

سلمة : أن عمرو بن الجموح كان رجلاً أغرج شديد العرج ، وكان له بنون أربعة مثل الأسد ، يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه ، وقالوا له : إن الله عز وجل : قد عذرك ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن بنى يريدون أن يخبسونى عن هذا الوجه ، والخروج معك فيه ، فوالله إني لأرجو أن أظا بخرجتى هذه فى الجنة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك ، وقال لبيه : ما عليكم أن لاتمنعوه ، لئلا الله أن يرزقه الشهادة ، فخرج معه فقتل يوم أحد .

هند وشميلها حمزة

قال ابن إسحاق : ووقعت هند بنت عتبة ، كما حدثنى صالح بن كيسان ، والنسوة اللاتى معها ، يمثّلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحدّعن الآذان والأنف ، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنفهم خدماً وقلائد ، وأعطت خدماً وقلائدها وقرطها وخشياً ، غلام جبير بن مطعم ، وبقرت عن كبد حمزة ، فلاكتها ، فلم تستطع أن تسيغها ، فللفظتها ، ثم علت على صخرة مشرفة ، فصرخت بأعلى صوتها فقالت :

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سمر
ما كان عن عتبة لى من مبر ولا أخى وعنه وبكرى
شفيت نفسى وقضيت نذرى شفيت وخشى غليل صدرى
فشكر وخشى على عمرى حتى ترم أعظمى فى قبرى

شعر هند بنت أُنثانة في الرد على هند بنت عتبة

فأجابتها هند بنت أُنثانة بن عَبَّاد بن الْمُطَّلِب ، فقالت :

خَزَيْتِ فِي بَدْرٍ وَبَعْدَ بَدْرٍ يَا بِنْتَ وَقَّاعٍ عَظِيمِ الْكَفْرِ
صَبَّحَكَ اللَّهُ غَدَاةَ الْفَجْرِ مِنْهَا شَمَّيْنِ الطَّوَالِ الزُّهْرِ
بِبَكْلِ قُطَاعِ حُسَامٍ يَفْرَى خَمْزَةُ كَيْئِ وَعَلَيْ صَفْرِى
إِذَا رَامَ شَيْبٌ وَأَبُوكَ غَدْرَى نَخْضِبًا مِنْهُ ضَوَاحِ النَّحْرِ
وَنَذْرَكَ الشَّوْءَ فَشَرَّ نَذْرِ

قال ابن هشام : تركنا منها ثلاثة أبيات أقذعت فيها .

شعر لهند بنت عتبة أيضاً

قال ابن إسحاق : وقالت هند بنت عتبة أيضاً :

شَفَيْتُ مِنْ خَمْزَةِ نَفْسِي بِأُحَدٍ حَتَّى بَقَرْتُ بِطَنَهُ عَنِ الْكَيْدِ
أَذْهَبَ عَنِ ذَاكَ مَا كُنْتُ أَجِدُ مِنْ لَذَّةِ الْحُزْنِ الشَّدِيدِ الْمُتَمِيدِ
وَالْحَرْبِ تَغْلُوكُمْ بِشَوَابِوبِ بَرْدٍ تُتَقَدِّمُ إِقْدَامًا عَلَيْكُمْ كَالْأَسَدِ

تجريض عمر لحسان على هجو هند بنت عتبة

قال ابن إسحاق : فحدثني صالح بن كيسان أنه حدث : أن عمر بن الخطاب قال لحسان بن ثابت : يا بن الفُرَيْعة — قال ابن هشام : الفُرَيْعة بنت

خالد بن خنيس ، ويقال : خُنيس : ابنُ حارثة بن لؤذان بن عبد ود بن زيد بن نعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج - لو سمعت ما تقول هُند ، وأريت أشرها قائمة على صخرة ترهبنا ، وتذكر ما صنعت بحمزة ؟ قال له حسان : والله إني لأنظر إلى الحربة تهوى وأنا على رأس فارغ - يعنى أطمئنه - فقلت : والله إن هذه سلاح ما هي بسلاح العرب ، وكأنها إنما تهوى إلى حمزة ولا أدرى ، لكن اسمعنى بعض قولها أكشفوها ؛ قال : فأنشده عمرُ بن الخطاب بعض ما قالت ؛ فقال حسان بن ثابت :

أشِرتَ كساع وكان عادتُها لؤمًا إذا أشرت مع الكفر

قال ابن هشام : وهذا البيت في أبيات له تركناها ، وأبياتنا أيضًا له على الدال . وأبياتنا آخر على الذال ، لأنه أقذع فيها .

استنكار الحليس على أبي سفيان تشبيله بحمزة

قال ابن إسحاق : وقد كان الحليس بن زبآن ، أخو بني الحارث بن عبد مناة ، وهو يومئذ سيّد الأييش ، قد مرّ بأبي سفيان ، وهو يضرب في شذوق حمزة بن عبد المطلب بزُج الرمح ويقول : ذُقْ عَقَقُ ؛ فقال الحليس : يا بني كِنَانَة ، هذا سيّد قُريش يصنع بابن عمّه ماترّون لحماً ؟ فقال : ويحك ! أكنتمها عني ، فإنها كانت زَلّة .

شتمانة أبي سفيان بالمسلمين بعد أحد وحديثه مع عمر

ثم إن أبا سفيان بن حرب ، حين أراد الانصراف ، أشرف على الجبل ،

ثم صَرَخَ بأعلى صوته فقال : أُنعمتَ فعال ، وإن الحرب سجال يوم بيوم ،
أغلِ هُبَل ، أى : أظهر دينك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قُمْ يا عمر
فأَجِبْه ، فقل : الله أعلى وأجل ، لا سِواء ، قَتَلْنَا فى الجَنَّةِ ، وقَتَلَكُم فى
النَّارِ . فلما أَجابَ عُمرُ أبا سُفْيَانَ ، قال له أبو سُفْيَانَ : هَلُمَّ إلىَّ يا عمر ، فقال
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعُمر : ائتِه فانظر ما سَأَلْتُهُ ، فجاءه ، فقال له
أبو سُفْيَانَ : أنشدك الله يا عمر ، أَقَتَلْنَا عَمْدًا ؟ قال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمع
كلامك الآن ، قال : أنتَ أَصْدَقُ عِنْدِي من ابنِ قَمِيْثَةَ وأَبْرَثُ ؛ لقول ابنِ قَمِيْثَةَ
لهم : إني قد قتلْتُ عَمْدًا .

قال ابن هشام : واسم ابنِ قَمِيْثَةَ عبدُ الله .

توعد أبى سفيان المسلمين

قال ابن إسحاق : ثم نادى أبو سُفْيَانَ : إنه قد كان فى قَتْلِكُم مثل ،
والله ما رَضِيتُ ، وما سَخِطْتُ ، وما نَهَيْتُ ، وما أَمَرْتُ .

ولما انصرف أبو سُفْيَانَ ومن معه ، نادى : إن موعدكم بدر للعام القابل ،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه : قُلْ : نعم ، هو بيننا
وبينكم موعد .

خروج علىَّ فى آثار المشركين

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علىَّ بن أبى طالب ، فقال : اخرج
فى آثار القوم ، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون ، فإن كانوا قد جنبُوا الخيل ،

وامتطوا الإبل ، فإنهم يُريدون مكة ، وإن ركبوا الخيلَ وساقوا الإبل ، فإنهم يُريدون المدينة ، والذي نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرنَ إليهم فيها ، ثم لأناجزنهم . قال على : فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون ؛ كَجَنَّبُوا الخيل ، وامتطوا الإبل ، ووجهوا إلى مكة .

أمر القتلى بأحد

وفرغ الناس اقتتلاهم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كما حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صَمَصَةَ المازني ، أخو بني النَّجَّار : مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ لِي مَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ ؟ أَمِ الْأَحْيَاءُ هُوَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا أنظر لك يا رسول الله مَا فَعَلَ سَعْدُ ، فنظرَ فَوَجَدَهُ جَرِيحاً فِي الْقَتْلِ وَبِهِ رَمَقٌ . قال : فقلت له : إِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ ، أَمِ الْأَحْيَاءُ أَنْتَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ ؟ قَالَ : أَنَا فِي الْأَمْوَاتِ ، فَأَبْلَغُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ السَّلَامِ ، وَقُلْ لَهُ : إِنْ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ يَقُولُ لَكَ : جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا خَيْرَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ ، وَأَبْلَغُ قَوْمًا عَنِ السَّلَامِ وَقُلْ لَهُمْ : إِنْ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ يَقُولُ لَكُمْ : إِنَّهُ لَا عُدُوَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ إِنْ خُلِصَ إِلَى نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْكُمْ عَيْنٌ تَطْرَفُ . قَالَ : ثُمَّ لَمْ أَبْزَحْ حَتَّى مَاتَ ؛ قَالَ : فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ خَبْرَهُ .

قال ابن هشام : وحدثني أبو بكر الزُّبَيْرِي : أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَبَنَتْ لِسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ جَارِيَةٌ صَغِيرَةٌ عَلَى صَدْرِهِ يَرَشُّفُهَا وَيَقْبِلُهَا ؛

فقال له الرجل : مَنْ هذه ؟ قال : هذه بنتُ رجل خير مني ، سعد بن الربيع ،
كان من الثَّقباء يوم التَّعبَة ، وشهد بدرًا ، واستشهد يوم أحد .

حزن الرسول على حمزة وتوعده المشركين بالمثلة

قال ابن إسحاق : وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغني ،
يَتَلَمَسُ حمزة بن عبد المطلب ، فوجدَه بِبَطْنِ الوادي قد بُقِرَ بطنه عن كبده ،
ومُثِّلَ به ، مُجْدِعُ أنفه وأذناه .

فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال
حين رأى ما رأى : لولا أن تحمزنَ صَفِيَّةَ ، ويكونَ سُنَّةَ من بعدى لتركته ،
حتى يكون في بطون السَّباع ، وحواصل الطير ، ولئن أظهرني الله على قريش
في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم . فلما رأى المسلمون حُزنَ
رسول الله صلى الله عليه وسلم وغِيظه على مَنْ فعل بعمه ما فعل ، قالوا : والله
لئن أظفرنَّا الله بهم يوماً من الدهر لندثمان بهم مثله لم يُمثِّلها أحد من العرب .

قال ابن هشام : ولما وقف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على تحمزة قال :
لن أصاب بمثلِكَ أبداً ! ما وقفتُ موقفاً قط أغيظُ إلى من هذا ! ثم قال :
جاءني جبريلُ فأخبرني أن حمزة بن عبد المطلب مكتوبٌ في أهل السماوات
السبع : حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله ، وأسد رسوله .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمزة وأبو سَدَمَةَ بن عبد الأسد ،
إخوة من الرضاعة ، أرضعتهم مولاة لأبي لهب .

ما نزل في النهي عن المثلة

قال ابن إسحاق : وحدثني بُرَيْدَةُ بْنُ سُفْيَانَ بْنِ قَرْوَةَ الْأَسْلَمِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ ، وَحَدَّثَنِي مِنْ لَا أَتُهُمْ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ فِي ذَلِكَ ، مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَوْلِ أَصْحَابِهِ : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ . وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ، وَلَا تَكُفِّ فِي ضَيْقِي مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ ، فَعَفَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصَبَرَ وَنَهَى عَنْ الْمَثَلَةِ .

قال ابن إسحاق : وحدثني حُمَيْدُ الطَّوِيلُ ، عَنْ الْحَسَنِ ، عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ ، قَالَ : مَا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَقَامٍ قَطُّ فَقَارَقَهُ ، حَتَّى يَأْمُرَنَا بِالصَّدَقَةِ ، وَيَنْهَانَا عَنِ الْمَثَلَةِ .

صلاة الرسول على حمزة والقتلى

قال ابن إسحاق : وحدثني مِنْ لَا أَتُهُمْ عَنْ مِقْسَمٍ ، مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَمْزَةِ فَسُجِّي بِرِدَّةٍ ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ، فَكَبَّرَ سَبْعَ تَكْبِيرَاتٍ ، ثُمَّ أَتَى بِالْقَتْلَى فَيُوضَعُونَ إِلَى حَمْزَةٍ ، فَصَلَّى عَلَيْهِمْ وَعَلَيْهِمْ مَعَهُمْ ، حَتَّى صَلَّى عَلَيْهِ ثَنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ صَلَاةً .

صفية وحزنها على حمزة

قال ابن إسحاق : وَقَدْ أَقْبَلْتُ فِيمَا بَلَغَنِي ، صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ لَتَنْظُرَ

إليه وكان أخاها لأبيها وأُمُّها ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير بن العوام : اقمها فأرجمها ، لا ترى ما بأخيها ، فقال لها : يا أُمُّه ، إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يأمرُك أن ترَجعي ، قالت : ولِمَ ؟ وقد بلغني أن قد مُثل بأخي ، وذلك في الله ، فما أرضانا بما كان من ذلك ! لأحتسبن ولأضبرن إن شاء الله . فلما جاء الزبير إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، قال : خلّ سبيلها ، فأتته ، فنظرتُ إليه ، فصلّت عليه ، واسترجمت ، واستغفرت له ، ثم أمر به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فدُفن .

دفن عبد الله بن جحش مع حمزة

قال : فزعم لي آلُ عبدِ الله بن جحش - وكان لأُميمة بنت عبدالمطلب ، حمزةُ خاله ، وقد كان مُثل به كما مُثل بحمزة ، إلا أنه لم يُبقرَ عن كِبده - أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم دَفَنه مع حمزة في قبره ، ولم أسمع ذلك إلا عن أهله .

دفن الشهداء

قال ابن إسحاق : وكان قد احتمل ناسٌ من المسلمين قَتْلًا إلى المدينة ، فدَفَنوهم بها ، ثم نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وقال : ادفَنوهم حيث صُرِعوا .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مُسلم الزُّهري ، عن عبد الله بن ثعلبة

ابن صُمَيْرِ الْمُذَرِّي ، حليف بنى زُهْرَةَ : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم
 لما أُشْرِفَ على القَتْلِ يومَ أحدَ ، قال : أنا شهيدٌ على هؤلاء ، إنه مامنٌ جَرِيحٌ
 يُجْرَحُ في الله ، إلا والله يَبِيعُهُ يومَ القيامةِ يَذْمِي جِرْحُهُ ، اللونُ لونُ دَمٍ
 والريحُ رِيحُ مَسَكٍ ، وانظروا أكَثَرَ هؤلاءِ جَمْعًا للقرآنِ ، فاجعلوه أمامَ أصحابِهِ
 في القَبْرِ - وكانوا يَذْفِنُونَ الاثنينَ والثلاثَةَ في القبرِ الواحدِ .

قال : وحدثني عُمَى موسى بنِ يسارَ ، أنه سمعَ أبا هُرَيْرَةَ يقولُ : قال
 أبو القاسمِ صلى الله عليه وسلم : مامنٌ جَرِيحٌ يُجْرَحُ في الله إلا والله يَبِيعُهُ يومَ
 القيامةِ وَجُرْحُهُ يَذْمِي ، اللونُ لونُ دَمٍ ، والريحُ رِيحُ مَسَكٍ .

قال ابنُ إسحاقَ : وحدثني أبي إسحاقُ بنُ يسارَ ، عن أشياخٍ من بنى
 سَلَمَةَ : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، قال يومئذٍ ، حينَ أمرَ بِدَفْنِ
 القَتْلَى : انظروا إلى عَمْرُو بنِ الجُمُوحِ ، وعبدِ الله بنِ عمرو بنِ حَرَامٍ ، فإنهما
 كانا مُتَصَافِيَيْنِ في الدنيا ، فاجعلوها في قبرِ واحدٍ .

حزن حمزة على حمزة

قال ابنُ إسحاقَ : ثم انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم راجعًا إلى
 المدينة ، فلَقِيَتْهُ حَمْزَةُ بنتُ جَحْشٍ ، كما ذُكِرَ لِي ، فلما لَقِيَتْ الناسَ نَعِيَ إليها
 أخوها عبدَ الله بنَ جَحْشٍ ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نَعِيَ لها خالها حمزة
 ابنَ عبدِ المطلبِ فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نَعِيَ لها زوجها مُصْعبُ بنُ عميرٍ ،
 فصاحت وَوَلَّوَتْ ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن زَوْجَ المرأةِ منها

لبيكان ! إِمَّا رَأَى مِنْ تَثَبُّتِهَا عِنْدَ أَخِيهَا وَخَالِهَا ، وَصِيَا حِهَا عَلَى زَوْجِهَا .

بكاء نساء الأنصار على حمزة

قال ابن إسحاق : ومرو رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل وظفر ، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم ، فذرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكى ، ثم قال : لكن حمزة لا بواكى له ! فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حضير إلى دار بني عبد الأشهل أصرا نساءهم أن يتحزمن ، ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : حدثني حكيم بن حكيم عن عباد بن حنيفة ، عن بعض رجال بني عبد الأشهل ، قال : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن على باب مسجده يبكين عليه ، فقال : ارجعن يرحمكم الله ، فقد آسيتن بأنفسكن .

قال ابن هشام : ونهى يومئذ عن النوح .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع بكاءهن ، قال : رحم الله الأنصار ! فإن المواساة منهم ما عتمت لقدمته ، مروهن فلينهرفن .

شأن المرأة الدينارية

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الواحد بن أبي عون ، عن إسماعيل بن

محمد ، عن سعد بن أبي وقاص ، قال : مرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بني دينار ، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، فلما نَعُوا لها ، قالت : فما فعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيراً يا أُمّ فلان ، هو بحمد الله كما تحبّين ؛ قالت : أرونيهِ حتى أنظرُ إليه ، قال : فأشير لها إليه ، حتى إذا رآته قالت : كلُّ مُصيبَةٍ بِمَدك جَلَل ! تريد صغيرة .

قال ابن هشام : الجلل : يكون من القليل ، ومن الكثير ، وهو هاهنا من القليل . قال امرؤ القيس في الجلل القليل :

أَقْتُلْ بَنِي أَسَدٍ رَبَّهُمْ أَلَّا كُلَّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَلٍ

قال ابن هشام : وأما قول الشاعر ، وهو الحارث بن وعلة الجرمي :

وَلِئِنْ عَمَوْتُ لِأَعْمُونَ جَلَلًا وَلِئِنْ سَطَوْتُ لِأَوْهِنَ عَظْمِي

(فهو من الكثير) .

غسل السيوف

قال ابن إسحاق : فلما انتهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله تناول سيفه ابنته فاطمة ، فقال : اغسلي عن هذا دمه يا بُنَيَّةَ ، فوالله لقد صدقني اليوم ؛ وناولها علي بن أبي طالب سيفه ، فقال : وهذا أيضاً ، فاعسلي عنه دمه ، فوالله لقد صدقني اليوم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لئن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حنيف وأبو دُجَانة .

قال ابن هشام : وكان يُقال لسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم :
ذو الفقار .

قال ابن هشام : وحدثني بعضُ أهل العلم ، ان ابن أبي نجيح قال : نادى
مُنَاد يَوْمَ أَحَد :

لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ وَلَا فَتَى إِلَّا عَلِيٌّ

قال ابن هشام : وحدثني بعضُ أهل العلم : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لعليّ بن أبي طالب : لا يُصِيبُ الْمُشْرِكُونَ مِنَّا مِثْلَهَا حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا .

قال ابن إسحاق : وكان يوم أحد يوم السبت للنصف من شوال .

خروج الرسول في أثر العدو ليرهبه

قال : فلما كان الغدُ (من) يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال ، أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس يطلب العدو ، فأذن مؤذنه أن لا يخرجن معنا أحدٌ إلا أحدٌ حَضَرَ يومنا بالأمس . فكلّمه جابر ابن عبد الله بن عمرو بن حرام ، فقال : يا رسول الله ، إن أباي كان خَلَفَنِي عَلَى أَخَوَاتِي سَبْعَ ، وقال : يَا بُنَيَّ ، إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِي وَلَا لَكَ أَنْ تَتْرَكَ هَؤُلَاءِ النِّسَاءَ لَا رَجُلَ فِيهِنَّ ، وَلَسْتَ بِالَّذِي أُوتِرَكَ بِالْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَفْسِي ، فَتَخَلَّفَ عَلَى أَخَوَاتِكَ ، فَتَخَلَّفْتُ عَلَيْهِنَ ، فَأَذِنَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَفْرُجَ مَعَهُ . وَإِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مُرْهَبًا لِلْعَدُوِّ ، وَلِيُبلِّغَهُمْ أَنَّهُ خَرَجَ فِي طَلَبِهِمْ ، لِيُظَنُّوا بِهِ قُوَّةً ، وَأَنَّ الَّذِي أَصَابَهُمْ
لَمْ يُؤْهِنَهُمْ عَنْ عَدُوِّهِمْ .

مثل من استماتة المسلمين في نصرة الرسول

قال ابن إسحاق : فحدثني عبدُ الله بن خزيمة بن زيد بن ثابت ، عن
أبي السائب مولى عائشة بنت عُثْمَانَ : أَنَّ رجلاً من أصحاب رسولِ الله صلى الله
عليه وسلم ، من بني عبدِ الأشهل ، كان شَهِيداً أحداً مع رسولِ الله صلى الله
عليه وسلم ، قال : شهدتُ أحداً مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، أنا وأخ
لي ، فَرَجَعْنَا جَرِيحِينَ ، فَلَمَّا أَدْنَى مُؤَذِّنُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بالخروج
فِي طلبِ العدوِّ ، قلتُ لأخِي أَوْ قَالَ لِي : أَتَفَوُّتُنَا غَزْوَةً مَعَ رسولِ الله صلى الله
عليه وسلم ؟ وَاللهُ مَا لَنَا مِنْ دَابَّةٍ نَرْكَبُهَا وَمَا مِنَّا إِلَّا جَرِيحٌ ثَقِيلٌ ، فَخَرَجْنَا
مَعَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وَكُنْتُ أُبَسِّرُ جُرْحًا ، فَكَانَ إِذَا غُلِبَ
حَمَلَتُهُ عُقْبَةً ، وَمَشَى عُقْبَةً ، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى مَا انْتَهَى إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ .

استعمال ابن أم مكتوم على المدينة

قال ابن إسحاق : فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حَتَّى انْتَهَى إِلَى
سَحَرَاءِ الْأَسَدِ ، وَهِيَ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَمْيَالٍ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ
أُمِّ مَكْتُومٍ ، فَمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ .

قال ابن إسحاق : فَأَقَامَ بِهَا الْاِثْنَيْنِ وَالثَّلَاثَاءِ وَالْأَرْبَعَاءِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى
الْمَدِينَةِ .

شأن معبد الخزاعي

قال : وقد مرّ به كما حدثني عبد الله بن أبي بكر ، معبد بن أبي معبد الخزاعي ، وكانت خُزاعة ، مُسلمهم ومُشركهم عَيْبَةً نُصَح لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بهتامة ، صَفَقْتهم معه ، لا يُخْفُونَ عنه شيئاً كان بها ، ومعبد يومئذ مُشرك ، فقال : يا محمد ، أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك ، ولودِدنا أن الله عافاك فيهم ، ثم خرج ورسول الله صلى الله عليه وسلم بجمراء الأمد ، حتى لقي أبا سُفيان بن حرب ومن معه بالزوْحاء ، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حدّ أصحابه وأُشرفهم وقادّهم ، ثم نرجع قبل أن نَسْتَأْصِلهم ! لنُكْرِن على بقيّتهم ، فلنُفَرِّغَن منهم . فلما رأى أبو سُفيان معبداً ، قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يَطْلُبُكم في جَمْع لم أر مثله قط ، يتحرّقون عليكم تحرقاً ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم ، وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحقّ عليكم شيء ! لم أر مثله قط ، قال : ويحك ! ما تقول ؟ قال : والله ما أرى أن ترتحل حتى أرى نواصي التحليل ، قال : فوالله لقد أجمعنا الكُفْرَ عليهم ، لنَسْتَأْصِل بقيّتهم : قال : فإني أنْهاك عن ذلك ، قال : والله لقد سحلت ما رأيتُ علي أن قلتُ فيهم أيّباتاً من شعر ، قال : وما قلت ؟ قال : قلت :

كادت تُهدّ من الأصوات راحلتى	إذ سالت الأرض بالجُرْد الأبا بيل
تردى بأسدٍ كرامٍ لا تُنْأى	عند الأتقاء ولا ميل معازيل
فظلت عدواً أظنّ الأرض مائلة	لما سموا برئيس غير مخذول

فقلت : ويل ابن حرب من لغائكم إذا تَنَطَّطت البطحاء بالخنيل
إني نذيرٌ لأهل البئس ضاحية لكل ذي إزية منهم وممقول
من جيش أحمد لا وخش تنأيلة وليس يوصف ما أندرْتُ بالِقيل
فتنى ذلك أبا سُفيان ومن معه .

رسالة أبي سفيان إلى الرسول على لسان ركب

ومرَّ به ركبٌ من عبد القيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ؟
قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة ؛ قال : فهل أنتم مُبلغون عنى محمدًا رسالة
أرسلكم بها إليه ، وأحمل لكم هذه غداً زيبًا بمسكاظ إذا وافيتُموها ؟
قالوا نعم ؛ قال : فإذا وافيتُموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه
لنستأصل بقيتهم ، فرَّ الركبُ برسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو بمَحْمَرِّاء
الأسد ، فأخبروه بالذي قال أبو سُفيان ؛ فقال : حسَبنا الله ونعم الوكيل .

كف صفوان لأبي سفيان عن معاودة الكرة

قال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة : أن أبا سُفيان بن حرب لما انصرف
يوم أحد ، أراد الرجوع إلى المدينة ، ليستأصل بقيَّة أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم صفوان بن أمية بن خلف : لا تفعلوا ، فإن
القوم قد حرِّبوا ، وقد خَشِينا أن يكون لهم قتال غير الذي كان ، فارجموا ،
فرَّجُموا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو بمَحْمَرِّاء الأسد ، حين بلغه

أنهم هَمُّوا بالرَّجْمَةِ : والذي نَفَسَى بيده ، لقد سُوِّتَ لهم حجارة ، لو صَبَّحُوا بها لَكَانُوا كَأَمْسِ الذَّاهِبِ .

مقتل أنى عزة ومعاوية بن المغيرة

قال أبو عبيدة : وأخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في جهة ذلك ، قبل رُجُوعِهِ إلى المدينة ، مُعَاوِيَةَ بنَ الْمُغِيرَةِ بنِ العاصِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ عبدِ شمس ، وهو جدُّ عبدِ الملكِ بنِ سَروان ، أبو أمِّه عائِشةُ بنتُ مُعَاوِيَةَ ، وأبَا عَزَّةَ الْجُمَحِيِّ ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أسَرَهُ بيدر ، ثم مَنَّ عليه ، فقال : يا رسولَ الله ، أَقَانِي ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : والله لا تَمْسَحَ عَارِضِيكَ بِمَكَّةَ بَعْدَهَا وتَقُولَ : خَدَعْتُ مُحَمَّدًا مَرَّتَيْنِ ، اضْرِبْ عُنُقَهُ يَازُيْر . فضربَ عُنُقَهُ .

قال ابن هشام : وبلغني عن سعيد بن المسيَّب أنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إِنْ الْإِثْمُ لَا يُدْلَغُ مِنْ جُجْرٍ مَرَّتَيْنِ ، اضْرِبْ عُنُقَهُ يَا عَاصِمُ بنَ ثَابِت ، فضربَ عُنُقَهُ .

مقتل معاوية بن المغيرة

قال ابن هشام : ويقال : إن زَيْدَ بنَ حَارِثَةَ وَعَمَّارَ بنَ يَاسِرَ قَتَلَا مُعَاوِيَةَ . ابنُ الْمُغِيرَةِ بَعْدَ سَحَرَاءِ الْأَسَدِ ، كَانَ لِحَا إِلَى عُمَانَ بنِ عَفَّانَ فَاسْتَأْذَنَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَنَهُ ، عَلَى أَنَّهُ إِنْ وُجِدَ بَعْدَ ثَلَاثِ مُقْتَلٍ ، فَأَقَامَ بَعْدَ ثَلَاثِ .

وتوارى ، فبعثهما النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا ، فوجداه فقتلاه .

شأن عبد الله بن أبيّ بعد ذلك

قال ابن إسحاق : فلما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان عبد الله بن أبيّ بن سلول ، كما حدثني ابن شهاب الزهري ، له مقام يقومه كل جمعة لا يُنكر ، شرفاً له في نفسه وفي قومه ، وكان فيهم شريفاً ، إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يخطب الناس ، قام فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم ، أكرمكم الله وأعزكم به ، فأنصروه وعزّروه ، واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس ، حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع ، ورجع بالناس ، قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، فأخذ المسلمون يثيابه من نواحيه ، وقالوا : اجلس ، أي عدوّ الله ، لست لذلك بأهل ، وقد صنعت ما صنعت ، نخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : والله لكانما قلت بجراً أن قُت أشدّ أمره . فلقى رجلاً من الأنصار بباب المسجد ، فقال مالك ؟ ويليكَ ! قال : قُت أشدّ أمره ، فوثب على رجل من أصحابه يجذبونى ويعنفونى ، لكانما قلت بجراً أن قُت أشدّ أمره ، قال ويليكَ ! ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : والله ما أبغى أن يستغفر لى .

كان يوم أحد يوم محنة

قال ابن إسحاق : كان يوم أحد يوم بلاء ومُصيبة وتمحيص ، اختبر الله به المؤمنين ، وعن به المنافقين ممن كان يُظهر الإيمان بلسانه ، وهو مُستخف بالكفر في قلبه ، ويوماً أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته

قتل الرسول لأبي بن خلف

فصل: وذكر قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بن خلف، وفيه: تطاير ناعنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير. الشعراء: ذباب صغير له لدغ، تقول العرب في أمثاله: قيل للدغ: ما تقول في غنمة تحرسها جويرية؟ قال: شعيمة في حلقى، قيل: فما تقول في غنمة يحرسها غليم؟ قال: شعراء في إبطي أخشى خطواته الخطوات: سهام من قضبان كيفة يتعلم بها الفلّمان الرمي وهي الجمّاح أيضاً قال الشاعر:

أصابت حبة القلب بسهم غدير جمّاح^(١)

من كتاب أبي حنيفة، ورواه القسبي: تطاير الشعر، وقال: هي جمع شعراء، وهي ذباب أصغر من القمّع^(٢)، وفي الحديث من غير رواية ابن إسحاق: فرّج له بالحرّبة، أي رمّاه بها.

مول عين قتادة:

وذكر قتادة بن النعمان بن زيد، وهو أخو أبي سعيد الخدري لأمه، وهو الرجل الذي سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقرأ: قل هو الله أحد،

(١) رواية الشطرة الثانية في اللسان: فلم تخطيء بجمّاح. ويقال له: جباح أيضاً.

(٢) القمّع مفردة قمعة بفتح القاف والميم ذباب يركب الإبل والظباء إذا اشتد الحر ويجمع على مقامع أيضاً كمشابهة وملامح. وفي رواية: تطاير الشعارير، وهي بمعنى الشعر وقياس واحدتها: شعور.

يُرَدِّدُهَا ، فَقَالَ وَجَبَتْ ، وَحَدِيثُهُ فِي الْمَوْطَأِ ، وَذَكَرَ أَنَّ عَيْنَهُ أُصِيبَتْ يَوْمَ
أَحُدٍ . رَوَى عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : أُصِيبَتْ عَيْنُ رَجُلٍ مِنَّا يَوْمَ أَحُدٍ ،
وَهُوَ قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ ، حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى وَجْهِهِ ، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : إِنْ لِيَ امْرَأَةٌ أَحْبَبْتُهَا ، وَأَخْشَى أَنْ رَأَتْنِي أَنْ
تَقْذَرَنِي ، فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِيَدِهِ ، وَرَدَّهَا إِلَى مَوْضِعِهَا ،
وَقَالَ : اللَّهُمَّ اكْتُبْهُ بَجَائِلًا ، فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنَتَيْهِ ، وَأَحَدَهُمَا نَظْرًا ،
وَكَانَتْ لَا تَرْمَدُ إِذَا رَمِدَتِ الْآخَرَى ، وَقَدْ وَقَعَ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ
- رَحِمَهُ اللَّهُ - رَجُلٌ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ ، فَسَأَلَهُ عُمَرُ مِنْ أَنْتَ ؟ قَالَ :

أَنَا بِنْتُ الْأَدَى سَأَلَتْ عَلَى الْخَلْدِ عَيْنَتُهُ فَرَدَّتْ بِكَفِّ الْمُصْطَفَى أَيَّامًا رَدًّا
فَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ لِأَوَّلِ أَمْرِهَا فَيَا حُسْنَ مَاعَيْنٍ وَيَا حُسْنَ مَاخَذٍ

قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قُعْبَانَ^(١) مِنْ لَبَنِ شَيْبَاءٍ يَمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبَوَا لَا

قَوْلَهُ عُمَرُ ، وَأَحْسَنُ جَائِزَتِهِ ، وَقَدْ رَوَى أَنَّ عَيْنَيْهِ جَمِيعًا سَقَطَتَا ،
فَرَدَّهَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَانَ [أَبُو مَرْوَانَ
الْأُمَوِيَّ] عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ عَنْ أَبِيهِ
عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ أَخِيهِ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ قَالَ : أُصِيبَتْ عَيْنَايَ يَوْمَ أَحُدٍ ،
فَسَقَطَتَا عَلَى وَجْهِتِي ، فَأَتَيْتُ بِهِمَا النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَعَادَهُمَا النَّبِيُّ -

(١) القعب : قدح ضخم جاف .

صلى الله عليه وسلم - مكأههما ، وبصق فيهما ، فمادنا تبرأقان . قال . الدار قطنى :
هذا الحديث غريب عن مالك ، تفرد به عمار بن نصر ، وهو ثقة ^(١) ورواه
الدارقطنى عن إبراهيم الحزنى عن عمار ^(٢) بن نصر [السمدى
أبو ياسر التروذى] .

مول نسب مزيفة اليماني :

فصل : وذكر ثابت بن وقش ، والوقش : الحركة ، وحسبيل بن جابر
والد حذيفة بن اليمان ، وسمى حسبيل بن جابر اليماني ، لأنه من ولد جيرة
ابن مازن بن قطيمة بن عبس [بن بغيض] وكان جيرة قد بعد عن أهله في اليماني
زمنًا طويلا ، ثم أرجع إليهم فسموه اليماني ، وحذيفة بن اليمان يكنى
أبا عبد الله حليف بنى عبد الأشهل أمه الرباب بنت كعب . قال ابن إسحاق :
فاختلقت عليه : يعنى اليماني أسياف المسلمين . وفي تفسير ابن عباس : أن
الذى قتله منهم خطأ هو عتبة بن مسعود أخو عبد الله بن مسعود ، وجد

(١) لكن قال النورى : قال أبو نعيم : سألت عينا ، وغلطوه .

(٢) بهذا حصل لمحمد بن أبى عثمان متابع . فى روايته عن عمار بن نصر ،
لكن لم يحصل متابع لعمار فى روايته عن مالك . انظر تفصيل هذا فى المواهب
ص ١٨٦ وما بعدها .

والله يختص برحمته من يشاء ولا أحد يبرى أحدآ . وتدبر قوله سبحانه فيما
يقص عن خليله إبراهيم (وإذا مرضت فهو يشفين) وتدبر كل آيات القرآن
التي ذكر الله فيها آياته التي من بها على عيسى نجد فيها النص المؤكد على أنها بإذن
الله وحده .

عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ الْفَقِيه، ذكره عَبْدُ بَن حَمِيد فِي التَّفْسِيرِ،
وَعُتْبَةُ هُوَ أَوَّلُ مَنْ سَمِيَ الْمُصَحَّفَ مُصَحَّفًا، فِيمَا رَوَى ابْنُ وَهْبٍ فِي الْجَامِعِ.

الهامة والظم :

وقول ثابت بن وَقْشٍ وَحُسَيْلٍ : إِنَّمَا نَحْنُ هَامَةٌ الْيَوْمَ أَوْ غَدٍ ، يَرِيدُ :
النُّوْتِ ، وَكَانَ مِنْ مَذْهَبِ الْعَرَبِ فِي الْمَيِّتِ أَنَّ رُوحَهُ تَصِيرُ هَامَةً ^(١) ، وَلِذَلِكَ
قَالَ الْآخَرُ :

وكيف حَيَاةُ أَصْدَاءِ وَهَامٍ

وقوله : لَمْ يَبْقَ مِنْ عُمرِنَا إِلَّا ظَمٌّ ^(٢) حَمَارٍ . إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ ، لِأَنَّ الْحَمَارَ

(١) الصدى — كما يقول ابن دريد في الاشتقاق طائر معروف ، وتوعم
العرب أنه إذا قتل رجل خرج من هامته طائر يسمى : الصدى ، فينادى الليل
كله : اسقوني ، حتى يقتل قاتله ، وهذا باطل ، ويسمونه أيضاً : هامة . ص ٢٣٣
الاشتقاق . والصدى أصلاً — كما في القاموس — طائر يصير بالليل يقفز قفزانا
ويطفر والناس — كما يقول العديس العبدى — يرونه الجندب ، وإنما هو
الصدى ، فأما الجندب ، فإنه أصغر من الصدى ، والصدى ذكر اليوم . والهامة
أصلاً رأس كل شيء وجمعه هام ، والهامة : طير الليل وهو الصدى . وسمى الصدى
لما تعتقده الأعراب من كونه غطشان ولا يزال يقول اسقوني . والصدى : العطش .
وقد سمي الدماغ هامة لأنه يشبه رأس الصدى ، وتسميته الطائر بالهامة يحتمل
أن تكون للمعنى الذى لأجله سمي صدى وهو العطش ، ويجوز أن يكون قد
اشتق من الهيام ، وهو داء بصيب الإبل فتشرب ولا تروى . القاموس ، وحياة
الحيوان للدميري ٢ ص ٥٩ ، ٣٧٤ .

(٢) والظم ما بين الشربتين والوردين وما بين سقوط الولد إلى حين موته ،
فيكون المعنى : لم يبق لنا إلا يسير

أَفْصَرُ الدَّوَابِّ ظِمًا ، وَالْإِبِلُ أَطُولُهَا أَظْمَاءً .

مول بهض رجال أمر :

وذكر قُزْمَانٌ ، وهو اسم مأخوذٌ من الْقَزَمِ ، وهو رُذَالُ الْمَالِ ، ويقال :
الْقُزْمَانُ^(١) : الرَّدِيءُ من كُلِّ شَيْءٍ .

وذكر الْأَصِيرِمَ ، وهو عمرو بن ثابت بن وقش ، ويقال فيه وقش
بتحريك القاف .

وقول حاطب المُنَافِقِ : الْجَنَّةُ من حَرَمَلٍ ، يريد الأرضَ التي دُفِنَ فيها ،
وكانت مُنْبِتُ الْحَرَمَلِ^(٢) أي : ليس له جَنَّةٌ إِلَّا ذَاكَ .

ابن الجُمُوح :

فصل : وذكر خبر عمرو بن الجُمُوح حين أراد بنوه أن يمنعوه من
الخروج إلى آخر القصة ، وزاد غيرُ ابن إسحاق أنه لما خَرَجَ قال : اللَّهُمَّ
لَا تَرُدَّنِي ، فاستشهد ، فجعلوه بَنُوهُ على بَعِيرٍ ، ليحملوه إلى المدينة ، فاستصعبَ
عليهم البعيرُ ، فكان إذا وَجَّهوه إلى كُلِّ جِهَةٍ سارعَ إِلَّا جِهَةَ الْمَدِينَةِ ، فكان
يَأْبَى الرُّجُوعَ إِلَيْهَا ، فلما لم يقدروا عليه ذكروا قوله : اللَّهُمَّ لَا تَرُدَّنِي إِلَيْهَا ،
فدفنوه في مَضْرَعِهِ^(٣) .

(١) لا يوجد لا في اللسان ولا في القاموس سوى أنه اسم أو اسم موضع .

(٢) نبت له حب أسود ، وحب هذا النبات .

(٣) قصة البعير خرافة ، والشهيد يدفن في مضرعه كشهداء بدر .

مكلم (مع) والسالكين بعدها :

فصل : وقول هند بنت أُنثانة :

مِلْ هاشميين الطَّوَالِ الزُّهْرِ

يَحْدَفِ الثُّونَ مِنْ حَرَفٍ مِنْ لِقَاءِ السَّاكِنِينَ ، وَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ إِلَّا فِي مَنْ وَخَّذَهَا لِكثْرَةِ اسْتِعْمَالِهَا ، كَمَا خُصِّتْ نُونُهَا بِالْفَتْحِ إِذَا التَّقْتُ مَعَ لَامِ التَّعْرِيفِ ، وَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ فِي نُونٍ سَاكِنَةٍ غَيْرِهَا ، كَرُحَا تَوَالِي الْكَسْرِ تَيْنِ مَعَ تَوَالِي الاسْتِعْمَالِ ، فَإِنَّ التَّقْتُ مَعَ سَاكِنٍ غَيْرِ لَامِ التَّعْرِيفِ نَحْوُ مِنْ ابْنِكَ ، وَمِنْ أَسْمِكَ ، كَسَرَتْ عَلَى الْأَصْلِ ، وَالْقِيَاسُ الْمُسْتَقْبَ . قَالَ سَيْبَوَيْه : وَقَدْ فَتَحَهَا قَوْمٌ فَصَحَّاحَهُ يَعْنِي مَعَ غَيْرِ لَامِ التَّعْرِيفِ .

لسطاع ولكم :

وقول حسان في هِنْدٍ : أَشِيرَتْ لَكَاعٍ ، جَعَلَهُ اسْمًا لَهَا فِي غَيْرِ النَّدَاءِ ، وَذَلِكَ جَائِزٌ ، وَإِنْ كَانَ فِي النَّدَاءِ أَكْثَرُ ، نَحْوُ يَا غَدَارِ وَيَا فَسَاقِ ، وَكَذَلِكَ لُكْعٌ ، قَدْ اسْتَعْمَلَ فِي غَيْرِ النَّدَاءِ ، نَحْوُ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَيْنَ لُكْعٌ يَعْنِي : الْحَسَنُ أَوْ الْحُسَيْنُ مِمَّا زِحًا أَمْ مَا^(١) . فَإِنْ قِيلَ : إِنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

(١) يُقَالُ فِي النَّدَاءِ لُثِمَ بِالْكَعِ ، وَلِلْأُنْثَى : يَا الْكَاعِ ، لِأَنَّهُ مَوْضِعُ مَعْرِفَةٍ ، فَإِنْ لَمْ تَرُدَّ أَنْ تَعْدِلْهُ عَنْ جِهَتِهِ قُلْتَ لِلرَّجُلِ : يَا الْكَعِ ، وَلِلْأُنْثَى : يَا الْكَعَاءِ ، وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْمُطَّلِبَةُ الْكَاعَ فِي غَيْرِ النَّدَاءِ ، فَقَالَ يَهْجُرُ امْرَأَتَهُ

أَطُوفُ مَا أَطُوفُ ثُمَّ آوَى إِلَى بَيْتِ قَعِيدَتِهِ لَكَاعٍ

وَيُقَالُ : إِنَّهُ لَأَبَى الْغَرِيبِ الْبَصْرَى . كَمَا جَاءَ فِي الْقِسْآنِ .

كان يَمْزَحُ ، ولا يَقُولُ إِلَّا حَقًّا ، فكيف يقول : أَيْنَ لُكْعٌ وقد سماه سَيِّدًا
في حديث آخر ؟ فالجواب : أنه أراد التشبيهة بِاللُّكْعِ الذي هو الْقَلْوُ أو الْمُهْرُ
لأنه طفل كما أن الْقَلْوَ وَالْمُهْرُ ^(١) كذلك ، وإذا قُصِدَ بالكلام قَصْدُ التشبيه ، لم
يكن كَذِبًا ، ونحوه قوله عليه السلام : لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ أَسْمَدُ النَّاسِ
فِي الدُّنْيَا لُكْعٌ بَنُ لُكْعٍ ، وَاللُّكْعُ فِي اللِّفَةِ : وَسَخُ الْفَرْثَةِ ، وهو أَيْضًا الْقَلْوُ
الصَّغِيرُ ، فمن أجل هذا جاز أن يُسْتَعْمَلَ فِي غَيْرِ النَّدَاءِ ، لأنه على هذا الوجه
غَيْرُ مَقْدُولٍ كَمَا عُدِلَ خُبْتُ عَنْ خَبِيثٍ ، وَفَسَقْتُ عَنْ فَاسِقٍ ، وقال ابن
الأنباري في الزَّاهِرِ : اشتقاقه من الْمَلَاكَيْعِ ، وهو ما يخرج مع المولود من ماءِ
الرَّحِمِ ودمِها ، وأنشد :

رَمَتْ الْفَلَاةَ بِمُعْجَلٍ مُنْسَرِّبِلٍ غِرْسَ السَّلَى وَمَلَاكَيْعَ الْأَمْشَاجِ
قال : وَيُقَالُ فِي الْوَاحِدِ بِالْكُكْ ، وفي الاثنين يَأْذَوْنِ لِكَيْعَةٍ ، وَلَكَاعَةٍ ،
وَلَا تُنْصَرَفُ لِكَيْعَةٍ ، وَلَكِنْ تُنْصَرَفُ لَكَاعَةٌ لِأَنَّهُ مَصْدَرٌّ وَفِي الْجَمْعِ ،

== وَالْكَاعُ مَبْنِيَةٌ عَلَى الْكُسْرِ . وَالْمَلَكُوعُ عِنْدَ الْعَرَبِ : الْعَبْدُ ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ فِي الْحَقِّ
وَالذَّمِّ ، وَقَدْ لَكِعَ الرَّجُلُ بوزن فرح يَلْكِعُ لِكْمًا فَهُوَ الْكُكُوعُ ، وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى
الصَّغِيرِ ، فَإِنْ أُطْلِقَ عَلَى الْكَبِيرِ أُرِيدَ بِهِ الصَّغِيرُ الْعِلْمُ وَالْعَقْلُ . وَقَدْ وَرَدَ فِي حَدِيثِ
سَعْدِ بْنِ عِبَادَةَ أَرَأَيْتَ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ بَيْتَهُ ، فَرَأَى لِكَاعًا قَدْ تَفَخَّذَ أَمْرَاتِهِ . . الخ
لِجَمَلِ لِكَاعٍ صِفَةً لِرَجُلٍ . وَيُقَالُ : لَعَلَهُ أَرَادَ لِكْمًا فَحَرَفَ . وَخَزَانَةُ الْأَدَبِ
وَالنِّهَايَةُ لابن الأثير ،

(١) قَلْوُ : الْمُهْرُ الصَّغِيرُ ، وَقِيلَ هُوَ الْقَطْعُ مِنْ أَوْلَادِ ذَوَاتِ الْخَافِرِ ، وَفِي
اللِّسَانِ مِنْ مَعَانِي الدُّكْعِ : الْمُهْرُ وَالْجَحْشُ .

يَاذَوِي لَكَيْعَةٍ وَلَكَاعَةٍ^(١) وفي المؤنث على هذا القياس .

قال المؤلف : ولا يقال يَالْكَاعَانِ ، ولا فُسْقَانِ ، لِإِسْرَةِ شَرْحِنَاهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْكِتَابِ . وَتَلْغِيصُ مَعْنَاهُ : أَنَّ الْعَرَبَ قَصَدَتْ بِهَذَا النِّبَاءِ فِي النَّدَاءِ قَصْدَ الْعَلَمِ ، لِأَنَّ الْأَسْمَ الْعَلَمَ الْأَزْمَ لِلْمُسَمَّى مِنَ الْوَصْفِ الْمُشْتَقِّ مِنَ الْفِعْلِ نَحْوِ فَاسِقٍ وَغَادِرٍ ، كَمَا قَالُوا عُمَرُ ، وَعَدَلُوا عَنْ عَامِرٍ الَّذِي هُوَ وَصَفَ فِي الْأَصْلِ تَحْقِيقًا مِنْهُمْ لِلْعَلَمِيَّةِ ، ثُمَّ إِنَّ الْأَسْمَ الْعَلَمَ لَا يُدْنَى وَلَا يُجْمَعُ وَهُوَ عِلْمٌ ، فَإِذَا تَمَيَّنَ زَالَ عَنْهُ تَعْرِيفُ الْعَلَمِيَّةِ ، فَمَنْ أَجَلَ ذَلِكَ لَمْ يُدْنُوا يَافَسِقُ وَيَاغُدِرُ ، لِأَنَّ فِي ذَلِكَ تَقْضًا لِمَا قَصَدُوهُ مِنْ تَنْزِيلِهِ مَثَرَةَ الْأَسْمِ الْعَلَمِ ، أَيْ : إِنَّهُ مُسْتَحَقٌّ لِأَن يُسَمَّى بِهَذَا الْأَسْمِ ، فَهَذَا أَبْلَغُ مِنْ أَنْ يَقُولُوا : يَا فَاسِقُ ، فَيَجِئُوا بِالْأَسْمِ الَّذِي يَجْرَى تَجْرَى الْفِعْلِ وَالْفِعْلُ غَيْرُ لَازِمٍ ، وَالْعَلَمُ الْأَزْمُ مِنْهُ ، وَالْتَّشْبِيهُ وَالْجَمْعُ يُبْطِلُ الْعَلَمِيَّةَ كَمَا ذَكَرْنَا فَافْتَهَمَهُ ، وَوَقَعَ فِي الْمَوْطَأِ مِنْ رَوَايَةِ يَحْيَى فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ لِمَوْلَاةٍ لَهُ : أَفْعُدِي لِكَعُ ، وَقَدْ عَيَّبَتْ هَذِهِ الرِّوَايَةُ عَلَى يَحْيَى ، لِأَنَّ الْمَرْأَةَ إِنَّمَا يَقَالُ لَهَا : لِكَاعٍ ، وَقَدْ وَجَدْتَ الْحَدِيثَ كَمَا رَوَاهُ يَحْيَى فِي كِتَابِ الدَّارِ فُطْنِي ، وَوَجَّهَهُ فِي الْعَرَبِيَّةِ أَنَّهُ مَنْقُولٌ غَيْرُ مَقْدُودٍ فَجَازَ أَنْ يَقَالُ لِلْأَمَةِ بِالْكَعُ كَمَا يَقَالُ لَهَا إِذَا سَبَتْ : يَا زَيْلُ وَيَا وَسَخُ إِذَا الْأَكْعُ ضَرَبَ مِنَ الْوَسَخِ ، كَمَا قَدَمْنَاهُ وَهُوَ فِي كِتَابِ الْعَيْنِ .

(١) قال الفراء : تشبيه لِكَاعٍ أَنْ تَقُولَ : يَاذَوَاتِي لَكَيْعَةٌ أَقْبَلَا ، وَيَاذَوَاتِي لَكَيْعَةٌ أَقْبَلَيْنِ . وَقَالُوا فِي النَّدَاءِ لَا جَلَّ : يَا لِكَعٍ ، وَلِلْمَرْأَةِ يَالْكَاعِ ، وَاللَّاتَيْنِ : يَاذَوِي لِكَعٍ .

الرسول بإل عن ابن المربع :

فصل : وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ لِي مَا قَعَلَ
سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا ، وذكر الحديث . الرجل : هو
محمد بن مسلمة ، ذكره الواقدي ، وذكر أنه نادى في القَتْلِ : يا سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ
مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، فلم يُجِبْهُ أَحَدٌ ، حتى قال يا سَعْدُ ! إن رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - أرسلني أنظر ما صنعت ، فأجابه حينئذٍ بصوت ضعيف ، وذكر الحديث .
وهذا خلاف ما ذكره أبو عمر في كتاب الصحابة ، فإنه ذكر فيه من إ طريق
رُبَيْحِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي
الْتَمَسَ سَعْدًا فِي الْقَتْلِ هُوَ أَبِي بْنُ كَعْبٍ .

حميد الطويل وطلحة الطلحات :

وذكر عن حُمَيْدِ الطَّوِيلِ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ سَمُرَةَ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه
وسلم - في النهي عن الأمثلة ، وحُمَيْدُ الطَّوِيلِ هُوَ حُمَيْدُ بْنُ تَيْرَوَيْهِ ، ويقال :
ابن تيرى ^(١) يكنى أبا حُمَيْدَةَ مَوْلَى طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ ^(٢) ، وهو حديث صحيح .

(١) في القاموس : تير بكسر التاء وبدون ياء وكذلك في تهذيب الاسماء
واللغات ، وقال : هو أبو عبيدة ، وقيل : أبو عبيد حميد بن أبي حميد ، واسم
أبي حميد تيرويه ، وقيل : تير ، وقيل ذا ذويه ، وقيل طرخان ، وقيل : مهران ،
ويقال : عبد الرحمن ، ويقال : داود . قال الأصمعي : رأيت حميداً ، لم يكن
طويلاً ، ولكن طويل اليدين مات سنة ١٤٣ هـ ص ١٧٠ - ١٦٠ .

(٢) هو طلحة بن عبيد الله بن خلف الخزاعي ويقول صاحب اللسان :
ورأيت في بعض حواشي نسخ الصحاح بخط من يوثق به الصواب : طلحة =

في النهي عن المُمْلَةِ. فإن قيل : فقد مَثَّلَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم -
بالمَرَنِينَ^(١) قَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ ، وتركهم بالحرّة .

== ابن عبد الله : وسمى طلحة الطلحات بسبب أمه ، وهي صفية بنت الحارث .
ابن طلحة بن أبي طلحة وزاد الأزهرى ابن عبد مناف وأخوها : طلحة
ابن الحارث فقد تكلفه هؤلاء الطلحات كما ترى ، وقبره بسجستان ، وفيه بقوله
ابن الرقيات :

رحم الله أعظمأ دفنوها بسجستان طلحة الطلحات

وعند ابن الأثير : عن طلحة الطلحات قيل : إنه جمع بين مائة عربي وعربية
بالمهر والعطاء الواسعين فولد لكل واحد منهم ولد فسمى طلحة ، فأضيف إليهم .
وفي القاموس : القول الأول .

(١) عن قتادة عن أنس أن ناساً من عكل وعربية قدموا على النبي «ص»
وتكلموا بالإسلام ، فاستوخموا المدينة ، فأمر لهم النبي «ص» ، بدود وراع
وأمرهم أن يخرجوا ، فليشربوا من أبوالها وألبانها ، فانطلقوا حتى إذا
كانوا بناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم ، وقتلوا راعي النبي «ص» ، واستاقوا
الدود ، فبلغ ذلك النبي «ص» ، فبعث الطلب في آثارهم ، فأمر بهم ، فسمروا
أعينهم ، وقطعوا أيديهم ، وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم ، رواه
الجماعة . وزاد البخارى ، قال : قتادة : بلغنا أن النبي «ص» ، بعد ذلك كان يحث
على الصدقة ، وينهى عن المثلة ، وفي رواية لأحمد والبخارى وأبو داود قال قتادة
فحدثني ابن سيرين أن ذلك كان قبل أن تنزل الحدود ، والبخارى وأبو داود في
هذا الحديث ، فأمر بمسامير فأحيت ، فكحلهم ، وقطع أيديهم وأرجلهم ،
وماحسهم ، ثم ألقوا في الحرة ، يستسقون فما سقوا حتى ماتوا .
وعند البخارى ، قال أبو قلابة : ف هؤلاء سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم
وحاربوا الله ورسوله .

وعند سليمان التيمي عن أنس قال : إنما سمل النبي أعين أولئك ، لأنهم

قلنا : في ذلك جَوَّابَان : أحدهما : أنه فعل ذلك قِصَاصاً لَّأنهم قَطَعُوا أَيْدِي الرُّعَاءِ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمَلُوا أَعْيُنَهُمْ ^(١) ، روى ذلك في حديث أنس ، وقيل : إن ذلك قبل تحريم الْمُثَلَّةِ . فإن قيل : فقد تركهم يَسْتَسْقُونَ ، فلا يُسْقَوْنَ ، حتى ماتوا عَطَشاً ، قلنا عَطَّشَهُمْ لَّأنهم عَطَّشُوا أَهْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تلك الليلة ، روى في حديث مرفوع أنه عليه السلام لما بقى وأهله تلك الليلة بِلَا آبٍ ، قال : اللَّهُمَّ عَطِّشْ مَنْ عَطَّشَ أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكَ . وقع هذا في شرح ابن بَطَّال ، وقد خرَّجَه النَّسَوِيُّ .

الصلوة على الشَّهْرَاءِ :

وروى ابن إسحاق عن لا يُتَمِّمُ عَنْ مِقْسَمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَلَّى عَلَى خَمْزَةٍ ، وعلى شهداء يوم أُحُدٍ ، ولم يأخذ بهذا الحديث

== سَمَلُوا أَعْيُنَ الرُّعَاءِ ، رواه مسلم والترمذي والنسائي والقرمزي

استوخوا المدينة : كرهوا المقام فيها .

الدود : قيل ما بين الثنتين إلى التسع من الإبل ، وقيل : ما بين الثلاث إلى العشر . والحرة : أرض ذات حجارة سود معروفة بالمدينة .
وقد وفي الإمام الشوكاني الموضوع حقه في نيل الاوطار فانظره تحت باب المجارين وقطاع الطريق .

(١) صرح ببعض هذا في حديث مسلم والنسائي والترمذي . والذي يعرف خلق النبي - ص - ، ويتدبر وصف الله له بأنه على خلق عظيم ، وأنه ليس فظاً ولا غليظ القلب ، وأنه محمد وأحمد يوقن - ولا ريب - بأن ما فعله بهؤلاء إنما كان قِصَاصاً لَّأمة طيبة أذلة على المؤمنين من قوم غلاظ الأكباد غلف القلوب تضطرم نفوسهم غلا وحقدًا وجحوداً .

فقهاء المجاز ، ولا الأوزاعي لوجهين ، أحدهما ضَعْفُ إسنادهُ هذا الحديث ،
فلان ابن إسحاق قال : حدثني مَنْ لا أَتَّهِمُ ، يعني : الحسن بن عماره - فيما
ذَكَرُوا - ولا خلاف في ضَعْفِ الحَسَنِ بن عماره عند أهل الحديث ، وأكثرهم
لا يَرَوْنَهُ شيئاً ، وإن كان الذي قال ابن إسحاق : حدثني مَنْ لا أَتَّهِمُ غير الحسن ،
فهو تجهول ، والجَهْلُ يُوبِقُه .

والوجه الثاني : أنه حديثٌ لم يصحبه العمل ، ولا يروى عن رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - أنه صلى على شهيد في شيء من مفازيه إلا هذه الرواية
في غزوة أُحُدٍ ، وكذلك في مدة الخليفةَينِ إلّا أن يكون الشهيد مُرْتَبِئاً^(١) من
المركة ، وأما ترك غَسَلِهِ ، فقد أجمعوا عليه ، وإن اختلفوا في الصلاة إلا رواية
شاذّة عند بعض التابعين ، والمعنى في ذلك - والله أعلم - تحقيقُ حياة
الشهداء وتصدقُّ قولُه سبحانه : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا ﴾
الآية مع أن في تركِ غَسَلِهِ معنى آخر ، وهو أن دَمَهُ أُرْتُ عبادَةً^(٢) ، وهو يحى

- (١) اِرْتَبَ على البناء للمجهول : حمل من المركة رثيلاً أي جريحاً وبه رمق .
(٢) عن جابر قال : « كان رسول الله د ص ، يجمع بين الرجلين من قتل
أحدهما الثوب الواحد ، ثم يقول : أيهم أكثر أخذاً للقرآن ، فإذا أشير إلى أحدهما
قدّمه في القدر ، وأمر بدفنه في دماهم ، ولم يغسلوا ولم يصل عليهم ، البخاري
والنسائي وابن ماجه ، والترمذي وصححه . وهناك خلاف كبير حول الصلاة
عليهم ، وقد رد الشافعي على من قال بالصلاة عليهم بأن الاخبار جاءت كأنها
عيان من وجوه متواترة أن النبي د ص ، لم يصل على قتلى أحد . . قال وماروى
من أنه د ص ، صلى عليهم وكبر على حمزة سبعين تكبيرة لا يصح ، وقد كان
ينبغي لمن عارض بذلك هذه الأحاديث أن يستحى على نفسه . ويقول الامام =

يوم القيامة وجُرْحُهُ يَنْقَبُ دَمًا ، وريحُ الْمِسْكِ ، فكيف يُطَهَّرُ مِنْهُ وهو طَيِّبٌ وأثرُ عِبَادَةٍ ، ومن هذا الأصلِ انتزع بعضُ العلماءِ كَرَاهِيَةَ تَجَنُّفِ الوجه من ماء الوُضوء ، وهو قول الزُّهْرِيِّ ، قال الزُّهْرِيُّ : وبلغني أنه يوزَنُ ، ومن هذا الأصلِ انتزع كَرَاهِيَةُ السَّوَالِكِ بِالْعِشِيِّ لِلصَّائِمِ لثَلَا يذهب خُلُوفُ فَمِهِ ، وهو أثرُ عِبَادَةٍ ، وجاء فيه ما جاء في دَمِ الشَّهْدَاءِ أنه أَطْيَبُ عند الله من رِيحِ الْمِسْكِ ، ويُروى أَطْيَبُ يوم القيامة من رِيحِ الْمِسْكِ . رواه مسلم باللفظين . جميعاً ، والمعنى واحد ، وجاءت الكراهيةُ للسَّوَالِكِ بِالْعِشِيِّ لِلصَّائِمِ ^(١) عن عَلِيٍّ وأبي هُرَيْرَةَ ، ذكر ذلك الدَّارَقُطْنِيُّ .

عبد الله بن محمده المجمع :

وذكر عبد الله بن جَحْشٍ بن أَخْتِ حَمَزَةَ ، وأنه مُثِّلَ به كما مُثِّلَ بِحَمَزَةَ . وعَبْدُ اللَّهِ هذا يُعرفُ بِالْمُجَدِّعِ فِي اللَّهِ ، لِأَنَّهُ جُدِّعَ أَنْفَهُ وَأَذَانَهُ يَوْمَئِذٍ ، وكان سعدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ يحدثُ أَنَّهُ لَقِيَهِ يَوْمَ أُحُدٍ أَوَّلَ النَّهَارِ ، فَخَلَا بِهِ ، وَقَالَ لَهُ : عَبْدُ اللَّهِ : يَا سَعْدُ هَلُمَّ فَلَمَّ دَعَا اللَّهَ وَلِيَذْكُرْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا حَاجَتَهُ فِي دَعَائِهِ . وَلْيُؤَمِّنِ الْآخَرُ ، قَالَ سَعْدُ : فَدَعَا اللَّهَ أَنْ أَلْقَى فَارِسًا شَدِيدًا بِأَسْهُ شَدِيدًا حَرْدُهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَأَقْتُلْهُ ، وَأَخَذَ سَلْبَهُ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ آمِينَ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ

== الشوكاني : « فائدة : لم يرد في شيء من الأحاديث أنه « ص » ، صلى على شهداء بدر . ولا أنه لم يصل عليهم ، وكذلك في شهداء سائر المشاهد النبوية إلا ما ذكرناه في هذا البحث ، فليعلم ذلك . » وقد عرض الشوكاني كل ما روى من أحاديث .
(١) لا يصح هذا .

عبدُ الله القِبْلَةَ ، ورفع يديه إلى السماء ، وقال اللهم لَقِّنِي اليومَ فارساً شديداً
بأسه شديداً حرّده^(١) ، يقتلني ويَجْدَعُ أنفي وأذني ، فإذا لقيتكَ غداً تقول
لي : يا عَبْدِي : فِيمَ جُدِعَ أنفُكَ وأذنُكَ ، فأقول : فيكَ يارب ، وفي رسولكَ ،
فتقول لي : صَدَقْتَ ، قل يا سَعْدُ : آمين ، قال فقلت : آمين ، ثم مررت به
آخرَ النهار فتيلًا مَجْدُوعَ الأنفِ والأذنين ، وأن أذُنَيْهِ وأَنْفَهُ معلقانِ مَخْطِطِ ،
واقبتُ أنا فلاناً من المشركين ، فَتَمَلَّطُهُ ، وأخذتُ سَلْبَهُ^(٢) ، وذكر الزُّبَيْرُ
أن سَيْفَ عبدِ الله بنِ جَحْشٍ انقطع يومَ أُحُدٍ فأعطاه رسولُ الله - صلى الله
عليه وسلم - عُرْجُونًا ، فماد في يده سيفًا ، فقاتل به ، فسُكِّنَ بِسْمِ ذلك
السيفِ العُرْجُونُ^(٣) ، ولم يزل يُتَوَارَثُ حتى بيع من بقاء^(٤) التركي بما تَبَيَّ
دينار ، وهذا نحو من حديث عُمَاثَةَ الذي تقدم إلا أن سَيْفَ عُمَاثَةَ ،
كان يُسَمَّى العَوْنُ ، وكانت قصة عُمَاثَةَ يومَ بَدْرٍ ، وكان الذي قَتَلَ
عبدَ الله بنَ جَحْشٍ أبو الحَكَمِ بنُ الأَخْطَسِ بنُ شَرِيقٍ^(٥) وكان عبدُ الله

(١) حرد الرجل فهو حرد بكسر الراء إذا اغتاظ فتحرش بالذي غاظه ،
وهم به فهو حارد ، والحرد : الغضب والغصد والمنع .

(٢) رواه البغوي من طريق إسحاق بن سعد . وابن شاهين من وجه آخر عن
سعيد بن المسيب . ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة .

(٣) لم يروه غير الزبير .

(٤) في الإصابة : بغا الكبير دون همزة في آخر بغا . وهو مرأء المعتصم
بالله الخليفة العباسي إبراهيم بن هارون الرشيد .

(٥) اسمه : أبي بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلة
ابن عبد العزى بن غيرة .

حين قُتِلَ ابنُ بَضْعٍ وأربعين سنةً ، فيما ذكروا ودُفِنَ مع سَخْرَةَ في قَبْرِ واحد.

محدثٌ عمر وأبى سفيان :

فصل : ومما وقع في هذه الغزوة من السكلم الذي يُسألُ عنه قولُ
أبى سفيان حين قال : اعل^(١) هبل^(٢) ، أى زِدْ علوها ، ثم قال : أنعمت^(٣) ، فعَال^(٤) ، قالوا :
معناه الأزلَامُ ، وكان استقسم بها حين خَرَجَ إلى أحد^(٥) ، فخرج الذي يُحب^(٦) .
وقوله : فعَال^(٧) : أمرٌ أى عالٍ عنها وأقصر عن لومها ، تقول العرب : اعل^(٨)
عنى ، وعَالٍ عنى بمعنى : أى ارتفع عنى ، ودعنى . ويُرْوَى أن الزبير قال

(١) فسرهما ابن هشام بغير هذا فضبطت اعل في السيرة بفتح الهمزة وسكون
العين وكسر اللام فالامر من أعلى ، وضبطتها في الروض هكذا بهمزة وصل مع
ضم اللام كما ضبطت في اللسان والنهاية لابن الاثير والمواهب للزرقاني ص ٤٨ .
لأن الامر من علا كما فسرهما السهيلي .

(٢) كان الرجل من قريش إذا أراد ابتداء أمر عمد إلى سهمين ، فكتب
على أحدهما : نعم ، وعلى الآخر : لا ، ثم يتقدم إلى الغنم ويحبل سهامه ، فإن
خرج سهم نعم ، أقدم ، وإن خرج سهم لا : امتنع ، وكان أبو سفيان لما أراد
الخروج إلى أحد استفتى هبل ، فخرج له سهم الإنعام ، فذاك قوله لعمر أنعمت ،
فعال عنها أى تجاف عنها ، ولا تذكرها بسوء يعنى آلهتهم .
و ابن الاثير مادة علا ، وعنه نقل اللسان . . وقد ذكر الحشنى :
وقوله : أنعمت — بضم التاء — فعال ، معناه : بالغت : يقال : أنعم في الشيء
إذا بالغ فيه ، وقوله : أنعمت يخاطب به نفسه . ومن رواه : أنعمت بفتح التاء فانه
يعنى به الحرب أو الواقعة . . وقد يجوز أن تكون معدولة من الفعلة كما عدلوا
فجار عن الفجرة ، أى بالغت في هذه الفعلة ، ويعنى بالفعلة : الواقعة ص ٢٣٠ .
وهبل اسم صنم .

لَأَبِي سُفْيَانَ يَوْمَ الْفَتْحِ : أَيْنَ قَوْلُكَ : أَنْعَمْتُ ، فَعَالَ ؟ فَقَالَ : قَدْ صَنَعَ اللَّهُ خَيْرًا ، وَذَهَبَ أَمْرُ الْجَاهِلِيَّةِ .

وقول عمر لا سِوَا ، أى لا نَحْنُ سِوَا ، ولا يجوز دخول لاعلى اسم مُبْتَدَأ معرفة إلا مع التَّنْكِارِ نحو لا زَيْدٌ قَائِمٌ ، ولا عَمْرُو خَارِجٌ ، ولكنه جاز في هذا الموضع ، لأن القصد فيه إلى نفي الفعل ، أى لا يستوى ، كما جاز لا تَوَلُّكَ ، أى : لا يَنْتَفِي لَكَ ، وقد بينا هذا في أول الكتاب حيث تكلمنا على قوله :

فَشَتَّعْنَا سَعْدٌ فَلَا نَحْنُ مِنْ سَعْدٍ

محدث مجرب ، وأول وقف في الإسلام :

ومما يليق ذكره بهذه الفَرَاقِ حديثُ مُخْبِرِيقٍ ، وهو أحد بنى النَضِيرِ ، وقوله : إِنْ أُصِيبْتُ فَمَالِي لِحَمْدٍ يصنع فيه ماشاء ، فأصيب يومَ أحد ، فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين انصرف مالهَ أَوْقَافًا ، وهو أولُ حُبْسٍ حُبْسٍ في الإسلام ، رُوِيَ ذلك عن مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ ، وقال الزُّهْرِيُّ : كانت سَبْعَ حَوَائِطَ ، وأسمائها : الأعرافُ ، والأعوافُ والصَّافِيَةُ والدَّلَالُ وَبُرْقَةٌ ، وحُسْنَى ومَشْرَبَةٌ أُمُّ إِبْرَاهِيمَ ، وإنما سُمِّيَتْ مَشْرَبَةً أُمُّ إِبْرَاهِيمَ ، لأنها كانت تسكنها ، وقد ذكر ابن إسحاق حديثَ مُخْبِرِيقٍ ، وهذا الذى ذكرناه تكملةً له ، وزيادة فائدة فيه .

وذكر : لا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ ، بفتح الفاء جمع فِقَافَةٍ ، وإن قيل ذو الْفِقَارِ بالكسر ، فهو جمع فِقْرَةٍ ، وقد تقدم شَرْحُهُ . ووقع في غير هذه الرواية أَنَّ

وَيَحْمَاهُ يَوْمَ أُحُدٍ ، فسمعوا قائلًا يقول :

لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفِقَارِ وَلَا قَسِيَّ إِلَّا عَلِيٌّ^(١)

في أبيات ذكرها ، وذكر ابن إسحاق أيضًا من غير رواية البَكَاثِيُّ
قولَ عليٍّ لفاطمة حين غَسَلَتْ سَيْفَهُ مِنَ الدَّمِ :

أَفَاطِمُ هَانِي السَّيْفَ غَيْرَ ذَمِيمٍ فَلَسْتُ بِرِغْدِيدٍ وَلَا بِلَثِيمٍ

غزوة حمراء الأسد^(٢)

شرح قصيدة معبد الخزاعي :

ذكر شعرَ مَعْبُدٍ الْخَزَاعِيِّ وفيه :

إِذَا تَفْطَمَطَتِ الْبَطْجَاءُ بِالْخَيْلِ

لفظٌ مُسْتَعَارٌ مِنَ الْفَطْمَةِ^(٣) ، وهو صوت غَلِيَّانِ الْقِدْرِ .

قوله بالخيل جَعَلَ الرَّذْفَ حَرْفَ لَيْنٍ ، والأبياتُ كُلُّهَا مُرَدَّةٌ الرُّوْيِ

(١) يقول الشيباني في التميز : يروى في أثره عند الحسن بن عرفة من
حديث أبي جعفر محمد بن علي الباقر .

(٢) موضع على ثمانية أميال أو عشرة من المدينة عن يسار الطريق إذا
أردت ذا الحليفة .

(٣) تفطمط : اهتزت وارتجت ، ومنه يقال : بحر غطامط يضم الغين
يفتح الطاء إذا علت أمواجه . والجيل : الصنف من الناس ولكنها في السيرة :
الخيل .

بحرف مَدَّ وَاين^(١) ، وهذا هو السَّنادُ الذي بَيَّنَّاهُ في أول الكتاب عند قول
ابن إسحاق فسُوْنِدِين القِبائِل ، ونظيره قول [عمرو] بن كلثوم :

أَلَا هُيَ بَصَحْحِكَ فَاصْبِحِينَا

ثم قال :

تُصَفِّقُهَا الرِّيحُ إِذَا جَرَيْنَا

وتسمية هذا سِنَادٍ عَرَبِيَّةٌ لِاصْنَاعِيَّةٍ ، قال عَدِيُّ بْنُ الرَّفَّاعِ :

وَقَصِيدَةٌ قَدِ بَتُّ أَجْمَعُ بَيْنَهَا حَتَّى أَقُومَ مِثْلَهَا وَسِنَادَهَا
نَظَرُ الْمُتَعَفِّفِ فِي كُغُوبِ قَنَانِهِ كَمَا يَقِيمُ ثِقَافَهُ مُنَادَاهَا^(٢)

وقوله : لَا تَنَابِلَةَ . التَّنَابِلَةُ : الْقِصَارُ ، وَأَحَدُهُمْ : تَنَابَلٌ ، تَفْعَالٌ مِنَ النَّبَلِ ،
وَهِيَ صِفَارُ الْخَصْيِ^(٣) .

(١) الردف : الألف والياء والواو التي قبل الروي ، سمي بذلك لأنه
ملحق في التزامه وتحمل مراعاته بالروي ، فجرى مجرى الردف للراكب ، أي
يليه ، لأنه ملحق به ، مثل الألف في كتاب ، والياء في بليد ، والواو في قنول
وانظر اللسان مادة ردف .

(٢) سبق هذا وانظر اللسان في مادة سند ، والخصائص لابن جني

ط ٢ ص ٣٢٣ ١٠

(٣) تنبال وتنبل والتنبالة بفتح التاء وكسرها ، وفتح الباء : الرجل القصير ،
وهو رباعي على مذهب سيديويه وعند ثعلب ثلاثي . وحكم بزيادة التاء ، وبشتقه
من النبل كما قال السهيلي ، وذكره الأزهرى في الثلاثي ، وجمعه أيضاً : التنايل .

(م ٤ — الروض الأثف ج ٦)

أبو عزة الجمحي :

وذكر أبا عزة^(١) ، وكان الذي أسره عُمر بن عبد الله ، كذا ذكر بعضهم ، وأحسبه عبد الله بن عمر أحد بني خذارة ، أو عبد الله بن عمر الخطمي . ومن خبر أبي عزة ما ذكر الزبير عن ابن جندب والضحك بن عثمان . والجندب في اللغة واحدة الجمادب ، وهي التفاحات التي تكون في الماء . قال : برص أبو عزة الجمحي ، فكانت قرين لا تؤاكله ولا تجماسه فقال الموت خير من هذا ، فأخذ حديد ، ودخل بمض شهاب مكة فطعن بها في معدة ، وألعمد موضع عقب الرأكب من الدابة ، وقال ابن جندب : فارت الحديد ، وقال الضحك : بين الجلد والصفاق فسال منه أصفر فبرى . فقال :

اللَّهُمَّ رَبَّ وَاثِلٍ وَنَهْدٍ وَالْأَهْمَاتِ وَالْجِبَالِ الْجُرْدِ
وَرَبَّ مَنْ يَرْعَى بِأَرْضِ بَجْدٍ أَصْبَحْتُ عَبْدًا لَكَ وَابْنُ عَبْدٍ
أَبْرَأْتَنِي مِنْ وَضَحٍ بِجِلْدٍ مِنْ بَعْدِ مَا طَعَنْتُ فِي مَعْدَى
موصول مفاته أبي سفيان :

وذكر إرسال أبي سفيان مع الركب بالوعيد ، وكان الموصول مقالته
للدومنين نعيم بن مسعود ، فقالوا : حسبتنا الله ونعم الوكيل ، كذلك جاء في التفسير .

(١) في حديثه لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين . وقد ذكر السيوطي عن هذا أن رواه : البخاري ومسلم وأحمد في مسنده وأبو داود وابن ماجه .

قول لعبد الله بن أبي

وذكر قول عبد الله بن أبي حين أُخْرِجَ من المسجد : لَسْكَأَمَا قُلْتُ
بَجْرًا. الْبَجْرُ : الْأَمْرُ الْعَظِيمُ وَالْبَجَارِيُّ : الدَّوَاهِيُّ ، وَفِي وَصِيَّةِ أَبِي بَكْرٍ :
يَاهَادِي الطَّرِيقِ جُرْتُ ، إِنَّمَا هُوَ الْفَجْرُ أَوْ الْبَجْرُ^(١) قَالَ الْخَطَّابِيُّ : مَعْنَاهُ الدَّاهِيَةُ .
وذكر ابن إسحاق في غير هذه الرواية قول النبي صلى الله عليه وسلم
فِي قَتْلِي أَحَدٌ : يَا بَيْنِي غُودِرْتُ مَعَ أَصْحَابِ نُحْصِ الْجَبَلِ . نُحْصُ الْجَبَلِ :
أَسْفَلُهُ ، قَالَه صَاحِبُ الْعَيْنِ^(٢) .

(١) ضبط القاموس البحر بالضم ، وابن الأثير بالفتح ، وفي اللسان أنها
بالفتح والضم وهي الداهية والأمر العظيم . ومعنى قول أبي بكر : إن انتظرت
حتى يضيء الفجر أبصرت الطريق ، وإن خبطت الظلباء أفضت بك إلى المسكروه ،
ويروى البحر يريد غمرات الدنيا شبهها بالبحر لتحير أهلها فيها .
(٢) في الأصل : نحض بالاضاد والتصويب من النهاية واللسان ، والمعنى تمنى
أن يكون استشهد معهم يوم أحد ، أراد باليمنى غودرت شهيداً مع شهداء أحد .
وفي البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة : لما انصرف عنه المشركون خاف أن
يرجعوا ، فقال : من يذهب في أثرهم ، فانتدب منهم سبعون رجلاً فيهم :
أبو بكر والزبير وزاد الطبراني آخرين . وعن هذا يقول الحافظ ابن كثير :
هذا بيان غريب جداً ، فالشهور عند أصحاب المغازي أن الذين خرجوا إلى
حراء الأسد كل من شهد أحداً ، وكانوا سبعائة ، قتل منهم سبعون ، وبقي الباقيون .
وقيل إنه لا تخالف بين قول عائشة وأصحاب المغازي لأن معنى قولها فانتدب
منهم سبعون أنهم سبقوا غيرهم ، ثم تلاحق الباقيون . وقد أقام عليه السلام
بحمراء الأسد كما روى الاثنين والثلاثاء والأربعة ، وقال ابن سعد : كان المسلمون
يوقدون تلك الليالي خمسمائة نار حتى ترى من المسكان البعيد ، وذهب صوت
معسكرهم ونيرانهم في كل وجه . ثم رجع إلى المدينة صلى الله عليه وسلم .

ذكر ما أنزل الله في أحد من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق الملقب ، قال : فكان مما أنزل الله تبارك وتعالى في يوم أحد من القرآن ستون آية من آل عمران ، فيها صفة ما كان في يومهم ذلك ، ومُعَاتِبَةٌ من عَاتِبَ منهم ، يقول الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّىءُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ آل عمران : ١٢١ .

قال ابن هشام : تبوؤى المؤمنين : تتخذ لهم مقاعد ومنازل . قال الكُمَيْت ابن زيد :

لَيْفَى كَفْتُ قَبْلَهُ قَدْ تَبَوَّأْتُ مَضْجَعَا
وهذا البيت في أبيات له .

أى سميع بما تقولون ، عليم بما تحفون .

﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾ : أن تتخاذلا ، والطائفتان : بنو سلمة بن جشم بن الخزرج ، وبنو حارثة بن النبيت من الأوس ، وهما الجناحان . يقول الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ : أى المدافع عنهما ما همتا به من قتلهما ، وذلك أنه إنما كان ذلك منهما عن ضعف وهن أصابهما غير شك

في دينهما ، فتولى دفع ذلك عنهما برحمته وعائده ، حتى سلمتا من وهنهما
وضمفهما ، وخلصنا بنبيهما صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : حدثني رجل من الأسد من أهل العلم ، قال : قالت
الطائفتان ما نحب أنألم نهنم بما هممنا به ، لتولى الله إيانا في ذلك .

قال ابن إسحاق : يقول الله تعالى : ﴿ وَصَلَّى اللَّهُ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ :
أى من كان به ضعف من المؤمنين فليتكمل على ، وليستعين بى ، أعنه على
أمره ، وأدفع عنه ، حتى أبلغ به ، وأدفع عنه ، وأقويه على نيته . ﴿ وَلَقَدْ
نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِيَدِرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ : أى
فَاتَّقُونِى ، فإنه شكر نعمتى . ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِيَدِرٍ ﴾ وأنتم أقل عدداً
وأضعف قوة ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَ كُمْ رَبُّكُمْ
بِمَلَائِكَةِ آلاَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزَلِّينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ
مِنْ فَوْرٍ هَذَا يُبَدِّلْ كُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلاَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ :
أى إن تصبروا امدوى ، وتطيعوا أسمى ، ويأتوك من وجههم هذا ، أمدكم
بخمسة آلاَف من الملائكة مسوِّمين .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : مسوِّمين : مُعَلِّمِينَ . بلفنا عن الحسن بن أبى الحسن
البصرى أنه قال : أعلموا على أذئاب خيلهم ونواصيها بصوف أبيض ، فأما ابن
إسحاق فقال : كانت سيام يوم بدر عمام بيضا . وقد ذكرت ذلك في حديث

بذر . والسيما : العلامة . وفي كتاب الله عز وجل : (سَيَأْتِيهِمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ الشُّجُودِ) : أى علامتهم . و (حِجَارَةٌ مِنْ سِجِّيلٍ مَتْنُودٍ * مُسَوَّمَةٌ) يقول : مُعَلِّمَةٌ . بلغنا عن الحسن بن أبي الحسن البصرى أنه قال : عليها علامة ، أنها ليست من حجارة الدنيا ، وأنهما من حجارة العذاب . قال رؤبة بن العجاج :

فَالآنَ تُبْلَى بِي الْجِيَادُ السَّهْمُ وَلَا تُجَارِبُنِي إِذَا مَا سَوَّوْا
وَشَخَّصَتْ أَبْصَارُهُمْ وَأَجْذَمُوا

[أجدموا] بالذال المعجمة : أى أسرعوا : وأجدموا « بالذال المهملة » : أقطعوا] .

وهذه الأبيات فى أرجوزة له : والمُسَوَّمَةُ (أيضاً) المَرْعِيَّةُ . وفى كتاب الله تعالى : (وَالْخَلِيلِ الْمُسَوَّمَةِ) و (شَجَرَةٍ فِيهِ تُسَمُّونَ) . تقول العرب : سَوَّيْتُ خَيْلَهُ وَإِبِلَهُ ، وأسامها : إذا رعاها . قال السكيت بن زيد :

رَاعِيًا كَانَ مُسَجِّحًا فَفَقَدْنَا هُوَ وَقَفَدُ الْمُسَمِّ هُلُكُ السَّوَامِ

قال ابن هشام . مُسَجِّحًا : سَلِسُ السِّيَاسَةِ مُحْسِنُ (إِلَى الْغَنَمِ) . وهذا البيت فى قصيدة له .

(وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ ، وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) : أى ما سَمَّيْتُ لَكُمْ مِنْ سَمِيَّتٍ مِنْ جُنُودِ مَلَائِكَتِي إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ ، وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ، لِمَا أَعْرِفُ مِنْ ضَعْفِكُمْ ، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِي ، لِسُلْطَانِي وَقُدْرَتِي ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعِزَّ

والحكم إلى ، لا إلى أحد من خلق . ثم قال : ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَقْطَعَلْبُؤَا خَائِبِينَ ﴾ : أى ليقطع طرفًا من المشركين . بقتل ينتقم به منهم ، أو يردم خائبين : أى ويرجع من بقي منهم فلا خائبين ، لم ينالوا شيئًا مما كانوا يأملون .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : يَكْبِتُهُمْ : يَغْنَمُهُمْ أَشَدَّ الْغَنَمِ ، وَيَغْنَمُهُمْ مَا أَرَادُوا . قال ذو الرُّمَّة :

مَا أَنَسَ مِن شَجَنٍ لَا أَنَسَ مَوْتُ قَفْنَا فِي حَيَرَةٍ بَيْنَ مَشْرُورٍ وَمَكْبُوتٍ
وَيَكْبِتُهُمْ (أَيْضًا) : يَصْرَعُهُمْ لَوْجُوهُمْ .

قال ابن إسحاق : ثم قال لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ، أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ : أى ليس لك من الحكم شيء فى عبادى ، إلا ما أمرتك به فيهم ، أو أثوب عليهم برحمتى ، فإن شئت فعلت ، أو أعذبتهم بذنوبهم أفيحى ﴿ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ : أى قد استوجبوا ذلك بمصيتهم إياى ﴿ وَاللَّهُ غَنُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ : أى يغفر الذنب ويرحم العباد ، على ما فيهم .

النهى عن الربا

ثم قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ﴾ : أى لَا تَأْكُلُوا فِي الْإِسْلَامِ ، إِذَا هَذَا كَمَا أَنَّ اللَّهَ بِهِ مَا كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ إِذَا أَنْتُمْ عَلَى غَيْرِهِ ،

ملا يحل لكم في دينكم ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ : أى فاطيعوا
الله لعلكم تنجون مما حذركم الله من عذابه ، وتذكر كون ما رغب بكم الله فيه
من ثوابه ، ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ : أى التى جعلت داراً
لن كفرى .

الحض على الطاعة

ثم قال : ﴿ وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ معانبة للذين
عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمرهم بما أمرهم به فى ذلك اليوم وفى
غيره . ثم قال : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أى داراً لمن أطاعنى وأطاع رسولى : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
فِي السَّرَّاءِ وَالْغُرَّاءِ ، وَالْكَاظِمِينَ الْفَيْضَ ، وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ، وَاللَّهُ
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ : أى وذلك هو الإحسان ، وأنا أحب من عمل به ،
﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا
لِذُنُوبِهِمْ ، وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ
يَعْلَمُونَ ﴾ : أى إن أنونا فاحشة ، أو ظلموا أنفسهم بمقصية ذكروا نهي الله
عنها ، وما حرّم عليهم ، فاستغفروه لها ، وعرفوا أنه لا يغفر الذنوب إلا هو .
﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ : أى لم يقيموا على معصيتى كنفيل
من أشرك بى فيما غلّوا به فى كفرهم ، وهم يعلمون ما حرمت عليهم من عبادة
غيرى . ﴿ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، وَنَعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ : أى ثواب المطيعين .

ذكر ما أصابهم وتعزيتهم عنه

ثم استقبل ذكر المصيبة التي نزلت بهم ، والبلاء الذي أصابهم ، والتمحيص لما كان فيهم ، واتخاذ الشهداء منهم ، فقال : تعزية لهم ، وتعريفا لهم فيما صنعوا ، وفيما هو صانع بهم : ﴿ قَدْ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِكُمْ سُنَنٌ فَنُصِّروا فِي الْأَرْضِ فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ : أي قد مضت مني وقائع نعمة في أهل التكذيب لرُسلي والشرك بي : عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين ، فأروا ثلثات قد مضت مني فيهم ، وإن هو على مثل ما هم عليه من ذلك مني ، فإني أمأيت لهم : أي لئلا يظنوا أن نعمة انتظمت عن عدوتكم وعدوى للدولة التي أداتهم بها عليكم ، ليتنبأكم بذلك ، ليعلمكم ما عندكم .

ثم قال تعالى : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ : أي هذا تفسير للناس إن قبلوا الهدى ﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ ﴾ : أي نور وأدب (للمتقين) أي إن أطاعني وعرف أمري ، ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾ : أي لا تضعفوا ولا تبتئسوا على ما أصابكم ، ﴿ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ﴾ : أي لكم تكون العاقبة والظهور ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ : أي إن كنتم صدقتم نبيي بما جاءكم به عنى ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ﴾ : أي جراح مثلها ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ : أي نُصَرَفَهَا بَيْنَ النَّاسِ لِلْبَلَاءِ وَالتَّمْحِصِ ﴿ وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ، وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ : أي ليميز بين المؤمنين والمنافقين ، وليكرم من أكرم من

أهل الإيمان بالشهادة ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ : أى المنافقين الذين يُظهرون بالسننهم الطاعة وقلوبهم مُصِرَّة على المعضية ﴿ وَلِيَمِجَّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى يختبر الذين آمنوا حتى يخلصهم بالبلاء الذى نزل بهم ، وكيف صبرهم وبقينهم ﴿ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ : أى يُبطل من المنافقين قواهم بالسننهم ما ليس فى قلوبهم ، حتى يظهر منهم كفرهم الذى يَسْتَتِرُونَ به .

دعوة الجنة للمجاهدين

ثم قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ : أى حسبتم أن تدخلوا الجنة ، فتصيّبوا من نوابى الكرامة ، ولم أختبركم بالشدة ، وأبتليكم بالمسكاره ، حتى أعلم صدق ذلك منكم بالإيمان بى ، والصبر على ما أصابكم فى ، ولقد كنتم تَمَنَّوْنَ الشَّهَادَةَ عَلَى الَّذِى أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ قَبْلَ أَنْ تَلْقُوا عَدُوَّكُمْ ، بهى الذين استنهبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خروجه بهم إلى عدوهم ، لما فاتهم من حضور اليوم الذى كان قبله ببدر ، ورغبة فى الشهادة التى فاتتهم بها ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ ﴾ يقول : ﴿ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ : أى الموت بالشيوف فى أيدي الرجال قد خلى بينكم وبينهم وأنتم تنظرون إليهم ، ثم صدمهم عنكم ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ، وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ : أى لقول الناس : قُتِلَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وانهزأهم

عند ذلك ، وانصرفهم عن عدوهم ﴿ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾ رجعت عن دينكم كفاراً كما كنتم ، وتركتم جهاد عدوكم ، وكتاب الله . وما خلف نبيّه صلى الله عليه وسلم من دينه معكم وعندكم وقد بين لكم فيما جاءكم به عنى أنه ميت ومفارقكم ، ﴿ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ ﴾ : أى يرجع عن دينه ﴿ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ شَيْئًا ﴾ : أى ليس ينقص ذلك عزّ الله تعالى ولا ملكه ولا سلطانه ولا قدرته ، ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ : أى من أطاعه وعمل بأمره .

ذكره أن الموت يأذن الله

ثم قال : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا ﴾ : أى أن لمحمد صلى الله عليه وسلم أجلاً هو بالفه ، فإذا أذن الله عز وجل فى ذلك كان . ﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ : أى من كان منكم يريد الدنيا ، ليست له رغبة فى الآخرة ، نُؤْتِهِ مِنْهَا ما قسم له من رزق ، ولا يمدوه فيها ، وليس له فى الآخرة من حظّ ﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾ ما وعد به ، مع ما يجزى عليه من رزقه فى دُنْيَاهُ ، وذلك جزاء الشَّاكِرِينَ ، أى المتّقين .

ذكر شجاعة المجاهدين من قبل مع الأنبياء

ثم قال : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ، فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ : أى وكأين من نبيّ أصابه القتل ، ومعه ربيّون كثير : أى جماعة ، فما وهنوا

أَقْعَدَ نَبِيَّهُمْ ، وَمَا ضَعُفُوا عَنْ عَدُوِّهِمْ ؛ وَمَا اسْتَكَانُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي الْجِهَادِ
عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَنْ دِينِهِمْ ، وَذَلِكَ الصَّبْرُ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿ وَمَا كَانَ
قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ، وَلِإِسْرَافِنَا فِي أَمْرِنَا ، وَتَبَّتْ
أَقْدَامُنَا ، وَانْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : واحد : الرَّبِّيْنِ : رَبِّي ؛ وقولهم : الرَّبَابُ ، لولد عبد مناف
ابن أَدَّ بن طابخة بن إلياس ، ولضبة ، لأنهم تَجَمَّعُوا وتَمَالَفُوا ، من هذا ، يريدون
الجماعات . وواحدة الرَّبَابُ : رَبَّةٌ (وربابة) وهى جماعات قِداح أو عِمَى
ونحوها ، فشَبَّهوها بها . قال أبو ذؤيب الهذلي :

وَكَاثِنُنَّ رَبَابَةً وَكَأَنَّهُ يَسَّرُ يَفِيضُ عَلَى الْقِدَاحِ وَيَصْدَعُ

وهذا البيت فى أبيات له . وقال أُمَيَّةُ بن أبى الصَّلْتِ :

حَوَّلَ شَيَاطِينَهُمْ أَبَابِيلُ رَبِّيُّونَ شَدَّوْا سَنَوْرًا مَدَسُورًا

وهذا البيت فى قصيدة له :

قال ابن هشام : والرَبَابَةُ (أَيْضًا) الخِرْقَةُ الَّتِي تُتَلَفُ فِيهَا الْقِدَاحُ .

قال ابن هشام : وَالسَّنَوْرُ : الدَّرْعُ . وَالذُّسْرُ : هِىَ الْمَسَامِيرُ الَّتِي فِيهَا
الْحِلَقُ ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَتَحْمِلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاخٍ وَدُسُرٍ ﴾ .
قال الشاعر ، وهو أبو الأَخْزَرِ الحِمَّانِيُّ ، مِنْ تَمِيمٍ :

دَسْرًا بِأَطْرَافِ الْقَنَا الْمَقْوَمِ

قال ابن إسحاق : أى ققولوا مثل ما قالوا ، واعلموا أنما ذلك بذنوب منكم ، واستغفروه كما استغفروه ، وامضوا على دينكم كما مضوا على دينهم ، ولا ترتدوا على أعقابكم راجعين ، واسألوه كما سألوه أن يُثَبَّتْ أقدامكم ، واستنصروه كما استنصروه على القوم الكافرين ، فكل هذا من قولهم قد كان ؛ وقد قُتِلَ نبيهم ، فلم يفعلوا كما فعلتم ، فاتاهم الله ثواب الدنيا بالظهور على عدوهم ، وحسن ثواب الآخرة وما وعد الله فيها ، والله يحب المحسنين .

تحذيره إياهم من إطاعة الكفار

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا يُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَقْنَلِيبُوا خَاسِرِينَ ﴾ : أى عن عدوكم ، فتذهب دُنْيَاكُمْ وآخرتكم ﴿ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾ ، فإن كان ما تقولون بألسنتكم صدقاً في قلوبكم فاعتصموا به ، ولا تستنصروا بغيره ، ولا ترجعوا على أعقابكم مرتدين عن دينه . ﴿ سَتَلْقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّغْبَ ﴾ : أى الذى به كنت أنصركم عليهم بما أشركوا بى ما لم أجعل لهم من حجة ، أى فلا تظنوا أن لهم عاقبة نصر ولا ظهور عليكم ما اعتصمتم بى ، واتبعتم أمرى ، للمصيبة التى أصابتكم منهم بذنوب قدَّمتموها لأنفسكم ، خالفتم بها أمرى للمصيبة وعصيتم بها النبى صلى الله عليه وسلم . ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذَا تَحَشَّوْهُمُ إِذْ ذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ ، وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ، مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا ، وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ،

ثُمَّ مَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ، وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ، وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ ﴿ أَى وَقَدْ وَفَّيْتُ لَكُمْ بِمَا وَعَدْتُكُمْ مِنَ النِّصْرِ عَلَىٰ عَدُوِّكُمْ ،
إِذْ تَحْشَوْنَهُم بِالسُّيُوفِ ، أَى الْقَتْلِ ، بِإِذْنِي وَتَسْلِيطِي أَيْدِيكُمْ عَلَيْهِمْ ، وَكَفَىٰ
أَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ .

قال ابن هشام : الحسن : الاستئصال : يقال : حَسَنَتُ الشَّيْءَ : أَى اسْتَأصلته
بالسَّيف وغيره . قال جرير :

تَحْشَهُمُ السُّيُوفُ كَمَا تَسَامَى حَرِيقُ النَّارِ فِي الْأَجَمِ الْحَصِيدِ
وهذا البيت في قصيدة له . وقال رؤبة بن العجاج :
إِذَا شَكُونَا سَنَةً حَسُوسَا
تَأْكُلُ بَعْدَ الْأَخْضَرِ الْيَبِيسَا
وهذان البيتان في أرجوزة له .

قال ابن إسحاق : (حتى إذا فشلتم) : أَى تخاذلتم (وتنازعتم في الأمر)
أَى اختلفتم في أمرى ، أَى تركتم أمر نبيكم وما عهد إليكم ، بمعنى الرماة
﴿ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ﴾ : أَى الفتح ، لاشك فيه ، وهزيمة
القوم عن نِسائهم وأموالهم ، ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا ﴾ : أَى الذين أرادوا
النهب في الدنيا وترك ما أمروا به من الطاعة التي عليها ثواب الآخرة (وَمِنْكُمْ
مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ : أَى الذين جاهدوا في الله ، ولم يخالفوا إلى ما نهوا عنه
لعرض من الدنيا ، رغبة فيها ، رجاء ما عند الله من حسن ثوابه في الآخرة ؛
أَى الذين جاهدوا في الدين ولم يخالفوا إلى ما نهوا عنه ، لمرض من الدنيا ،
ليختبركم ، وذلك ببعض ذنوبكم ، ولقد عفا الله عن عظيم ذلك ، أن لا يهلككم

بما أنبئتم من مَعْصِيَةِ نَبِيِّكُمْ ، وَلَسْكَفَى عُدَّتْ بِفَضْلِي عَلَيْكُمْ ، وَكَذَلِكَ ﴿ مِنْ اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أَنْ عَاقِبَ بِيَمِضِ الذَّنُوبِ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا أَدْبَاً وَوَعِظَةً ، فَإِنَّهُ غَيْرُ مُسْتَأْصِلٍ لِكُلِّ مَا فِيهِمْ مِنَ الْحَقِّ لَهُ عَلَيْهِمْ ، بِمَا أَصَابُوا مِنْ مَعْصِيَتِهِ ، رَحْمَةً لَهُمْ ، وَعَائِدَةً عَلَيْهِمْ ، لِمَا فِيهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ .

تَأْيِيدهُ إِيَّاهُمْ لِفِرَارِهِمْ عَنْ نَبِيِّهِمْ

ثُمَّ أَنْبِئَهُمْ بِالْفِرَارِ عَنْ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُمْ يُدْعُونَ لَا يُنْطَفُونَ عَلَيْهِ لِدُعَايِهِ إِيَّاهُمْ ، فَقَالَ : ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ ، وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ ، فَأُنَابِكُمْ ، غَمًّا بَغْماً ، لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ : أَيْ كَرَبًا بَعْدَ كَرَبٍ ، بِقَتْلِ مَنْ قُتِلَ مِنْ إِخْوَانِكُمْ ، وَعُلُوِّ عَدُوِّكُمْ عَلَيْهِمْ ، وَبِمَا وَقَعَ فِي أَنْفُسِكُمْ مِنْ قَوْلِ مَنْ قَالَ : قَتَلَ نَبِيِّكُمْ ، فَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ غَمًّا بَغْماً ؛ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ؛ مِنْ ظُهُورِكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ ، بَعْدَ أَنْ رَأَيْتُمُوهُ بِأَعْيُنِكُمْ ، وَلَا مَا أَصَابَكُمْ مِنْ قَتْلِ إِخْوَانِكُمْ ، حَتَّى فَرَّجْتُ ذَلِكَ الْكَرْبَ عَنْكُمْ ﴿ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ . وَكَانَ الَّذِي فَرَّجَ اللَّهُ بِهِ عَنْهُمْ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْكَرْبِ وَالْغَمِّ الَّذِي أَصَابَهُمْ ، أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ رَدَّ عَنْهُمْ كَذِبَةَ الشَّيْطَانِ بِقَتْلِ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ ، هَانَ عَلَيْهِمْ مَا فَاتَهُمْ مِنَ الْقَوْمِ بَعْدَ الظُّهُورِ عَلَيْهِمْ ، وَالْمُصِيبَةِ الَّتِي أَصَابَتْهُمْ فِي إِخْوَانِهِمْ ، حِينَ صَرَفَ اللَّهُ الْقَتْلَ عَنْ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً مُعَاسَاةً يَفْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ ، وَطَائِفَةً قَدْ أَهْمَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ، يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ،

يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ، قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ، يُخْفُونَ
 فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ ؛ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا
 هَاهُنَا ، قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى
 مَضَاجِعِهِمْ ، وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ ، وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ، وَاللَّهُ
 عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ النَّعَاسَ أَمَةً مِنْهُ عَلَى أَهْلِ الْيَقِينِ بِهِ ، فَهُمْ
 نِيَامٌ لَا يَخَافُونَ ، وَأَهْلُ التَّفَاقُ قَدْ أَهْمَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ، يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ
 الْجَاهِلِيَّةِ ، تَخَوَّفَ الْقَتْلَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يَرْجُونَ عَاقِبَةَ ، فَذَكَرَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ
 تِلَاوَتَهُمْ وَحَسْرَتَهُمْ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ . ثُمَّ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ : ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ لَمْ تَحْضُرُوا هَذَا الْمَوْطِنَ الَّذِي أَظْهَرَ اللَّهُ
 فِيهِ مِنْكُمْ مَا أَظْهَرَ مِنْ سَرَائِرِكُمْ ﴿ لَبَرَزَ ﴾ لَأَخْرَجَ ﴿ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ
 الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ إِلَى مَوْطِنٍ غَيْرِهِ يُبْصِرُونَ فِيهِ ، حَتَّى يَبْتَلِيَ بِهِ مَا فِي
 صُدُورِهِمْ ﴿ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ : أَيْ لَا يَخْفَى
 عَلَيْهِ مَا فِي صُدُورِهِمْ مِمَّا اسْتَخَفُّوا بِهِ مِنْكُمْ .

تحذيرهم أن يكونوا ممن يخشون الموت في الله

ثُمَّ قَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا
 لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا
 وَمَا قُتِلُوا ، لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ ،
 وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ : أَيْ لَا تَكُونُوا كَالْمُتَفَاقِينَ الَّذِينَ يَنْهَوْنَ إِخْوَانَهُمْ عَنْ
 الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالضَّرْبُ فِي الْأَرْضِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ ، وَطَاعَةُ
 رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَقُولُونَ إِذَا مَاتُوا أَوْ قُتِلُوا : لَوْ أَطَاعُونَا مَا مَاتُوا وَمَا
 قُتِلُوا ﴿ لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ لَعَلَّ الْيَقِينَ بَرَبَهُمْ ، ﴿ وَاللَّهُ

يُخَيِّرُ وَيُخَيِّتُ : أَي يُعْجَلُ مَا يَشَاءُ وَيُؤَخَّرُ مَا يَشَاءُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ أَجَالِهِمْ بِقُدْرَتِهِ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَلَيْنَ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ : أَي إِنْ الْمَوْتُ لَسَكُنَ لَابَدَةً مِنْهُ ، فَمُوتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوْ قَتَلْ ، خَيْرٌ لَوْ عَلِمُوا وَأَيُّقِنُوا مِمَّا يَجْمَعُونَ مِنَ الدُّنْيَا الَّتِي لَهَا يَتَأَخَّرُونَ عَنِ الْجِهَادِ ، تَخَوُّفَ الْمَوْتِ وَالْقَتْلِ لِمَا جَمَعُوا مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا زَهَادَةً فِي الْآخِرَةِ . ﴿ وَأَلَيْنَ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ ﴾ أَي ذَلِكَ كَانَ ﴿ لِلَّهِ يُخَشِرُونَ ﴾ : أَي أَنْ إِلَى اللَّهِ الْمَرْجِعُ ، فَلَا تَفَرِّسْكُمْ الدُّنْيَا ، وَلَا تَفْتَرِّوْا بِهَا ، وَلِيَكُنَّ الْجِهَادُ وَمَا رَغِبَ كُمْ اللَّهُ فِيهِ مِنْ ثَوَابِهِ آتِيَةً عِنْدَكُمْ مِنْهَا .

ذَكَرَهُ رَحْمَةُ الرَّسُولِ عَلَيْهِم

ثُمَّ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ فَيَا رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًا ﴾ غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نَقُضُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ : أَي لَتَرَكُوكَ ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ ﴾ : أَي فَتَجَاوَزْ عَنْهُمْ ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ ، وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ فَذَكَرَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُنْهِئَهُمْ ، وَصَبْرَهُ عَلَيْهِمْ ، لَضَعْفِهِمْ ، وَقَلَّةِ صَبْرِهِمْ عَلَى الْغَلْظَةِ لَوْ كَانَتْ مِنْهُ عَلَيْهِمْ : فِي كُلِّ مَا خَالَفُوا عَنْهُ مِمَّا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ طَاعَةِ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ثُمَّ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ ﴾ : أَي تَجَاوَزْ عَنْهُمْ ، ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ : ذُنُوبِهِمْ ، مِنْ قَارِفٍ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ مِنْهُمْ ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ : أَي لَتُرِيَهُمْ أَنَّكَ تَسْمَعُ مِنْهُمْ ، وَتَسْتَعِينُ بِهِمْ ، وَإِنْ كُنْتَ غَنِيًّا عَنْهُمْ ، تَأَلَّزَّكَ لَهُمْ بِذَلِكَ عَلَى دِينِهِمْ ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ ﴾ : أَي عَلَى أَمْرِ جِئْتَهُ مِنْهُ وَأَمْرٍ مِنْ دِينِكَ فِي جِهَادِ

عدوك لا يصلحك ولا يصلحهم إلا ذلك ، فامض على ما أمرت به ، على خلاف من خالفك ، وموافقة من وافقك ، ﴿ وتوكل على الله ﴾ ، أى ارض به من العباد ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ * إِنَّ يَنْصُرُكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ، وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ : أى اثلا تترك أمرى للناس ، وارفض أمر الناس إلى أمرى ، وعلى الله لاعلى الناس ، فليتوكل المؤمنون .

ما نزل فى الغلول

ثم قال : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلَّ ، وَمَنْ يَفْعَلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ : أى ما كان للنبي أن يكلم الناس ما بعثه الله به إليهم ، عن رغبة من الناس ولا رغبة ، ومن يفعل ذلك يأت يوم القيامة به ، ثم يجزى بكسبه ، غير مظلوم ولا ممتدئ . عليه ﴿ أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ ﴾ على ما أحب الناس أو سخطوا ﴿ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ لرضا الناس أو لسخطهم . يقول : أفمن كان على طاعتي ، فتوابعه الجنة ورضوان من الله كن باء بسخط من الله واستوجب سخطه ، فكان ﴿ مأواه جهنم وبئس المصير ﴾ أسواء النلان ! فاعرفوا . ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ لسكر درجات مما عملوا فى الجنة والنار : أى إن الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته .

فضل الله على الناس ببعث الرسل

ثم قال : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ

أَنْفُسِهِمْ يَقُولُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ : أى لقد من الله عليكم يا أهل الإيمان ، إذ بعث فيكم رسولا من أنفسكم يتلو عليكم آياته فيما أحدثكم ، وفيما علمكم ، فيعلمكم الخير والشر ، لتعرفوا الخير فتعملوا به ، والشر فتتقوه ، ويخبركم برضاه عنكم إذا أطعتموه فستكثر من طاعته وتجتنبوا ما سخط منكم من معصيته ، لتتخلصوا بذلك من نقمته ، وتذكروا بذلك ثوابه من جنته ﴿وَأِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ : أى لفي عمياء من الجاهلية ، أى لا تعرفون حسنة ولا تستغفرون من سيئة ، صم عن الخير ، بُكم عن الحق ، غمى عن الهدى .

ذكره المصيبة التي أصابتهم

ثم ذكر المصيبة التي أصابتهم ، فقال : ﴿أَوَلَمْ أَصَابَكُمْ مَصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ : أَلَيْسَ هَذَا ؟ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ : أى إن نك قد أصابتكم مصيبة في إخوانكم بذنوبكم فقد أصبتم مثلها قبل من عدوكم ، في اليوم الذي كان قبله أيبدر ، قتلا وأسرا ونسبتم معصيتكم وخلافكم عما أمركم به نبيكم صلى الله عليه وسلم ، أنتم أحلتم ذلك بأنفسكم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ : أى إن الله على ما أراد بعباده من نعمة أو عفو قدير ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّتَيِّ الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ ، وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ : أى ما أصابكم حين التقيتم أعدوكم فبإذن الله ، كان ذلك حين فعلتم ما فعلتم بعد أن جاءكم نصرى ، وصدقتكم وعدى ، ليميز بين المؤمنين

وَالْمُتَّقِينَ ، ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ﴾ مِنْكُمْ : أى ليظهر ما فيهم . ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَاغْلِبُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ اذْفَعُوا ﴾ : يعنى عبد الله بن أبى وأصحابه الذين رَجَعُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، حين سار إلى عَدُوِّهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِأَحَدٍ ، وقولهم : لو نعلم أنكم تقاتلون لِسِرْنَا مَعَكُمْ ، وَلَدَفَعْنَا عَنْكُمْ ، وَاسْكُنَّا لَا نَظْنَ أَنَّهُ يَكُونُ قِتَالٌ . فَأَظْهَرَ مِنْهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ . يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ هُمْ لِلْكَافِرِينَ يَوْمِئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ، يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ أى يُظْهِرُونَ لَكَ الْإِيمَانَ وَلَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ أى مَا يُخْفُونَ ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ ﴾ الَّذِينَ أَصْدَبُوا مَعَكُمْ مِنْ عَشَائِرِهِمْ وَقَوْمِهِمْ : ﴿ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ، قُلْ فَادْرَبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ : أى أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنَ الْمَوْتِ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَدْفَعُوهُ عَنْ أَنْفُسِكُمْ فَافْعَلُوا ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا نَافَقُوا وَتَرَكُوا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، حَرَصًا عَلَى الْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا ، وَفِرَارًا مِنَ الْمَوْتِ .

الترغيب في الجهاد

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ، يَرْغَبُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجِهَادِ ، وَيَهْوُونَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ : أى لَا تَظُنُّنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا : أى قَدْ أَحْيَيْتِهِمْ ، فَهُمْ عِنْدِي يُرْزَقُونَ فِي رَوْحِ الْجَنَّةِ وَفَضْلِهَا ، مُسْرُورِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى جِهَادِهِمْ عَنْهُ ، وَيَسْتَبْشِرُونَ

بالذين لم ياحقوا بهم من خلفهم ، أى وَيُسْرُونَ بلحوق من لحقهم من إخوانهم على مامضوا عليه من جهادهم ، ليشرّكهم فيما هم فيه من ثواب الله الذى أعطاهم ، قد أذهب الله عنهم الخوفَ والحزنَ . يقول الله تعالى : ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مَنْ اللَّهِ وَفَضْلٍ ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ لما عاينوا من وفاء الموعود ، وعظيم الثواب .

مصير قتلى أحد

قال ابن إسحاق : وحدثني إسماعيل بن أمية ، عن أبي الزبير ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أُصيب إخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب ، فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مشربهم وما كلهم ، وحسن مقيلهم ، قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا ، لئلا يزهدوا فى الجهاد ، ولا ينفكوا عن الحرب ؛ فقال الله تعالى : فأنا أبانهم عنكم ، فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الآيات : (ولا تحسبن ...) .

قال ابن إسحاق : وحدثني الحارث بن الفضيل ، عن محمود بن لبيد الأنصارى عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشهداء على بارق نهر بباب الجنة ، فى قبة خضراء ، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لائهم ، عن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن

هؤلاء الآيات : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ فقال : أما إننا قد سألنا عنها فقيل لنا : إنه لما أُصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فيطلع الله عز وجل عليهم إطلاعةً فيقول : يا عبادي ، ماتستمون فأزيدكم ؟ قال : فيقولون ربنا لا فوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا ! قال : ثم يطلع الله عليهم إطلاعةً ، فيقول : يا عبادي ، ماتستمون ، فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لا فوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا ! قال : ثم يطلع عليهم إطلاعةً ، فيقول : يا عبادي ، ماتستمون فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لا فوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا . إلا أنا نحب أن ترد أرواحنا في أجسادنا ، ثم ترد إلى الدنيا ، فنقاتل فيك ، حتى نقتل مرة أخرى .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أبشرك يا جابر ؟ قال : قلت : بلى يا نبي الله ؛ قال : إن أباك حيث أُصيب بأحد أحياء الله عز وجل ، ثم قال له : ماتحب يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك ؟ قال : أي رب ، أحب أن تردني إلى الدنيا فأقاتل فيك ، فأقتل مرة أخرى .

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده ، مامن مؤمن يُفارق الدنيا يُحب أن يرجع إليها ساعة من نهار ، وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد ،

حقانه يحب أن يرد إلى الدنيا ، فيقاتل في سبيل الله ، فيقتل مرة أخرى .

ذكر من خرجوا على الرسول إلى حمراء الأسد

قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾ أى الجراح ، وهم المؤمنون الذين ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القدم من يوم أحد إلى حمراء الأسد على ما بهم من ألم الجراح : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ، فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ، وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ ، والناس الذين قالوا لهم ما قالوا ، النفر من عبد القيس ، الذين قال لهم أبو سفيان ما قال ، قالوا إن أباسفيان ومن معه راجعون إليكم . يقول الله عز وجل : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا بَنِي آدَمَ الَّذِينَ خَلَقْتُمْ مِنْ طِينٍ فَقُلُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ أَطَاعُوا أَمْرًا سَوِيًّا ، وَأَتَّبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ لما صرف الله عنهم من لقاء عدوهم (إنما ذالككم الشيطان) ، أى لأولئك الرهط وما ألقى الشيطان على أفواههم ﴿ يَخْشَوْنَ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ : أى يرهبكم بأوليائه : ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ * وَلَا يَخْزُوكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ : أى المنافقون ﴿ إِنَّهُمْ أَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ، يُرِيدُ اللَّهُ الْأَلَّ بِحَمَلِ لَهُمْ حَطَا فِي الْآخِرَةِ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ * إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَا يَحْزِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَمَّا نَحْنُ لَكُمْ خَيْرٌ لَأَنْفُسِهِمْ . إِنَّمَا نُنْزِلُ إِلَيْكُمْ آيَاتٍ لَكُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ * مَا كَانَ لِلَّهِ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ :

أَيُّ الْمُنَافِقِينَ ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظِلَّكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴾ أَيُّ فِيمَا يُرِيدُ أَنْ
يُبْتَلِيَكُمْ بِهِ ، لَتَحْذَرُوا مَا يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ فِيهِ ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ
مَنْ يَشَاءُ ﴾ أَيُّ يَعْلَمُهُ ذَلِكَ ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَقْتُمُوا ﴾
أَيُّ تَرْجِعُوا وَتَتُوبُوا ﴿ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ .

ذَكَرَ مِنْ اسْتَشْهَدَ بِأَحَدٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ

مِنْ بَنِي هَاشِمٍ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَاسْتُشْهَدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ قُرَيْشٍ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ بَنُ عَبْدِ مَنَافٍ : حَزْرَقَةُ
ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ هَاشِمٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ قَتْلَهُ وَحْشِيٌّ ، غُلَامٌ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ .

مِنْ بَنِي أُمِيَّةٍ

وَمِنْ بَنِي أُمِيَّةٍ بَنُ عَبْدِ شَمْسٍ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَلِيفُ هُمَ مِنْ بَنِي
أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ .

مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ

وَمِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ بَنُ قُصَيٍّ : مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ، قَتْلَهُ ابْنُ قَوْمَيْةَ اللَّيْثِيِّ .

مِنْ بَنِي خُزُومٍ

وَمِنْ بَنِي خُزُومٍ بَنُ يَمْقُظَةَ : شَمَّاسُ بْنُ عُثْمَانَ . أَرْبَعَةُ نَفَرٍ .

من الأنصار

ومن الأنصار ، ثم من بنى عبد الأشهل : عمرو بن مُعَاذ بن الثَّعْمَان ،
والْحَارِث بن أَنَس بن رَافِع ، وُعْمَارَةُ بن زِيَاد بن السَّكَن .

قال ابن هشام : السَّكَن : ابنُ رَافِع بن امرئ القيس ؛ ويقال : السَّكَن !

قال ابن إسحاق : وسَلَمَةُ بن ثَابِت بن وَقْش ، وعمرو بن ثَابِت بن وَقْش .

رجلان .

قال ابن إسحاق : وقد زعم لي عاصم بن عمر بن قتادة : أن أباها ثَابِتًا
قُتِل يومئذ . ورفاعة بن وَقْش . وحُسَيْن بن جَابِر ، أبو حُذَيْفَة وهو الْيَمَان ،
أصابه المسلمون في المعركة ولا يدرون ، فنصدق حُذَيْفَة بديته على مَنْ أَصابه ؛
وصَيْفِي بن قَيْظِي . وحَبَاب بن قَيْظِي . وعَبَّاد بن سَهْل ، والحَارِث بن أَوْس
ابن مُعَاذ . اثنا عشر رجلا .

من راتج

ومن أهل راتج : إِيَّاس بن أَوْس بن عَتِيك بن عمرو بن عبد الأَعْلَم بن
زَعُوراء بن جُشَم بن عبد الأشهل ؛ وعُبَيْد بن التَّيَّهَان .

قال ابن هشام : ويقال : عَتِيك بن التَّيَّهَان .

وحبيب بن يَزِيد بن تَيْم . ثلاثة نفر .

من بنى ظفر

ومن بنى ظفر : يزيد بن حاطب بن أمية بن رافع . رجل .

من بنى ضبيعة

ومن بنى عمرو بن عوف ، ثم من بنى ضبيعة بن زيد : أبو سفيان بن الحارث
ابن قيس بن زيد ، وحَنْظَلَةُ بن أبي عامر بن صَيْفَى بن نعمان بن مالك بن أمة ،
هو غَسِيل الملائكة ، قتله شداد بن الأسود بن شعوب الليثي . رجلان .
قال ابن هشام : قيس : ابن زيد بن ضبيعة ، ومالك : ابن أمة بن ضبيعة .

من بنى عبيد

قال ابن إسحاق : ومن بنى عبيد بن زيد : أنيس بن قتادة . رجل .
ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف : أبو حَيَّة ، وهو أخو سعد بن
خَيْثَمَةَ لأمه .

قال ابن هشام : أبو حَيَّة : ابن عمرو بن ثابت .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن جُبَيْر بن النُّعْمَان ، وهو أمير الرماة .
رجلان .

من بنى السلم

ومن بنى السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس : خَيْثَمَةُ أبو سعد
ابن خَيْثَمَةَ . رجل .

من بنى العجلان

ومن حلفائهم من بنى العَجْلان : عبدُ الله بن سَلَمَة : رجل .

من بنى معاوية

ومن بنى مُعاوية بن مالك : سُبَيْع بن حاطب بن الحارث بن قَيْس بن هَيْشَة . رجل .

من بنى النجار

قال ابن هشام : ويقال : سُويْبِق بن الحارث بن حاطب بن هَيْشَة .
قال ابن إسحاق : ومن بنى النَجَّار ، ثم من بنى سَوَاد بن مالك بن غنى :
عمرو بن قَيْس ، وابنه قيس بن عمرو .

قال ابن هشام : عمرو بن قيس : ابنُ زيد بن سواد .
قال ابن إسحاق : وثابت بن عمرو بن زيد ، وعامر بن نَخْلَة . أربعة نفر .

من بنى مَبْذُول

ومن بنى مَبْذُول : أبو هُبَيْرَة بن الحارث بن عَلَقْمَة بن عمرو بن ثَعَف بن
مالك بن مَبْذُول ، وعمرو بن مُطَرَف بن عَلَقْمَة بن عمرو . رجلان .

من بنى عمرو

ومن بنى عمرو بن مالك : أوس بن ثابت بن الْمُنْذَر . رجل .

قال ابن هشام : أوس بن ثابت ، أخو حسان بن ثابت .

من بنى عدى

قال ابن إسحاق : ومن بنى عديّ بن النّجّار : أنس بن النّضر بن خنضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عديّ بن النّجّار . رجل .
قال ابن هشام : أنس بن النضر ، عمّ أنس بن مالك : خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

من بنى مازن

ومن بنى مازن بن النّجّار : قيس بن مخلد ، وكيسان ، عبد لمن . رجلان .

من بنى دينار

ومن بنى دينار بن النّجّار : سليم بن الحارث ، ونعمان بن عبد عمرو .
رجلان .

من بنى الحارث

ومن بنى الحارث بن الخزرج خارجة بن زيد بن أبي زهير ، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير ، دفنا في قبر واحد ، وأوس بن الأرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب . ثلاثة نفر .

من بنى الأبحر

ومن بنى الأبحر ، وهم بنو خذرة : مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة

ابن عبيد بن الأبحر ، وهو أبو أبي سعيد الخدري .

قال ابن هشام : اسم أبي سعيد الخدري : سنان ، ويقال : سعد .

قال ابن إسحاق : وسعيد بن سويد بن قيس بن عامر بن عبّاد بن الأبحر ، وعتبة بن ربيع بن رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبحر . ثلاثة نفر .

من بني ساعدة

ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج : ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة ، وثقف بن قروة ابن البدي . رجلان .

من بني طريف

ومن بني طريف ، رهط سعد بن عبادة : عبد الله بن عمرو بن وهب ابن ثعلبة بن وقش بن ثعلبة بن طريف ، وضمرة ، حليف لهم من بني جُهينة . رجلان .

من بني عوف

ومن بني عوف بن الخزرج ، ثم من بني سالم ، ثم من بني مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم : نوفل بن عبد الله ، وعباس بن عبادة بن

نُضْلَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ الْمَجْلَانِ ، وَنُعْمَانُ بْنُ مَالِكِ بْنِ نَعْلَبَةَ بْنِ فَهْرٍ بْنِ غَنَمٍ .
ابن سالم ، والمُجَذَّرُ بْنُ ذِيادٍ ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ بَيْلٍ ، وَعُبادَةُ بْنُ الْحُسَيْنِ .
دُفِنَ النُّعْمَانُ بْنُ مَالِكٍ ، وَالْمُجَذَّرُ ، وَعُبادَةُ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ . خَمْسَةُ نَفَرٍ .

من بني الحُبلى

وَمِنْ بَنِي الْحُبْلَى : رِفَاعَةُ بْنُ عَمْرٍو . رَجُلٌ .

من بني سامة

وَمِنْ بَنِي سَامَةَ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي حَرَامٍ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ حَرَامٍ بْنُ نَعْلَبَةَ .
ابن حرام ، وعمرُو بْنُ الْجُمُوحِ بْنُ زَيْدِ بْنِ حَرَامٍ ، دُفِنَا فِي قَبْرِ وَاحِدٍ ، وَخِلَادُ بْنُ
عَمْرٍو بْنُ الْجُمُوحِ بْنُ زَيْدِ بْنِ حَرَامٍ ، وَأَبُو أَيْمَنٍ ، مَوْلَى عَمْرٍو بْنِ الْجُمُوحِ .
أَرْبَعَةُ نَفَرٍ .

من بني سواد

وَمِنْ بَنِي سَوَادٍ : غَنَمٌ : سُلَيْمٌ بْنُ عَمْرٍو بْنِ حَدِيدَةَ ، وَمَوْلَاهُ عَثْرَةُ ،
وَسَهْلٌ بْنُ قَيْسٍ بْنُ أَبِي كَعْبٍ بْنِ الْقَيْنِ . ثَلَاثَةُ نَفَرٍ .

من بني زريق

وَمِنْ بَنِي زُرَيْقٍ : عَامِرٌ : ذَكْوَانُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ ، وَعُبَيْدُ بْنُ الْمُعَلَّى
ابن لَوْذَانَ . رَجُلَانِ .

قال ابن هشام : عُبَيْدُ بْنُ الْمُعَلَّى ، من بني حبيب .

عدد الشهداء

قال ابن إسحاق : فجميع من استشهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار ، خمسة وستون رجلاً .

من بني معاوية

قال ابن هشام : ومَنْ لم يذكر ابن إسحاق من السبعين الشهداء الذين ذكرنا ، من الأوس ، ثم من بني مُعاوية بن مالك : مالك بن نُمَيْلة ، حليف لهم من مزينة .

من بني خَطْمة

ومن بني خَطْمة - واسم خَطْمة : عبد الله بن جُشم بن مالك بن الأوس - الحارث بن عَدِيّ بن خَرْشَة بن أُمَيَّة بن عامر بن خَطْمة .

من بني الخزرج

ومن الخزرج ، ثم من بني سَواد بن مالك : مالك بن إِيَّاس .

من بني عمرو

ومن بني عمرو بن مالك بن النَّجَّار : إِيَّاس بن عَدِيّ .

من بني سالم

ومن بني سالم بن عوف : عمرو بن إِيَّاس .

ذكر من قتل من المشركين يوم أحد

من بني عبد الدار

قال ابن إسحاق : وقُتل من المُشركين يوم أحد من إفریش ، ثم من بني عبد الدار بن قُصَيٍّ من أصحاب اللّواء : طلحة بن أبي طلحة ، واسم أبي طلحة : عبد الله بن عبد العزّي بن عثمان بن عبد الدار ، قتله عليّ بن أبي طالب ، (و) أبو سعيد بن أبي طلحة ، قتله سعد بن أبي وقاص .

قال ابن هشام : ويقال : قتله عليّ بن أبي طالب .

قال ابن إسحاق : وعثمان بن أبي طلحة ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، ومسافع بن طلحة ، والجلاس بن طلحة ، قتلهما عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح . وكلاب بن طلحة ، والحارث بن طلحة ، قتلهما قُزَمان ، حليف لبني ظفر .

قال ابن هشام : ويقال : قتل كلاباً عبد الرحمن بن عوف .

قال ابن إسحاق : وأرطاة بن عبد شراحبيل بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، وأبو يزيد بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله قُزَمان ، وصُؤاب : غلام له حبشي ، قتله قُزَمان .

قال ابن هشام : ويقال : قتله عليّ بن أبي طالب ، ويقال : سعد بن أبي وقاص ، ويقال : أبو دُجانة .

قال ابن إسحاق : والقاسط بن شريح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار
قتله قُزَمان . أحد عشر رجلا .

من بني أسد

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي : عبد الله بن حميد بن زهير بن
الحارث بن أسد . قتله علي بن أبي طالب . رجل .

من بني زهرة

ومن بني زهرة بن كلاب : أبو الحكم بن الأخنس بن شريق بن عمرو بن
وهب التميمي ، حليف لهم ، قتله علي بن أبي طالب ، وسباع بن هبذ العزى -
واسم عبد العزى : عمرو بن نضلة بن غبشان بن سليم بن ملكان بن أقي -
حليف لهم من خزاعة ، قتله حمزة بن عبد المطلب . رجلان .

من بني مخزوم

ومن بني مخزوم بن يقظة ، هشام بن أبي أمية بن المغيرة ، قتله قُزَمان ،
والوليد بن العاص بن هشام بن المغيرة ، قتله قُزَمان ، وأبو أمية بن أبي حذيفة
ابن المغيرة ، قتله علي بن أبي طالب ، وخالد بن الأعلم ، حليف لهم ، قتله
قُزَمان . أربعة نفر .

من بني جمح

ومن بني جمح بن عمرو : عمرو بن عبد الله بن عمير بن وهب بن

حُذَافَةُ بْنُ جَمَحٍ ، وَهُوَ أَبُو عَزَّةَ ، قَتَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدًا لَهُ .
وَأَبَى بْنُ خَلْفٍ بْنُ وَهَبٍ بْنُ حُذَافَةَ بْنِ جَمَحٍ ، قَتَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
بِيَدِهِ . رَجُلَانِ .

من بنى عامر

وَمِنْ بَنَى عَامِرُ بْنُ لُؤَيٍّ : عُبَيْدَةَ بْنُ جَابِرٍ ، وَشَيْبَةَ بْنُ مَالِكٍ ، وَابْنَ الْمُصَرَّبِ ،
قَتَلَهُمَا قُرْظَانُ . رَجُلَانِ .

قَتَلَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ : قَتَلَ عُبَيْدَةَ بْنُ جَابِرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ .

عدد قتلى المشركين

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَجَمِيعٌ مِنْ قَتَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ أُحُدٍ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ، اثْنَانِ وَعِشْرُونَ رَجُلًا .

تفسير ما نزل من القرآن في أحد

بعض من آمن رغم البلاء عليهم :

قد ذكر ابن إسحاق ما يحتاج إليه قارى السيرة من تفسير ذلك ، وذكروا
قوله سبحانه ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ الآية لم يزد على
ما في الكتاب منه . وفي تفسير الترمذى حديث مرفوع أن رسول الله - صلى الله عليه
عليه وسلم - كان يدعو على أبي سفيان والحارث بن هشام وعمر بن العاص ،
حتى أنزل الله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ، أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ قال ت .

قَتَبُوا وَأَسْمَوُا ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُمْ ، وَهَذَا حَدِيثٌ ثَابِتٌ فِي حَسَنِ إِسْلَامِ
أَبِي سَفْيَانَ خِلَافًا لِمَنْ زَعَمَ غَيْرَ ذَلِكَ ، وَأَمَّا الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ فَلَا خِلَافَ
فِي حَسَنِ إِسْلَامِهِ ، وَفِي مَوْتِهِ شَهِيدًا بِالشَّامِ ، وَأَمَّا عَمْرُو بْنُ الْعَادِيِّ ، فَقَدْ قَالَ
فِيهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَسْلَمَ النَّاسُ وَأَمِنَ عَمْرُو ، وَقَالَ فِي حَدِيثٍ جَرَى :
مَا كَانَتْ هِجْرَتِي لِلدَّالِ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ - عَلَى اللَّهِ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نِعْمًا بِالْمَالِ الصَّالِحِ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ ، فَمِثْلُهُ : رَجُلًا صَالِحًا ، وَالْحَدِيثُ
الَّذِي جَرَى : أَنَّهُ كَانَ قَالَ لَهُ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ ^(١) وَجْهًا يُسَلِّمُكَ اللَّهُ فِيهِ ،
وَيُبْعَثُكَ ، وَأَزْعَبَ لَكَ زَعْبَةً مِنَ الْمَالِ ^(٢) ، وَسَتَانِي نُسَكَتْ وَعُيُونٌ مِنْ
أَخْبَارِ الْحَارِثِ ، وَأَبِي سَفْيَانَ - فِيمَا بَعْدَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

معنى اتخذ :

وَذَكَرَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَتَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ﴾ وَفِيهِ فَضْلٌ عَظِيمٌ لِلشُّهَدَاءِ
وَتَنْبِيْهُ عَلَى حُبِّ اللَّهِ إِيَّاهُمْ حَيْثُ قَالَ (وَتَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ) وَلَا يُقَالُ : اتَّخَذْتُ
وَلَا أُتَّخِذُ إِلَّا فِي مُصْطَفًى مَحْبُوبٍ ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ ﴾
وَقَالَ : ﴿ وَلَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ فَلَا تُتَّخَذُ إِنَّمَا هُوَ اقْتِنَاءٌ وَاجْتِبَاءٌ ^(٣) ،

(١) فِي رَوَايَةٍ : عَلَى جَيْشٍ .

(٢) أَعْطَيْكَ دَفْعَةً مِنَ الْمَالِ . وَفِي الْحَدِيثِ : بَعْدَ هَذَا : فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ :
مَا أَسَاءَتُ مِنْ أَجْلِ الْمَالِ ، بَلْ أَسْلَمْتُ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ . وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ
حَسَنٍ عَنْ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ .

(٣) يَقُولُ الرَّائِغُ فِي مَعْنَى الْمَادَّةِ : الْإِخْذُ : حُوزٌ بِالْفَتْحِ الشَّيْءِ وَتَحْصِيلُهُ ،
وَذَلِكَ بِمَارَةٍ بِالتَّائُولِ ، وَتَارَةٍ بِالْقَهْرِ .

وهو افتعال من الأخذ ، فإذا قلت : اتَّخَذْتُ كذا ، فمعناه : أخذته لنفسى ، واختارته لها ، فالتاء الأولى بدلٌ من ياء ، وتلك الياء بدلٌ من همزة أخذ ، فقلبت تاءً إذ كانت الواو تنقلب تاءً فى مثل هذا البناء ، نحو اتعد وانزر والياء أخت الواو ، فقلبت فى هذا الموضع تاءً ، وكثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى قالوا : اتَّخَذْتُ بحذف إحدى التاءين اكتفاءً بأحدٍهما عن الأخرى ، ولا يكون هذا الحذف إلا فى الماضى خاصة ، لا يقال اتَّخَذْتُ كما يقال اتَّخَذَ ، لأن المستقبل ليس فيه همزة وصل ، وإنما فروا فى الماضى من ثقل الهمزة فى الابتداء ، واستغنوا بحركة التاء عنها ، وكسروا الخاء من اتَّخَذْتُ لأنه لا مستقبل له مع الحذف ، فحركوا عين الفعل بالحركة التى كانت له فى المستقبل . وكلامنا هذا على اللغة المشهورة ، وإلا فقد حكي يتخذ فى لغة ضعيفة ذكرها أبو عبيد ، وذكرها النحاس فى إعراب القرآن .

أورد علي صمغة معرفة أبي بكر :

وذكر قوله سبحانه ﴿ إِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ ظهر تأويل هذه الآية حين انقلب أهل الردة على أعقابهم ، فلم يضر ذلك دين الله ، ولا أمة نبيه ، وكان أبو بكر يسمى : أمير الشاكرين لذلك ، وفى هذه الآية دليل على صحة خلافته ، لأنه الذى قاتل المنقلبين على أعقابهم حين ردهم إلى الدين الذى خرجوا منه ، وكان فى قوله سبحانه : ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ دليل على أنهم سيظفرون بمن ارتد ، وتكمل عليهم النعمة ، فيشكرون ، فتحريضه إياهم على الشكر

والشكرُ لا يكون إلا على نعمة - دليل على أن بلاء الردة لا يطول ، وأن الظفر بهم سريع ، كما كان .

وكذلك قوله سبحانه : ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ ﴾ فيه أيضاً : التصحيحُ لخلافة أبي بكر ، لأنه الذي دعا الأعراب إلى جهاد حَنِيفَةٍ ، وكانوا أولي بأسٍ شديدٍ ، ولم يُقاتلوا اجزئية ، وإنما قُوتلوا لِيُسَلِّمُوا ، وكان قتالهم بأمر أبي بكر ، وفي سلطانه ، ثم قال : ﴿ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ فأوجب عليهم الطاعة لأبي بكر ، فكان في الآية كائنص على خلافته .

وكذلك قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ، وَكَانُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ وقد بيّن في سورة الحشر من الصادقون ، وهم المهاجرون بقوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ فأمر الذين تبعوا الدارَ والإيمان أن يكونوا معهم ، أي : تبعاً لهم ، فخصت الخلافة في الصادقين بهذه الآية ، فاستحقوها بهذا الاسم ، ولم يكن في الصادقين من سماه الله الصديق إلا أبو بكر ، فكانت له خاصة ، ثم للصادقين بعده .

ريبونه ورفعها في الآية :

وذكر قوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ ﴾ ارتفع ربيون على تفسير ابن إسحاق بالابتداء ، والجملة في موضع الحال من الضمير في قُتِلَ ، وهذا أصحُّ التفسيرين ، لأنه قال : فما وهنوا لما أصابهم ، ولو كانوا هم المقتولين ما قال فيهم : ما وهنوا لما أصابهم أي : ما ضعفوا ، وقد يُخرج

أَيْضاً قَوْلُ مَنْ قَال : رَبِّيُؤْن مَفْعُولٌ لَمْ يُسَمَّ فاعلهُ يَقْتُلُ عَلَى أَنْ يَكُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ : فَمَا وَهَنُوا أَيْ مَا وَهَنَ الْبَاقُونَ مِنْهُمْ ، لَمَّا أُصِيبُوا بِهِ مِنْ قَتْلِ إِخْوَانِهِمْ ، وَهَذَا وَجْهُ ، وَلَسَكَنَ سَبَبُ نَزُولِ الْآيَةِ يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ التَّفْسِيرِ الْأَوَّلِ ^(١) .

وَقَوْلُهُ : رَبِّيُؤْن ، وَهِيَ الْجَمَاعَاتُ ^(٢) فِي قَوْلِ أَهْلِ اللُّغَةِ ، وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : رَبِّيُؤْن أَلُوفٌ ، وَقَالَ أَبَانُ بْنُ تَعْلَبٍ : الرَّبُّ : عَشْرَةُ آلَافٍ .

مَنْ تَفْسِيرُ آيَاتِ أَمْرٍ :

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَاتَّابِكُمْ غَمًّا بَعْمٌ ﴾ وَعَلَى : تَفْسِيرُ ابْنِ إِسْحَاقَ غَمًّا بَعْدَ غَمٍّ الْبَاءُ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحْذُوفٍ ، التَّقْدِيرُ : غَمٌّ مَقْرُونٌ بِغَمٍّ ، وَعَلَى تَفْسِيرٍ آخَرَ مُتَعَلِّقَةٌ : بِاتَّابِكُمْ ، أَيْ : اتَّابَكُمُ غَمًّا بِمَا غَمَّمْتُمْ نَبِيَّيْهِ حِينَ خَالَفْتُمْ أَمْرَهُ .

وَقَوْلُهُ ثَرْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ الَّذِي كَانَ أَمِيرًا عَلَى الرُّمَّةِ ، وَكَانَ أَمْرُهُمْ أَنْ يَلْزَمُوا مَكَانَهُمْ ، وَأَلَّا يُخَالِفُوا أَمْرَ نَبِيِّهِمْ ، فَثَبَّتَ مَعَهُ طَائِفَةٌ ، فَاسْتَشْهِدُوا ، وَاسْتَشْهِدُوا ، وَهِيَ الَّذِينَ

(١) النَّالُوةُ فِي الْمَصْحَفِ : قَاتِلٌ يَفْتَحُ الْقَافَ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ . وَهِيَ قِرَاءَةُ جَمَاعَةٍ مِنْ قِرَاءَةِ الْحِجَازِ وَالْكَوْفَةِ . أَمَّا قَتْلُ بَضْمِ الْقَافِ فَقِرَاءَةُ جَمَاعَةٍ مِنَ الْحِجَازِ وَالْبَصْرَةِ . وَرَأَى السَّهْلِيُّ تَلْخِيصَ لِرَأْيِ ابْنِ جَرِيرٍ الطَّبْرِي فِي تَفْسِيرِهِ . وَقَدْ اخْتَارَ مَا قَالَ عَنْهُ السَّهْلِيُّ لِأَنَّهُ أَصَحُّ التَّفْسِيرَيْنِ . وَقَالَ : وَأَمَّا الرَّبِّيُّونَ فَانْهَمَ مَرْفُوعُونَ بِقَوْلِهِ : مَعَهُ لَا يَقُولُهُ : قَتَلَ .

(٢) هَذَا رَأْيُ بَعْضِ نَحْوِيِّ الْكَوْفَةِ ، وَيَرَى بَعْضُ نَحْوِيِّ الْبَصْرَةِ أَنَّ الرَّبِّيِّينَ هُمُ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الرَّبَّ ، وَيَرَى بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّهُمُ الْعُلَمَاءُ ، أَوْ الْفُقَهَاءُ ، أَوْ الْأَنْبَاعُ ، وَيَرَى ابْنُ زَيْدٍ أَنَّ الرَّبِّيِّينَ هُمُ الْأَنْبَاعُ وَالرَّعِيَّةُ وَأَنَّ الرَّبَّانِيَّينَ هُمُ الْوَلَاةُ .

أُرَادُوا الْآخِرَةَ ، وَأَقْبَات طَائِفَةً عَلَى الْمَغْنَمِ ، وَأَخَذِ السَّابِ ، فَكَّرَ عَلَيْهِمُ
الْعَدُوُّ ، وَكَانَتْ لِلْمَصِيبَةِ ، وَفِي الْخَبَرِ : لَقَدْ رَأَيْتَ خَدَمَ هِنْدٍ وَصَوَاحِبَهَا ، وَهُنَّ
مُسَمَّرَاتٌ فِي الْحَرْبِ . وَالتَّخْدَمُ : الْخِلَافِيلُ ^(١) ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ حِينَ ذَكَرَ هِنْدًا ،
وَأَنَّهَا اخْتَلَتْ مِنْ آذَانِ الشُّهَدَاءِ وَأَنْفِهِمْ خَدَمًا وَقِلَادَةً ، وَأَعْطَتْ خَدَمَهَا
وَقِلَادَتَهَا وَقِرَاطَهَا وَخَشِيئًا ، مَعْنَاهُ : اتَّخَلَّضَ أَيْضًا .

وَقَوْلُهُ سَبَّحَانَهُ : ﴿ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هُنَا ﴾ فِي صَحِيحِ
التَّحْقِيقِ أَنَّ عَتَابَ بْنِ قُشَيْرٍ هُوَ قَائِلُ هَذِهِ الْمَقَالَةِ ، وَكَانَ مَتَّبِعُودًا بِالنِّفَاقِ .
وَقَوْلُهُ : ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ أَيْ : يَظُنُّونَ أَنَّ اللَّهَ خَاذِلٌ دِينَهُ وَنَبِيِّهَ .
وَقَوْلُهُ : ﴿ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ أَيْ : أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ كَأَبِي سَفِيَّانٍ وَأَصْحَابِهِ .
وَذَكَرَ قَوْلُهُ : ﴿ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ وَقَسَرَهُ ، وَقَدْ جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ
أَنَّهُ قَالَ : نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ أَمِيرًا بِمَشَاوَرَتِهِمَا ^(٢) .

صَلَّى الْغُلُولُ :

وَذَكَرَ قَوْلُهُ : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلَّ ﴾ وَفَسَرَهُ أَنْ يَكُلَّ مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ ، وَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ يَقُولُونَ : نَزَلَتْ فِي الْغُلُولِ ، وَفِي بَعْضِ الْأَوَارِثِ أَنَّهُمْ
فَقَدَّوْا قَطِيفَةً مِنَ الْمَغْنَمِ ^(٣) ، فَقَالَ قَائِلٌ : لَعَلَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

(١) مفردهما : خدمة بفتح الحاء والدال ، وتجمع أيضاً على خدام .

(٢) أخرجه الحاكم ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٣) أخرجه ابن أبي جاتم بسنده عن ابن عباس قال : فقدوا قطيفة يوم

بجدر ، فقالوا : لعل رسول الله دس ، أخذها .

أخذها، فأنزل الله الآية، ومن قرأ بغير علم، وفتح الغين فهو جاهل، أن يُلقى غلًا، تقول: أُجِبْتُ الرجل إذا ألقىته جبانًا، وكذلك أغلقته: إذا وجدته غلًا، وقد قال عمرو بن معد يكرب ابنى سليم: قاتلناكم، فما أجبنًاكم، وسألناكم، فما أجملناكم. وتفسير ابن إسحاق [غير] (١) خارج عن مقتضى اللغة. فمن كنتم فقد غل، أى: ستر، وكذلك من خان فى شيء وأخذ خفيّة، فقد ستره وكنمه. وأصل الكلمة: السُّر والإخفاء، ومنه الغلالة والغلل للماء الذى يُغَطِّيهِ الشجر والنبات، وقد أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - فى بعض المغازى بإحراق متاع الغل، وأخذت به طائفة من الفقهاء، منهم أحمد وإسحاق (٢).

== وروى ابن جرير وأبو داود والترمذى أنها نزلت فى قطيعة حرام فقدت يوم بدر الخ.

وقال الترمذى: حسن غريب... ورواه بعضهم عن خفيف عن مضم مرسل. وروى ابن مردويه أن بعض المنافقين اتهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بشيء، فنزلت. والغلول هو الخيانة فى المغم والسرقه من الغنيمه قبل القسمة، وكل من خان فى شيء خفية فقد غل. القراءة بفتح الياء هى قراءة المصحف، ومم قراءة ابن عباس وأبى عبد الرحمن السلمى وجماعته من قراء الحجاز والعراق، والقراءة بضم الياء. وفتح الغين قراءة عظم قراء أهل المدينة والكوفة.

(١) سياق الكلام يفرضها، وهى محذوفة فى الأصل.

(٢) قال البخارى: قد روى فى غير حديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فى الغال، ولم يأمر بحرق متاعه. وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، عن رجل غل برده، ثم مات فى المعركة فقبل عنه إنه شهيد - كلا، إني رأيته فى النار فى برده غلبه أو عباه. ومن حديث رواء أحمد ومسلم، وجاءه رجل بشارك كنان قد غله يوم خيبر فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، شارك من تأوه من حديث متفق عليه.

الشهادة والشهداء :

فصل : وذكر قوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾
 الآيات ، وهؤلاء هم الذين سماهم الله شهداء بقوله : ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ﴾ وهذا
 الاسم مأخوذ من الشَّهَادَةِ أو من المُشَاهَدَةِ ، فإن كان من الشهادة فهو شهيد
 بمعنى مَشْهُودٍ ، أى مَشْهُود عليه ، ومَشْهُودٌ له بالجنة ، أما مَشْهُودٌ عليه ،
 فلأنَّ النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - حين وقف على قَتْلِ أَحَدٍ ، قال : هؤلاء
 الذين أشهد عليهم ، أى : أشهدُ عليهم بالوفاء ، وقال : عليهم ، ولم يقل : لهم ،
 لأن المعنى : أجيء يوم القيامة شهيداً عليهم ، وهى ولاية قيادته ، فوصلت
 بحرف عَلَى ، ويجوز أن يكون من الشهادة وتكون فاعلاً بمعنى فاعل ، لأن الله
 تعالى يقول : ﴿ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ أى : تشهدون عليهم ، وهذا ،
 وإن كان عاماً فى جميع أمة محمد - عليه الصلاة والسلام - فالشهادة أولى بهذا
 الاسم ، إذ هم تَبِعُوا لِلصِّدِّيقِينَ وَالنَّبِيِّينَ . قال الله سبحانه : ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ
 أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ ﴾ فهذان وَجْهَانِ فى معنى
 الشَّهيد ، إذا جعلته مُشْتَقّاً من الشَّهَادَةِ ، وإن كان من المُشَاهَدَةِ ، فهو فَعِيلٌ
 بمعنى : فاعل أيضاً ، لأنه يشاهد من مَلَكَوتِ الله ، ويماني من مَلَائِكَتِهِ .
 مالا يُشَاهَدُ غيره ، ويكون أيضاً بمعنى مَفْعُولٍ ، وهو من المُشَاهَدَةِ +
 أى : إن الملائكة تشاهد قبضه ، والعروج بروحه ، ونحو ذلك ، فيكون
 فاعلاً بمعنى مفعول . وأولى هذه الوجوه كلها بالصَّحَّةِ أَنْ يكون
 فاعلاً بمعنى مَفْعُولٍ ، ويكون معناه . مَشْهُوداً له بالجنة ، أو يشهد
 عليه النبي عليه السلام كما قال : هؤلاء أنا شهيد عليهم ، أى : قِيَمُ
 عليهم بالشَّهَادَةِ لهم ، وإذا حُشِرُوا تحت لوائه ، فهو والٍ عليهم ، وإن كان

شَهِيدًا لَهُمْ ، فَمِنْ هَاهُنَا اتَّصَلَ الْفِعْلُ بِعَلَى ، فَتَقَوَّى هَذَا الْوَجْهَ مِنْ جِهَةِ الْخَبَرِ ،
وَمِنْ وَجْهِ آخَرَ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ ، وَهُوَ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ ذَكَرَ
الشَّهْدَاءَ قَالَ : وَالْمَرَأَةُ تَمُوتُ بِجُمُعٍ ^(١) شَهِيدٌ ، وَلَمْ يَقُلْ شَهِيدَةً ، وَفِي رَوَايَةٍ
أُخْرَى قَالَ : وَالنَّفْسَاءُ شَهِيدٌ يَجُرُّهَا جَنِينُهَا بِسَرَرِهِ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَلَمْ يَقُلْ :
شَهِيدَةً وَفَعِيلٌ إِذَا كَانَ صِقَّةً لَمَوْءِثٍ كَانَ بِغَيْرِ هَاءٍ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ ، نَحْوُ :
امْرَأَةٌ فَعِيلٌ وَجَرِيحٌ ، وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَى فَاعِلٍ ، كَانَ بِالْهَاءِ كَمَا وَاهِمٌ : امْرَأَةٌ
عَازِمَةٌ وَرَاحِمَةٌ ، وَنَحْوُ ذَلِكَ ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الشَّهِيدَ مَشْهُودٌ لَهُ ، وَمَشْهُودٌ
عَلَيْهِ . وَهَذَا اسْتِقْرَآءٌ مِنَ اللَّفْظِ صَحِيحٌ ، وَاسْتِنْبَاطٌ مِنَ الْحَدِيثِ بَدِيعٌ ، فَيُفْهِمُ
عَلَيْهِ ^(٢) .

(١) أى : تموت وفي بطنها ولد . أو إلى تموت بكرأ ، والجمع بالضم بمعنى
المجموع كالذخر بمعنى المذخور ، وكسر الكسائي الجيم ، والمعنى : أنها ماتت مع
شئ . بمجموع فيها غير منفصل عنها من حمل أو بكارة .

(٢) الشهداء جمع شهيد ، وبين الرازى أنه لا يجوز أن يراد بالشهيد
هنا من قتله الكفار في الحرب ، لأن الشهادة مرتبة عالية عظيمة في الدين وكون
الإنسان مقتول الكافر ليس فيه زيادة شرف ، لأن هذا القتل قد يحصل في الفساق ،
ومن لا منزلة له عند الله تعالى ، ولأن المؤمنين يدعون الله تعالى أن يرزقهم
الشهادة ، ولا يجوز أن يطلبوا منه أن يسلط عليهم الكفار يقتلونهم ، ولأنه ورد
إطلاق لفظ الشهيد على المبطلين والمطعون والغريق ، قال : أى الرازى : فعلنا
أن الشهادة ليست عبارة عن القتل ، بل نقول : الشهيد فاعيل بمعنى الفاعل ،
وهو الذى يشهد بصحة دين الله تعالى تارة بالحجة والبيان ، وأخرى بالسيف
والسنان ، فالشهداء هم القاتمون بالقسط ، وهم الذين ذكرهم الله في قوله :
(شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط) آل عمران : ١٨ =

وذكر ابن إسحاق حديث ابن عباس المرفوع ، وفيه أن الله جعل أرواحهم في أجواف طير خضر ، وعن قتادة قال : ذكر لنا أن أرواح الشهداء تنمارف عند السدرية في أجواف طير ببيض ، وقد أنكر هذه الرواية قوم ، وقالوا : لا يكون رُوحان في جسد واحد ، وإن ذلك مُحال ، وهذا جهل بالخفايق ، فإن معنى الكلام بَيِّن ، فإن رُوح الشهيد الذي كان في جسده في الدنيا يُجمل في جسد آخر كأنه صورة طائر ، فيسكون في هذا الجسد الآخر ، كما كان في الأول ، إلى أن يُعيد الله يوم القيامة كل خلقه ، وهذه الرواية لا تُعارض ما رووه من قوله : في صور طير خضر ، والشهادة طير خضر ، وجميع الروايات كلها متفقة المعنى ، وإنما الذي يستحيل في العقل قيام حيأتين بجوهر واحد ، فيحيا الجوهر بهما جميعاً ، وأما رُوحان في جسد فليس مُحال إذا لم نُقل بتداخل الأجسام ، فهذا الجنين في بطن أمه وروحه

== ويقال للمقتول : شهيد من حيث إنه بذل نفسه في نصرته دين الله وشهادته له بأنه هو الحق ، وما سواه باطل ، وإذا كان من شهداء الله بهذا المعنى ، كان من شهداء الله في الآخرة . كما قال (وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، ولتكونوا شهداء على الناس) البقرة : ١٤٣ . وقال الأستاذ الإمام : الشهداء هم الذين أمرنا الله تعالى أن نكون منهم في قوله : (لتكونوا شهداء على الناس) وهم أهل العدل والإنصاف الذين يؤيدون الحق بالشهادة لاهله بأنهم محقون ، ويشهدون على أهل الباطل أنهم مبطلون ، ودرجتهم تلى درجة الصديقين ، والصديقون شهداء وزيادة . وأقول — أى الشيخ رشيد رضا — إن الشهادة التى تقوم بها حجة أهل الحق على أهل الباطل ، تكون بالقول والعمل والأخلاق والأحوال ، قال الشهداء هم حجة الله تعالى على المبطلين في الدنيا والآخرة بحسن سيرتهم . تفسير المنار الآية رقم ٦٩ أو ٧١ من سورة النساء .

غير رُوحِها ، وقد اشتمل عليهما جَسَدٌ واحد ، وهذا أن لو قيل لهم : إن الطائر له رُوحٌ غيرُ رُوحِ الشَّهيد ، وهما في جَسَدٍ واحد ، فكيف ، وإنما قال : في أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضِرٍ ، أى : في صورة طَيْرٍ خُضِرٍ ، كما تقول : رأيت مَدَكًا في صورة إنسانٍ ، وكذلك قوله عليه السلام : إنما نَسَمَةُ المؤمن طائرٌ يَعْلَقُ في ثَمَرِ الْجَنَّةِ ^(١) تَأْوَلَهُ بَعْضُهُمْ نَحْصُوصًا بالشَّهيد ، وقال بعضهم : إنما الشَّهيد في الْجَنَّةِ يأكل منها حيث شاء ، ثم يَأْوِي إلى قناديل مُعَلَّقَةٍ في العَرْشِ ، وغير الشَّهيد ، من المؤمنين نَسَمَتُهُ ، أى : رُوحه طائر ، لا أن رُوحه جُعِلَ في جَوْفِ طائر ، لئلا يأكل ويشرب ، كما فُعِلَ بالشَّهيد لسكن الروح نفسه طائرًا يَعْلَقُ بِشَجَرِ الْجَنَّةِ ، يَعْلَقُ بَفَتْحِ اللّامِ يَنْشَبُ بها ، ويرى مَقْعَدَهُ منها ، ومن رَوَاهُ : يَعْلَقُ فَمَعْنَاهُ يُصِيبُ الْعُلُقَةَ ، أى ينال منها ما هو دون نَيْلِ الشَّهيد ، فضرب الْعُلُقَةَ مثلاً ، لأن من أصاب الْعُلُقَةَ من الطعام والشراب فقد أصاب دون ما أصاب غيره ، مَن أدرك الرَّغَدَ ، فهو مَثَلٌ مَضْرُوبٌ يُفْهَمُ منه هذا المعنى . وإن كان أرادَ بِيَعْلَقُ ^(٢) الأكلَ نفسه ، فهو مخصوص بالشَّهيد ، فتكون

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ عَنِ الشَّافِعِيِّ عَنْ مَالِكٍ .

(٢) الْعُلُقَةُ بضم العين وسكون اللام : ما يتبلغ به من الطعام والمزك . وفي اللسان : تعلق — بفتح — التاء وضم اللام — من ثمار الجنة : تناول بأفواهها وهو تفسير الأصمعي ، وفي النهاية لابن الأثير : تعلق بضم اللام أيضاً ، وقال : أى تأكل ، وهو في الأصل للابل إذا أكلت العضاء ، فنقل إلى الطير . وما أعدد الله للشهداء هو من علم الغيب الذي هو لله وحده فلمنتحر في حديثنا عنه الخبر الصادق الذي لا ريب فيه . هذا وفي حديث الشهداء شيء من الاضطراب كما يقول الشيخ رشيد رضا في تفسير المنار - في رواية مسلم والترمذي من حديث ابن مسعود —

رواية مَنْ رَوَاهُ بِالْأَنفِ لِلشَّهَدَاءِ ، وَرَوَايَةُ الْفَتْحِ إِنْ دُونَهُمْ ، فَالَّذِي أَعْلَمَ بِمَا أَرَادَ رَسُولُهُ مِنْ ذَلِكَ .

وقوله ثُمَّ تَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ يُصَدِّقُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ ^(١) الحديد : ١٩ . وَإِنَّمَا تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ

== أَنَّهُمْ فِي خَوَاصِلِ طُيُورِ خَضِرٍ تَسْرَحُ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَامَتْ ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مَمْلُوءَةٍ تَحْتَ الْعَرْشِ ، وَفِي رَوَايَةِ عَبْدِ الرَّازِقِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ ابْنِ مَالِكٍ : « إِنْ أَرْوَاحُ الشَّهَدَاءِ فِي صُورِ طُيُورِ خَضِرٍ مَمْلُوءَةٍ فِي قَنَادِيلِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَهَا اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا مَحْبُوسَةٌ فِي مَكَانٍ خَاصٍّ ، وَالْأَوَّلُ يَضِيهِ أَنَّهَا مَطَاقَةٌ تَسْرَحُ حَيْثُ تَشَاءُ ، ثُمَّ إِنْ لَهَا مَاوِي تَأْوِي إِلَيْهِ حِينَ تَشَاءُ ، وَفِي رَوَايَةِ بَابِ الْمَكِّ وَأَصْحَابِ السَّنَنِ مَا عَدَا أَبَا دَاوُدَ أَنَّهَا فِي أَجْوَافِ خَضِرٍ تَعْلَفُ مِنْ ثَمَرِ الْجَنَّةِ أَوْ شَجَرِ الْجَنَّةِ ، وَعَبْدُ الطَّائِفَةِ وَالْقُبُورِ يَحْرِفُونَ السَّكَّامَ عَنْ مَوَاضِعِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْإِلَهِيَّةِ . فَيَضَعُونَ مَكَانَ « أَحْيَاءٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ » ، « أَحْيَاءٍ فِي قُبُورِهِمْ » ، بِغِيَةِ اسْتِهْوَاءِ النَّاسِ إِلَى عِبَادَةِ الْمَوْتَى بِالْدُّعَاءِ وَالرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ وَالْحُبِّ وَالتَّوَكُّلِ ، زَاعِمِينَ لَهُمْ أَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ لَأَنَّهُمْ « أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ » ، وَهَذِهِ الْحَيَاةُ الدَّقِيقَةُ الدَّامِيَّةُ عِنْدَ اللَّهِ حَيَاةٌ غَيْبِيَّةٌ هُوَ وَحْدَهُ جَلَّ شَأْنُهُ الْعَلِيمُ بِحَقِيقَتِهَا ، إِنَّهَا حَيَاةٌ رُوحِيَّةٌ لَا جَسَدِيَّةٌ ، لِأَنَّ الْأَجْسَادَ أَرَمَتْ وَفَنِيَتْ وَكَمْ مِنْ دُودٍ مِنْهَا طَعَمَ ، وَسَوْسُ عَاتٍ ، وَشَجَرٍ مِنْهَا نَبَتَ ، فَأَكَلْنَا ثَمَرَهُ ، وَاصْطَلَيْنَا بِنَارِهِ . فِإِذَا جَاءَ يَوْمُ الْفَصْلِ بَعَثَ اللَّهُ كُلَّ أَمْرٍ مِنْ مَرْقَدِهِ ، كَيْفَ ؟ أَوْ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِتَادِرٍ عَلَى أَنْ يَحْيِيَ الْمَوْتَى ؟ بَلَى : إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ : كُنْ فَيَكُونُ . وَلَا يَأْتِي حِينَ يَتَقَدَّمُ الْقَوْلُ بَيْنَ : كَيْفَ ، وَلَمْ - وَهَذَا هُوَ رَأْيِي - إِلَّا بِتَشَقُّقِ الْقَلْبِ بِالْتَّقَلُّقِ الْأَسْوَدِ . وَلِذَلِكَ عَنْ الْمَرَاءِ فِي شَأْنِ الْغَيْبِ ، فَالْمَرَاءُ كُفْرٌ .

(١) هُمُ الْقَائِمُونَ بِالشَّهَادَةِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَلَهُمْ ، وَعَلَى الْأَمَمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَمْ لَا يَكُونُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ إِخْبَارًا عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ؟ ثُمَّ هُوَ يَبَيِّنُ مِنَ النُّورِ الَّذِي سَيَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَاقْرَأْ مِنْ سُورَةِ الْحَدِيدِ مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : ==

ليلاً ، وتَسْرَحُ نهاراً ، فتعلم بذلك الليلَ من النهارِ ، وبعد دخول الجنة في الآخرة ، لا تأوى إلى تلك القناديل - والله أعلم - وإنما ذلك مُدَّةُ البرزخ هذا ما يدل عليه ظاهرُ الحديث . وقال مجاهد : الشهداء يأكلون من ثَمَرِ الجنةِ ، وليسوا فيها ، وقد أنكر أبو عمر قولَ مجاهد ، وردّه وايسر بمنكر عندي ، ويشهد له ما وقع في مُسْنَدِ ابن أبي شَيْبَةَ وغيره عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : الشهداء ينهر أو على نهر يقال : له : بارقٌ عند باب الجنة في قَبَابٍ خُضِرَ يأنهم رزقهم منها بُكَرَةً وَعَشِيًّا^(١) ، فهذا يبين ما أراد مجاهد ، والله أعلم .

ومما وقع السيرة أيضاً ، ولم يذكره ابن هِشَامٍ حديثُ رواه ابن إسحاق ، قال : حدثني إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، قال : حدثني بعض أهل العلم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : الشهداء ثلاثة ، فأدنى الشهداء عند الله منزلة رجل

= (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسمى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشر أنهم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار) الحديد : ١٢ فالحديث عن القيامة والجزاء فيها .

(١) لفظ أحمد والطبراني والحاكم كلهم عن ابن عباس ، الشهداء على بارق نهر يباب الجنة في قبة خضراء ، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياء . وهذا يقتضي أن بعض الروايات تدل على دخولهم الجنة وبعضها يدل على وقوفهم ببابها عند النهر . ولقد حاول ابن كثير في تفسيره الجمع ، أو المصالحة بين الصدين فقال : كان الشهداء أقسام . وقد قال الزرقاني قولاً طيباً هنا عن كلمة ابن كثير كان : وعبر بـكان ، لانه على سبيل الاحتمال لا القطع ، لأن حقيقة الحال غيب عنا ، وهي كلمة حق .

خرج مسوداً بنفسه ورَحْلِهِ ، لا يريد أن يُقتَلَ ولا يُقتَلَ^(١) أَنَاهُ سَهْمٌ غَرَبَ -
فَنَصَابُهُ ، قال : فَأَوَّلُ قَطْرَةٍ تَقْطُرُ مِنْ دَمِهِ ، يَغْفِرُ اللَّهُ بِهَا مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ،
ثُمَّ يُهَيِّطُ اللَّهُ إِلَيْهِ جَسَداً مِنَ السَّمَاءِ ، فيَجْعَلُ فِيهِ رُوحَهُ ، ثُمَّ يَصْعَدُ بِهِ إِلَى اللَّهِ ،
فَمَا يَمُرُّ بِسَّمَاءٍ مِنَ السَّمَاوَاتِ إِلَّا شَفَعَتْهُ الْمَلَائِكَةُ ، حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهِ إِلَى اللَّهِ ، فَإِذَا
انْتَهَى بِهِ إِلَيْهِ وَقَعَ سَاجِداً ، ثُمَّ يُؤَمَّرُ بِهِ فَيُسَكِّسِي سَبْعِينَ زَوْجاً مِنَ الْإِسْتَبْرَقِ ،
ثُمَّ يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَأُحْسَنِ مَا رَأَيْتُمْ مِنْ شَقَائِقِ النُّعْمَانِ .
وَجَدَّثَ كَعْبُ الْأَخْبَارِ عَنْ قَوْلِ - رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَالَ كَعْبُ
الْأَخْبَارِ : أَجَلَ كَأُحْسَنِ مَا رَأَيْتُمْ مِنْ شَقَائِقِ النُّعْمَانِ ، ثُمَّ يَقُولُ : اذْهَبُوا بِهِ
إِلَى إِخْوَانِهِ مِنَ الشُّهَدَاءِ ، فَاجْعَلُوهُ مَعَهُمْ ، فَيُؤْتَنَى بِهِ إِلَيْهِمْ فِي قُبَّةِ خَضِرَاءَ ،
فِي رَوْضَةِ خَضِرَاءَ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ يُخْرِجُ عَلَيْهِمْ حُوتٌ وَنُورٌ مِنَ الْجَنَّةِ لَعَدَاهُمْ ،
فِيَاغِيَابَهُمْ^(٢) ، حَتَّى إِذَا كَثُرَ عَجْبُهُمْ مِنْهَا طَعَنَ الثَّورُ الْحُوتَ بَقْرَتِهِ ، فَيَقْرَهُ لَهُمْ
عَمَّا يَدَّعُونَ . ثُمَّ يَرْوِحَانِ عَلَيْهِمْ لَعَشَاهُمْ ، فَيَاغِيَابَهُمْ ، حَتَّى إِذَا كَثُرَ عَجْبُهُمْ
مِنْهُمَا ضَرَبَ الْحُوتُ الثَّورَ بِذَنْبِهِ فَيَقْرَهُ لَهُمْ عَمَّا يَدَّعُونَ ، فَإِذَا انْتَهَى إِلَى
إِخْوَانِهِ سَأَلُوهُ تَسْأَلُوا^(٣) الرَّاكِبَ يَقْدُمُ عَلَيْكُمْ بِلَادَكُمْ ، فَيَقُولُونَ : مَا فَعَلَ
فُلَانٌ ؟ فَيَقُولُ : أَفْلَسَ ، فَيَقُولُونَ : فَمَا أَهْلَكَ مَا لَهُ فَوَاشِيَةٌ إِنْ كَانَ لَا كَيْسًا .
تَجْمُوعاً تَاجِراً ، فَيُقَالُ لَهُمْ : إِنَّا لَا نَعْدُ الْفَلَسَ مَا تَعْدُونَ ، وَإِنَّمَا نَعْدُ الْفَلَسَ مِنَ
الْأَعْمَالِ ، فَمَا فَعَلَ فُلَانٌ وَامْرَأَتُهُ فُلَانَةٌ ؟ فَيَقُولُ : طَلَّقَهَا ، فَيَقُولُونَ : فَمَا الْفُلَانِيَّةُ

(١) فِي نَسْخَةٍ: يَرِيدُ أَنْ يُقْتَلَ ، وَلَا يُقْتَلَ (٢) فِي نَسْخَةٍ: فَيَلْبِغُهُمْ -

(٣) مَكْذُوبٌ فِي الْأَصْلِ .

تَرَكَلْ بَيْنَهُمَا ، حَتَّى طَانَهَا ، فَوَاللَّهِ إِنْ كَانَ بِهَا كَمُعْجَبًا ؟ فَيَقُولُونَ : مَا فَعَلَ فَلَانُ ؟
فَيَقُولُونَ : مَاتَ أُنْهَاتَ قَبْلَ بَرْمَانَ ، فَيَقُولُونَ : هَلَكَ وَاللَّهِ مَا سَمِعْنَا لَهُ بِذِكْرٍ ،
إِنَّ اللَّهَ طَرِيقَيْنِ ، أَحَدُهُمَا : عَلَيْنَا ، وَالْآخَرُ : يَخَالِفُ بِهَا عَنَّا ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ
خَيْرٍ أَمْرًا بِهِ عَلَيْنَا ، فَقَرَفَنَاهُ ، وَعَرَفَنَاهُ مَتَى مَاتَ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ شَرٍّ خُورَفَ
بِهِ عَنَّا ، فَلَمْ تَسْمَعْ لَهُ بِذِكْرٍ ، هَلَكَ وَاللَّهِ فَلَانُ ، فَإِنْ هَذَا لِأَدْنَى الشَّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ
مَنْزِلَةً ، وَإِنْ الْآخَرُ رَجُلٌ خَرَجَ مَسُودًا بِنَفْسِهِ وَرَحْلِهِ يُحِبُّ أَنْ يُقْتَلَ ،
وَلَا يُقْتَلَ ، أَنَاهُ سَهْمٌ غَرِبَ فَأَصَابَهُ ، فَذَلِكَ رَفِيقُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ يَحْكُ رُكْبَتَاهُ رُكْبَتَيْهِ ، وَأَفْضَلُ الشَّهَدَاءِ : رَجُلٌ خَرَجَ مَسُودًا بِنَفْسِهِ
وَرَحْلِهِ يُحِبُّ أَنْ يُقْتَلَ وَأَنْ يُقْتَلَ ، وَقَاتَلَ حَتَّى قَتَلَ قَعَصًا فَذَلِكَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَاهِرًا سَيْفَهُ ، يَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ ، لَا يَسْأَلُهُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ . وَقَعَ
فِي هَذَا الْحَدِيثِ ذِكْرُ الْحَوْتِ وَآعِيهِ مَعَ الثَّوْرِ وَقَدْ خَرَّجَهُ هَمَّادُ بْنُ السَّرِيِّ
بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ فِي كِتَابِ الرِّقَاقِ لَهُ بِأَكْثَرِ مَا وَقَعَ هَاهُنَا ، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْهُ
ذِكْرُ أَكْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ كَبِدِ الْحَوْتِ أَوَّلَ مَا يَأْكُلُونَ ، ثُمَّ يُنَحَّرُ لَهُمْ
تَوَرُّ الْجَنَّةِ ، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ بَابِ التَّفَكُّرِ وَالْإِعْتِبَارِ أَنَّ الْحَوْتِ لَمَّا كَانَ
عَلَيْهِ قَرَرٌ هَذِهِ الْأَرْضُ ^(١) ، وَهُوَ حَيَّوَانٌ سَابِغٌ لَيْسَتْ تَشْمُرُ أَهْلُ هَذِهِ الدَّارِ أَنَّهُمْ
فِي مَنْزِلٍ قُلْعَةٍ ، وَلَيْسَ بِدَارٍ قَرَارٍ ، فَإِذَا نُحِرَ لَهُمْ ، قَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ،
فَنُكِّلُوا مَنْ كَبِدِهِ ، كَانَ فِي ذَلِكَ إِشْعَارٌ لَهُمْ بِالرَّاحَةِ مِنْ دَارِ الزَّوَالِ ، وَأَنَّهُمْ
قَدْ صَارُوا إِلَى دَارِ الْقَرَارِ ، كَمَا يُذْبَحُ لَهُمُ الْكَذْبُ الْأَمْلَحُ عَلَى الصِّرَاطِ ، وَهُوَ

(١) ذَلِكَ كَانَ مَبْلَغُ عِلْمِ عَصَرِهِ عَنِ الْأَرْضِ ، وَلِهَذَا يَجِبُ النَّظَرُ فِيمَا بَنَاهُ عَلَيْهِ .

صورة الموت لَيْسَتْ شَعْرُوا أَنْ لَمْ يَمُوتَ ، وأما الثورُ فهو آلةُ الحَرْثِ ، وأهلُ
الدنيا لا يخلون من أحد الحَرْثَيْنِ ، حَرْثِ لَدُنْيَاهُم ، وحَرْثِ لَأَخْرَاهُم ، ففي
نَحْرِ الثَّوْرِ لهم هنالك إشعارٌ بإِراحَتهم من السَّكْدَيْنِ وثَرَفِيهِم من نَصَبِ
الحَرْثَيْنِ ، فاعتبر ، والله المستعان .

إِغْمَالُ ابْنِ إِسْحَاقَ نَسَبُ عُبَيْرِ بْنِ التَّيْهَانِ :

فصل : وذكر ابن إسحاق فيمن استشهد يوم أُحُدٍ عُيَيْدُ بْنُ التَّيْهَانِ . واسم
التَّيْهَانِ : مَالِكٌ ، ولم يرفع نَسَبَهُ ، وكذلك فعل في هذا النسب حيث وقع في هذا
الكتاب ، وهو نَسَبٌ مُخْتَلَفٌ فيه ، وقد رفعناه عند ذكر أَبِي النَّهْشَمِ ، وذكرنا
الْخِلَافَ فيه هنالك .

وقول كعب بن مالك :

ولا مِثْلَ أَضْيَافِ الْأَرَاثِيِّ مَفْشَرًا

بمعنى : أبا النَّهْشَمِ ، فجعله إِرَاشِيًا ، وليست إِرَاشَةٌ من الْأَنْصَارِ ، ونسبه
موسى بن عُقْبَةَ في جماعة معه إلى بَلِيٍّ ، وقالوا هو حَلِيفُ الْأَنْصَارِ ، وليس من
من أنفسهم ، وقال ابن إسحاق والوافدي في المستشهد يوم أُحُدٍ : عُيَيْدُ بْنُ
التَّيْهَانِ ، وقال ابنُ عُقْبَةَ ، وأبو مَفْشَرٍ ، وابنُ عَمْرَةَ : هو عَمِيكُ بْنُ التَّيْهَانِ ^(١) .

(١) ذكر ذلك ابن حريز في الاستمعات .

أَبُو حَنَّةٍ أَوْ حَبَّةٌ :

وذكر فيهم أبا حَبَّةَ الأنصاري البَذْرِيّ ، وقال ابن هشام أبو حَنَّةَ بن ثابت بالنون ، وكذلك قال الواقدي ، قال : ليس فيمن شهد يوم بدرٍ من اسمه أبو حَبَّةَ بالباء ، وكذلك روى موسى بن عُقْبَةَ عن ابن شهاب : أبو حَنَّةَ بالنون شهد بدرًا ، واستشهد يوم أُحُد ، وهو من الأوس ، واسمه ثابت ، وقيل : عمرو بن ثابت ، والاختلاف في اسمه ، وفي كُنْيَتِهِ كثيرٌ . وأما أبو حَبَّةَ المستشهد يوم اليمامة ، فهو أبو حَبَّةَ بن غُزَيَّةَ بالباء المنقوطة بواحدة من أسفل ، ولم يخالف في ذلك إلا من لا يؤثبه بقوله ، واسمه : زَيْد بن غُزَيَّةَ بن عمرو ، وهو من الخزرج ، والأول من الأوس ، وقد قيل في الأول : أبو حَيَّةَ : (١) بياء معجمة باثنتين ، فالله أعلم .

وَحَنَّةٌ بالنون : دَيْرُ حَنَّةَ معروف (٢) بالشام ، وَحَنَّةُ أُمُّ مَرْيَمَ بنتِ عِمْرَانَ ، وَحَنَّةٌ بِنَاءٌ منقوطة بنتُ يَحْيَى بن أَكْثَمَ القاضِي ، وهي أُمُّ مُحَمَّدِ بن نصر المَرْوَزِيِّ النقيه (٣) وَحَنَّةٌ بالجيم لا يعرف إلا أبو حَنَّةَ خَالُ ذِي الرُّمَّةَ للشاعر ، قاله ابن مَكُولَا .

(١) هو في السيرة : أبو حية بالياء .

(٢) في معجم البكري أنه دير قديم بناه بنو ساطع حى من تنوخ ، وهو بالحيرة . والحيرة بالعراق . ودير حنة آخر ، وهو بالأكيراج ، وقد ذكره أبو نواس في شعره . والأكيراج موضع بالحيرة .

(٣) في القاموس أنها أخت يحيى وزوجة محمد بن نصر .

ذكر ما قيل من الشعر يوم أحد

شعر هبيرة

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر في يوم أحد ، قول هُبَيْرَةَ
ابن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم - قال ابن هشام :
عائذ: ابن عمران بن مخزوم :

ما بالُ هَمْ عَمِيدٍ باتَ بِطَرْفِي	بالود من هند إذ تعدو عَوادِها
باتتُ نَعَاتِيْنِي هِنْدٌ وَتَعَذُّلِي	والحربُ قد شَغِلَتْ عَنِّي مَوَالِيها
مَهْلًا فَلَا تَعَذُّلِيْنِي إِنَّ مِنْ خُلُقِي	ما قد عَلِمْتُ وما إِن لَسْتُ أَخْفِيها
مُسَاعِفُ لَبَنِي كَعْبٍ بِمَا كَلِفُوا	تَحَالُ عِبْنٌ وَأُنْقَالُ أَعَانِيها
وقد حَمَلْتُ سِلَاحِي فَوْقَ مُشْرِفِ	سَاطِ سَبُوحٍ إِذَا تَجَمَّرِي يُبَارِيها
كَأَنَّهُ إِذْ جَرَى عَـيْرٌ بِفَذْفَذَةٍ	مُسَكَّدٌ لَّا حِقٌّ بِالْعَوْنِ يَحْمِيها
مَنْ آلَ أَعْوَجَ يَرْتَاحَ النَّدَى لَهُ	كَجَذَعِ شَفْرَاءِ مُسْتَقْعَلٍ مَرَايِيها
أَعْدَدْتُهُ وَرِفاقَ الْحَدِّ مُنْتَخِلًا	وَمَارِنًا لُخْطُوبٍ قَدْ أَلَايِيها

وذكر فيمن استشهد يوم أحد عبد الله بن سلمة العجلاني، سلمة بفتح
اللام تقيده في الأصل ، وفي الأصول الصحاح من رواية ابن هشام ، وذكره
الدارقطني في باب سلمة بكسر اللام ، وأخبر أنها رواية إبراهيم بن سعد
عن ابن إسحاق ، وكذلك ذكر أبو عمر أيضا أنها رواية إبراهيم بن سعد ،
والله أعلم .

هذا وبَيْضَاءَ مِثْلِ الْمُهَيِّ مُحْكَمَةً نِيِطَتْ عَلَى فَمَا تَبْدُو مَسَاوِيَهَا
سُقْمًا كِنَانَةً مِنْ أَطْرَافِ ذِي يَمَنٍ عُرِضُ الْبِلَادِ عَلَى مَا كَانَ يُزْجِيهَا
قَالَتْ كِنَانَةٌ : أَنَى تَذْهَبُونَ بِنَا ؟ قُلْنَا : النُّخَيْلُ ، فَأَمْوَاهَا وَمَنْ فِيهَا
نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الْجَرِّ مِنْ أَحَدٍ هَابَتْ مَعَدَّةٌ فَقُلْنَا نَحْنُ نَأْتِيهَا
هَابُوا ضِرَابًا وَطَعْنَا صَادِقًا خَذِمًا مِمَّا يَرَوْنَ وَقَدْ ضُمَّتْ قَوَاصِيهَا
تُمَتَّ رُحْنَا كَأَنَّا عَارِضٌ بَرْدٌ وَقَامَ هَامُ بَنَى النَّجَّارِ يَبْكِيهَا
كَأَنَّ هَامَهُمْ عِنْدَ الْوَغَى فُلِقَ مِنْ قَيْضِ رُبْدٍ نَفَثَهُ عَنْ أَدَاحِيهَا
أَوْ حَنَظَلَ ذَعْدَةً الرِّيحِ فِي غُصْنٍ بِالِ تَعَاوَرِهِ مِنْهَا سَوَافِيهَا
قَدْ نَبَذَ الْمَالَ سَحًّا لِاحِسَابٍ لَهُ وَنَطَعْنَ الْخَلِيلَ شَزْرًا فِي مَاقِيهَا
وَالَيْلَةُ يَصْطَلِي بِالْفَرَثِ جَازِرُهَا يَخْتَصُّ بِالزَّقَرَى الْمُثْرَيْنَ دَاعِيهَا
وَالَيْلَةُ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أُنْدِيَةٍ جَرَبًا مُجَادِبَةً قَدْ بَتَّ أَمْرِيهَا
لَا يَنْبِجُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ مِنَ الْقَرَبِيسِ وَلَا تَنْشُرِي أَفَاعِيهَا
أَوْ قَدْتُ فِيهَا لَذَى الْقَصْرَاءِ جَاحِمَةٍ كَالْبَرْقِ ذَاكِيَةِ الْأَرْكَانِ أَحْمِيهَا
أَوْ رَنَنِي ذَاكُمْ عَمَرُو وَوَالِدُهُ مِنْ قَبْلِهِ كَانَ بِالْمَشْنَى يُغَالِيهَا
كَانُوا يُبَارُونَ أَنْوَاءَ النُّجُومِ فَمَا دَنَّتْ عَنِ السَّوَرَةِ الْعُلْيَا مَسَاعِيهَا

شعر حسان في الرد على هبيرة

قال ابن إسحاق : فأجابه حسان بن ثابت ، فقال :

سُقْمٌ كِنَانَةٌ جَهْلًا مِنْ سَفَاهَتِكُمْ إِلَى الرَّسُولِ مُجْنَدُ اللَّهِ مُخْزِيهَا

أَوْزَدْتُمُوهَا حِيَاضَ الْمَوْتِ ضَاحِيَةً فَالْفَأْرُ مَوْعِدُهَا ، وَالْقَتْلُ لَا قِيَهَا
تَجَمَّعْتُمُوهَا أَحَابِيْشًا بِلَا حَسَبٍ أُمَّةُ الْكُفْرِ غَرَّتْكُمْ طَوَاغِيَهَا
أَلَا اعْتَبَرْتُمْ بِخَيْلِ اللَّهِ إِذْ قَتَلَتْ أَهْلَ الْقَلِيبِ وَمَنْ أَلْقَيْنَهُ فِيهَا
كَمْ مِنْ أُسَيْرٍ فَكَكْنَاهُ بِلَا تَمَنٍّ وَجَزَ نَاصِيَةٍ كُنَّا مَوَالِيَهَا

قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لسكيب بن مالك :

قال ابن هشام : ويئت هُبيرة بن أبي وهب الذي يقول فيه :
وَلَيْلَةٌ يَصْطَلِي بِالْفَرثِ جَازِرُهَا يَخْتَصُّ بِالنَّمَرِ الْمُثْرَيْنِ دَاعِيَهَا
يروى لجنوب ، أخت عمرو ذى السكائب الهذلي ، في أبيات لها في غير
يوم أحد .

شعر كعب في الرد على هبيرة

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يُجيب هُبيرة بن أبي وهب أيضاً :

أَلَا هَلْ أَتَى غَسَّانَ عَفَاً وَدُونَهُمْ مِنْ الْأَرْضِ خَرَقَ سَيْرُهُ مُتَنَمِّعٍ
صَحَارٍ وَأَعْلَامٌ كَأَنَّ قَتَامَهَا مِنْ الْبُعْدِ نَفْعٌ هَامِدٌ مُتَقَطِّعٍ
تَظَلَّ بِهِ الْبَزْلُ الْعَرَامِيْسُ رُزْحًا وَيَخْلُو بِهِ غَيْثُ السَّنَنِ فَيُزْرِعُ
بِهِ جَيْفُ الْخُسْرِى يَلُوحُ صَلَابُهَا كَمَا لَاحَ كَتَانُ التَّجَارِ الْمَوْضِعِ
بِهِ الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِينَ خَلْفَةً وَبَيْضُ نَعَامٍ قَيْضُهُ يَتَقَلِّعُ
يَجَالِدُنَا عَنْ دِينِنَا كُلًّا فَخِمَةً مَذْرَبَةٍ فِيهَا الْقَوَانِسُ تَلْمَعُ

وكل صَمُوتٍ فِي الصَّوَانِ كَأَنَّهَا إِذَا لُبِسَتْ تَتَمَيَّ مِنْ الْمَاءِ مُتَرَعٍ
 وَلَكِنْ يَبْدُرُ سَائِلُوا مَنْ لَقِيْتُمْ مِنَ النَّاسِ وَالْأَنْبَاءِ بِالْغَيْبِ تَدْفَعُ
 وَإِنَّا بِأَرْضِ الْخَوْفِ لَوْ كَانَ أَهْلُهَا سَوَانًا لَقَدْ أَجَلُوا بِذَلِيلٍ فَأَقْسَمُوا
 إِذَا جَاءَ مِنَّا رَاكِبٌ كَانَ قَوْلُهُ أَعْدُوا لِمَا يُزْجِي ابْنَ حَرْبٍ وَيَجْمَعُ
 فَمَهْمًا بِهِمُ النَّاسَ مَا يَكِيدُنَا فَتَحْنُ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ أَوْسَعُ
 فَلَوْ غَيْرُنَا كَانَتْ جَمِيعًا تَسْكِيْدُهُ السَّبِيْرَةُ قَدْ أَعْطَوْا يَدًا وَتَوَزَّعُوا
 تَجَالِدٍ لَا تَبْقَى عَلَيْنَا قَبِيْلَةٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يَهَابُوا وَيَنْظُمُوا
 وَلَمَّا ابْتَدَأُوا بِالْعَرْضِ قَالَ سَرَاتُنَا عَلَامَ إِذَا لَمْ تَمْنَعِ الْعِرْضَ زَرْعُ؟
 وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ تَنْدُبُ أَمْرُهُ إِذَا قَالَ فِينَا الْقَوْلُ لَا تَطْلُعُ
 تَدَلَّى عَلَيْهِ الرُّوحُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ يُنَزَّلُ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ وَيُرْفَعُ
 تُشَاوِرُهُ فِيمَا يُرِيدُ وَتَقْصُرُنَا إِذَا مَا اشْتَمْنِ أَنَا نَطِيعُ وَنَسْمَعُ
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا بَدَأُوا لَنَا ذَرُّوْا عَنْكُمْ هَوْلَ الْمَنِيَّاتِ وَاطْمَعُوا
 وَكُونُوا كَمَنْ يَشْرِي الْحَيَاةَ تَقَرُّبًا إِلَى مَلِكٍ يُحْسِنُ لَدَيْهِ وَيُرْجِعُ
 وَلَكِنْ خُذُوا أَسْيَافَكُمْ وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ إِنَّ الْأَمْرَ لِلَّهِ أَجْمَعُ
 فَسَرْنَا إِلَيْهِمْ جَهْرَةً فِي رِحَالِهِمْ ضَحِيًّا عَلَيْنَا الْبَيْضُ لَا تَنْخَشَعُ
 بِمَلَكُومَةٍ فِيهَا السَّنَوْرُ وَالْقَنَا إِذَا ضَرَبُوا أَقْدَاءَهَا لَا تَوَرَّعُ
 فَجِئْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ وَسَطَهُ أَحَابِيشُ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمُقَنَّعُ
 فَلَامَةُ آلَافٍ وَنَحْنُ نَصِيَّةُ ثَلَاثَ مِثْنٍ إِنْ كَثُرْنَا وَأَرْبَعُ

نُفَاوَرُهُمْ تَجْرِي الْمَنِيَّةُ بَيْنَنَا
تَهَادَى قَيْسُ النَّبْعِ فِينَا وَفِيهِمْ
يَوْمَ مَجْجُوقَةٍ حَرَمِيَّةٍ صَاعِدِيَّةٍ
نَضُوبُ أَبْدَانِ الرَّجَالِ وَنَارَةٌ
وَوَحِيلٌ تَرَاهَا بِالْفَضَاءِ كَأَنَّهَا
فَلَمَّا تَلَاقَيْنَا وَدَارَتْ بِنَا الرَّحَى
خَضِرَ بَنَاهُمْ حَتَّى تَرَ كُنَّا سَرَائِهِمْ
لَمَّا دُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى اسْتَفَقْنَا عَشِيَّةً
وَوَرَا حَوَا سِرَاعًا مُوجِفِينَ كَأَنَّهُمْ
مُورُحُنَا وَأَخْرَانَا بِطَلَا كَأَنَّنَا
فَعَلْنَا وَنَالَ الْقَوْمُ مِنَّا وَرَبَّمَا
وَدَارَتْ رَحَانَا وَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ
وَنَحْنُ أَنَاسٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً
جِلَادٌ عَلَى رَيْبِ الْحَوَادِثِ لَا تَرَى
بَنُو الْحَرْبِ لَا نَعْنِيَا بِشَيْءٍ نَقُولُهُ
بَنُو الْحَرْبِ إِنْ نَظَفَرْنَا فَلَسْنَا بِفُحْشٍ
وَكُنَّا شُهَابًا يَتَّقِي النَّاسُ حَرَّهُ
فَخَرَّتْ عَلَى ابْنِ الزَّبْعَرِيِّ وَقَدْ سَرَى

نُشَارِعُهُمْ حَوْضَ التَّنَايَا وَنُشْرِعُ
وَمَا هُوَ إِلَّا الْيَسْرِيُّ الْمُقَطَّعُ
يُذَرُّ عَلَيْهَا السَّمُّ سَاعَةً تُصْنَعُ
تَمَرُّ بِأَعْرَاضِ الْبِصَارِ تَقْفَعُ
جَرَادٌ صَبَا فِي قَرَّةٍ يَتَرَبَّعُ
وَلَيْسَ لِأَمْرِ حَمِّهِ اللَّهُ مَدْفَعُ
كَأَنَّهُمْ بِالْقَاعِ خُشْبٌ مُقَرَّعُ
كَأَنَّ ذَكَانَا حَرًّا نَارٌ تَلْفَعُ
جِهَامٌ هَرَاقَتْ مَاءَهُ الرِّيحُ مُقْلَعُ
أَسْوَدٌ عَلَى لَحْمٍ بَيْبِشَةٌ ظَلَمُ
فَعَلْنَا وَلَكِنْ مَا لَدَى اللَّهِ أَوْسَعُ
وَقَدْ جُمِعُوا كُلٌّ مِنَ الشَّرِّ بِشَبَعُ
عَلَى كُلِّ مَنْ يَحْمِي الدَّمَارَ وَيَسْنَعُ
عَلَى هَالِكٍ عَيْنَا لَنَا الدَّهْرُ تَدْمَعُ
وَلَا نَحْنُ مِمَّا جَرَتْ الْحَرْبُ نَجْزَعُ
وَلَا نَحْنُ مِنْ أَطْفَارِهَا تَتَوَجَّعُ
وَيَفْرُجُ عَنْهُ مِنْ يَلِيهِ وَيَسْنَعُ
لَكُمْ طَلَبٌ مِنْ آخِرِ الْأَيْلِ مُتَّبِعُ

فَقَسَلْ عَنْكَ فِي عُلْيَا مَعْدٍّ وَغَيْرِهَا مِنْ النَّاسِ مَنْ أَخْزَى مَقَامًا وَأَشْنَعَمَ
وَمَنْ هُوَ لَمْ تَتْرُكْ لَهُ الْحَرْبُ مَفْخَرًا وَمَنْ خَذَهُ يَوْمَ الْكَرْبَةِ أَضْرَعُ
شَدَدْنَا بِحَوْلِ اللَّهِ وَالنَّصْرِ شَدَّةً عَلَيْكُمْ وَأَطْرَافُ الْأَسِنَّةِ سُرْعَةً
تَكْرَرُ الْقَنَا فِيكُمْ كَأَنَّ فُرُوعَهَا عَزَالَى مَزَادِ مَاؤُهَا يَتَهَزَّعُ
عَمَدُنَا إِلَى أَهْلِ الْأَوَاءِ وَمَنْ يَطْرُ بِذِكْرِ الْأَوَاءِ فَمَوْ فِي الْحَدِّ أَشْرَعُ
نَخَانُوا وَقَدْ أَعْطَوْا بَدَأً وَتَحَاذَلُوا أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَمْرَهُ وَهُوَ أَصْنَعُ

قال ابن هشام : وكان كعب بن مالك قد قال :

مَجَالِدُنَا عَنْ جِذْمِنَا كُلِّ نَفْمَةٍ

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُصْلِحُ أَنْ تَقُولَ : مَجَالِدُنَا عَنْ دِينِنَا ؟ فَقَالَ كَعْبٌ : نَعَمْ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَهُوَ أَحْسَنُ ؛ فَقَالَ كَعْبٌ : مَجَالِدُنَا عَنْ دِينِنَا .

شعر لابن الزبيري

قال ابن إسحاق : وقال عهد الله بن الزبيري في يوم أحد :

يَا غُرَابَ الْبَيْنِ أَسْمَعْتَ فَقُلْ إِنَّمَا تَنْفِطِقُ شَيْئًا قَدْ فُعِلَ
إِنَّ لِلْخَيْرِ وَاللَّشْرِ مَدَى وَكِلَا ذَلِكَ وَجْهٌ وَقَبْلُ
وَالْمَطِيَّاتُ خِسَاسٌ بَيْنَهُمْ وَسَوَاءٌ قَبْرٌ مُثْرٍ وَمُقْبَلُ
كُلُّ عَيْشٍ وَنَعِيمٍ زَائِلٌ وَبَنَاتُ الدَّهْرِ يَنْتَعِنُ بِكُلِّ

أَبْلَغَنَ حَسَّانَ عَنِّي آيَةً فَقَرِيضَ الشَّعْرِ يَشْفِي ذَا الْقَتْلِ
 كَمْ تَرَى بِالْجُرَّةِ مِنْ بُجْجُمَةٍ وَأَكْفَةً قَدْ أَثَرَتْ وَرِجْلَ
 وَمَرَّابِيلَ حِسَانٍ سُرِبَتْ عَنْ كُنَاةِ أَهْلِكُوا فِي الْمُنْتَرَلِ
 كَمْ قَتَلْنَا مِنْ كَرِيمٍ سَيِّدٍ مَاجِدِ الْجَدِّينِ مِقْدَامَ بَطْنِ
 صَادِقِ الذَّجْدَةِ قَرْمٍ بَارِعٍ غَيْرِ مُلْتَاثٍ لَدَى وَقَعِ الْأَسْلِ
 قَسَلِ الْمِهْرَاسِ مَنْ سَاكِنُهُ ؟ بَيْنَ أَقْحَافٍ وَهَامٍ كَالْحَجَّالِ
 لَيْتَ أَشْيَاخِي يَبْذُرُ شَهْدُوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ مَنْ وَقَعِ الْأَسْلِ
 حِينَ حَكَّتْ بُقْبَاءُ بَرَكَهَا وَاسْتَحَرَّ الْقَتْلُ فِي عَبْدِ الْأَسْلِ
 مُمٌّ خَفُوا عِنْدَ ذَاكُمْ رُقْعَا رَقَصَ الْحَفَّانِ يَمْلُو فِي الْجَبَلِ
 فَقَتَلْنَا الضَّعُفَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَعَدَلْنَا مَيْلَ بَذْرِ فَاعْتَدَلِ
 لَا أُلُومَ النَّفْسِ إِلَّا أَنَّا لَوْ كَرَرْنَا لَقَتَلْنَا الْمُفْتَقِلِ
 بِسُيُوفِ الْهِنْدِ تَعْلُو هَامَهُمْ عَلَلَّا تَعْلُومَ بَعْدَ نَهْلِ

رد حسان على ابن الزبيري

فأجابه حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه ، قال :

ذَهَبَتْ يَا بْنَ الزَّبَيْرِي وَقَعَةٌ كَانَ مَنَّا الْفَضْلُ فِيهَا لَوْ عَدَلِ
 وَلَقَدْ نَلْتُمُ وَنَلْنَا مِنْكُمْ وَكَذَلِكَ الْحَرْبُ أَحْيَانًا دَوْلِ
 نَضَعَ الْأَسْيَافَ فِي أَكْتَافِكُمْ حَيْثُ نَهَوِي عَلَلَّا بَعْدَ نَهْلِ
 نُخْرِجُ الْأَصْبَحَ مِنْ أَسْتَاهِكُمْ كَسُلَاحِ النَّيْبِ يَا كَلْنَ الْقَصَلِ

إِذْ تَوَلَّوْنَ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ هُرَّابًا فِي الشُّعْبِ أَشْبَاهَ الرِّسَالِ
 إِذْ شَدَدْنَا شِدَّةً صَادِقَةً فَأَجَانَاكُمْ إِلَى سَفْحِ الْجَبَلِ
 بِخَنَاطِيلٍ كَأَشْرَافِ الْمَلَا مَنْ يُبَلِّغُونَهُ مِنَ النَّاسِ يَهْلُ
 ضَاقَ عَنَّا الشُّعْبُ إِذْ نَجَزَعُهُ وَمَلَأْنَا الْفَرْطَ مِنْهُ وَالرَّجَلَ
 بِرِجَالٍ أَسْمُ أَمْثَالِهِمْ أَبَدُوا جَبْرِيلَ تَصْرًا فَتَزَلَّ
 وَعَلَوْنَا يَوْمَ بَدْرٍ بِالتَّقَى طَاعَةَ اللَّهِ وَتَصَدِّقَ الرُّسُلِ
 وَقَتَلْنَا كُلَّ رَأْسٍ مِنْهُمْ وَقَتَلْنَا كُلَّ جَحْجَاحٍ رِفْلَ
 وَتَرَكْنَا فِي قُرَيْشٍ عَوْرَةً يَوْمَ بَدْرٍ وَأَحَادِيثَ الْمَثَلِ
 وَرَسُولُ اللَّهِ حَقًّا شَاهِدٌ يَوْمَ بَدْرٍ وَالتَّنَائِيلِ الْهَيْلِ
 فِي قُرَيْشٍ مِنْ جُمُوعٍ جُمُوعُوا مِثْلَ مَا يُجْمَعُ فِي الْخِصْبِ الْهَمَلِ
 نَحْنُ لَا أَمْثَالَكُمْ وَلَدَ اسْتَهَا نَحْضُرُ النَّاسَ إِذَا الْبَاسُ نَزَلَ

قال ابن هشام : وأشدني أبو زيد الأنصاري : « وأحاديث المثل » والبيت
 [المدى قبله . وقوله : « في قريش من جموع جُمُوعوا » عن غير ابن إسحاق .

شمر كعب في بكاء حمزة وقتلى أحد

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يبكي حمزة بن عبد المطلب وقتلى
 أحد من المسلمين :

نَشَجْتَ وَهَلْ لَكَ مِنْ مَنَشَجٍ وَكُنْتَ مَتَى تَذَكِّرُ تَلَجَجَ
 تَذَكَّرَ قَوْمٍ أَنَانِي لَهُمْ أَحَادِيثُ فِي الزَّمَنِ الْأَعْوَجِ

فَقَالَتْكَ مِنْ ذِكْرِهِمْ خَافَقُ مِنْ الشَّوْقِ وَالْحَزَنِ الْمُنْضِجِ
وَقَتْلَاهُمْ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ كَرَامُ الدَّخْلِ وَالْمَخْرَجِ
بِمَا صَبَرُوا تَحْتَ ظِلِّ الْأَوَّاءِ لَوَاءِ الرُّسُولِ بَدَى الْأَضْوَجِ
غَدَاةُ أَجَابَتْ بِأَسْيَافِهَا جَمِيعًا بَنُو الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ
وَأَشْيَاعُ أَحْمَدَ إِذْ شَابَعُوا عَلَى الْحَقِّ ذِي النُّورِ وَالْمَنْهَجِ
فَمَا بَرِحُوا يَغْزِرُونَ السَّكَاةَ وَيَنْصُونَ فِي الْقَسْطِ الْمُرْهَجِ
كَذَلِكَ حَتَّى دَعَاكُمْ مَلِكُ إِلَى جَنَّةِ دَوْحَةِ الْمَوْلِجِ
فَكَلَّمَهُمْ مَاتَ حُرُّ الْبَلَاءِ عَلَى مِلَّةِ اللَّهِ لَمْ يَخْرَجِ
تَكْمِرَةً لَمَّا وَفَى صَادِقًا بَدَى هَبَّةٍ صَارِمٍ سَاجِدِجِ
فَلَاقَاهُ عَبْدُ بَنِي نَوَافِلِ يُبْرِزُ كَالْجَمَلِ الْأَذْعَجِ
فَلَوْ جَرَهُ حَرْبَةً كَالْشَّهَابِ تَلَّهَبُ فِي اللَّهَبِ الْمَوْهَجِ
وَتُعْمَانُ أَوْفَى بِمِثَاقِهِ وَحَنَظَلَةُ الْخَيْرِ لَمْ يُخْنَجِ
عَنِ الْحَقِّ حَتَّى غَدَتْ رُوحُهُ إِلَى مَنْزِلِ فَخْرِ الزُّبُرِجِ
أُولَئِكَ لَا مَنَ نَوَى مَعَكُمْ مِنَ النَّارِ فِي الدَّرَكِ الْمُرْتَجِجِ

شعر ضرار في الرد على كعب

فأجابه ضرار بن الخطَّاب الفهري ، فقال :

أَبْجَزِعَ كَعْبٌ لِأَشْيَاعِهِ وَيَبْكِي مِنَ الزَّمَنِ الْأَعْوَجِ
عَجِيجَ الْمُدْكِيِّ رَأَى إِلْفَهُ تَرَوْحَ فِي صَادِرِ مُخْنَجِ

فَوَاحِ الرِّوَايَا وَغَاذَرْنَهُ يُعْجَمُ قَسْرًا وَلَمْ يُخْجَجْ
 فَنُؤَلَّا لَكُمِبِ مُبْتَنَى الْبُكَاءِ وَاللَّيْءِ مِنْ لَحْمِهِ يَنْفُجْ
 لِمَضْرَعِ إِخْوَانِهِ فِي مَكْرَرٍ مِنَ الْخَلِيلِ ذِي قَسْطٍ مُرْهَجْ
 فَيَالَيْتَ عَمْرًا وَأَشْيَاعَهُ وَعُقْبَةً فِي جَمْعِنَا السَّوْجِ
 فَيَسْتَفُوا الثُّفُوسَ بِأَوْتَارِهَا بِقَتْلَى أُصِيبَتْ مِنَ الْخُزْجِ
 وَقَتْلَى مِنَ الْأَوْسِ فِي مَعْرَكٍ أُصِيبُوا جَمِيعًا بِذِي الْأَضُوجِ
 وَمَقْتَلِ حِمَزَةٍ تَحْتَ الْأَوَاءِ بِمُطَرِّدٍ ، مَارِنٍ ، مُخْلَجِ
 وَحَيْثُ انْتَهَى مُصْعَبُ نَاوِيَا بِضَرْبَةِ ذِي هَبَّةٍ سَلْجَجِ
 بِأَحَدٍ وَأَسْيَافُنَا فِيهِمْ تَلَهَّبُ كَالْتَلَهَّبِ الْمَوْهَجِ
 غَدَاةَ لَقِينَاكُمْ فِي الْحَدِيدِ كَأَسَدِ الْإِبْرَاحِ فَلَمْ تُفْجَعْ
 بِكُلِّ مَجْلَحَةٍ كَالْعُقَابِ وَأَجْرَدِ ذِي مَيْمَةِ مُسْرَجِ
 فَدَسْنَاهُمْ نَمًّا حَتَّى انْتَنَوْا سَوَى زَاهِقِ النَّفْسِ أَوْ يُخْرَجِ

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينسكروها لضرار . وقول
 كعب : « ذى النور والمنهج » عن أبي زيد الأنصاري .

شعر ابن الزبيري في يوم أحد

قال ابن إسحاق : وقال عبدالله بن الزبيري في يوم أحد ، يبكي القتل :
 أَلَا ذَرَفَتْ مِنْ مُقْلَتَيْكَ دُمُوعُ وَقَدْ بَانَ مِنْ حَبْلِ الشَّبَابِ قَطْوَعُ
 وَشَطَبَ بَيْنَ تَهْوَى الْمَزَارِ وَقَرَّتْ نَوَى الْحَيِّ دَارُ بِالْحَبِيبِ فَجُوعُ

وَأَنسَ لِمَا وَلَّى عَلَى ذِي حَرَارَةٍ وَإِنْ طَالَ تَذَرَأُفُ الدَّمُوعِ رُجُوعِ
فَقَدَرُ ذَا وَلَسْكَنَ هَلْ أَنَى أَمَّ مَالِكٍ أَحَادِيثُ قَوْمِي وَالْحَدِيثُ يُشِيعُ
وَمُجْتَنِبُنَا جُرْدًا إِلَى أَهْلِ يَثْرِبِ عَنَاجِجَ مِنْهَا مُتَلَدٌ وَنَزِيرِ
بِعَشِيَّةٍ سِرْنَا فِي لُثَامٍ يَقُودُنَا ضَرُورُ الْأَعَادِي لِلصَّدِيقِ نَفُوعُ
نَشْدُ عَلَيْنَا كُلَّ زَغَبٍ كَانَهَا غَدِيرٌ بِضَوْجِ الْوَادِيَيْنِ نَفِيعُ
فَلَمَّا رَأَوْنَا خَاطَطَهُمْ مَهَابَةٌ وَعَايَنَهُمْ أَمْرٌ هُنَاكَ فَظِيعُ
وَوَدُّوا لَوَانِ الْأَرْضِ يَنْشَقُّ ظُهُرُهَا بِهِمْ وَصَبُورِ الْقَوْمِ ثُمَّ جَزُوعُ
وَقَدْ عُرِيتَ بِيضٌ كَأَنَّ وَمِيزَهَا حَرِيقُ تَرَقَّى فِي الْأَبَاءِ سَرِيعُ
بَأَيْمَانِنَا نَقْلُو بِهَا كُلَّ هَامَةٍ وَمِنْهَا سِيَامٌ لِلْعَدُوِّ ذَرِيعُ
فَغَادَرْنَا قَتْلَى الْأَوْسِ غَاصِبَةً بِهِمْ ضِبَاعٌ وَطَيْرٌ يَعْتَفِنُ وَتُفُوعُ
وَجَمْعُ بَنِي النَّجَّارِ فِي كُلِّ تَلْعَةٍ بِأَبْدَانِهِمْ مِنْ وَقْعِهِنَّ تَجْمِيعُ
وَلَوْلَا عُنُو الشُّعْبِ غَادَرْنَا أَحْمَدًا وَلَسْكَنَ عَلَا وَالسَّمْهَرِيُّ شُرُوعُ
كَأَنَّ غَادَرْتُ فِي الْكَرِّ حَزْرَةَ ثَاوِيًا وَفِي صَدْرِهِ مَاخِي الشَّبَابِ وَقِيعُ
وَنَعَانِ قَدْ غَادَرْنَا تَحْتَ لَوَانِهِ عَلَى ثَلَمِهِ طَيْرٌ يَجْمُنُ وَتُفُوعُ
يَا أَخَذِ وَأَرْمَاحُ الْكَلَامَةِ يُرِذْنَهُمْ كَمَا غَالِ أَشْطَانُ الدَّلَاءِ نَزُوعُ

شعر حسان في الرد على ابن الزبيرى

فأجابه حسان بن ثابت ، فقال :

أشأقتك من أم الوليد رُبُوع بلائُقع ما من أهلٍ ينَّ جحُيعُ

عَفَاهُنَّ صَيِّفِي الرِّيحِ وَوَاكِفٌ
قَلَمٌ يَبْقَى إِلَّا مَوْفِدُ النَّارِ حَوْلَهُ
قَدَحٌ ذِكْرُ دَارٍ بَدَّدَتْ بَيْنَ أَهْلِهَا
وَقُلْ إِنْ يَكُنْ يَوْمٌ بِأَحَدٍ يَمُودُ
فَقَدْ صَابَرَتْ فِيهِ بَنُو الْأَوْسِ كُلُّهُمْ
وَحَامِي بَنُو النَّجَّارِ فِيهِ وَصَابَرُوا
أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ لَا يَخْذُلُونَهُ
وَقَوْلًا إِذْ كَفَرْتُمْ بِأَسْحَنِ رَبِّكُمْ
بِأَيْدِيهِمْ يُبَيِّضُ إِذَا سَحِشَ الْوَعَى
كَأَنَّ غَادِرَتِ فِي النَّعْمِ عُتْبَةَ ثَاوِيًا
وَقَدْ غَادِرَتْ تَحْتَ الْعَمَاجَةِ مُسْنَدًا
يَكُفُّ رَسُولُ اللَّهِ حَيْثُ تَنْصَبَتْ
أَوَّلِيكَ قَوْمٌ سَادَةٌ مِنْ قُرُوعِكُمْ
بِهِنَّ نُمِرَ اللَّهُ حَتَّى يُعِزَّنَا
فَلَا تَذْكُرُوا قَتْلِي وَحِزَّةَ فِيهِمْ
فَإِنَّ جَنَّاتِ الْخُلْدِ مَنْزِلَةٌ لَهُ
وَقَتْلًا كَمْ فِي النَّارِ أَفْضَلُ رِزْقِهِمْ

مَنْ الدَّلْوِ رَجَافُ السَّحَابِ هَمُوعٌ
رَوَاكِدُ أَمْثَالِ الْحِمَامِ كُنُوعٌ
نَوَى لِمَتِينَاتِ الْحِبَالِ قَطُوعٌ
سَفِيهٌ فَإِنَّ الْحَقَّ سَوْفَ بَشِيعٍ
وَكَانَ لَهُمْ ذِكْرٌ هُنَاكَ رَفِيعٍ
وَمَا كَانَ مِنْهُمْ فِي الْإِقَاءِ جَزُوعٌ
لَهُمْ نَاصِرٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَشَفِيعٌ
وَلَا يَسْتَوِي عَبْدٌ وَفَى وَمُضِيعٌ
فَلَا بُدَّ أَنْ يَرُدَّ مَنْ صَرِيعٌ
وَسَعْدًا صَرِيحًا وَالْوَشِيحُ شُرُوعٌ
أُبَيًّا وَقَدْ بَلَ الْقَمَيْصِ تَجْمِيعٌ
عَلَى الْقَوْمِ مِمَّا قَدْ يُثْرِنُ نُفُوعٌ
وَفِي كُلِّ قَوْمٍ سَادَةٌ وَقُرُوعٌ
وَإِنْ كَانَ أَمْرٌ بِأَسْحَنِ فَطِيعٌ
قَتِيلٌ نَوَى لِلَّهِ وَهُوَ مُطِيعٌ
وَأَمْرُ الَّذِي يَقْضِي الْأُمُورَ سَرِيعٌ
يَحْيِي مَعًا فِي جَوْفِهَا وَضَرِيعٌ

شعر عمرو بن العاص في يوم أحد

قال ابن هشام : وبمض أهل العلم بالشعر يُنكرها لحسان وابن الزبيري..
وقوله : « ماضى الشَّاة ، وطير يحفن » عن غير ابن إسحاق .

وقال ابن إسحاق : وقال عمرو بن العاصي (في) يوم أحد :

خَرَجْنَا مِنَ الْغَيْمِ عَلَيْهِمْ كَأَنَّمَا	مَعَ الصُّبْحِ مِنْ رِضْوَى الْحَبِيبِ الْمُنْطَقِ
تَمَنَّتْ بَنُو النَّجَّارِ جَهْلًا لِقَاءَنَا	لَدَى جَنْبِ سَلْمٍ وَالْأَمَانِ تَصْدُقُ
فَسَا رَاعَهُمُ بِالْشَّرِّ إِلَّا فُجَاءَةً	كَرَادِيسَ خَيْلٍ فِي الْأَزِقَّةِ تَمْزُقُ
أَرَادُوا لِسْكِيًا يَسْتَدِيحُوا قِبَابَنَا	وَدُونَ الْقِبَابِ الْيَوْمَ ضَرْبُ مُحَرَّقِ
وَكُنْتَ قِبَابًا أُوْمِنْتَ قَبْلَ مَا تَرَى	إِذْ رَامَهَا قَوْمٌ أُبْيَحُوا وَأُحْنَقُوا
كَانَ رُمُوسُ الْخَزَرَجِيِّينَ غَدَوَةً	وَأَيْمَانُهُمْ بِالْمُشْرِقِيَّةِ بَرُوقِ

شعر كعب في الرد على ابن العاصي

فأجابه كعب بن مالك ، فيما ذكر ابن هشام ، فقال :

أَلَا أَبْلَغْنَا فِهْرًا عَلَى تَأْيِ دَارِهَا	وَعِنْدَهُمْ مِنْ عَلْنَا الْيَوْمَ مَصْدَقِ
بِأَنَّا غَدَاةُ السَّفْحِ مِنْ بَطْنِ يَثْرِبِ	صَبَرْنَا وَرَايَاتُ الْمَنِيَّةِ تَحْفُوقِ
صَبَرْنَا لَهُمْ وَالصَّبْرُ مِنَّا سَجِيَّةٌ	إِذَا طَارَتْ الْأَبْرَامُ نَسْمُو وَنَزْتُقِ
عَلَى عَادَةٍ تِلْكَمُ جَرِينَا بِصَبْرِنَا	وَقَدَمَا لَدَى الْغَايَاتِ نَجْرِي فَتَسْبِقِ
لَنَا حَوْمَةٌ لَا تُسْتَطَاعُ يَقُودُهَا	نَبِيٌّ أَتَى بِالْحَقِّ عَفٌّ مُصَدِّقِ

ألا هل أتى أفتاء فِهر بن مالك مُتَطَعُ أطرافِ وهام مُنْغَلَى

شعر ضرار في يوم أحد

قال ابن إسحاق : وقال ضرار بن الخطَّاب :

إني وجدك لولا مُقْدَمِي فرسى إذ جالت الخيل بين الجزع والقاع
ما زال منكم بحجب الجزع من أحدٍ أصواتُ هام تَزَاقِي أمرُها شاعى
وفارسٌ قد أصابَ السيفُ مفرقه أفلاقُ هامته ككَفْرَةِ الراعى
إني وجدك لا أنفك مُنتَطِقًا بصارِمٍ مثل لَوْنِ المِلْحِ قَطَّاع
على رِحالَةٍ ملوَّاحٍ مُنابرة نحو الصَّريخِ إذا ما ثَوَّبَ الدَّاعِى
وما انقَمَيْتُ إلى خُورٍ ولا كُشِفِ ولا لِثامٌ غداة البأسِ أوزاع
بل صارِين حَيِّيكَ البيضِ إذ لحقوا شُمُّ العرائِنِ عندَ المَوْتِ لُذاع
شُمُّ بهاليلٍ مسترِخٍ حائلهم يَسْمَعُونَ للموتِ سَعِيًّا غيرَ دَعْداع
وقال ضرار بن الخطَّاب أيضًا :

أما أنتِ من بنى كعب مُزِينَةٌ والخَزَرَجِيَّةُ فيها البيضُ تَأْتِلِق
وجردوا مشْرِفِيَّاتٍ مُهَنَّدَةٌ ورَايَةُ كَجَنَاحِ النَّسْرِ تَحْتَمِق
قُتِلَتْ يَوْمَ بَأْيَامٍ ومَعْرَكَةٍ تُذِيبِي لما خَلَفَهَا ما هَزَمَ الورق
قد عودوا كل يوم أن تكون لهم رِيحُ القتالِ وأَسْلابُ الذين آقوا
خَيْرْتُ نَفْسِي على ما كان من وَجَلٍ منها وأَيَقَنْتُ أن المَجْدَ مُسْتَبَق

أَكْرَهْتُ مُهْرِي حَتَّى خَاضَ غَمَرْتَهُمْ وَبَلَّهَ مِنْ نَجِيمِ عَانِكِ عَاقِ
فَطَالَ مُهْرِي وَسِيرَ بَالِي جَسِيدُهُ نَفَخَ الْعُرُوقَ رِشَاشُ الطَّمَنِ وَالْوَرَقِ
أَبْقَنْتُ أَنْتِ مُقِيمٌ فِي دِيَارِهِ حَتَّى يُفَارِقَ مَا فِي جَوْفِهِ الْحَدَقِ
لَا تَجْزَعُوا يَا بَنِي تَخْزُومَ إِنْ لَكُمْ مِثْلَ الْمُغِيرَةِ فِيكُمْ مَا بِهِ زَهَقِ
صَبْرًا فِدَى لَكُمْ أُمِّي وَمَا وَلَدَتْ تَعَاوَرُوا الْأَضْرَبَ حَتَّى يُذْبِرَ الشَّقَقِ

شعر عمرو في يوم أحد

وقال عمرو بن العاصي:

لَمَّا رَأَيْتُ الْحَرْبَ يَنْزِلُ شَرَّهَا بِالْأَرْضِ نَزَرَا
وَتَنَاوَلَتْ شَهْمَاهُ تَلَحُّو النَّاسَ بِالضَّرَاءِ نَحْوَا
أَبْقَنْتُ أَنْ الْمَوْتَ حَقٌّ وَالْحَيَاةُ تَكُونُ أَمَّا
تَحْمَلْتُ أُنُورِي عَلَى عَتِدٍ يَبْدُ الْخَيْلِ رَهْوَا
سَمِسَ إِذَا نَكَبْنَ فِي السَّبِيدَاءِ يَغْلُو الطَّرْفَ غُلَا
وَإِذَا تَنَزَّلَ مَاؤُهُ مِنْ عِطْفِهِ يَزْدَادُ زَهْوَا
رَبِدٍ كَيْفَ غُفُورِ الصَّرِيمةِ رَاعَهُ الرَّاْمُونَ دَحْوَا
شَنِجَ نَسَاءُ ضَايِعٍ لِلْخَيْلِ إِزْخَاءَ وَعَدْوَا
فَفِدَى أَنَّهُمْ أُمِّي غَدَاةَ الرُّوْعِ إِذْ يَمْشُونَ قَطْرَا
سَبْرًا إِلَى كَنْشِ الْكَتِيبَةِ إِذْ جَلَّتْهُ الشَّمْسُ جَلْوَا

قال ابن هشام : وبعض أهل العالم بالشعر ينكروها عمرو .

شعر كعب في الرد على عمرو بن العاصي

قال ابن إسحاق : فأجابهم ما كعب بن مالك ، فقال :

أَبْلَغُ قُرَيْشًا وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ	وَالصِّدْقُ عِنْدَ ذِي الْأَبْطَابِ مَقْبُولُ .
أَنْ قَدْ قَتَلْنَا بِقَتْلَانَا سَرَاتَكُمْ	أَهْلَ الْاَلَوَاءِ قَفِيًا يَكْثُرُ الْقِيلُ .
وَبَوْمَ بِدِرٍ آقَيْنَاكُمْ لَنَا مَدَدُ	فِيهِ مَعَ النَّصْرِ مِيكَالٌ وَجِبْرِيلُ .
إِنْ تَقْتُلُونَا فِدَيْنُ الْحَقِّ فِطْرَتُنَا	وَالْقَتْلُ فِي الْحَقِّ عِنْدَ اللَّهِ تَفْضِيلُ .
وَإِنْ تَرَوْا أَسْرَانَا فِي رَأْيِكُمْ سَفَهًا	فَرَأَيْ مَنْ خَالَفَ الْإِسْلَامَ تَضْلِيلُ .
فَلَا تَمْدَمُوا إِقْبَاحَ الْحَرْبِ وَاقْتَمِدُوا	إِنْ أَخَا الْحَرْبِ أَصْدَى اللَّوْنِ مَشْغُولُ .
إِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا ضَرْبًا تَرَّاحُ لَهُ	عُرْجُ الضَّبَاعِ لَهُ خَذَمُ رَعَابِيلُ .
إِنَّا بَدَوُ الْحَرْبِ نَمْرِيهَا وَنَنْذُجُهَا	وَعِنْدَنَا لَذَوِي الْأَضْفَانِ تَنْشِكِيلُ .
إِنْ يَنْجُ مِنْهَا ابْنُ حَرْبٍ بَعْدَ مَا بَلَغَتْ	مِنْهُ التَّرَاقِي ، وَأَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولُ .
فَقَدْ أَفَادَتْ لَهُ حِلْمًا وَمَوْعِظَةً	لَعَنَ يَكُونُ لَهُ أُبٌّ وَمَفْعُولُ .
وَلَوْ هَبَطُكُمْ بِبَطْنِ السَّيْلِ كَأَفْعَكُم	ضَرْبٌ بِشَاكِلَةِ الْبَطْحَاءِ تَرَاعِيلُ .
تَنْقَاكُمْ عَصَبِ حَوْلِ النَّبِيِّ لَهُمْ	مِمَّا يُعِدُّونَ لِلْهَيْجَا سَرَابِيلُ .
مَنْ جِذَمَ غَسَّانٌ مُسْتَرْخٍ حَمَائِلُهُمْ	لَا جَبِينَاهُ وَلَا مِيلٌ مَعَارِبِيلُ .
يَمْشُونَ تَحْتَ سَعَمَايَاتِ الْقِتَالِ كَمَا	تَمْشِي الْمَصَاعِبَةُ الْأُدْمُ الْعَرَاسِيلُ .
أَوْ يَنْزِلُ مَشَى أَسْوَدِ الظَّلِّ الْتَهْمَا	يَوْمَ رَذَازٍ مِنَ الْجَوْزَاءِ مَشْمُولُ .
فِي كُلِّ سَابِغَةٍ كَالنَّهْيِ مُحْكَمَةٌ	قِيَامُهَا فَلَجٌ كَالسَّيْفِ بُهْلُولُ .

تَرَدَّ حَذَّ قِرَامِ النَّبْلِ خَاسِئَةً وَيَرْجِعُ السِّيفُ عَنْهَا وَهُوَ مَقُولُ
وَلَوْ قَدْ قَتَرْتُ بِسَمْعٍ عَنْ ظُهُورِكُمْ وَالْحَيَاةُ وَدَفْعُ الْمَوْتِ تَأْجِيلُ
مَازَالَ فِي الْقَوْمِ وَثَرٌ مِنْكُمْ أَبَدًا تَعْفُو السَّلَامَ عَلَيْهِ وَهُوَ مَطْلُولُ
عَبْدٌ وَخُرْتُ كَرِيمٍ مُوْتِقٍ قَنْصَا شَطَرَ الْمَدِينَةِ مَأْسُورٌ وَمَقْتُولُ
كُنَّا نُوْمِلُ أُخْرَاكُمْ فَأَعَجَلَكُمْ مِنَّا قَوَارِسُ لَا عَزْلٌ وَلَا مِيلُ
إِذَا جَنَى فِيهِمُ الْجَانَى فَقَدْ عَلِمُوا حَقًّا أَنَّ الَّذِي قَدْ جَرَّ تَحْمُولُ
مَاتَحْنُ لَا نَحْنُ مِنْ إِيَّاهُمْ مُجَاهِرَةً وَلَا مَلُومٌ وَلَا فِي الْغُرْمِ تَخْذُولُ

شعر حسان في أصحاب اللواء

وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ، يَذْكُرُ عِدَّةَ أَصْحَابِ الْأَلْوَاءِ يَوْمَ أُحُدٍ :

— قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : هَذِهِ أَحْسَنُ مَا قِيلَ —

مَنْعَ النَّوْمِ بِالْعِشَاءِ الْهُمُومُ وَخَيَالٌ إِذَا تَغَوَّرُ النُّجُومُ
مِنْ حَبِيبٍ أَضَافَ قَلْبَكَ مِنْهُ سَقَمَ فَهُوَ دَاخِلٌ مَكْتُومُ
يَا لَقَوْمِي هَآنُ يَفْتُلُ لَارِي مِثْلِي وَاهِنُ الْبَطْشِ وَالْعِظَامِ سَوْومُ
لَوْ بَدِبْتُ الْخَوْلَى مِنْ وَلَدِ الذِّ رَ عَلَيْهَا لِأَنْدَبَتَهَا الْكُلُومُ
شَأْنُهَا الْعِطَرُ وَالْفِرَاشُ وَيَعْلُو هَا الْجُسَيْنُ وَلَوْلُوْ مَنْظُومُ
لَمْ تَنْفُثْهَا شَمْسُ النَّهَارِ بِشَيْءٍ غَيْرَ أَنَّ الشَّبَابَ لَيْسَ بِدُومُ
إِنْ خَالَى خَطِيبُ جَابِيَةِ الْجَوِّ لِأَنَّ عِنْدَ الثُّغَمَانِ حِينَ يَقُومُ

وَأَنَا الصَّقَرُ عِنْدَ بَابِ ابْنِ سَلَمَى يَوْمَ نُفْثَانِ فِي الْمَكْبُولِ سَقِيمٌ
وَأَبِيَّ وَوَأَقِيدُ أَطْلِقًا لِي يَوْمَ رَاحَا وَكَبْلُهُمْ مَخْطُومٌ
وَرَهْنَتُ الْيَدَيْنِ عَنْهُمْ بِجَمِيعًا كُلُّ كَفِّ جُزْءٍ لَهَا مَقْسُومٌ
وَسَطَتِ نِسْبَتِي الدَّوَابَّ مِنْهُمْ كُلُّ دَارٍ فِيهَا أَبٌ لِي عَظِيمٌ
وَأَبِي فِي سُمَيْجَةِ الْقَاتِلِ الْقَا صِلْ يَوْمَ التَّقَتِ عَلَيْهِ الْخُصُومُ
تِلْكَ أَعْمَالُنَا وَفِعْلُ الزَّبْعَرَى خَامِلٌ فِي صَدِيقِهِ مَذْمُومٌ
رَبِّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَا لِي وَجْهٌ غَطَا عَلَيْهِ النِّعَمُ
إِنْ دَهْرًا يَبُورُ فِيهِ ذَوْوُ الْمِلْمِ لَدَهْرٍ هُوَ الْمَتَوُّ الزَّيْمُ
لَا تُسَبِّحُنِي فَلَسْتُ بِسَبِي إِنْ سَبَّيَ مِنَ الرِّجَالِ الْكَرِيمِ
مَا أَبَالَى أُنْبًى بِالْحَزَنِ تَيْسٌ أَمْ لَخَانِي بِظَهْرِ غَيْبٍ لَيْمِ
وَلِيَ الْبِئْسَ مِنْكُمْ إِذْ رَحَلْتُمْ أَمْرَةً مِنْ بَنِي مُصَيِّ صَمِيمِ
تِسْعَةً تَحْمِلُ الْآوَاءَ وَطَارَتْ فِي رَعَاعٍ مِنَ الْقَنَا تَخْزُومُ
وَأَقَامُوا حَتَّى أُبَيِّحُوا بِجَمِيعًا فِي مَقَامٍ وَكُتْلِهِمْ مَذْمُومٌ
بِدَمٍ عَانِكَ وَكَانَ حِفَاظًا أَنْ يُقِيمُوا إِنْ الْكَرِيمِ كَرِيمِ
وَأَقَامُوا حَتَّى أَزِيرُوا شَعُوبًا وَالْقَنَا فِي نَحُورِهِمْ مَخْطُومُ
وَقُرَيْشٌ تَفَرَّتْ مِنَّا لِوَإِذَا أَنْ يُقِيمُوا وَخَفَتْ مِنْهَا الْخُجُومُ
لَمْ تُطِيقْ تَحْمِلَهُ الْعَوَاتِقُ مِنْهُمْ إِنَّمَا يَحْمِلُ الْآوَاءَ الدُّجُومُ

قال ابن هشام : قال حسان هذه القصيدة :

منع القوم بانهشاء الموم

ليلا ، فدعا قومه ، فقال لهم : خَشِيتُ أَنْ يُذَرَكُنِي أَجَلِي قَبْلَ أَنْ أُمْسِحَ ،
فَلَا تَرَوْهَا عَنِي .

قال ابن هشام : أنشدني أبو سُبَيْدَةَ لِحَجَّاجِ بْنِ عَلَاطٍ الشَّامِي يَمْدَحُ
أَبَا الْحَسَنِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، وَيَذْكُرُ قَتْلَهُ طَلْحَةَ بْنَ أَبِي طَالِحَةَ
ابْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ عُمَانَ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ ، صَاحِبِ لُؤَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ :

لَهُ أَيُّ مُدَبِّبٍ عَنْ حُرْمَةٍ أَعْنَى ابْنَ فَاطِمَةَ الْمُعَمَّمِ الْمُخَوَّلَا
سَبَقَتْ يَدَاكَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ تَرَكْتَ طَلْحَةَ لِلْجَبِينِ مُجَدَّلَا
وَشَدَدَتْ شِدَّةَ بَاسِلٍ فَكَشَفْتَهُمْ بِالْجَرِّ إِذْ سَهُوُونَ أَخُولَا

شعر حسان في قتلى يوم أحد

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يَبْكِي خُزَيْمَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَمَنْ
أُصِيبَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ :

يَا أَيُّ قَوْمِي فَاذْكُرْنِي بِسُحَيْرَةِ شَجْوِ النَّوَامِحِ
كَالْحَامِلَاتِ الْوَقْرِ بِالْثَقْلِ الْمَلْحَاتِ الدَّوَالِحِ
الْمُعُولَاتِ الْخَامِشَاتِ تَوْجُوهَ حُرَاتِ خَنَاحِ
وَكَأَنَّ سَيْلَ دُمُوعِهَا إِلَى أَنْصَابِ تَخَضُّبِ بِالذَّبَائِحِ
يَنْفُضْنَ أَشْهَاراً لَمْ يَنْفُضْ هُنَاكَ بَادِيَةَ الْمَسَاحِ

وَكَلَّهَـا أَذْنَابُ خَيْلٍ بِالْهَضَى مُتَمِّسٍ رَوَاسِحِ
 مِنْ بَيْنِ مَشْرُورٍ وَنَجْرُورٍ يُدْعَدُّعُ بِالْهَوَارِحِ
 يَبْكِينَ شَجْوًا مُسْلِمًا تِ كَذَّحْتَهُنَ الْكَوَارِحِ
 وَلَقَدْ أَصَبَ قُلُوبَهَا تَجَلُّ لَهْ جَبَابٌ قَوَارِحِ
 إِذْ أَفْصَدَ الْحِدْنَانَ مَنْ كَفَّ تَرْجَى إِذْ مُشَابِحِ
 أَصْحَابَ أَخْذٍ غَالَمٍ دَهْرٌ أَلَمْ لَهُ جَوَارِحِ
 مَنْ كَانَ فَارِسًا وَحَا مِينًا إِذَا مُبِثَّ لِسَالِحِ
 بِأَحْمَزَ ، لَا وَاللَّهِ لَا أَنْكَ مَأْصَرُ الْمَنَاحِ
 لِمَنَاحِ أَبْتَامٍ وَأَضْطَبِ وَأَزْمَلَةٌ تُلَامِحِ
 وَإِمَا يَنْوُبُ الدَّهْرُ فِي حَرْبٍ حَرْبٍ وَفِي لَاقِحِ
 يَا فَارِسًا يَا مِذْرَهَا بِأَحْمَزَ قَدْ كُنْتَ الْمُصَامِحِ
 عَنَّا شَدِيدَاتِ الْخَطُوبِ إِذَا يَنْوُبُ لَهْنِ فَادِحِ
 ذَكَرْنِي أَسَدَ الرَّسُولِ ، وَذَاكَ مِذْرَهْنَا الْمُنَافِحِ
 عَنَّا وَكَانَ يُعَدُّ إِذْ عُدَّ الشَّرِيفُونَ الْجَتَاجِحِ
 يَفْلُو الْقَائِمِ جَهْرَةً سَبْطَ الْيَدَيْنِ أَغْرَ وَاضِحِ
 لَا طَائِشٌ رَعِشٌ وَلَا ذُو عِيَّةٍ بِالْحِمْلِ آسِحِ
 بَحْرٌ فَلَيْسَ يُغِبُّ جَاءَ رَأً مِنْهُ سَنِيبٌ أَوْ مَنَادِحِ
 أَوْدَى شَبَابٌ أُولَى الْخَفَا نَظَّ وَالَّذِي لَوْنَ الْمَرَاجِحِ

الْمُطْمِئِنُونَ إِذَا السَّاعَةُ أَتَتْهُمُ يُصَفِّقُونَ تَصْفِيعًا
 لِحِمَّةٍ أُولَئِكَ وَفَوْقَهُمْ سَبْعُ مَقَامٍ مِّنْ سَبْعِينَ
 أَلْفًا مَّقَامًا رَّافِعًا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَأُولُوا الْمَقَامَاتِ
 الْغَايَةِ لَبِئْسَ لِلشَّيْطَانِ الْخَافِيَةِ مَنَازِلُ
 ثُمَّ ، بَطَارِقَةٌ ، غَطَا رِفْقَهُ ، خَضَارِمَةٌ ، مَاسِحٌ
 الْمُشْتَرُونَ الْخَمْدَ بِأَلْسِنَتِهِمْ إِنَّ الْخَمْدَ رَابِعُ
 وَالْجَائِمُونَ بُلْجَمُهُمْ يَوْمًا إِذَا مَا صَاحَ صَاحٌ
 مِّنْهُمْ كَأَنَّهُ يُرْمَى بِالْقَوَا قِرْمِينَ زَمَانٍ غَيْرِ صَاحٍ
 مَا إِن تَزَالَ رِكَابُهُ يَرْمِيهِمْ فِي غَيْرِ صَحَابَةٍ
 رَاحَتُ تَبَارَى وَهُوَ فِي رَكْبِ صُدُورِهِمْ رَوَاحٍ
 حَتَّى تَنُوبَ لَهُ الْعَمَاءُ لِي لَيْسَ مِنْ قَوَازِ السَّعَابِ
 يَأْخُذُ قَدْ أَوْحَدْتَنِي كَالْعُودِ شَدَّ بِهِ الْكُوفِ
 أَشْكُو إِلَيْكَ وَفَوْقَكَ الشُّرْبُ الْمَكُورُ وَالصَّفَائِحُ
 مَن جَنَدَلُ نُلْقِيهِ فَوْقَكَ إِذَا أَجَادَ الصَّرْحُ ضَارِحُ
 فِي وَاسِعٍ يَحْشُونَهُ بِالْأُتْبِ سَوْنُهُ الْمَاسِجُ
 قَمَرَاؤُنَا أَنَّا نَقُولُ وَقَوْلُنَا بَرَحُ بَوَارِحُ
 مَن كَانَ أَمْسَى وَهُوَ عَمَّا أَوْقَعَ الْحِذَابُ جَانِحُ
 فَلْيَأْتِنَا فَلْيَتَبَنَّكَ عَيْنَاهُ لَهْلَكْنَا النَّوَافِحُ

الْقَائِلِينَ الْفَاعِلِينَ ذَوِي السَّمَاحَةِ وَالْعَمَادِخِ
 مَنْ لَا يَزَالُ نَدَى يَدَيْهِ لَه طَوَالِ الدَّخْرِ مَانِحِ
 قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها لحسان ، وبيته :
 « للمطعمون إذا المشأى » وبيته : « الجائزون بلجيمهم » ، وبيته : « من كان
 يرُحمي بالنواقر » عن غير ابن إسحاق .

شعر حسان في بكاء حمزة

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً يبكى حمزة بن عبد المطلب :

أَتَعْرِفُ الدَّارَ عَفَا رَسْمُهَا	بِعَدِكَ مَوْتُ الْمُسْبِلِ الْمَاطِلِ
بَيْنَ السَّرَادِيحِ قُدْمَانَةٍ	قَمَدَفَعَ الرَّوْحَاءُ فِي حَائِلِ
سَاءَ أَمُّهَا عَنْ ذَاكَ فَاسْتَعْجَمَتْ	لَمْ تَدْرِ مَا مَرَجُوعُهُ السَّائِلِ ؟
دَعُ عَنْكَ دَاراً قَدْ عَفَا رَسْمُهَا	وَابْكِ عَلَى حَمْزَةِ ذِي النَّائِلِ
السَّالِءِ الشَّيْزِيِّ إِذَا أَعْصَفَتْ	غَبْرَاءُ فِي ذِي الشَّيْمِ الْمَاحِلِ
وَالنَّارِكِ الْقِمْرَنِ لَدَى رِبْدَةٍ	يَعْتَرِ فِي ذِي الْخُرُصِ الذَّائِلِ
وَاللَّابِسِ الْخَيْلِ إِذَا أَجْجَمَتْ	كَالَلَيْثِ فِي غَلَبَتِهِ الْبَاسِلِ
أَبْيَضُ فِي الذَّرْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ	لَمْ يَمْزُ دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ
مَلَّ شَهِيداً بَيْنَ أَسْيَافِكُمْ	سُلَّتْ يَدَا وَخَشِيٍّ مِنْ قَاتِلِ
أَيُّ أَمْرٍ غَادَرَ فِي آلِهِ	مَطْنٍ وَرَدَةٍ مَارِنَةٍ الْعَامِلِ

أظَلَّتِ الْأَرْضُ لِقَدَانِهِ وَأَسْوَدَ نُورُ الْقَمَرِ النَّاصِلِ
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ مُكَرَّمَةٍ الْوَاحِلِ
 كُنَّا نَرَى سَحَابَ حِرْزِ لَنَا فِي كُلِّ أَمْرٍ نَابِقًا نَازِلِ
 وَكَانَ فِي الْإِسْلَامِ ذَا تُدْرَأُ يَكْفِيكَ فَقَدْ الْقَاعِدِ الْخَازِلِ
 لَا تَفْرَحِي يَا هُنْدُ وَاسْتَحْلِي دَمْعًا وَأَذْرِي عَيْرَةَ الثَّارِكِ
 وَابْكِي عَلَى عُتْبَةَ إِذْ قَطَعَهُ بِالسَّيْفِ نَحْتِ الرَّهْجِ الْجَائِلِ
 إِذَا خَرَّ فِي مَشِيخَةٍ مِنْكُمْ مِنْ كُلِّ عَاتٍ قَنَئُهُ جَاهِلِ
 أَرْدَاهُمْ سَحَابَ حِرْزٍ فِي أَسْرَفِ يَمْشُونَ تَحْتَ الْخَلْقِ الْفَاضِلِ
 غَدَاةَ جِبْرِيلَ وَزِيرَهُ نِعْمَ وَزِيرُ الْفَارِسِ الْحَامِلِ

شعر كعب في بكاء حمزة

وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ يَمْسِكِي حِمَزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ :

طَرَقَتْ هُمُومُكَ فَالْزُقَادُ مُسَهَّدُ وَجَزِعْتَ أَنْ سَنَخَ الشَّبَابُ الْأَغْيَدُ
 وَدَعَتْ فَوَادِكَ لَهْوَى ضَمْرِيَّةٍ فَهَوَاكَ غَوْرِيٍّ وَصَحْوُكَ مُنْجِدُ
 فَدَحِ التَّمَادِي فِي الْغَوَايَةِ سَادِرًا قَدْ كُنْتَ فِي طَلَبِ الْغَوَايَةِ تُفْنِدُ
 وَلَقَدْ أُنِيَ لَكَ أَنْ تَسَاهَى طَائِعًا أَوْ تَسْتَفِيقَ إِذَا نَهَاكَ الْمُرْشِدُ
 وَلَقَدْ هُدِدْتُ لَفَقْدِ حِمَزَةِ هَدَّةٍ ظَلَّتْ بَنَاتُ الْجُوفِ مِنْهَا تَرَعَدُ
 وَلَوْ أَنَّهُ فُجِعَتْ حِرَاءُ بِمِثْلِهِ لَرَأَيْتُ رَأْسِي صَخْرَهَا يَتَبَدَّدُ
 قَرَمَ تَمَكَّنَ فِي ذُوَابَةِ هَائِمٍ حَيْثُ الثُّبُوتُ وَالنَّدَى وَالشُّوَدَدُ

وَالْمَاقِرُ الْكُومَ الْجِلَادَ إِذَا غَدَتْ رِيحٌ يَكَادُ الْمَاءَ مِنْهَا يَجْمُدُ
وَالتَّارِكُ الْقِرْنَ السَّكَمَى يُجَدِّلا يَوْمَ الْكَرْبَةِ وَالْقَمَا يَتَقَصَّدُ
وَتَرَاهُ يَرْفُلُ فِي الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ ذُو لِبْدَةٍ شَتَّى الْبِرَانِ أُرْبُدُ
عَمُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَصَفِيهِ وَرَدَ الْحِمَامَ فطَابَ ذَاكَ التَّوَرِدُ
وَأَمَى الْمَنِيَّةَ مُعْذِمًا فِي أُسْرَةٍ تَصْرَوُا النَّبِيَّ وَمِنْهُمْ الْمُسْتَشْهَدُ
وَلَقَدْ إِخَالَ بِذَاكَ هُنْدًا بُشِّرَتْ لَتُمِيتُ دَاخِلَ غَصَّةٍ لَا تَبْرُدُ
بِمَا صَبَحْنَا بِالْعَقَّةِ قَوْمَهَا يَوْمًا تَغَيَّبَ فِيهِ عَنْهَا الْأَسْمَدُ
وَبِئْسَ بَذِيرٌ إِذَا يَرُدُّ وَجُوهَهُمْ جِبْرِيلُ تَحْتَ لَوَائِنَا وَمُحَمَّدُ
حَتَّى رَأَيْتُ لَدَى النَّبِيِّ سَرَائِهِمْ قَسَمَيْنِ : يَبْقُتِلُ مَنْ نَشَاءُ وَيَطْرُدُ
فَأَقَامَ بِالْعَطَنِ الْمُعْطَنُ مِنْهُمْ سَبْعُونَ : غُثِّيهِ مِنْهُمْ وَالْأَسْوَدُ
وَابْنُ الْمَغِيرَةِ قَدْ ضَرَبَنَا ضَرْبَةً فَوْقَ الْوَرِيدِ لَهَا رَشَاشٌ مُزِيدُ
وَأُمِّيَّةُ الْجَمْعِيِّ قَوْمٌ مَيْلُهُ عَضْبٌ بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ مُهْنِدُ
فَأَنَّاكَ فَلِ الْمُشْرِكِينَ كَانَهُمْ وَالْحَلِيلُ تَشْفِيهِمْ نَعَامٌ شُرْدُ
شَتَّانَ مَنْ هُوَ فِي جَهَنَّمَ ثَاوِيًا أَبْدَأُ وَمَنْ هُوَ فِي الْجَنَانِ مُخْلَدُ
وَقَالَ كَعْبٌ أَيْضًا بِيكِي حَزَّةُ :

صَفِيَّةُ قَوْمِي وَلَا تَعْجِزِي وَبِكِّي النِّسَاءَ عَلَى حَزْمَةِ
وَلَا تَسْأَمِي أَنْ تُطِيلِي الْبُكَاءَ عَلَى أَمَدِ اللَّهِ فِي الْهِزَّةِ
فَقَدْ كَانَ عِزًّا لِإِيْتَامِنَا وَلَيْثَ الْمَلَا حِمٍ فِي الْهِزَّةِ

يُريد بذلك رِضًا أَحْمَدَ — وَرِضْوَانِ ذِي الْعَرْشِ وَالْعِزَّةِ

شمر كعب في أحد

وقال كعب أيضًا في أحد:

إِنَّكَ عَمَرَ أَيْبِكَ الْكَرِيمِ أَنْ تَسْأَلَ عَنْكَ مِنْ يَجْتَدِينَا
فَإِنْ نَسَأَى نَمَّ لَا تُكَذِّبِي يُخْبِرُكَ مَنْ قَدْ سَأَلَتِ الْيَقِينَا
بِأَنَّ كَيْلَ إِلَى ذَاتِ الْعِظَا مَ كُنَّا ثَمَلًا إِمْنُ بَقَرِينَا
تَلَوْدِ النُّجُومِ بِأَذْرَانِيَا مِنْ الضَّرِّ فِي أَرْمَاتِ الشَّيْنَا
يَجِدُونِي قُضُولِ أُولَى وَجِدْنَا وَبِالضَّبْرِ وَالبَذْلِ فِي الْمُدَمِينَا
وَأَبْقَتْ كُنَّا جَلَمَاتِ الْحُرُو بَ مِمَّنْ نَوَازِي لَدُنْ أَنْ بَرِينَا
سَعَاطِينَ تَهْوِي إِلَيْهَا الْخَفُو قَ يَحْسَبُهَا مِنْ رَأَاهَا الْفَتِينَا
تُخَيِّسُ فِيهَا عِتَاقُ الْجَا لَ صُخْمًا دَوَاجِنَ خُرَّاءَ وَجُونَا
وَدَفَّاعَ رَجُلٍ كَمَوْجِ الْفُرَا تَ يَتَقَدَّمُ جَأَوَاءَ جَوْلًا طَحُونَا
تَمْرِي لُونَهَا مِثْلَ لَوْنِ النُّجُو مَ رَجْرَاجَةً تُبْرِقُ الْفَاطِرِينَا
فَإِنْ كُنْتَ عَنْ شَانِنَا جَاهِلًا قَسَلُ عَنْهُ ذَا الْعِلْمِ مِمَّنْ تَلِينَا
بِنَا كَيْفَ تَفْعَلُ إِنْ قَلَصَتْ عَوَانَا ضَرُوسًا عَضُوضًا حَجُونَا
أَلَسْنَا نَشُدُّ عَلَيْهَا الْعِصَا بَ حَتَّى تَدُرَّ وَحَتَّى تَلِينَا
وَيَوْمَ لَهُ رَهْجٌ دَائِمٌ شَدِيدُ الْتَهَاوُلِ حَامِي الْأَرِينَا
طَوِيلٌ شَدِيدُ أَوَارِ الْقِتَا لَ تَغْنِي قَوَاحِرُهُ الْمُقَرِّفِينَا

تَحْنُ الْكُفَّةَ بِأَغْرَاضِهِ نَمَالًا عَلَى لَذَّةٍ مُنْزِفِينَا
تَمَازُزُ أَيْمَانُهُمْ بَيْنَهُمْ كُتُوسَ الْمَنَافَا بِحَدِّ الظُّمِينَا
شَهَدْنَا كَكُنَّا أُولَى بَأْسِهِ وَتَحْتَ الْعِمَايَةِ وَالْمُعَايِينَا
بُحْرُسُ الْحَسِيسِ حَسَانِ رِوَاءِ وَبُصْرِيَّةٌ قَدْ أَجَمُنَ الْخَفُونَا
فَمَا يَنْفَلِنَ وَمَا يَنْفَحْنَيْنِ وَمَا يَنْزَهْنِ إِذَا مَا نَهْنِينَا
كَبْرَقَ الْخَرِيفُ بِأَيْدِي الْكُفَاةِ يُعْجَعْنَ بِالظَّلِّ هَامًا سُكُونَا
وَعَلَّمْنَا الضَّرْبَ آبَاؤُنَا وَسَوْفَ نَعْلَمُ أَيْضًا بَنِينَا
جِلَادَ الْكُفَّةِ ، وَبَذَلَ التَّلَا دِ ، عَنْ جُلِّ أَحْسَابِنَا مَا بَقِينَا
إِذَا مَرَّ قَرْنٌ كَفَى نَسْلُهُ وَأُورَثَهُ بَقْدُهُ آخِرِينَا
نَشَبٌ وَتَهْلِكُ آبَاؤُنَا وَبَيْنَا نُرَبِّي بَنِينَا فَنِينَا
سَأَلْتُ بَكَ ابْنَ الزَّبَعْرِى فَلَمْ أَنْبَأَكَ فِي الْقَوْمِ إِلَّا هَجِينَا
خَبِيمًا تُطِيفُ بِكَ الْمُعْنِدِيَاتِ مُقِمًا عَلَى اللُّؤْمِ حِينًا خَفِينَا
تَبَجَّسَتْ تَهْجُو رَسُولَ الْعَايِكَ قَاتَلَكِ اللَّهُ جِلْفًا لَعِينَا
تَقُولُ أَلْخَنَّا نَمُ تَرْمِي بِهِ نَقِيَّ الشَّيَابِ تَقِيًّا أَمِينَا

قال ابن هشام : أنشدني بيته : « بنا كيف نفعل » ، والبيت الذى يليه ،
والبيت الثالث منه ، وصدر الرابع منه ، وقوله « نشب وتهلك آبائنا »
والبيت الذى يليه ، والبيت الثالث منه ، أبو زيد الأنصارى .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك أيضا ، فى يوم أحد :

سَائِلُ قَرِيشَ غَدَاةَ السُّنْحِ مِنْ أَحَدٍ مَاذَا آتَيْنَا وَمَا لَاقَوْا مِنَ الْهَرَبِ
كُنَّا الْأَسْوَدَ وَكَانُوا الْأَثْمَرَ إِذْ زَحَفُوا مَا إِنْ نُرَاقِبُ مِنْ آلٍ وَلَا نَسِبِ
فَكَمْ تَرَكْنَا بِهَا مِنْ سَيِّدٍ بَطْلٍ حَامِيَ الذِّمَارِ كَرِيمِ الْجِدِّ وَالْحَسَبِ
فَإِنَّا الرُّسُولُ شِهَابٌ نَمَّ يَتَّبِعُهُ نُورٌ مُضِيٌّ لَهُ فَضْلٌ عَلَى الشَّهَبِ
الْحَقُّ مَنَظِقُهُ وَالْعَدْلُ سِيرَتُهُ فَمَنْ يُجِبْهِ إِلَيْهِ يَنْفُجُ مِنْ تَبَبِ
تَجِدُ الْمُقَدَّمَ، مَاخِي الْهَمِّ، مُعْتَزِمِ حِينَ الْقُلُوبِ عَلَى رَجْفٍ مِنَ الرُّعْبِ
يَمْضِي وَيَذْمُرُنَا عَنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ كَأَنَّهُ الْبَدْرُ لَمْ يُطْبِعْ عَلَى الْكَذِبِ
بَدَا أَنَا فَاتَّبَعَاهُ نُصَدِّقُهُ وَكَذَّبُوهُ فَكُنَّا أَسْمَدَ الْقَرَبِ
جَالُوا وَجُنَّا فَاثْقَاوَا وَمَارَجَمُوا وَنَحْنُ نَتَّقِيهِمْ لَمْ نَأَلُ فِي الطَّلَبِ
لَيْسَا سَوَاءً وَشَقَى بَيْنَ أَمْرِهِمَا حَزْبُ الْإِلَهِ وَأَهْلُ الشَّرِكِ وَالنُّصَبِ

قال ابن هشام : أنشدني من قوله : « يَمْضِي وَيَذْمُرُنَا » إلى آخرها ،
أبو زيد الأنصاري .

شعر ابن رواحة في بكاء حمزة

قال ابن إسحاق : وقال عبدُ الله بن رواحة يَبْكِي حِمَزَةَ بْنَ عَبْدِ الطَّلَبِ :
قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لسُكَّعِ بْنِ مَالِكٍ :

بَكَتْ عَيْنِي وَحُقَّ لَهَا بُسْكَاهَا وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلَا الْعَوِيلُ
عَلَى أَسَدِ الْإِلَهِ غَدَاةَ قَالُوا أُحْمَزَةُ ذَاكُمُ الرَّجُلُ الْقَتِيلُ

خَلُّوْا جَنَانًا وَأَقْبُوا لَكُمْ أَسُودًا تُخَامِي عَنِ الْأَشْبِلِ
تُقَاتِلُ عَنْ دِينِهَا وَسَطَهَا نَحِيٌّ عَنِ الْحَقِّ لَمْ يَنْسُكُلْ
رَمَتْهُ مَعْدَةٌ بَعُورُ الْكَلَامِ وَتَبِلَ الْعَمْدَاوَةُ لَا تَأْتَلِي

قال ابن هشام : أنشدني قوله : « لم تلي » ، وقوله : « من نعم الفضل »
أبو زيد الأنصاري .

شعر ضرار في أحد

قال ابن إسحاق : وقال ضرار بن الخطَّاب في يوم أحد :

مَا بَالُ عَيْنِكَ قَدْ أَزْرَى بِهَا الشُّهُدُ كَأَنَّمَا جَالَ فِي أَجْفَانِهَا الرَّمْدُ
أَمِنْ فِرَاقِ حَبِيبٍ كُنْتَ تَأَلَّفَهُ قَدْ حَالَ مِنْ دُونِهِ الْأَعْدَاءُ وَالْبُعْدُ
أَمْ ذَاكَ مِنْ شَفَبِ قَوْمٍ لَا جَدَاءَ بِهِمْ إِذَا الْحُرُوبُ تَلَطَّتْ نَارُهَا تَقْدُ
مَا يَنْتَهُونَ عَنِ الْغَيِّ الَّذِي رَكِبُوا وَمَا لَهُمْ مِنْ لُؤْيٍ وَنَحْمِهِمْ عَضْدُ
وَقَدْ نَشَدْنَاكُمْ بِاللَّهِ قَاطِبَةً فَمَا تَرَدُّهُمْ الْأَرْحَامُ وَالنَّشَدُ
حَتَّى إِذَا مَا أَبَوْا إِلَّا مُحَارَبَةً وَاسْتَحْضَدْتَ بَيْنَنَا الْأَضْغَانَ وَالْحَقْدُ
سِرْنَا إِلَيْهِمْ بِجَيْشٍ فِي جَوَانِبِهِ قَوَانِسُ الْبَيْضِ وَالْمَحْجُوكَةُ الشُّرْدُ
وَالْجُرْدُ تَرُفُلُ بِالْأَبْطَالِ شَارِبَةً كَأَنَّهَا حِدَاً فِي سَيْرِهَا تُودُ
جَيْشٍ يَقُودُهُمْ صَخْرٌ وَرَأْسُهُمْ كَأَنَّهُ لَيْثٌ غَالِبٌ هَاصِرٌ حَرْدُ
فَأَبْرَزَ الْحَيْنَ قَوْمًا مِنْ مَنَازِلِهِمْ فَكَانَ مِنَّا وَمِنْهُمْ مُلْتَقَى أَحَدُ

مَفْعُودِرَتْ مِنْهُمْ قَتَلَى مُجَدَّلَةً كَالْمَعَزِ أَضْرَدَهُ بِالنَّصْرِ دَحِ الْبَرْدِ
 قَتَلَى كِرَامًا بَنُو النَّجَّارِ وَسَطَّاهُمْ وَمُضْطَبٍّ مِنْ قَتَانَا حَوْلَهُ قِمَدِ
 وَخُزْزَةُ الْقَرْنَمِ مَفْرُوعٌ تُطِيفُ بِهِ نَسَكَلَى وَقَدْ حَزَمْنَاهُ الْأَنْفَ وَالْكَبِدِ
 كَأَنَّهُ حِينَ يَكْبُورُ فِي جَدِيَّتِهِ تَحْتَ الْعِجَاجِ وَفِيهِ تَغْلَبُ جَسَدِ
 حَوَارُ نَابٍ وَقَدْ وَّلَى صَحَابَتَهُ كَمَا تَوَلَّى النِّعَامَ الْهَارِبَ الشُّرْدِ
 مَجْلَحِينَ وَلَا يَلُوتُونَ قَدْ مُلِئُوا رُغْبًا ، فَتَجَتَّهَمُ الْعَوَاصِ وَالْكَوْثِ
 تَبْكِي عَلَيْهِمْ نِسَاءً لَا يَبْعُولَ لَهَا مِنْ كُلِّ سَالِبَةٍ أَثْوَابُهَا قَدَدِ
 وَقَدْ تَرَكَنَاكُمْ لِلطَّيْرِ مَلْعَمَةً وَلِلضَّبَاعِ إِلَى أَجْسَادِهِمْ نَفَدِ

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها لِضَرَارِ .

رجز أبي زعنة يوم أحد

قال ابن إسحاق : وقال أبو زعنة بن عبد الله بن عمرو بن عتبة ،
 الأخو بنى جُشَمَ بن الخزرج ، يوم أحد :

أَنَا أَبُو زَعْنَةَ يَمْدُو بِي الْهَزَمُ لَمْ تُنَمِّجِ الْمَخْرَءَ إِلَّا بِالْأَلَمِ
 يَحْمِي الذَّمَّارَ خَزْرَجِيٍّ مِنْ جُشَمِ

رجز ينسب لعليٍّ في يوم أحد

قال ابن إسحاق : وقال علي بن أبي طالب — قال ابن هشام : فأنما رجل

من المسلمين يوم أحد غير عليّ ، فيما ذكر لي بعض أهل العلم بأشعر ، ولم
أر أحداً منهم يعرفها عليّ :

لأُمِّ إِنْ الْحَارِثُ بْنُ الصَّمَّةِ كَانَ وَفِيًّا وَبَنًا ذَا ذِمَّةٍ
أَقْبَلَ فِي مَهَامِهِ مُهِمَّةً كَلِيلَةً ظَلَمَ سَاءَ مَذْمُومَةً
بَيْنَ سُيُوفٍ وَرِمَاحٍ جَحْمَةً يَبْغِي رَسُولَ اللَّهِ فِيمَا نَمَتْهُ
سَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ : قَوْلُهُ : « كَلِيلَةً » عَنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ .

رجز عكرمة في يوم أحد

قال ابن إسحاق : وقال عكرمة بن أبي جهل في يوم أحد :

كُتِّمَ يَزْجِرُهُ أَرْحَبُ هَلَا وَلَنْ يَرَوْهُ الْيَوْمَ إِلَّا مُقْبِلًا
يَحْمِلُ رُمْحًا وَرَيْسًا جَحْفَلًا

شعر الأعشى التميمي في بكاء قتلى بني عبد الدار يوم أحد

وقال الأعشى بن زُرارة بن النَّبَّاش التَّمِيمِي — قال ابن هشام : ثم أحد
بني أسد بن عمرو بن تميم — يَبْكِي قَتْلَى بَنِي عَبْدِ الدَّارِ يَوْمَ أَحَدَ :

حُسِّيٍّ مِنْ حَيٍّ عَلَى نَائِيهِمْ بَنُو أَبِي طَلْحَةَ لَا تَصْرِفُ
يَمْرُؤَ سَاقِيهِمْ عَلَيْهِمْ بِهَا وَكُلُّ سَاقٍ مَعَهُ يَعْرِفُ
لَا جَارُهُمْ يَشْكُو وَلَا ضَيْفُهُمْ مِنْ دُونِهِ بَابَ لَمْ يَصْرِفُ

وقال عبد الله بن الزبيري يوم أحد :

قَتَلْنَا ابْنَ جَيْشٍ فَأَغْتَبَطْنَا بِقَتْلِهِ وَحَمْزَةً فِي فُرْسَانِهِ وَابْنَ قَوْثَانَ
وَأَفْلَتْنَا مِنْهُمْ رِجَالًا فَأَمْرَعُوا فَلَيْتَهُمْ عَاجُوا وَلَمْ نَتَجَلَّ
أَقَامُوا لَنَا حَتَّى نَعُضَّ سُيُوفُنَا سَرَاتِهِمْ وَكَلَّنَا غَيْرَ عَزَلٍ
وَحَتَّى يَكُونَ الْقَتْلُ فِينَا وَفِيهِمْ وَيَلْقُوا صَبُوحًا شَرَّهْ غَيْرَ مُتَجَلِّ

قال ابن هشام : وقوله : « وكَلَّنَا » ، وقوله « ويلقوا صبحاً » : عن غير ابن إسحاق .

شعر صفية في بكاء حمزة

قال ابن إسحاق : وقالت صَفِيَّةُ بنت عبد المطلب تبكي أخاها حمزة بن عبد المطلب :

أَسْأَلُ أَصْحَابَ أَحَدٍ تَخَافَةَ بَنَاتُ أَبِي مِنْ أَعْجَمٍ وَخَبِيرِ
فَقَالَ الْخَبِيرُ إِنَّ حَمْزَةً قَدْ تَوَى وَزِيرُ رَسُولِ اللَّهِ خَيْرُ وَزِيرِ
دَمَاهُ إِلَهَ الْحَقِّ ذُو الْعَرْشِ دَعَا إِلَى جَنَّةٍ يَحْيَا بِهَا وَسُورِ
فَذَلِكَ مَا كُنَّا نَرْجَى وَنَرْجَى لِحَمْزَةٍ يَوْمَ الْخَشْرِ خَيْرُ مُصِيرِ
فَوَاللَّهِ لَا أَنْسَاكَ مَا هَبَّتِ لِلصَّبَا بَكَاءَ وَحْزَنًا تَحْضُرِي وَمَسِيرِ
حَلَى أَسَدِ اللَّهِ الَّذِي كَانَ مِذْرَاهَا يَذُودُ عَنِ الْإِسْلَامِ كُلَّ كَفُورِ
فِيالْيَتِ شَلَى عِنْدَ ذَاكَ وَأَعْظَمَى لَمْ يَ أَضْمِعْ تَفْتَادِي وَأُسُورِ

أَقُولُ وَقَدْ أَعْلَى النَّعَى عَشِيرَتِي جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مِنْ آخِرٍ وَنَصِيرٍ

قال ابن هشام : وَأَشَدُّهُ بَعْضُ أَهْلِ الْإِمَّةِ بِالشَّعْرِ قَوْلُهُ :

بَكَاءٌ وَحُزْنًا مَحْضَرِي وَمَسِيرِي

شعر نعم في بكاء شماس

قال ابن إسحاق : وَقَالَتْ نَعْمُ ، امْرَأَةُ شَمَّاسِ بْنِ عُمَانَ ، نَبِيِّ شَمَّاسٍ ،
وَأَصِيبُ يَوْمٍ أَحَدُ :

يَا عَيْنُ جُودِي بِقَيْضٍ غَيْرِ إِنْسَانٍ عَلَى كَرِيمٍ مِنَ الْفَتَيَانِ أَبَاسٍ
صَفِيٍّ الْبَدِيَّةِ مَيِّمُونَ تَقِيَّتُهُ تَحَالٍ أُلُوبَةٍ رَكَابُ أُرَاسٍ
أَقُولُ لَمَّا أَتَى النَّاعِي لَهُ جَزَعًا

أَوْدَى الْجَوَادُ وَأَوْدَى الْمُطَامِ الْكَامِي
وَقُلْتُ لَمَّا خَلَّتْ مِنْهُ بَجَالُهُ لَا يُبْعَدُ اللَّهُ عَمَّا قُرْبَ شَمَّاسٍ

شعر أبي الحكم في تعزية نعم

فَأَجَابَهَا أَخُوهَا ، وَهُوَ أَبُو الْحَكَمِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ بَرْبُوعٍ ، بِعَزِيَّتِهَا ، فَقَالَ :

إِمَّا قَتَى حَيَاءُكَ فِي سِتْرٍ وَفِي كَرَمٍ فَإِنَّمَا كَانَ شَمَّاسٌ مِنَ النَّاسِ
لَا تَقْتُلِي لِلنَّفْسِ إِذَا حَانَتْ مَمْنِيَّتُهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ يَوْمَ الرَّوْعِ وَالْبَاسِ
قَدْ كَانَ حِمْرَةً لَيْثَ اللَّهِ فَاصْطَبِرِي فَذَاقَ يَوْمَئِذٍ مِنْ كَأْسِ شَمَّاسٍ

شعر هند بعد عودتها من أحد

وقالت هند بنت عتبة ، حين انصرف المشركون عن أحد :

رجعتُ وفي نفسي بلبابُ حجةٍ وقد فاتني بعضُ الذي كانَ مطلبي
من أصحابِ بدرٍ من قُريشٍ وغيرهم بنى هاشمٍ منهم ومن أهلِ يثرب
ولسكني قد نلتُ شيئاً ولم يكن كما كنتُ أرجو في مسيري ومركبي

قال ابن هشام : وأنشدني بعضُ أهلِ العلمِ بالشعر قوافيها :

وقد فاتني بعضُ الذي كانَ مطلبي
وبعضهم يُنكرها لهند ، والله أعلم .

شرح ما وقع في هذه الغزوة من الأشعار

وقد شرطنا الإضراب عن شرح شعر الكفرة والمفاخرين بقتال النبي -
صلى الله عليه وسلم - إلا من آمن منهم ، لكنه ذكر في شعر هُبيرة الذي
يبدأ به يمين ليسا من شعره ، فلذلك ذكرتهما ، وهما :

وَأَلَيْتَ بِصَطْلِي بِالْفَرْثِ جَازِرُهَا يَخْتَصُّ بِالنَّفَرِ الْأُمُتِينَ دَاعِيهَا
فِي لَيْلَةٍ مِنْ جُحَادَى ذَاتِ أُنْدِيَةٍ جَرَّ بَا مُجَادِيَةٍ قَدِ بَتَّ أَسْرِيهَا
بقوله : بِصَطْلِي بِالْفَرْثِ ، أى : بِحَتَّافِي بِهِ مِنْ شِدَّةِ الْهَرْدِ .

مولد صمغ ندى وأسماء السهول :

وقوله يَخْتَصُّ بالنقري^(١) البثرين ، يريد يختصُّ الأغنياء طائفةً لكافتهم ،
ولمّا كَلَّ عندهم ، يصف شدّة الزمان ، قاله يعقوب في الألفاظ ، ونسبهما للهذليّ ،
وكذلك قال ابن هشام في هذين البيتين أنهما ليسا لهيبرة ونسبهما لجعوب أخت
عمرو ذى الكلب الهذليّ .

وقوله : ذات أنديّة : جمع ندى على غير قياس ، وقد قيل : إنه جمع
الجمع كأنه جمع ندى على نداء مثل جمّل وجمال^(٢) ، ثم جمع الجمع على
أفعلة ، وهذا بعيد في القياس ، لأن الجمع الكثير لا يُجمع ، وفعّال من أبنية
الجمع الكثير ، وقد قيل هو جمع ندى والنديّ المجلس ، وهذا لا يشبه معنى
البيت ، ولكنه جمع جاء على مثال أفعلة ، لأنه في معنى الأهوية والأشدية^(٣)

(١) هي النقري بالثقاف ، والنقري - كما يقول الحشني - أن يدعو قومًا دون
قوم ، يقال هو يدعو الجفلى إذا عم ، وهو يدعو النقري إذا خص .

(٢) أنظر ص ٢٧٧ ج ٤ شرح شواهد الشافية المطبوع مع الشافية فقد فصل
ابن جني القول عن هذا . هذا والشعارة الأولى في شعر لمرة بن محكان . وانظر اللسان
أيضاً في مادة ندى .

(٣) يقول البغدادي في شرحه اشواهد الشافية بعد أن نقل قول السهيلي هذا :
« وقريب منه قول الخوارزمي « ندى وإن كان في نفسه فعلاً - بفتح الفاء والعين -
لكنه بالنظر إلى ما يقابله ، وهو الجفاف - فقال فمن ثم كسروه على أفعلة ، ويقول
ابن جني « وأجود تكسير ندى : أنداء ، ويرد البغدادي على السهيلي في قوله أن
القول بأن أنديّة هو جمع ندى - أي المجلس - لا يشبه معنى البيت ، يرد بقوله :
« قد يمنع ، ويكون معناه : في ليلة من ليالي الشتاء ذات مجالس يجلس فيها =

ونحو ذلك ، وأقرب من ذلك أنه في معنى الرِّثَاذِ والرِّشَاشِ ، وهما يجمعان على أفعلة ، وإراد يجمادى الشهر ، وكان هذا الاسم قد وقع على هذا الشهر في زمن مجود الماء ، ثم انتقل بالأهلة وبقي الاسم عليه ، وإن كان في الصيف والقيظ ، وكذلك أكثر هذه الشهور العربية سميت بأسماء مأخوذة من أحوال السنة الشمسية ، ثم لزمها ، وإن خرجت عن تلك الأوقات^(١).

= الانشراف والاغنياء لإطعام الفقراء ، فإنهم كانوا إذا اشتد الومان ونشأ القحط ، وذلك يكون عند العرب في الشتاء ، يجلسون في مجالسهم ويلعبون الميسر ، وينحرون الجزر ، ويفرقونها على الفقراء ، ص ٢٧٨ ج شرح الشافية وشواهدا . (١) قال البغدادي في شرحه لشواهد الشافية : « وينبغي أن يعتبر هنا أصل الوضع ، وإلا فلا فائدة في ذكر اسم شهر لا يدل على شدة البرد وجود الماء ، والشاعر إسلاي ، وليس من أدرك زمن وضع الشهور ، ويجوز أن يلاحظ في الأعلام أصل وضعها . »

ويقول ابن الأنباري عن أسماء الشهور : أسماء الشهور كلها مذكرة إلا جمادى فهما مؤنثان . تقول : مضت جمادى بما فيها ، فإن جاء تذكير جمادى في شعر ، فهو ذهاب إلى معنى الشهر ، ومعنى غير مصروفة للتأنيث والعلمية ، والاولى والآخرة عطف لما ، فإن الآخرة بمعنى المتأخرة ، ولا يقال . جمادى الاخرى ، لأن الاخرى بمعنى الواحدة ، فتناول المتقدمة والمتأخرة ، فيحصل اللبس ، ويحكي أن العرب حين وضعت الشهور وافق وضع الازمنة فاشتق للشهر معان من تلك الازمنة ، ثم كثر حتى استعملوها في الأفعلة وإن لم توافق ذلك الزمان ، فقالوا : رمضان لما أرمضت الأرض من شدة الحر ، وشوال لما شالت الإبل بأذيائها للطروق ، وذو القعدة لما ذلوا القعدان للركوب ، وذو الحجة لما حجوا ، والمحرم لما حرموا القتال والتجارة ، وصفر لما غزوا فتركوا ديار القوم صفرا ، وشهر ربيع لما أربعت الأرض وأمرعت ، وجمادى لما جمدا الماء . =

سُرعِ شَمْرُ كَعْب :

وذكر شعر كعب بن مالك يحيب هُبَيْرَةَ وأوله : أَلَا هَلْ أَتَى غَسَّانَ .
وقد افتتح قصيدة أخرى في أشعار بدر بهذا اللفظ ، فقال :

أَلَا هَلْ أَتَى غَسَّانَ فِي نَأْيِ دَارِهَا

ولمّا يذكر غَسَّانَ لأنهم بَنُو عَمِّ الْأَنْصَارِ ، وَالْأَنْصَارُ بَنُو حَارِثَةَ بْنِ
ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِر .

والدين بالشام بنو جَفْنَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِر ، وَالْكُلُ غَسَّانُ ، لِأَنَّ غَسَّانَ
مَلَأَ شَمْرَهُ بِوَأَمْنِهِ حِينَ ارْتَحَلَهُمْ مِنَ الْيَمَنِ فَسُمُّوا بِهِ .

وقوله : سَيْرُهُ مُتَمَنِّعٌ ، أَيْ : مُضْطَرَبٌ ^(١) . وقوله : الْعَرَامِيسُ :
جمع عَرَامِيسَ ، وَهِيَ الْفَاقَةُ الْقَوِيَّةُ عَلَى السَّيْرِ .

وقوله : قَيْضُهُ يَتَفَلَّعُ ، أَيْ يَتَشَقَّقُ ، وَالْقَيْضُ : قُشُورُ الْبَيْضِ ، وَالْقَوَانِسُ :
جمع قَوَانِسٍ ، وَهِيَ بَيْضَةُ السَّلَاحِ ^(٢) .

وقوله : وَكُلُّ صَمُوتٍ فِي الصَّوَّانِ ، يَعْنِي الدَّرْعَ جَعَلَهَا صَمُوتًا لَشِدَّةِ

= وَرَجَبٌ لِمَا رَجَبُوا الشَّجَرَ ، وَشَعْبَانٌ لِمَا شَعَبُوا الْعَرْدَ ، ص ٢٨٠ ج ٤
المصدر السابق .

(١) الخرق : الفلاة الواسعة التي تخرق فيها الريح . ومتنعم تروى بالناء ،
والمعنى : متردد عن الخشن باختصار .

(٢) عند الخشن وفي القاموس أن القوانس رأس بيضة السلاح ، أو أعلى بيضة
الحديد .

تَسْجِيهَا وَإِحْكَامَ صَنَعَتِهَا ، وَالنَّهْيُ وَالنَّهْيُ : الْغَدِيرُ ، سُمِّيَ بِذَلِكَ ، لِأَنَّهُ مَاءٌ
قَدْ مُنِعَ مِنَ الْجُرْيَانِ بِإِزْتِفَاعِ الْأَرْضِ ، فَعَادِرُهُ السَّيْلُ ، فَسُمِّيَ غَدِيرًا ، وَنَهْجُهُ
الْأَرْضُ فَسُمِّيَ نَهْجًا .

وقوله : وَمَنْجُوفَةٌ ، مَفْعُولَةٌ مِنْ تَجَفَّتْ : إِذَا حَفَرْتُ ، وَيَكُونُ أَيْضًا مِنْ
مَنْ تَجَفَّتَ الْعِزُّ إِذَا شَدَّتْهَا بِالْجَفِّ ، وَهُوَ الْخَبْلُ ، فَإِنْ كَانَ أَرَادَ الرِّمَاحَ ،
فَمَعْنَى قَوْلِهِ : مَنْجُوفَةٌ ، أَيْ : مَشْدُودَةٌ مُتَقَفَّةٌ ، وَإِنْ كَانَ أَرَادَ أَسَدَّتْهَا ، فَهِيَ
أَيْضًا مَنْجُوفَةٌ ، مَنْ تَجَفَّتْ إِذَا حَفَرَتْ ، لِأَنَّ تَغَلَّبَ الرُّمَحَ دَاخِلٌ فِي اخْتِدِيدَةٍ ،
فَهِيَ مَنْجُوفَةٌ لَهُ ، وَإِنْ كَانَ أَرَادَ السِّيُوفَ ، فَمَنْجُوفَةٌ ، أَيْ كَالْمَحْمُورَةِ ،
لِأَنَّ مُشُونَهَا مَدُوسَةٌ مَضْرُوبَةٌ بِمِطَارِقِ الْحَدِيدِ ، فَهِيَ كَالْمَحْمُورَةِ .

وقوله :

تَصُوبُ بِأُيُودِ الرُّجَالِ وَتَارَةً تَمُرُ بِأَعْرَاضِ الْبِصَارِ تَقْتَقِعُ

يقول : تَشَقُّ أَيْدِي الرُّجَالِ حَتَّى تَبْلُغَ الْبِصَارَ فَتَقْتَقِعُ فِيهَا ، وَهِيَ جَمْعُ
بَصْرَةٍ ، وَهِيَ حِجَارَةٌ لَيِّنَةٌ ، وَيَحْزُزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ جَمْعَ بَصِيرَةٍ مِثْلَ كَرِيمَةٍ ،
وَكِرَامٍ ، وَالْبَصِيرَةُ الدَّرْعُ ، وَقِيلَ : الثَّرْسُ ، وَالْبَصِيرَةُ أَيْضًا : طَرِيقَةُ الدَّمِ فِي
الْأَرْضِ ، فَإِنْ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ ، فَهِيَ جَدِيدَةٌ ، وَلَا مَعْنَى لَهَا فِي هَذَا الْبَيْتِ .

شرح شعر ابن الزُّبَيْرِ :

وقول ابن الزُّبَيْرِ :

بِأَغْرَابِ الْبَيْنِ اسْتَمْتَتْ ، فَقُلْ إِنَّمَا تَنْزِقُونَ شَيْئًا قَدْ قِيلَ

بِقَرَارِ الْجَاهِلِيَّةِ بِالْقَدَرِ :

قوله : قد قيل : أى : قد فرغ منه ، وقد كانوا فى الجاهلية يُقرءون
بِالْقَدَرِ ، وقال لبيد فى الجاهلية :

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرٌ نَفْلًا وَبِإِذْنِ اللَّهِ رَبِّنِي وَالْعَجَلِ
مَنْ إِيَّاهُ سُبُلَ الْخَيْرِ اهْتَدَى نَاعِمَ الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلِّ
وقال راجزٌ هم :

يَا أَيُّهَا اللَّائِمُ لِمَنِ ، أَوْ مَذَرُ إِنْ كُنْتَ أَخْطَأْتُ فَمَا أَخْطَأَ الْقَدَرُ

وقوله : غَيْرُ مُلْتَمَسٍ ، هو مُفْتَعَلٌ مِنَ اللَّوْنَةِ كَمَا قَالَ الضَّبِّي :

عِنْدَ الْحَفِظَةِ إِنْ ذِي لَوْنَةٍ لَا نَا^(١)

وَالْمُهْرَاسُ : حَجَرٌ مَقْفُورٌ يَمْسُكُ الْمَاءَ ، فَيُتَوَضَّأُ مِنْهُ ، شُبَّهَ بِالْمُهْرَاسِ
الَّذِي هُوَ الْهَاطُونُ ، وَوَهْمُ الْمُهْرَدُ ، فُجِّلَ الْمُهْرَاسُ اسْمًا عَلَمًا لِلْمُهْرَاسِ الَّذِي
بِأَحَدٍ خَاصَّةً ، وَإِنَّمَا هُوَ اسْمُ كُلِّ حَجَرٍ يُقَرُّ فَاْمَسْكُ الْمَاءِ . وَرَوَى ابْنُ عَبْدِ وَاسٍ

(١) فى ديوان الحماسة لأبى تمام لقريط بن أَيْفٍ أَحَدُ بَنِي الْعَنْبَرِ :

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازَنٍ لَمْ تَسْتَجِبْ لِي بَنُو اللَّقِيطَةِ مِنْ ذَهَلِ بْنِ شَيْبَانَ
إِذَا لِقَامَ بَنَصْرَى مَعَشَرَ خَشَنٍ عِنْدَ الْحَفِظَةِ إِنْ ذُو لَوْنَةٍ لَا نَا

وكذلك رواه ابن فارس فى معجمه غير منسوب فى مادة لوث : ، وإن ذو

لَوْنَةٍ لَا نَا ،

عن مالك أنه سئل عن رجل يمر بمهراس في أرض قلاة كيف يتمنى منه ؟ فقال مالك : هَلَّا قَلْتَ مَرًّا بِقَدِيرٍ ، وَمَنْ يَجْعَلْ لَهُ مِهْرَاسًا فِي أَرْضِ قَلَاةٍ ؟ فهذا يبين لك أن المِهْرَاسَ ليس مخصوصاً بالمِهْرَاسِ ، الذي كان بأحدٍ ، وكذلك وَقَعَ في غريب الحديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - مَرًّا بِقَوْمٍ يَتَجَاذَوْنَ^(١) مِهْرَاسًا أَى : يَرَفَعُونَهُ .

سعر مسامه برد به علي ابن الزبير :

قول حَسَّانٍ يَجِيئُهُ :

هُرَبًا فِي الشَّعْبِ أَشْبَاهَ الرُّسُلِ

يعنى : الْغَمَّ إِذَا أَرْسَلَهَا الرَّاعِي ، يقال لها حينئذ رَسَلٌ^(٢) .

وقوله كَأَشْرَافِ الْعَمَلَاءِ الْأَشْرَافُ : جمع شَرَفٍ ، وهو الشَّخْصُ ، والملا : مَا اتَّسَعَ مِنَ الْأَرْضِ ، ويريد بالأشراف هَاهُنَا أَشْخَاصَ الشَّجَرِ وَأَصُولَهَا .

وقوله : يُهَلِّ ، أَرَادَ : فَيُهَالِ نَمِ جِزْمٍ لِلشَّرْطِ ، فَاخْتَذَتْ الْآلُفُ لِلتَّقَاءِ السَّاكِنِينَ ، وهو من الْهَوَلِ ، يقال هَالَى الْأَمْرَ يَهْوِلُوهُ هَوَلًا إِذَا أَفْرَعَكَ .

وقوله : وَمَلَأْنَا الْفَرَطَ ، أَرَادَ : الْفَرَطَ بِتَحْرِيكِ الرَّاءِ ، وَهِيَ الْأَكْمَةُ ،

(١) في الأصل : يتجارون والنصوب من النهاية لابن الأثير مادة جدا ، وكذلك في اللسان .

(٢) يقول الحشني عن الرسل : الإبل المرسلة التي بعضها في أثر بعض ، وقال بعض اللغويين : الرسل : الجماعة من كل شيء .

وما ارتفع من الأرض ، والرجل : جمع رجالة ، وهو المظفر من الأرض ،
والرجالة أبضاً في معنى الرجل من الجراد ، قال الشاعر :

وتحت نخور الخليل حرسف رجالة

يريد بالخرسف جماعة الرُّبَا ، وهم صغار الجراد ، ضربهم مثلاً لهرجالة
والرثامة ، وجمع القراط : أقراط .

وقوله : ولدت استها : كلمة تقولها العرب عند السب ، تقول : يا بني استها ،
والولد : بمعنى الأولاد . وكتب أهل دمشق إلى أهل مزة وهي على قرسخر
من دمشق وكانوا أمسكوا عنهم الماء فسكتبوا إليهم : من أهل دمشق إلى
بني استها .

وبعد : فأما أن يُسمينا الماء وإلا صَبَحْتُمْ الخليل . ذكره الجاحظ^(١) .

من يضر حذف حرف الجر ؟

وقوله في المؤمنين : أَيْدُوا جِبْرِيلَ ، أى : أَيْدُوا بجبريل ، وحذف الجار
فتعدى الفعل فنصب ، ولا يضر هذا الحذف إلا أن يكون الفعل للتعدي
بحرف جر متضمن لمعنى فعل آخر ناصب ، كقولهم : أمرتك الخير أى كلفتك

(١) ذكره في البيان والتبيين ، والذي كتب إلى أهل مزة هو أبو الهيثم ،
ويقول راوى الخبر ثمامة بن أشرس : فوافاهم الماء قبل أن يعتموا ، فقال
أبو الهيثم : الصدق يفي عنك لا الوعيد . ص ٢٠١ ج ١ البيان والتبيين للجاحظ
ط سنة ١٩٤٨ بتحقيق عبد السلام هارون .

الخير وَأَزْمُتُكَه ، ولا يَسْتَقِيمُ نَهْيُكَ الشَّرَّ إِذْ لَيْسَ فِي مَعْنَى نَهْيُكَ
فَعَلٌ . نَاصِبٌ وَقَوْلُهُ : أَيَّدُوا جِبْرِيْلَ ، أَيُّ أَصْحَابِهِ ، وَنَحْوُ هَذَا ، فَحُذِّ
حَذَفُ الْبَاءِ لِهَذَا .

عود الى شعر مساره :

وقول حسان :

نُخْرِجُ الْأَصْبَحَ مِنْ اسْتَأْهِمٍ

رواه أبو حنيفة : نخرج الأضيّاحَ ، وهو اللبن المزوج بالماء ، وهو في معنى
الأصْبَحَ ، لأنَّ الصُّبْحَةَ بَيَاضٌ غَيْرُ خَالِصٍ ، فجعله وَصْفًا لِللَّبَنِ الْمَمْدُوقِ الْمُخْرَجِ
مِنْ بَطُونِهِمْ .

وقوله :

كسلاح النّيب يأكلن العَصَل

العَصَلُ : نبات كالرفلين ^(١) يُصْنَعُ الْأَيْلَ إِذَا أَكَلَتْهُ ، وَيَكْثُرُ شَرِبُهَا لِلْمَاءِ ،
وهو من الخَمْضِ ، وَيَنْبَتُ فِي السَّيَاحِ ، قَالَهُ أَبُو حَنِيفَةَ .

شعر كعب بن مالك :

وقول كعب بن مالك :

(١) في اللسان : « شجر يشبه الدفلى - بكسر الدال وسكون الفاء وفتح اللام -
تأكله الإبل وتشرب عليه الماء كل يوم ، ولم أجد الرفلين ، وإنما الرفلى في عجائب
المخلوقات للغزويني واللسان . »

لواء الرَسُولِ بذى الأَضْوَجِ

الأَضْوَجُ : جمع ضَوْج ، والضَّوَجُ : جانب الوادى .

وقوله : فى الْقَسْطَلِ الْمُزْهِجِ . الْقَسْطَلُ : الغبار ، وكذلك الرُّهَيْجُ ، وقد شرحنا الساجج^(١) فيما مضى ، والجل الأَدْْعَجُ : يعنى الأسود ، ومنه الحديث فى صفة النبی - صلى الله عليه وسلم - فى عَيْنَيْهِ دَعَجٌ ، وفى أَشْفَارِهِ وَطَفٌ^(٢) .

وقوله : وَحَمَظَلَّةُ الْخَيْرِ لم يُخَنِّجْ ، أى لم يَمْلُه شئٌ ، عن الطريق المستقيم ، يقال حَمَزْتُ الشئ إذا أَمْلَنْتَهُ وَعَدَلْتَهُ عن وَجْهِهِ ، ويقال أيضاً : أَحْنَجْتُهُ فهو مُحَنِّجٌ ، وسيأتى فى الشعر بعد هذا ما يدل عليه .

وقوله :

عن الحق حتى غَدَتْ رَوْحُهُ

أَنَّ الرُّوحَ لَأنه فى معنى النَّفْسِ ، وهى لغة مشهورة معروفة . أمر دُورِ الرَّمَّةِ عند موته أن يُكْتَبَ على قبره :

يَا نَارِ الرُّوحِ مِنْ جِسْمِي إِذَا قُبِضْتُ وَفَارِجِ الْكَرْبِ أَتَقْدِنِي مِنَ النَّارِ
فَكَانَ ذَلِكَ مَكْتُوباً عَلَى قَبْرِهِ .

وقوله : فَاخِرِ الزَّبْرِجِ ، أى : فَاخِرِ الزَّيْنَةِ ، أى ظَاهِرِهَا .

(١) السيف المرهف القاطع .

(٢) مر فى حديث أم معبد ، تعنى فى شعر أجفانه طول ، والدعج : السواد فى العين ، وقيل : شدة السواد مع شدة البياض .

وقوله : في الدَّرَكِ المُرْتَجِ ، أى المُمْتَاق ، يقال : ارتَجَّتْ الباب إذا
أغلقته، وهو من الرِّتَاج ، قالت جارية من العرب ماتت أمها ، وتزوج أبوها :

ولكن قد أنى من دُونِ وُدِّي وبين فؤادِهِ غلقى الرِّتَاجَ
ومن لم يؤذِهِ أَلَمْ بَرِّ أُمِّي وما الرِّثْمَانُ إِلَّا بالَنْتَاجِ
ومنه قيل : ارتجج على الخطيب ، إذا أغلق عليه بابُ القول .

وفي شعر ضرار ^(١) : من بجمعنا السَّوَرَجَ ، وهو فَوْعَلٌ من السَّرَاجِ
يريد المَضِيَّ :

من شعر مساه :

وفي شعر حسان :

وَفَوْا إِذْ كَفَرْتُمْ بِاصْخِينَ بَرِّكُمْ

إراد سَخِينَةً ، فَرَحَمَ وَعَنَى مُرِيشًا لأنها كانت تُدَلَّقُ بذلك [لداومتهم .
على شرب هذا الحساء المتخذ من الدقيق الذى يُسَمَّى : سَخِينَةً ^(٢) ، وفي أشعار
ضِرَارٍ فى العَيْنِيَّةِ ^(٣) منها أمرُها شاع ، أراد : شَائِع ، فقلبت ، كما قال الآخر :
لَاثٍ به الأَشَاءُ والعُبْرَى ^(٤)

(١) فى السيرة : من

(٢) ما بين قوسين من شرح السيرة لأبى ذر ، وضعته لإتمام المعنى .

(٣) لا توجد منها ، فى السيرة .

(٤) الأَشَاءُ : صغار النخل واحدها أشاة ، والعبرى من السدر ما نبت على

عبر النهر ، وقيل : العبرى والعبرى منه ما شرب الماء ، والذى لا يشرب الماء
يكون برياً ، وهو الضال . ولاث الشجر فهو لاث — بضم اللام — ولاث =

أراد : لائث ، وكما جاء في الحديث : لَا يَحْتَكَرُ الطَّعَامَ إِلَّا طَائِعٌ ^(١) أَوْ بَاغٌ
أَوْ زَاغٌ أراد : زائع .

وفي شعره القافي :

رشاشُ الطَّعْنِ والوَرَقِ

الوَرَقِ : مائة مُقَدَّ من الدَّم ، قاله ابن دُرَيْد وغيره ، وفيه ما به رَهَقٌ ، أى ..
عَيْبٌ ، والمرهَقُ من الرِّجَالِ الْمَعِيبُ .

في شعر عمرو بن العاص :

وفي شعر عمرو بن العاصي : يَمْشُونَ قَطَوًا . التَّعَطُّوُ والْأَفْطِيطَاءُ : مَشَى

الْقَطَا ^(٢)

= بكسرهما : لبس بعضه بعضا ، قد تنعم . وأما لاث بضم الاء ، فقد يكون فعلا
بفتح فكسر ، وقد يكون فاعلا حذف عينه . وأما لاث بكسر الاء ، فمقلوب
من لائث ، ووزنه قالمع .

(١) في مسلم وأبي داود وابن ماجه والنسائي وأحمد في مسنده : لَا يَحْتَكَرُ
إِلَّا خَاطِي .

(٢) ومن معاني قصيدة عمرو كما جاء في شرح أبي ذر : ينزر : يرتفع ويثب ..
الرضف : الحجارة المحماة . شهباء : بمعنى كثيفة كشهوة السلاح . تلحور :
تقشر وتضعف . تقول لحوت العود إذا قشرته والعيد : الفرس الشديد . يبدد
الحيل رهوا : يسبق ، والرهو : الساكن اللين . ربد : سريع . يعفور : ولد
الظبية . الصريجة : الرملة المنقطعة . شنج : منقبض . نساء : الفسا عرق مستبطن
القمحين . ضابط : يمسك . كبش الكتيبة : رئيسها . جلته : أبرزته .

شعر كعب :

وفي شعر كعب : خذم رعايل . الخذم^(١) : القطع بالأسنان ، ورعايل :
يُطْلَعُ مُتَمَرِّقَةً ، يقال خباء مُرْعَبِلٌ ، أى مُتَمَرِّقٌ .

وقوله :

إِنَّا بَنُو الْحَرْبِ نَمْرِهَا وَنَلْتَجُّهَا

مُسْتَعَارٌ مِنْ مَرَبْتُ النَّاقَةِ إِذَا اسْتَدْرَرَتْ كِبَهَا ، وَنَلْتَجُّهَا إِذَا اسْتَخْرَجَتْ
مِنْهَا وَلَدًا ، يقال : نُلْتَجَّتِ النَّاقَةُ ، وَنَلْتَجُّهَا أَهْلُهَا ، وَأَمَّا أَنْتَجَّتْ تُنْتَجُّ فإِذَا دَنَا
نَتَاجُهَا .

وقوله :

يَوْمُ رَدَاذٍ مِنَ الْجُوزَاءِ مَشْمُولُ

يريد : من أيام أنواء الجوزاء ، وهو نوء الهنعة ، أو الهنعة^(٢) ، وذلك
في الشتاء في شهر كانون الأول^(٣) ومشمول من الرّيح الشمال^(٤) .

وقوله : الثَّقَمَا مِنَ اللَّشَقِ ، وهو البَلَلُ وَالْعَيْنُ الْيَسِيرُ ، وَالرَّذَاذُ

(١) يقول الخشني من رواه بضم الخاء فيعنى به قطع اللحم ، ومن رواه
بفتح الخاء ، فهو مصدر .

(٢) كانت الهنعة والصواب كما أثبت : الهنعة بفتح الهاء وسكون التون
بفتح العين ، فهي كذلك في اللسان .

(٣) هو شهر ديسمبر كما أخبرني ابنتي لشراف .

(٤) عند أبي ذر : هبت فيه ريح الشمال :

معروف ، وهو أكثر من الطش والبعش^(١) ، والطل نحو منه ، أو أقوى منه قليلا ، يقال : أرض مَطْلُوْلَةٌ ومَبْعُوشَةٌ ، ولا يقال : مَرْدُوْدَةٌ ، ولكن يُقال : مَرْدَةٌ ومُرْدَةٌ عليها^(٢) قوله الخطابي .

أجود ما قال مساره :

وذكر شعر حسان . قال ابن هشام : هذه أجود ما قال ، وهذه القصيدة التي قالها حسان ليلاً ، ونادى قومه أنا أبو الحسام ، أنا أبو الوليد ، وهما كنفيتان له ، ثم أمرهم أن يرووها عنه قبل النهار ، مخافة أن يعوقه نائق ، فخر فيها على ابن الزبعرى بمقامات له عند ملوك الشام من أبناء جفنة ، أفنك فيها عناة من قومه .

وذكر مقام خالد عند الثعمان الغساني من آل جفنة ، وليس بالثعمان ابن المُنْذِر ، وقال فيها :

(١) البغشة المطرة الضعيفة ، وفي الأصل بالعين ، والطرش : المطر الضعيف فوق الرذاذ ، والرذاذ : المطر الضعيف أو الساكن الدائم الصغار القطر كالغبار أو هو بعد الطل . ويقول الأصمعي : الطل أخف المطر وأضعفه ، ثم الرذاذ ، والرذاذ فوق القطر . بكسر التافين .

(٢) في القاموس : أرذت السماء ورذت وأرض مرذ عليها ، ومرذوذة ويوم مرذوذ ورذاذ . وكذلك في اللسان : أرض مرذ عليها ، ومرذة ومرذوذة الأخيرة عن ثعلب . وقال الأصمعي : لا يقال أرض مرذة ولا مرذوذة ، ولكن يقال : أرض مرذ عليها ، أما الكسائي فقال : مرذة .

رَبِّ حَيْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمٌ لَمَّا لِيَ وَجْهَهُ لِي غَطَا عَلَيْهِ نَعِيمٌ

غَطَاً بِتَخْفِيفِ الطَّاءِ أَنْشَدَهُ يُوسُفُ بْنُ حَبِيبٍ ، وَهَكَذَا كَانَ فِي حَاشِيَةِ
الْشَيْخِ مَذْكُوراً عَنْ يُونُسَ ، وَغَطَاً مَعْنَاهُ ارْتَفَعَ وَعَلَا ، وَأَنْشَدَ الْقُتَيْبِيُّ :

وَمِنْ تَعَاجِيبِ خَلْقِ اللَّهِ غَاطِيَةٌ يُعْمَى مِنْهَا مُلَاحِيٌّ وَغَرِيبٌ^(١)

مُلَاحِيٌّ بِتَخْفِيفِ اللَّامِ ، وَيُقَالُ : مُلَاحِيٌّ كَمَا قَالَ :

كَعَنْقُودٍ مُلَاحِيَّةٍ حِينَ نَوَّرَا

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : مَنْ قَالَ مُلَاحِيَّةً بِالتَّشْدِيدِ شَبَّهَهُ بِالْمَلَّاحِ وَهُوَ ثَمَرُ
الْأَرَاكِ^(٢) وَفِيهِ مُلُوحَةٌ ، وَقَالَ : وَالْغَرِيبُ اسْمٌ لِنَوْعٍ مِنَ الْعِنَبِ ، وَلَيْسَ
يَنْتَعِ . قَالَ الْمَوْافِ : وَإِذَا ثَبِتَ هَذَا فَلَعَلَّكَ أَنْ تَفْهَمَ مِنْهُ مَعْنَى قَوْلِهِ سَبَّحَانَهُ :
(وَغَرَابِيبُ سُودٍ) فَاطِرٌ : ٢٧ . حِينَ وَصَفَ الْجُدَدَ ، وَسُودٌ عِنْدِي بَدَلٌ ،
لَا نَعْتُ ، وَإِنَّمَا يَتِمُّ شَرْحُ الْآيَةِ لَمَنْ لَحَظَهُ مِنْ هَذَا الْمُطَّلِعِ ، فَإِنَّ أَبَا حَنِيفَةَ زَعَمَ
أَنْ الْغَرِيبَ إِذَا أُطْلِقَ لَفْظُهُ ، وَلَمْ يُقَيَّدَ بِشَيْءٍ مَوْصُوفٍ بِهِ ، فَإِنَّمَا يَنْهَمُ مِنْهُ
الْعِنَبُ الَّذِي هَذَا اسْمُهُ خَاصَّةً ، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلصَّوَابِ وَفَهَمِ الْكِتَابِ .

(١) فِي اللِّسَانِ أَنْشَدَهُ ابْنُ قَتَيْبَةَ وَفِيهِ : يَعْمَرُ وَهُوَ الصَّوَابُ .

(٢) فِي اللِّسَانِ وَحَكَى أَبُو حَنِيفَةَ مُلَاحِيٌّ — بِتَشْدِيدِ اللَّامِ — وَهِيَ قَلِيلَةٌ ،
وَقَالَ مَرَّةً إِنَّمَا نَسَبَهُ إِلَى الْمَلَّاحِ — بِتَشْدِيدِ اللَّامِ وَضَمِّ الْمِيمِ — وَإِنَّمَا الْمَلَّاحُ فِي
الْعِلْمِ ، وَالْمَلَّاحِيٌّ — بِتَخْفِيفِ اللَّامِ — مِنَ الْأَرَاكِ الَّذِي فِيهِ بَيَاضٌ وَشَبْهَةٌ وَحُمْرَةٌ
وَفِي اللِّسَانِ أَيْضاً : مُلَاحِيٌّ بِتَخْفِيفِ اللَّامِ : عِنَبٌ أَيْضٌ .

وذكر فيه حَمَاة النَّوَاء من بنى عَمْدِ الدَّار ، وأنهم صُرِعُوا حَوَاهِ حَتَّى
أَخَذَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْهُمْ وَهِيَ عَمْرَةٌ بِنْتُ عِلْقَمَةَ ، فَلِذَلِكَ قَالَ :
لَمْ تَطُقْ حَمْلَهُ الْعَوَاتِقُ مِنْهُمْ إِنَّمَا يَحْمِلُ النَّوَاءُ النَّجُومُ^(١)

سُورَةُ صُرُوط :

وَقَالَ فِي سُورَةِ حَجَّاجِ بْنِ عَلَاطٍ يَمْدَحُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
لِلَّهِ أَيْ مُذَبِّبٍ عَنْ حُرْمَةٍ

أُلْفِيَتْ فِي حَاشِيَةِ الشَّيْخِ أَبِي بَحْرٍ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ يَعْنِي
أَصْلَ أَبِي الْوَلِيدِ ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ : أَيْ نَصِبٌ لِأَنَّهُ مَدِيحٌ وَلَمْدِيحٌ نَصَبٌ فِي أَيْ
حَالِهِ ، فَأَمَّا ابْنُ هِشَامٍ فَرَفَعَ أَيْ . قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ مِنْ
نَصْبِ أَيْ عَلَى الْمَدِيحِ ، لَا يَسْتَقِيمُ إِلَّا أَنْ تُقَدَّرَ حَذْفَ الْمَبْتَدَأِ قَبْلَهُ ،
كَأَنَّهُ قَالَ اللَّهُ أَنْتَ لِأَنَّهُ لَا يُنْصَبُ عَلَى الْمَدْحِ إِلَّا بَعْدَ جُمْلَةٍ تَامَةٍ ، وَأَمَّا
الرَّفْعُ عَلَى أَنْ تَجْعَلَ خَبْرَهُ لِلَّهِ : فَتَقْبِيحٌ لِأَنَّهُا وَإِنْ كَانَتْ خَبْرًا ، فَأَصْلُهَا

(١) وَإِلَيْكَ بَقِيَّةُ شَرْحِهَا مِنْ شَرْحِ السَّيْرَةِ لِأَنِّي ذَرُوتُ الْخَشْنَى : وَأَضَافَ :
نَزَلَ وَزَارَ . السُّتُومُ : الْمَلُولُ . الْحَوْلُ : الصَّغِيرُ . أُنْدَبَتْهَا : أَثَرَتْ فِيهَا مِنَ الْإِنْدَبِ ،
وَهُوَ أَثَرُ الْجَرَحِ . الْكَلُومُ : الْجَرَاحَاتُ . اللَّجِينُ : الْفَضَّةُ . الْجَايِيَةُ : الْحَوْضُ
الصَّغِيرُ . الْجَوْلَانُ : مَوْضِعٌ بِالشَّامِ . إِنْ خَالَى خَطِيبٌ : يَعْنِي بِخَالِهِ مُسَلِّمٌ
ابْنُ مَخْلَدِ بْنِ الصَّامِتِ . مَحْطُومٌ : مَكْسُورٌ . جَرٌ : أَرَادَ جَزَأَ فَتَقَلَّ حَرَكَةُ الْهَمْزَةِ
وَحَذَفَهَا . وَسَطَتْ : تَوَسَّطَتْ . الذَّوَانِبُ : الْأَعَالَى : سَمِيحَةٌ : أَمَامَ بَعْزِ الْمَدِينَةِ كَانَ
عِنْدَهَا احْتِكَامُ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ فِي حُرُوبِهِمْ إِلَى ثَابِتِ بْنِ الْمُنْذِرِ وَالِدِ حَسَّانَ
ابْنِ ثَابِتٍ . غَطَى : مِنْ رَوَاهُ بِتَشْدِيدِهَا فَهُوَ مَعْرُوفٌ . فَلَسْتُ بِسَيِّئٍ : السَّبُّ هُوَ الَّذِي
يَقَاوِمُ الرَّجُلَ فِي السَّبِّ ، وَيَكُونُ شَرْفُهُ مِثْلَ شَرْفِهِ . نَبٌ : صَاحٌ . لِحَافَى :
ذَكَرْنِي . الرِّعَاعُ : الضَّمْفَاءُ . لَوَاذٌ : مُسْتَتِرِينَ . الْحَلُومُ : الْعُقُولُ . الْعَوَاتِقُ : جَمْعُ عَاتِقٍ
وَهُوَ مَا بَيْنَ الْكَتِفِ وَالْعُنُقِ . النَّجُومُ هُنَا الْمَشَاهِيرُ مِنَ النَّاسِ ، ص ٢٥٧ وَمَا بَعْدَهَا

الاستفهام فلما صدر الكلام كما كان ذلك في كم خبرية كانت ، أو استفهامية ،
فالتقدير إذاً : الله دَرَّه أى مُدَبِّبٍ عن حُرْمَةٍ هو ، ألا ترى أنه يَقْبِجُ أن يقول :
جاءنى أى فتى ، فإن جعلته وصفاً جارياً على ما قبلها ، فقلت جاءنى رَجُلٌ أى
رَجُلٌ جاز ذلك ، لأنه إذا كان وصفاً لم تَلِهِ العواملُ اللَّفْظِيَّةُ ، فكأنه لم
لم يخرج عن أصله ، إذ المبتدأ لا تليه العواملُ اللفظية .

وقوله : أَخَوَلُ أَخَوَلَا ، أى : متفرقين ، ووقع تفسيره فى بعض النسخ
من قول ابن هشام ، وكان أصله من الخال ، وهو اُخْتِلَالٌ والكبر ، تقول :
فلانٌ أَخَوَلُ من فلانٍ ، أى أشدُّ كِبَرًا منه ، واخْتِيَالًا ، فمعنى قولهم : إذا
جاء القومُ أَخَوَلُ أَخَوَلَا ، أى انفرد كُلُّ واحدٍ منهم بنفسه ، وازدَهاهُ الخالُ
أن يكون تابعاً لغيره ، فكلما رأيت أحداً منهم ، قلت : هذا أَخَوَلُ من
الآخر ، هذا هو الأَصْلُ ، ثم كثر حتى استعمل فى التفرق مثلاً ، وإن لم يكن
هناك من معنى الخال شئٌ ، وقد قيل فى أَخَوَلُ : إنه من تَخَوَّلْتُ بِالْمَوْعِظَةِ ،
ونحوها إذا فعلت ذلك شيئاً فشيئاً ، وفى الحديث : كان رسولُ الله - صلى الله
عليه وسلم - يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ ، مخافة السَّامةِ علينا .

سَمَرُ مَسَامِهِ الْحَايِ :

وذكر شعر حسان الحائى وقال فيه :

كالحامِ — آلاتِ الوقْرِ بالثَّقَلِ المُنَحَّاتِ الدَّوَالِجِ

الدَّوَالِجُ : جمع دالحة وهى المُنَقَّلَة ، وكذلك الدَّلُوحُ من السَّحَابِ ، وهى
المُنَقَّلَة بالماء وفيه :

يَنْقُضُ ——— أَنْشَعَارًا ——— هُنَاكَ بَادِيَةُ الْمَصَائِحِ

المصائح : جميع : مَسِيحَة ، وهو مالم يُنْشَط من الشَّعر بدهنٍ ، ولا شيء ،
والمَسِيحَة أيضًا القِطْعَة من النِّضَة ، والمَسِيحَة الفَرَسُ .

وقوله : من بين مَشْرُورٍ ، أى مُفَرَّقٍ ، ويقال شَرَزْتُ الْمِلْحَ إِذَا
فَرَقْتَهُ ^(١) ، وَالْبَجَلُ كَالْجُرْحِ ، تقول : بَجَلْتُ يَدِي مِنَ الْعَمَلِ .

وقوله : نَشَائِحُ ، أى نَحَاذِرُ ، كما قال الآخر .

وَشَايَحْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ إِنَّكَ شَيْخٌ ^(٢)

وقوله : قد كُنْتَ الْمُصَامِحَ ، وفي الحاشية عند الشيخ المصافح ^(٣) بالفاء في رواية
أخرى ، وأما الْمُصَامِحُ بالميم ، فيجوز أن يكون من صَمَحَتُ الشَّيْءُ إِذَا أَذْبَقَهُ ،
قاله صاحب العين ، قال : وَالصَّمَحُ مَحُ مِنَ الرَّجَالِ : الشَّدِيدُ الْقَصَبِ ، وَسِنَّهُ

(١) في رواية : مشزور ، أى مفتول . ويدعزع : يفرق . والبوارح :
الرياح الشديدة .

(٢) الشعر لآبى ذؤيب الهذلي يرثى رجلا من بني عامر ، ويصف مواقفه
في الحرب :

وزعتهم حتى إذا ماتبددوا سراعاً ولاحت أوجه وكشوح
بدرت إلى أولاهم فسبقتهم وشايحت قبل اليوم إنك شيخ

أنظر اللسان في مادة شيخ وديوان الهذليين ج ١ ص ١١٤ — ١٢٠ .

(٣) ومعنى المصافح : الراد للشيء ، تقول : أتاني فلان ، فصفحته عن حاجته
أى : زدده عنها . والمصامح : المدافع الشديد ، والمتافع المدافع عن القوم
د ص ٢٦٠ شرح السيرة لآبى ذر ،

سائين الثلاثين إلى الأربعين ، والشماع فيما ذكر أبو حنيفة الرياح الممقعة .

وقوله : سَبَبٌ أو مَنَادَح ، يجوز أن يكون جَمْع : مَنْدُوحَةٌ ، وهى السَّعَةُ ، وقياسه : مَنَادِيح بالياء ، وحذفها ضرورة ، ويجوز أن يكون من النَّدَح ، فيسكون مُفَاعِلًا بضم الليم ، أى مُسَكَّنًا ، ويكون بفتح الليم فيكون جمع مَنْدُوحَةٍ مَمْعَلَةٌ من الكثرة والسَّعة ، وأما قولهم : أنا فى مَنْدُوحَةٍ من هذا الأمر ، فهى مَفْعُولَةٌ من النَّدَح ، وَوَهْمُ أَبُو عُبَيْدٍ ، فجعله من انداحَ بَطْنُهُ إِذَا اتَّسَعَ ، والنون فى مَنْدُوحَةٍ أَصْلٌ ، وهى فى انداح زائدة ، لأن وزنه انفعَلَ ، والألف فى انداح أَصْلٌ وهى بدل من واو كأنه مَنْدُوحَةُ الشَّج ، والليم فى مَنْدُوحَةٍ زائدة ، والدال عين الفعل ، وهو فى انداحَ فاء الفعل ، ومن هاهنا قال الخطابى : باعَجَبًا لابن قُتَيْبَةَ يترك مثل هذا من غَلَطِ أَبِي عُبَيْدٍ ، ويعنف فى الرد عليه ، فيما لا بَالُ له من الغلط .

وقوله : خَضَارِمَةٌ : جمع خَضْرَمٍ ، وهو الكثير العطاء .

وقوله : يَرِئِمَنَّ من الرِّسَمِ فى السَّيْرِ ، والصَّحَاصِحُ : جمع صَحْصَحٍ ، وهى الأرض الملساء .

وقوله : ليس من فَوْزِ السَّقَائِحِ ، السَّقَائِحُ : جمع سَفِيحَةٍ ، وهى كالجَوَالِقِ^(١) ونحوه .

(١) المفرد جوالق بضم الجيم وكسر اللام وفتحها ، أو بكسر الجيم واللام .
وجمعها جوالق كصانف ، وجوالق بفتح الجيم ، وجوالقات بضم الجيم ، =

سَمَرُ صَانِئِ الرَّسْمِ :

وقال في القصيدة اللامية: ذى الخُرُصِ الذَّابِلِ، يريد: الرَّمْعَ، والخُرُصُ
سِنَانُهُ وَجْمَعُهُ خُرُصَانٌ. وفيه: شُلَّتْ يَدَا وَخْشَى مِنْ قَاتِلٍ.

تَرْكُ تَنْوِينِ الْعِلْمِ لِلضَّرُورَةِ :

تَرْكُ التَّنْوِينِ لِلضَّرُورَةِ لِمَا كَانَ اسْمًا عَلَمًا، وَالتَّعْلَمُ قَدْ يُتْرَكُ صَرَفُهُ كَثِيرًا،
وَمَنْعٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَصْرِيُّونَ، وَاحْتِجَ الْكُوفِيُّونَ فِي إِجَازَتِهِ أَنْ الشَّاعِرَ قَدْ يَحْذِفُ
الْحَرْفَ وَالْحَرْفَيْنِ نَحْوَ قَوْلِ عُلُقَمَةَ [بْنِ عَبْدَةَ] :

كَانَ إِبْرِيْقُهُمْ ظَنِّي عَلَى شَرَفٍ مُقَدَّمٍ بِسَبَا الْكَتَّانِ مَلْثُومٌ^(١)

أَي بِسَابِئِ، وَقَوْلُ ابْنِ

كَالْحَلَامِ لِيَجْ^(٢) بِأَيْدِي التَّلَامِ

= وَالْجَوَالِقُ: دُعَاءٌ مِنْ صَوْفٍ أَوْ شَعْرٍ أَوْ غَيْرِهَا كَالْفَرَارَةِ. وَعِنْدَ أَبِي ذَرٍّ: أَنْ
أَنْ السَّفَانِخَ: جَمْعُ سَفْنِجٍ، وَهُوَ مِنْ فِدَاحِ الْمَيْسَرِ.

(١) لَمْ يَكُنْ فِي الرُّوَضِ غَيْرُ قَوْلِهِ: بِسَبَا الْكَتَّانِ. وَالسَّبِيَّةُ هِيَ الشَّقَّةُ.

(٢) هِيَ فِي الْأَصْلِ: الْحَلَامِجُ، وَلَا مَعْنَى لَهَا، وَالْحَالِجُ: جَمْعُ حَمَلِجٍ -
بِكسر الحاء - مَتَفَاخِ الصَّائِغِ. وَفِي اللَّسَانِ فِي مَادَّةِ تَلَمْ وَرَدَ هَذَا الْيَتُّ مَنَسُوبًا إِلَى
الطَّرْمَاحِ يَصِفُ بَقْرَةً :

تَتَقَى الشَّمْسُ مِنْ بَعْدِيَّةٍ كَالْحَالِجِ بِأَيْدِي التَّلَامِ

وَقَالَ: التَّلَامُ: اسْمُ أَعْجَمِي، وَرَادَ بِهِ الصَّائِغَةُ، وَقِيلَ: غُلَامَانِ الصَّائِغَةُ، يَقَالُ هُوَ بِالْكَسْرِ
يَقْرَأُ بِأَتْبَاعِ الْيَاءِ فِي الْفَاقِيَةِ - وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ بِأَيْدِي التَّلَامِ - فَزَوَاهُ بِفَتْحِ التَّاءِ. وَإِثْبَاتُ الْيَاءِ
أَرَادَ التَّلَامِيذُ بِعَنْ: تَلَامِيذُ الصَّائِغَةِ. وَمَنْ رَوَاهُ بِكسر التَّاءِ مَرَّةً تَلَامٌ، فَهِيَ جَمْعُ تَلَمَ:
الْغُلَامُ. وَقِيلَ كُلُّ غُلَامٍ تَلَمَ تَلْمِيذًا كَانَ أَوْ غَيْرَ تَلْمِيذًا لَجَمْعِ التَّلَامِ وَقِيلَ: اتَّلَامَ بِالْكَسْرِ =

أى التلاميذ .

وقال ابن السراج محتجاً عليهم : ليس القنوين من هذا في شيء لأنه زائد
لمعنى ، وما زيد لمعنى لا يحذف .

شمر كعب

بقي شمر كعب :

طَرَقَتْ هُمُومُكَ فَالرَّقَادُ مُسَهَّدٌ

أراد الرقاد مُسَهَّدٌ صاحبه ، خُذِفَ المضاف ، وأقامَ المضاف إليه مقامه ،
وهو الضمير المخفوض ، فصار الضمير مفعولاً لم يُسَمَّ فاعله ، فاستترى في
المُسَهَّد (١) . ومنه :

وَجَزِغْتَ أَنْ سُلِخَ الشَّبَابُ الْأَغْيَدُ

أى : الأغيدُ صاحبه ، وهو الناعم .

وقوله : والخليل تَشْفِيهِمْ ، أى : تنبع آثارهم ، وأصله من تَفَنَّنَاتِ البعير ،
وهو ما حول الخلف منه .

قصيدة كعب الرائية :

وقول كعب في الشعر الزأى :

= الخلاج الذى يتفخ فيه ، والتلام بالفتح التلاميذ التى تنفخ فيها . وأنشد .

كالتلاميذ بأيدي التلام

وانظر مادة حاج من اللسان . والتلاميذ : الختم والاتباع .

(١) ذهب أبو ذر إلى ما ذهب إليه السهيلي ، ولكنه زاد : ويجوز أن يكون
وصف الرقاد بأنه مسهد على وجه المجاز .

وَلَيْتُ الْمَلَأِ حِمَّ فِي الْبِرَّةِ

الْبِرَّةُ: الشَّارَةُ الْحَسَنَةُ، وَالْبِرَّةُ السَّلَاحُ أَيْضًا، وَهُوَ مَنْ بَرَزَتْ الرِّجْلُ، إِذَا سَلَبَتْهُ بَرَزَتْهُ، يُقَالُ: مَنْ عَزَّ بَرٌّ، أَيْ: مَنْ غَابَ سَلَبٌ، وَالْبُرْأِي: الرَّجُلُ الشَّدِيدُ.

نونية كعب :

وقال أيضاً في القصيدة النونية .

تَلُوذُ الْبُجُودُ ، بِأَذْرَانَا

الْبُجُودُ: جَمْعُ بَجْدٍ، وَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ، وَيُرْوَى النَّجُودُ بِالنُّونِ، وَهِيَ الْمَرْأَةُ الْمَكْرُوبَةُ. وَالنَّجُودُ مِنَ الْإِبِلِ: الْقَوِيَّةُ^(١) وَقَوْلُهُ: بِأَذْرَانَا، جَمْعُ ذَرٍّ مِنْ قَوْلِهِمْ: أَنَا فِي ذَرٍّ فُلَانٍ، أَيْ فِي سِتْرِهِ، وَتَقُولُ الْعَرَبُ: لَيْسَ فِي الشَّجَرِ أَذْرَى مِنَ السَّلَمِ، أَيْ: أَذْفَأُ ذَرًّا مِنْهُ، لِأَنَّهُ يُقَالُ: مَا مَاتَ أَحَدٌ صَرْدًا^(٢) قَطُّ فِي ذَرٍّ سَلَمَةٍ.

وقوله: جَلَمَاتِ الْخُرُوبِ. مِنْ قَوْلِكَ جَلَمْتُ الشَّيْءَ، وَجَرَشْتُهُ إِذَا قَطَعْتَهُ، وَمِنْهُ: الْجَلَمَانُ^(٣). وَقَوْلُهُ: لَدُنْ أَنْ بُرِينَا أَيْ خُلِقْنَا، وَالْبَارِي: الْخَالِقُ^(٤) سَبْحَانَهُ، أَيْ هَذَا حَالُنَا مِنْ لَدُنْ خُلِقْنَا.

(١) وهي في السيرة: النجوم ويعنى: المشهورين من الناس.

(٢) الصرد بسكون الراء وفتحها: البرد أو شدته.

(٣) هما المقرضان واحدهما: جلم. وقيل الجلم الذى يجر به الصوف والشعر، والجلمان شفرتاه.

(٤) يقول ابن الأثير: عن الباري: هو الذى خلق الخلق لا عن مثال، =

وقوله : يحسبها من رآها القَتِينَا ، هي الصخور السوداء ، مُتِمَّتْ بذلك لأنها تشبه مافَتِنَ بالنار ، أى : أُحْرِق . وفى التنزيل : ﴿ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ القاريات : ١٣ وأصل الفتن^(١) الاختبار ، وإلما قيل : قَتِنْتُ الحديدَ بالنار ، لأنك تختبر طيبها من خبيثها .
وقوله : دَوَاجِنَ حُمْرًا وَجُونا ، أى : حُمْرًا أَسْوَدًا^(٢) ، وقوله : جَأَوَاءَ ، أى : كَتِيبَةً لَوْ نَهَا لَوْنُهَا لَوْنُ الْحَدِيدِ .

وقوله : جَوْلًا طَحُونًا : الْجَوْلُ : جَانِبُ الْبَيْتِ .

وقوله : إِنْ قَلَصْتَ ، يعنى الحرب^(٣) ، ثم وصفها فقال : عَضُوضًا حَجُونًا من العَضِّ ، وَحَجُونًا من حَجَنَتِ الْعُودَ إِذَا لَوِيَتْهُ^(٤) ، وقوله :

== ولهذه اللفظة من الاختصاص بخلق الحيوان ما ليس لها بغيره من المخلوقات ، وقلبا تستعمل فى غير الحيوان ، فيقال : برأ الله النسمة ، وخلق السماوات والأرض . ويقول أبو هلال العسكري فى فروقه عن البرية : البرية فميلة من برأ الله الخلق ، أى : ميز صورهم ، وترك همزه لكثرة الاستعمال ، وقيل أصل البرية البرى وهو القطع ، وسمى برية لأن الله عز وجل قطعهم من جملة الحيوان فأفردهم بصفات ليست لغيرهم ، أما الخالق ، فهو كما يقول ابن الأثير - الذى أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة ، وأصل الخلق : التقدير ، فهو باعتبار تقدير ما منه وجودها ، وباعتبار الإيجاد على وفق التقدير : خالق . وقد ذكر القرآن الإسمين ، فلا يمكن أن يكون أحدهما عين الآخر فى معناه الكلى .

(١) فى الأصل : الفتنى .

(٢) الدواجن : المقيمة .

(٣) وقلصت : ارتفعت وانقبضت .

(٤) الحجرون : المعوجة الأسنان .

أَلَسْنَا نَشُدُّ عَلَيْهَا الْعَصَا بَ حَتَّى تَذَرَّ وَحَتَّى تَبْلِيْنَا

هذا كله من صِفَةِ الحرب ، شبهها بِنَاقَةٍ صَفِيَّةٍ قَلَصَتْ ، أى صَارَتْ قَلُوصًا ، أى إِنَا نُذَلِّلُ صَفِيهَا ، ونُلِين من ضِرَاسِيهَا . وقوله : ويوم لَهْرَهَجٍ دَائِم الرَهَج : الغَبَار .

وقوله : شديد التَّهَوُّلِ : جمع تَهَوَّيلٍ ، والتَّهَوَّيلُ : ألوان مختلفة ، قال الشاعر [عبد المسيح بن عسلة] يصف روضاً :

وعازب قد علا التَّهَوُّيلُ جَنْبَتَهُ لَا تَنْفَعُ النَّمْلُ فِرْقَارُهُ الْخَافِي (١)

وقوله : حامى الأَرِيْنَا : جمع إِرَة ، وهو مُسْتَوٌّ قَد النَّارِ ، يجوز أن يكون وَزْنُهَا عِلَّةٌ من الأَوَارِ ، وهو الحر ، فحذفت الهمزة ، وهزنت الواو لانكسارها ، وجاز أن يكون وزنها فِعْمَةٌ من تَأَرَّيْتُ بالسَّكَنِ ، لأنهم يَتَأَرَّوْنَ حَوْلَهَا ، وهذا الوجه هو الصحيح ، لأنهم يَجْمُوهَا على إِرِين مثل سنين ، ولا يَجْمَعُ هذا الجمع المسلم يجمع مَنْ يعقل إلا إِذَا حُذِفَتْ لَامُهُ ، وكان مُؤَنَّثًا ، وكان لَامُ الْفِعْلِ حرفَ عِلَّةٍ ، ولم يكن له مذكر كالأمة ، إِذَا اجتمعت فيه هذه الشروط الأربعة جُمِعَ بِالْوَاوِ والنون في الرفع ، والياء والنون في الخفض والنصب ، كَسِينِ

(١) يصف به ما أخرجه الزرع من الألوان ، وفي المحكم يصف نباته وقد أسبه اللسان في مادة هول كما أثبت لعبد المسيح بن عسلة وهو أخو بني مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيان . وبينه هذا مع أربعة غيره في المفضليات الضبي وانظر ص ٥٧ سطر اللال . البكري ١٠ ص ٢٥٤ الأمالى للقال ج ٢ واللسان مادة هول ولنا . ص ٢٢٥ المؤلف والمختلف لابن القاسم الحسن ابن بشر بن يحيى الأمدى ط ١٩٦١ .

وعِضِينَ ، غير أنهم قد قالوا رِقِينَ ^(١) في جمع الرِّقَّةِ وهي أنورِقُ وقد نكأناها على سِرٍّ هذا الجعم وسِرٌّ أرضين في « نتائج الفكر » بما فيه جلاله والحمد لله .

وقوله : كنار أبي حُبَّاحِبٍ والضَّيْمِينَا ^(٢) يقال أبو حُبَّاحِبٍ ذُبَابٌ يَلْمَعُ بالليل ، وقيل كان رجلاً نثياً لا يرفع ناره ^(٣) خَشْيَةَ الأضياف ، ولا يوقدِها إلا ضَعِيفَةً ، وترك صَرْفَهُ ولم يَخْفِضْ ، وهو في موضع الخفض ، لما قد مناه من أن الاسم إذا تَرِكَ صَرْفَهُ ضرورةً أو غير ضرورة ، لم يدخله الخفض كما لا يدخله التَّنْوِينُ ، لئلا يُشَبَّه ما يُضَيِّفه المتكلم إلى نفسه ، وقال أبو حنيفة : لا أدري ما حُبَّاحِبٌ ولا أبو حُبَّاحِبٌ ، ولا بلغني عن العرب فيه شيء ^(٤) ، وقال في الإِرَاقَةِ عن قوم حكى قولهم : هو من أَرَيْتُ الشَّيْءَ إِذَا عَمَلْتَهُ ، وقال : الأَرَىُّ هو عمل النحل وفعلها ،

- (١) في الأصل : رقيق وهو خطأ صوابه ما أثبتته . والرقعة : البرهم المضروب . ورقون في حال الرفع ، ورقين في حال النصب والحجر .
(٢) لا يوجد في القصيدة ما ذكره ، ولكنه يدت للكيفية هو :
وي الراءون بالشغرات منها كنار أبي حبابب والظميننا
ولأنما ترك الكيفية صرفه ، لأنه جعله اسماً لمؤنث .

(٣) كان من محارب خصفة ، وقد ضرب بناره المثل ، فقالوا : نار الحبابب لما تقدمه الخيل بحوافرها ، فان ما أورت الخيل لا ينتفع به كما لا ينتفع بنار الحبابب ، وقيل لأنه كان إذا انقبه منقبه ، ليقبس من ناره أطفالها ، وقد اشتق ابن الأعرابي نار الحبابب من الحبيبة ، وهي الضعف . وأما : أم حبابب فدروية مثل الجنذب تطير صفراء خضراء رقطاء .

(٤) قال : ويزعم قوم أنه اليراع ، واليراع فراشة إذا طارت ظن أنها شررة . وقيل إن الحبابب هو طائر أطول من الذباب في دقة يطير فيما بين المغرب والمساء .

ثم سمي العمل أزياء لهذا كما يسمى مزجاً وأنشد [لأبي ذؤيب الهذلي] :
وجاءوا بمزج لم يرَ الناسُ مثله هو الضحك إلا أنه عمل النحل ^(١)
قال : والضحك : الزبذ الأبيض ، وقيل الشعر ، وقيل الطلع ، وقيل :
العجب .

وقوله : والظمين : جمع ظبية ، جمعتها على هذا الجمع المسلم ، لما قدمناه
في الأرين والسنين ، غير أنه لم يكسر أول الكلمة كما كسرت السين من سنين
إشعاراً بالجمع ، لأن ظمين لا يشبه أن يكون واحداً ، إذ ليس في الأسماء فِعيل ،
وكسرُوا أول ^(٢) سنين إيداناً بأنه جمع كي لا يتوهم أنه اسم على فُعول ، إذ
ليس في الأسماء فُعول ولا فِعيل ولم يبلغ سيديويه أن ظبة تجمع على ظمين ، وقد
جاء في هذا الشعر ، وفي غيره كما تراه .

وقوله : فَوَاحِرُهُ : جمع قَاحِرٍ وهو الوَثَّابُ القَلِيقُ ، يقال : قَحَزَ قَحَزَانَا

(١) في اللسان في مادة ضحك : فجاء .

(٢) بعضهم - كما جاء في اللسان - يقول : سنون بضم السين ، وبعضهم يجعل
النون في سنين هي علامة الإعراب فيقول . هذه سنين بضم النون مع تنوينها ،
ورأيت سنينا ، وبعضهم يجعل النون نون الجمع ، فيقول هذه سنون ، ورأيت
سنين . وللتحريين بعض تفصيل في هذه المسألة . فقالوا : الغالب في باب سنه وأخواتها
أن ما كان منه مفتوح الفاء في المفرد فإنه يكسر في الجمع مثل سنة وسنين ، وما كان
مكسوراً الفاء في المفرد لم يتغير في الجمع ، مثل مائة ومئين وعضه وعضين وعزه
وعزين وما كان مضموماً الفاء يجوز فيه الكسر والضم ، مثل : ثبة وثبين . انظر
ص ١٧٤ من التصريح على التوضيح لابن هشام .

[وَتَجَرُّ وَتُحَوِّزاً]^(١) ، إِذَا وَثَبَ وَقَلَبَ . وَقوله : بِحُرْسِ الْحَبِيرِ ، يَصِفُ السُّيُوفَ بِالْحُرْسِ لَوْقوعِهَا فِي الدَّمِ وَاللَّحْمِ .

وقوله : حِسَانِ رِوَاءٍ : مِنْ الدَّمِ ، وَقوله : بُصْرِيَّةٌ : مَنْسُوبَةٌ إِلَى بُصْرَى . مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، كَمَا أَنَّ الْمَشْرِقِيَّةَ مَنْسُوبَةٌ إِلَى مَشَارِفِ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، لِأَنَّهَا تُصْنَعُ فِيهَا .

وقوله : قَدْ أَجْنَحَ الْجُفُوفُنَا ، أَيْ كَرِهْنَا الْمَقَامَ فِيهَا ، وَمَلَلْنَاهُ ، وَمِنْهُ قَوْلُ مِشَاةٍ لِسَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ : مَا طَعَامُكَ ؟ قَالَ : الْخُبْزُ بِالزَّيْتِ ، قَالَ : أَمَا تَأْكُمُهُمَا ؟ قَالَ : إِذَا أَجِمْتُهُمَا تَرَكَتُهُمَا حَتَّى أَشْتَبِيَهُمَا .

وقوله : وَتَحْتَ الْعِمَاةِ وَالْمُعَلِّمِينَ ، بِإِسْقَاطِ الْوَاوِ مِنْ أَوَّلِ الْقَسِيمِ الثَّانِي^(٢) وَقَعَ فِي الْأَصْلِ وَفِي الْحَاشِيَةِ ، وَتَحْتَ الْعِمَاةِ بِوَاوٍ الْعَطْفِ وَقَعَ فِي الْأَصْلَيْنِ ، وَبِهَا يَكْمُلُ الْوِزْنُ وَلَا يَجُوزُ إِسْقَاطُهَا إِلَّا عَلَى مَذْهَبِ الْأَخْفَشِ الَّذِي يُجِيزُ الْخُرْمَ فِي أَوَّلِ الْقَسِيمِ الثَّانِي مِنَ الْبَيْتِ ، كَمَا يَجِيزُهُ الْعَرُوضِيُّونَ فِي أَوَّلِ الْبَيْتِ .

وقوله : تَطِيفُ بِكَ الْمُنْدِيَّاتِ : أَيْ الْأُمُورُ الشَّدِيدَةُ .

وقوله : تَبَجَّجْتُ ، مِنْ تَبَجَّسَ الْمَاءُ ، إِذَا انْفَجَرَ .

(١) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ مِنَ الْقَامُوسِ .

(٢) أَيْ بِحَذْفِ الْوَاوِ قَبْلَ : تَحْتَ .

سعر ضرار

وقول ضرار في قصيدته الدالية يَكْبُو في جَدِيَّتِهِ^(١) ، أى : في دمه .

وقوله : تَغْلَبَ جَسَدُ ، يريد تَغْلَبَ الرُّمَحُ ، وجَسَدَ من الجِسَاد وهو الدم^(٢) .

وقوله : الأضغان والحِقْد ، حَرَكَ القاف بالكسر ضَرْوَرَةً ، ولو وقف على الدال بالسكون ، وكان الاسم مخفوضاً كان الكسر أحسن في الوقف ، كما قال : واضْطَفَاقًا بالرُّجُلِ ، أى : الرَّجُلِ^(٣) .

وقوله : أَعْوَصَاءَ وَالْكُؤُودَ ، يريد الرَّمْلَةَ أَعْوَيْصَ مَسْلَكُهَا ، وَالْكُؤُودَ جمع عَقَبَةٍ كُؤُودٍ وهى الشاقة .

(١) عند الخشنى : طريقة الدم .

(٢) الثعلب ما دخل من الرمح في السنان . وجسد ييس عليه الدم .
د الخشنى ص ٢٧٢ ،

(٣) انظر ص ٢٢١ - ٢٠ الشافية لابن الحاجب مع شرحها للرضى ، وقد أنشد اللسان :

أرتنى حجلاً على ساقها ففش الفؤاد لذاك الحجل
فقلت ، ولم أخف عن صاحبي ألاي أنا أصل تلك الرجل

ثم قال : أراد الرجل — بكسر الراء وسكون الجيم — والحجل — بضبط الرجل — فالتقى حركة اللام — وهى الكسر — على الجيم . وليس هذا وضاعاً لأن فعلاً — بكسر الفاء والعين — لم يأت إلا في قولهم : لبِل وإطل .

رمز عكرمة :

وقول عكرمة : أرحب هلاً ، هو من زجر الخيل ، وكذلك هقط وهقط
وهب وسبق^(١) . وذکر قول نعيم :

شعر نعيم :

باعين جودی بفيض غير لباس

اللباس : أن تستدير لبن الناقة بأن تمسح ضرعها ، وتقول لها : بس
بس فاستعارت هذا المعنى للدمع الفاض بغير تكلف ولا استذرا له .

وقولها : صعب البديهة ، أى : بديهة^(٢) لا تعارض ولا تطاق ، فكيف
رويته واحتفاله .

شعر كعب الهمصی :

وفي شعر كعب :

بكت عيني وحق لها بكاء وما يُبني البكاء ولا التويل
وضع المتصور في موضعه ، والممدود في موضعه ، لأن البكاء مقصور بمعنى

(١) سبق ذكرها . وهقط عن المبرد وحده . وقد كررها في الروض مرتين ،
وأظن أن الأخرى : هب بكمز ففتح وهي من زجر الخيل أيضاً .

(٢) البديهة : سداد الرأي عند المفاجأة ، والمعرفة يجدها الإنسان في نفسه
من غير أعمال للفكر ، ولا علم بسببها ، وأول كل شيء وما ينبجأ منه .

الحزن والغم ، وإن كان ممدوداً فهو الصراخ ، وكذلك قياس الأصوات أن تكون على فعال ، فقوله : حُق لها بُكَاها ، أى حق لها حزنُها ، لأنه الذى يحقُّ دون الصراخ . ثم : قل : وما يُغنى البكاء ولا العويلُ ، أى : ليس ينفع الصياح ولا الصراخ ، ولا يُجْدَى على أحدٍ ، فتنزلات كل كلمة منزلتها .

وقوله : حُقَّ لها ، أى : حقٌّ ، والأصل : حَقَّقَ على فِعْلٍ ، فبكأها : فاعِلٌ لا مفعول ، وكل فِعْلٍ إذا أردت المبالغة فى الأمر ومعنى التّعجُّب نقلت الضمَّة من عين الفعل إلى فائه ، فتقول : حُسْن زَيْدٌ ، أى حَسَنَ جداً ، فإن لم تُرِدْ معنى التعجب لم يحز إلا الغمُّ أو التَّسْكِينُ ، تقول : كَبُرَ زَيْدٌ وَكَبُرَ ، ولا تقول كَبُرَ إلا مع قصد التَّعَجُّبِ . قال الشاعر [الأخطل] :

فقلتُ : ائْتُلُوها عنكم بمزاجيها وحبُّ بها ممتولةٌ حين تُقتل

يعنى الخمر . وقال آخر : [سهم بن حنظلة الغنوى] :

لم يمنع القومُ مِنِّي ما أَرَدْتُ ولم أُعْطِيهِمْ ما أَرَادُوا حَسَنَ ذَا دَبَا^(١)

أى حَسَنَ ، وقال آخر :

ألا حُبُّ بالبيت الذى أنت زائرُهُ

(١) سبق هذا وانظر ص ٤١ إصلاح المنطق لابن السكيت وتهذيب التبريزي ص ٤ هـ فبيهما ما نقل السهيلي وعنه وعن التبريزي نقلت اسم الأخطل ، ونقلت اسم سهم بين حنظلة وعن كتاب تهذيب إصلاح المنطق لأبي زكريا يحيى بن عليّ ابن الخطيب التبريزي ص ٥٤ .

ذكر يوم الرجيع

في سنة ثلاث مئتين وخمسين وأصحابه

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المصطفي ، قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عَصَل والقارة .

وقال : بالبيت ، لأن معناه كعني أخيب بالبيت تعجيباً . وقول كعب :

أَبَا يَعْلَى ابْنَ لَأْلَ كَانَ مَدَّتْ

كان حمزة يُكْنَى أبا يَعْلَى بَابِهِ يَعْلَى ، ولم يَشْ حمزة ولد غيره ، وأعقب يَعْلَى خمسة من البنين ، ثم انقرض عقبهم فيما ذكر مُصْعَبٌ ، يُكْنَى حمزة أيضاً أبا مَعَارَةَ ، وقد تقدم ذكره في البيت ، بهذه الكنية ، قيل : إن مَعَارَةَ بنت له كُنِيَ بها ، وهي التي وقع ذكرها في الشُّنن للدَّارِ قُطَيْبٍ : أن مَوَالِيَ لَحْمَزَةَ مات ، وترك^(١) بنتاً فَوَرِثَتْ منه النصف ، وورثت بنتُ سَحْمَزَةَ النصف الآخر ، ولم يُسمَّها في السنن ، ولكن جاء اسمها في كتاب أحكام القرآن . لَبَّكَرُ بْنُ الْعَلَاءِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، وقد رُوي أن الولاء كان لها ، وأنها كانت المَعْتَقَةَ لاسْحَمَزَةَ .

(١) في جبهة ابن حزم « ولد حمزة عمارة أمه خولة بنت قيس بن فهد الأنصاري ويعلى وعامر أمهما أنصارية ، وابنة تزوجها سلمة بن أبي سلمة . ابن عبد الأسد المخزومي ، وقد انقرض عقب حمزة رضي الله عنه ، ص ١٥ .

نسب عضل والقارة

قال ابن هشام : عَضَلُ والقارة ، من الهَوْنِ بن خُزَيْمَةَ بن مُدْرِكَةَ ..

قال ابن هشام : ويقال : الهَوْنُ ، بضم الهاء .

قال ابن إسحاق : فقالوا : يا رسول الله ، إن فينا إسلاماً ، فابعث معنا نفرأ من أصحابك يُفَقِّهُونَا في الدين ، ويُقَرِّئُونَا القرآن ، ويعلمُونَا شرائع الإسلام .. فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نفرأ ستة من أصحابه ، وهم : مرثد بن أبي مرثد الغنوي ، حليفُ حمزة بن عبد المطلب ؛ وخالِدُ بن البُكَيْرِ الأيْثِي ، حليف بني عَدِيّ بن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، أخو بني عمرو ابن عَوْف بن مالك بن الأوس ؛ وَخُبَيْب بن عَدِيّ ، أخو بني جَعْفَرِ بن كُلفَة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدَّيْنَةِ بن مُعاوية ، أخو بني بَيَاضَةَ بن عمرو بن زُرَيْق بن عبد حارثة بن غضب بن جُشَم بن الخَزْرَج ؛ وعبد الله بن طارق حليف بني ظفر بن الخَزْرَج بن عمرو بن مالك بن الأوس .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم مرثد بن أبي مرثد الغنوي - نخرج مع القوم . حتى إذا كانوا على الرَّجِيع ، ماء لهُذَيْل بن ناحية الحِجَاز ، على صدور الهدأة غدروا بهم ، فاستصرخوا عليهم هُذَيْلا ، فلم يرع القوم ، وهم في رحالهم ، إلا الرجال بأيديهم السيوف ، قد غَشَوْهم ؛ فأخذوا أسيانهم ليقاتلوهم ، فقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكننا نريد أن نُصيب بكم شيئاً من أهل مكة ولكم عهدُ الله وميثاقه أن لا تقتلكم .

مقتل مرثد وابن البكير وعاصم

فأما مرثد بن أبي مرثد، وخالد بن البكير، وعاصم بن ثابت فقتلوا :
والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً ؛ فقال عاصم بن ثابت :

مَا عَلَيَّ وَأَنَا جَلْدٌ نَابِلٌ وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرْتُهُ عُنَابِلُ
تَزَلُّ عَنْ صَفْحَتِهَا الْمَعَابِلُ الْمَوْتُ حَقٌّ وَالْحَيَاةُ بَاطِلُ
وَكُلُّ مَا حَمَّ إِلَهُ نَازِلُ بِالْمَرْءِ وَالْمَرْءُ إِلَيْهِ آئِلُ
إِنْ لَمْ أَقَاتِلْكُمْ فَأَتَى هَابِلُ

قال ابن هشام : هابل : ناكل .

وقال عاصم بن ثابت أيضاً :

أَبُو سُلَيْمَانَ وَرِيشُ الْمُقْعَدِ وَضَالَّةٌ مِثْلُ الْجَحِيمِ الْمُوقَدِ
إِذَا النَّوَاجِي افْتَرِشَتْ لَمْ أُرْعَدِ وَنُجْنَا مِنْ جَلْدِ ثَوْرٍ أَجْرَدِ
وَمُؤْمِنٌ بِمَا عَلَى مُحَمَّدٍ

وقال عاصم بن ثابت أيضاً :

أَبُو سُلَيْمَانَ وَمِثْلِي رَأَى وَكَانَ قَوْمِي مَعْشَرًا كَرَامًا
وَكَانَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ يُسَكِّنِي : أبا سليمان . ثم قاتل القومَ حتى قُتِلَ
وَقُتِلَ صَاحِبَاهُ .

حماية الدبر لعاصم

فلما قُتِلَ عَاصِمُ أَرَادَتْ هَذِيلُ أَخْذَ رَأْسِهِ ، لِيُيَمِّمُوهُ مِنْ سُلَافَةِ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ

ابن شهيد ، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم أحد : لئن قدرت على رأس عاصم لتشرين في وجهه الحمر ، فمنعته الدبر ، فلما حالت بينه وبينهم الدبر قالوا : دعوه يمتسي فتذهب عنه ، فناخذته . فبعث الله الوادى ، فاحتمل عاصماً ، فذهب به . وقد كان عاصم قد أعطى الله عهداً أن لا يمتسه مشركه ، ولا يمس مشركاً أبداً ، تنجساً ؛ فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : حين بلغه أن الدبر منعته : يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصم نذر أن لا يمتسه مشرك ، ولا يمس مشركاً أبداً في حياته ، فمنعه الله بعد وفاته ، كما امتنع منه في حياته .

مصرع خبيب وابن طارق وابن الدثنة

وأما زيد بن الدثنة وخبيب بن عدى ، وعبد الله بن طارق ، فلأنوا ورقوا ورغبوا في الحياة ، فأعطوا بأيديهم ، فأسروهم ، ثم خرجوا إلى مكة ، ليبيعهم بها ، حتى إذا كانوا بالظهران انتزع عبد الله بن طارق يده من القرآن ، ثم أخذ سيفه ، واستأخر عنه القوم ، فرموه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبزه ، رحمه الله ، بالظهران ؛ وأما خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة فقدموا بهما مكة .

قال ابن هشام : فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة .

قال ابن إسحاق : : فابتاع خبيباً حُجير بن أبي إهاب التميمي ، حليف بنى نوفل ، لعقبه بن الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان أبو إهاب أخا الحارث ابن عامر لأنه لقتله بأبيه .

قال ابن هشام : الحارث بن عامر ، خال أبي إهاب ، وأبو إهاب ، أحد بنى أَسَد بن عمرو بن تميم ، ويقال : أحد بنى عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارم ، من بنى تميم .

مثل من وفاء ابن الدثنة للرسول

قال ابن إسحاق : وأما زيد بن الدثنة فابتناعه صفوان بن أمية ليقته بأبيه ، أمية بن خلف ، وبعث به صفوان بن أمية مع مولى له ، يقال له : نِسْطَاس ، إلى التَّغَمِيم ، وأخرجوه من الحرم ليقتلوه . واجتمع رهط من قُرَيْش ، فيهم أبو سفيان بن حرب ؛ فقال له أبو سفيان حين قَدِمَ لِيُقْتَلَ : أَشَدُّكَ اللهُ يَازِيد ، أَحَبُّ أَنْ مُحَمَّدًا عِنْدَنَا الْآنَ فِي مَكَانِكَ تَضْرِبَ عَنْقَهُ ، وَأَنْتَ فِي أَهْلِكَ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ مُحَمَّدًا الْآنَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ مُعْصِيهِ سَوْكَةَ تُؤْذِيهِ ، وَأَنْتَى جَالِسٌ فِي أَهْلِي . قَالَ : يَقُولُ أَبُو سَفْيَانَ : مَا رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا ؛ ثُمَّ قَتَلَ نِسْطَاس ، بِرَحْمَةِ اللَّهِ .

مقتل خبيب وحديث دعوته

وأما خُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ ، خَدْنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ ، أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ مَأْوِيَّةَ ، مَوْلَاةِ حُجَيْرِ بْنِ أَبِي إِهَابٍ ، وَكَانَتْ قَدْ أَسْلَمَتْ ، قَالَتْ : كَانَ خُبَيْبٌ عِنْدِي ، حُبَسَ فِي بَيْتِي ، فَلَقَدْ أَطْلَعَتْ عَلَيْهِ يَوْمًا ، وَإِنْ فِي يَدِهِ نَفِطًا مِنْ عِنَبٍ ، مِثْلَ رَأْسِ الرَّجُلِ يَأْكُلُ مِنْهُ ، وَمَا أَغْلَمَ فِي أَرْضِ اللَّهِ عَمَلًا يُؤْكَلُ .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي نجيح جميعاً أنها قالت : قال لي حين حضره القتلُ : ابعثني إلىَّ بحديدة أتظهر بها للقتل ، قالت : فأعطيتُ غلاماً من الحَيِّ الموصى ، فقلت : ادخل بها على هذا الرجل البيتَ ؛ قالت : فوالله ما هو إلا أن ولىَّ الغلام بها إليه ، فقلت : ماذا صنعتُ ! أصاب والله الرجلُ نأراً به قتلَ هذا الغلام ، فيسكون رجلاً برجل ، فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال : لعمرك ، ما خافت أُمك غدري حين بعتك بهذه الحديدة إلىَّ ! ثم خلى سبيله .

قال ابن هشام : ويقال : إن الغلام ابنُها .

قال ابن إسحاق : قال عاصم : ثم خرجوا بخبيب ، حتى إذا جاءوا به إلى التَّنَمِيمِ لِيُصَلَّبُوهُ ، قال لهم : إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا ؛ قالوا : دُونَكَ فَارْكَع . فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تَطْلُئُوا نِيَّ إِنَّمَا طَوَلْتُ جَزَعاً مِنَ الْقَتْلِ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الصَّلَاةِ . قال : فكان خُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ هَاتَيْنِ الرَّكْعَتَيْنِ عِنْدَ الْقَتْلِ لِلْمُسْلِمِينَ . قال : ثم رَفَعُوهُ عَلَى خَشَبَةٍ ، فلما أَوْتَقَرُوهُ ، قال : اللَّهُمَّ إِنَّا قَدْ بَلَّغْنَا رَسُولَكَ ، فَبَلِّغْهُ الْقَدَاةَ مَا يُصْنَعُ بِنَا ؛ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ أَحْضِهِمْ عِدْداً ، وَاقْتُلْهُمْ بَدَداً وَلَا تُقَادِرْ مِنْهُمْ أَحْداً . ثُمَّ قَتَلُوهُ رَحِمَهُ اللَّهُ .

فكان معاوية بن أبي سفيان يقول : حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان ، فلقد رأيتُهُ يُلقيني إلى الأرض فرقاً من دعوة خُبَيْبٍ ، وكانوا

يقولون إن الرجل إذا دُعِيَ عليه ، فاضطَجَعَ لجنبه زالت عنه .

قال ابن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عُقبة بن الحارث ، قال سمعته يقول : ما أنا والله قُتِلْتُ خبيباً ، لأنِّي كنت أصغرَ من ذلك ، ولكنَّ أبا ميسرة ، أخا بني عبد الدار ، أخذ الحربة فجعلها في يدي ، ثم أخذ بيدي وبالحربة ، ثم طعنه بها حتى قتله .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا ، قال : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل سعيد بن عامر بن حذيم الجهمي على بعض الشام ، فكانت تُصيبه غشيةٌ ، وهو بين ظَهْرِي القوم ، فذكر ذلك لعمر بن الخطاب ، وقيل : إنَّ الرجل مُصاب ؛ فسأله عمر في قَدَمَةٍ قَدِمَها عليه ، فقال : يا سعيد ، ما هذا الذي يُصيبك ؟ فقال : والله يا أميرَ المؤمنين ما بي من بأس ، ولكنِّي كنتُ فيمن جضر خبيب بن عدي حين قُتل ، وسمعتُ دعوتَه ، فوالله ما خطرْتُ على قلبي وأنا في مجلس قطُّ إلا غشي على ، فزادتهُ عند عمر خيراً .

قال ابن هشام : أقام خبيب في أيديهم حتى انقضت الأشهر الحرم ، ثم قتلوه .

ما نزل في سرية الرجيع من القرآن

قال : قال ابن إسحاق : وكان مما نزل من القرآن في تلك السرية ، كما

حدثني موسى لآل زيد بن ثابت ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، أو عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس .

قال : قال ابن عباس : لما أصيبت السمريّة التي كان فيها مرثد وعاصم بالرّجيع ، قال رجال من المنافقين : يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا (هكذا) ، لا هم قعدوا في أهلهم ، ولا هم أدّوا رسالة صاحبهم ! فانزل الله تعالى في ذلك من قول المنافقين ، وما أصاب أولئك النفر من الخير بالذي أصابهم ، فقال سبحانه : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ : أي لما يظهر من الإسلام بلسانه ، ﴿ وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ﴾ ، وهو يخالف لما يقول بلسانه ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي الْخَصَّامَ ﴾ : أي ذو جدال إذا كلمك وراجعك .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الألدّ : الذي يشغب ، فتشتدّ خصومته ؛ وجمعه : لدّ . وفي كتاب الله عزّ وجلّ : ﴿ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا ﴾ . وقال المهمل بن ربيعة اللّغجانيّ ، واسمه امرؤ القيس ؛ ويقال : عدى بن ربيعة :

إِن تَحْتَ الْأَحْجَارِ حَدًّا وَإِنَّمَا وَخَصِيًّا أَلَدًّا ذَا مِفْلَاقٍ

ويروى ذا مِفْلَاق ، فيما قال ابن هشام : وهذا البيت في قصيدة له ، وهو الأندد . قال الطّرمّاح بن حكيم الطّائيّ يصف الحرباء :

بُوفِي عَلَى جِذْمِ الْجُدُولِ كَأَنَّهُ خَضَمٌ أَبْرَءٌ عَلَى الْخُصُومِ أَلْدَدُ

وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى ﴾ : أى خرج من عندك
﴿ سَمَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ، وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الْفُسَادَ ﴾ أى لا يحب عمله ولا يرضاه . ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ
بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴾ * وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ
مَرْضَاةِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ : أى قد شَرَوْا أنفسهم من الله
بالجهاد في سبيله ، والقيام بحقه ، حتى هلكوا على ذلك ، يعنى تلك السرية .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : يَشْرِي نفسه : يبيع نفسه ؛ وَشَرَوْا : باعوا . قال يزيد
ابن ربيعة بن مُفَرِّغ الحِمَيْرِي :

وَشَرَيْتُ بُرْدًا كَيْتَنِي من بـمـد بُرد كنتُ هامه
برد : غلام له باعه : وهذا البيت في قصيدة له . وَشَرَى أَيْضًا : اشترى .
قال الشاعر :

فَوَلَّتْ لَهَا لَا تَجْزَعِي أُمَّ مَالِكٍ على ابْنَيْكَ إِن عَبْدٌ لَيْمٍ شَرَاهَا

شعر خبيب حين أريد صلبه

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل في ذلك من الشعر ، قول خبيب بن عدي ،
حين بلغه أن القوم قد اجتمعوا لصلبه .

قال ابن هشام : وبعضُ أهل العلم بالشعر يُنكرها له .

لَقَدْ جَمَعَ الْأَحْزَابُ حَوْلِي وَأَلْبُوا	قَبَائِلَهُمْ وَاسْتَجَمَعُوا كُلَّ تَجْمِيعٍ
وَكُلُّهُمْ مُبْدَى الْمَدَاوَةِ جَاهِدُ	عَلَى لَأَنِّي فِي وَثَاقٍ بِتَضْمِيعٍ
وَقَدْ جَمَعُوا أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ	وَقُرْبَتُ مَنْ جَذَعُ طَوِيلٍ مُنْتَمِعٍ
إِلَى اللَّهِ أَشْكَو غُرْبَتِي ثُمَّ كُرْبَتِي	وَمَا رُصِدَ الْأَحْزَابُ لِي عِنْدَ مَصْرَعِي
فَإِذَا أَمْرٌ شَدِيدٌ صَبَّرَنِي عَلَى مَا يُرَادُ بِي	فَقَدْ بَضَعُوا الْحَنَى وَقَدْ يَأْسَ مَطْمَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ	يُبَارِكُ عَلَى أَوْصَالِ شَلَوٍ مُمَزَّعٍ
وَقَدْ خَيَّرُونِي السُّكُفَ وَالْمَوْتَ دُونَهُ	وَقَدْ هَمَّائَتْ عَيْنَايَ مِنْ غَيْرِ مَجْزَعٍ
وَمَا بِي إِذْ دَارَ الْمَوْتُ ، إِنِّي لَمَيِّتٌ	وَلَكِنْ حِذَارِي جَحْمُ نَارٍ مُلْتَمِعٍ
فَوَاللَّهِ مَا أَرْجُو إِذَا مِتَ مُسْلِمًا	عَلَى أَيْ حَنْبٍ كَانَ فِي اللَّهِ مَصْرَعِي
فَأَنْتَ مُبْدَى لَلْعَدُوِّ تَخْشَعَا	وَلَا جَزَعًا إِنِّي إِلَى اللَّهِ مَرْجِعِي

شعر حسان في بكاء خبيب

وقال حسان بن ثابت يبكي خبيباً :

مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَرْتَفَا مَدَامُهَا	سَحَاءَ عَلَى الصَّدْرِ مِثْلَ اللَّوْلُوِّ الْقَلِقِ
عَلَى خَبِيبٍ فَتَى الْفَتَيَانِ قَدْ عَلِمُوا	لَا فِشْلٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَلَا تَرْقِ
فَإِذَا هَبَّ خَبِيبُ جَزَاكَ اللَّهُ طَيِّبَةً	وَجَنَّةُ الْخُلْدِ عِنْدَ الْحُورِ فِي الرُّفُقِ
مَاذَا تَقُولُونَ إِنْ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ	حِينَ الْمَلَائِكَةُ الْأَبْرَارِ فِي الْأَفُقِ

فِيمَ قَتَلْتُمْ شَهِيدَ اللَّهِ فِي رَجُلٍ طَائِعٍ قَدْ أَوْعَتْ فِي الْبُلْدَانِ وَالرُّفُقِ

قال ابن هشام : ويروى : «الطرق» وتركنا ما بقي منها ، لأنه أقدح فيها ..

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً يبكي خبيباً :

يا عين جودى بدمع منك منسكب	وابكى خبيباً مع الفتيان لم يوثب
صمراً توسط في الأنصار منصبه	سمح السجية مخضاً غير مؤثب
قد هاج عيني على علات عبرتها	إذ قيل نص إلى جندع من الخشب
يا أيها الرّاكب الغادى لطيفه	أبلغ لديك وعيداً ليس بالكذب
بنى كشيبة أن الحرب قد أقيمت	مخلوبها العصاب إذ تمرى له حمتب
فيها أسود بني النجار تقدمهم	شهب الأسنة في معصوم صب جيب

قال ابن هشام : وهذه القصيدة مثل التي قبلها ، وبعض أهل العلم بالشعر ينسكروها لحسان ، وقد تركنا أشياء قالها حسان في أمر خبيب لما ذكرته ..

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

لو كان في الدار قرم ماجد بطل	أبوى من القوم صقر خاله أنس
إذن وجدت خبيباً مجلساً فسحاً	ولم يشد عليك السجين والحرس
ولم تسفك إلى التثعيم زعنفة	من القبائل منهم من نقت عدس
دلوك غدراً وهم فيها أولو خلف	وأنت ضيم لها في الدار محتبس

قال ابن هشام : : أنس : الأصم السلمي : خال مطعم بن عدى بن نوفل

ابن عبد مناف . وقوله : « من نفث عُدُسٍ » يعني حُجَيْر بن أبي إهاب ، ويقال الأعشى بن زُرارة بن النَّبَاش الأَسَدِيّ ، وكان حليفاً لبني نَوْفَل بن عبد مناف .

من اجتمعوا لقتل خبيب

قال ابن إسحاق : وكان الذين أجلبوا على خبيب في قَتْلِهِ حين قُتِلَ من قُرَيْش : عِكْرَمَة بن أبي جهل ، وسَمِيد بن عبد الله بن أبي قَيْس بن عبد ودّ ، والأَخْطَس بن ثَرِيْقِ الثَّقَفِيّ ، حليف بني زُهْرَة ، وعُبَيْدَة بن حَكِيم بن أُمَيَّة بن حارثة بن الأَوْقَص السَّكَمِيّ ، حليف بني أُمَيَّة بن عبد شمس ، وأُمَيَّة بن أبي عُتْبَة ، وبنو الحَضْرَمِيّ .

شعر حسان في هجاء هذيل لقتلهم خبيبا

وقال حسان أيضاً يهجو هذيلاً فيما صنعوا بخبيب بن عديّ :
أَبْلَغُ بني عَمْرِو بَانَ أَخَاهُمْ شَرَّادُ امْرُؤٍ قَدْ كَانَ لِلْقَدْرِ لَازِمًا
شَرَّادُ زُهَيْرِ بْنِ الْأَغْرَ وَجَامِعٍ وَكَانَا جَمِيعًا يَرْكَبَانِ الْمَحَارِمَا
أَجَزْتُمْ فَمَا أَنْ أَجَزْتُمْ غَدَرْتُمْ وَكُنْتُمْ بِأَكْنَفِ الرَّجِيعِ لَهَازِمًا
فَلَيْتَ خُبَيْبًا لَمْ تَخُونَهُ أَمَانَةً وَلَيْتَ خُبَيْبًا كَانَ بِالْقَوْمِ عَالِمًا
قال ابن هشام : زهير بن الأغَرّ وجامع : الهذليّان اللذان باعا خبيبا .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

إِنْ سَرَّكَ الْقَدْرُ صِرْ فَالْمِزَاجَ لَهُ فَأَتِ الرَّجِيعَ فَسَلْ عَنْ دَارِ الْحِيَانِ

قَوْمٌ تَوَاصَوْا بِأَكْلِ الْجَارِ بَيْنَهُمْ فَالْكَلْبُ وَالْقِرَدُ وَالْإِنْسَانُ مِثْلَانِ
لَوْ يَنْطِقُ النَّيْسُ يَوْمًا قَامَ يَخْطُبُهُمْ وَكَانَ ذَا شَرَفٍ فِيهِمْ وَذَا شَانِ

قال ابن هشام : وأنشدني أبو زيد الأنصاري قوله :

لَوْ يَنْطِقُ النَّيْسُ يَوْمًا قَامَ يَخْطُبُهُمْ وَكَانَ ذَا شَرَفٍ فِيهِمْ وَذَا شَانِ

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً يهجو هذيلًا :

سَأَلْتُ هُذَيْلَ رَسُولَ اللَّهِ فَاحْشَةَ ضَلَّتْ هُذَيْلٌ بِمَا سَأَلَتْ وَلَمْ تُصِيبِ
سَأَلُوا رَسُولَهُمْ مَا لَيْسَ مُعْطِيهِمْ حَتَّى الْعَمَاتِ ، وَكَانُوا سُبَّةَ الْعَرَبِ
وَلَنْ تَرَى لَهُمْ هُذَيْلَ دَاعِيًا أَبَدًا يَدْعُو لِمَكْرُمَةٍ عَنْ مَنْزِلِ الْخَرْبِ
أَقْدَرَادُوا خِلَالَ النُّجُشِ وَيَنْجَهُمْ وَأَنْ يُحَلُّوا أَحْرَامًا كَانَ فِي السُّكُتِ

وقال حسان بن ثابت أيضاً يهجو هذيلًا :

لَعَمْرِي لَقَدْ شَانَتْ هُذَيْلُ بْنُ مُدْرِكٍ أَحَادِيثُ كَانَتْ فِي خَبِيْبٍ وَعَانِمِ
أَحَادِيثُ لِحْيَانٍ صَلَّوْا بِقَبِيْحِهَا وَلِحْيَانُ جَرَامُونَ شَرًّا الْجَرَامِ
أَنَاسُ هُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ فِي صَمِيمِهِمْ بِمَنْزِلَةِ الزَّمْعَانِ دُبُرُ الْقَوَادِمِ
هُمْ غَدَرُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ وَأَسْلَمَتْ أَمَانَتُهُمْ ذَا عِفَّةٍ وَمَكَارِمِ
رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ غَدْرًا وَلَمْ تَسْكُنْ هُذَيْلُ تَوَقَّى مُنْكَرَاتِ الْمَحَارِمِ
فَسَوْفَ يَرَوْنَ النَّعْرَ يَوْمًا عَلَيْهِمْ بِقَتْلِ الَّذِي تَحْمِيهِ دُونَ الْخُرَامِ
أَبَابِيلُ دُبُرِ شَمْسٍ دُونَ لَحْمِهِ تَحْتِ لَحْمِ شَهَادِ عِظَامِ الْمَلَا حِمِ

أَمَلْ هُذَيْلًا أَنْ يَرَوْا بِمَصَابِهِ مَصَارِعَ قَتْلَى أَوْ مَقَامًا لِمَاتِهِمْ
وَنُوقِعَ فِيهِمْ وَقْعَةً ذَاتَ صَوْلَةٍ يُؤَافِي بِهَا الرُّكْبَانُ أَهْلَ الْمَوَاسِمِ
بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ إِنَّ رَسُولَهُ
قُبَيْلَةٌ لَيْسَ الْوَفَاءُ بِهِمْهُمْ
وَإِنْ ظَلِمُوا لَمْ يَذْقُوا كَفًّا ظَالِمًا
بِمَجْرَى مَسِيلِ الْمَاءِ بَيْنَ الْحَارَمِ
إِذَا نَابَهُمْ أَمْرٌ كَرَأَى الْبَهَائِمِ
وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يَهْجُو هُذَيْلًا :

لَحَى اللَّهُ لِحْيَانًا فَلَيْسَتْ دِمَاؤُهُمْ
هُوَ قَتْلُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ ابْنَ حُرَّةٍ
فَلَوْ قَتَلُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ بِأَسْرِهِمْ
قَتِيلٌ سَحْمَتُهُ الدَّبْرُ بَيْنَ بُيُوتِهِمْ
فَقَدْ قَتَلْتَ لِحْيَانَ أَكْرَمِ مِنْهُمْ
وَأُفٍّ لِلْإِحْيَانِ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
قُبَيْلَةٌ بِاللُّؤْمِ وَالْعَذْرِ تَغْتَرَى
فَلَوْ قَتَلُوا لَمْ تُؤْفَ مِنْهُ دِمَاؤُهُمْ
فَالَا أُمْتُ أَذْعَرُ هُذَيْلًا بِغَارَةٍ
بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ وَالْأَمْرُ أَمْرُهُ
يُصْبِحُ قَوْمًا بِالرَّجِيعِ كَانَهُمْ
لَنَا مِنْ قَتِيلَى غَدَرَةٍ بَوَفَاءٍ
أَخَا نِقْمَةٍ فِي وَدَّهِ وَصَفَاءٍ
بَذَى الدَّبْرُ مَا كَانُوا لَهُ بِكَفَاءٍ
لَدَى أَهْلِ كُفْرِ ظَاهِرٍ وَجَفَاءٍ
وَبَاعُوا خُبَيْبًا وَيَلْتَمِمْ بِلِفَاءٍ
عَلَى ذِكْرِهِمْ فِي الذِّكْرِ كُلِّ عَفَاءٍ
فَلَمْ تُنْمَسْ يَحْنَفَى لَوْمَهَا بِجَفَاءٍ
بَلَى إِنْ قَتَلَ الْقَاتِلِيهِ شِفَاءً
كَتَادِي الْجَهَامِ الْمُفْتَدِي بَأَفَاءٍ
يَبِيتُ لِلْإِحْيَانِ الْخُلَا بِنَفَاءٍ
جِدَاءٍ شِتَاءٍ يَتَنَ غَيْرَ دِفَاءٍ

وقال حسان بن ثابت أيضاً يهجو هذيل :

فَلا والله ، ما تَدْرِي هُذَيْلُ أَصَافِ ما زَمَزَمَ أُمَ مَشُوبُ
 ، وَلَا لُهُمْ إِذَا اعْتَمَرُوا وَحَجُّوا مِنَ الْحِجْرَيْنِ وَالْمَسْعَى نَصِيبُ
 سَوَلِكِنِّ الرَّجِيعِ لَهُمْ تَحَلَّ بِهِ اللُّؤْمُ الْمُبِينُ وَالْمُيُوبُ
 كَانَهُمْ لَدَى السُّكَنَاتِ أَضَلَّ ثِيُوسَ بِالْحِجَازِ لَهَا نَيْبُ
 تُمْ غَرُّوا بِذِمَّتِهِمْ خُبَيْبًا فَبَيْسَ الْعَهْدُ عَهْدُهُمُ السَّكَدُوبُ
 . قال ابن هشام : آخرها بيتاً عن أبي زيد الأنصاري .

شعر حسان في بكاء خبيب وأصحابه

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يبكي خبيبا وأصحابه :

صَلَّى الْإِلَهَ عَلَى الَّذِينَ تَقَابَمُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ فَأَكْرَمُوا وَأُثْبِتُوا
 رَأْسَ السَّرِيَّةِ مَرْتَدَ وَأَمِيرُهُمُ وَابْنُ الْبُكَيرِ إِمَامُهُمْ وَخُبَيْبُ
 وَابْنُ طَارِقٍ وَابْنُ دُثْمَةَ مِنْهُمْ وَافَاهُ مَمَّ حِمَامُهُ الْمَكْتُوبُ
 وَالْعَاصِمُ الْمُتَمَتِّلُ عِنْدَ رَجِيعِهِمْ كَسَبَ الْعَمَالَى إِنَّهُ لَسَكَنُوبُ
 . مَنَعَ الْمُقَادَةَ أَنْ يَبْأُلُوا ظَهْرَهُ حَتَّى يُجَالِدَ إِنَّهُ لَفَجِيبُ

قال ابن هشام : ويروى : حتى يجدل إنه لنجيب .

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها لحسان .

قال ابن إسحاق : فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بَقِيَّةَ شَوَّالٍ
وَذَا الْقَعْدَةِ وَذَا الْحِجَّةِ - وَوَلَّى تِلْكَ الْحِجَّةَ لِلْمَشْرُكُونَ - وَالْحَرَمَ ، ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ
صلى الله عليه وسلم أصحابَ بئر معونة في صفر ، على رأس أربعة أشهر من أحد .

حديث بئر معونة

سبب إرسال بعث بئر معونة

وكان من حديثهم ، كما حدثني أبي إسحاق بن يسار عن المغيرة بن
عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وعبدُ الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن
حَزْم ، وغيره من أهل العلم ، قالوا : قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر
مُلاعِبُ الْأَسِنَّةِ على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فعرض عليه
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، ودعاه إليه ، فلم يُسلم ولم يَبْغِدْ من
الإسلام ، وقال : يا محمد لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد ، فدَعَوْهم
إلى أمرِك ، رجوتُ أن يَسْتَجِيبُوا لَكَ ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :
إني أخشى عليهم أهل نجد ؛ قال أبو براء : أنا لهم جار ، فابْعَثْهُمْ فَلِيدْعُوا النَّاسَ
إلى أمرِك .

رجال البعث

فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الْمُنْذِرَ بْنَ عَمْرٍو ، أَخَا بَنِي سَاعِدَةَ ،
الْمُعَنِقَ لِيَمُوتَ فِي أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، مِنْ خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ : مِنْهُمْ :
الْحَارِثُ بْنُ الصَّمَّةِ ، وَحَرَامُ بْنُ مِثْلَانَ أَخُو بَنِي عَدِيٍّ بْنِ الدَّجَّارِ ، وَعُرْوَةُ
ابْنُ أَسْمَاءَ بْنِ الصَّلْتِ السَّلَمِيُّ ، وَنَافِعُ بْنُ بُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ الْخَزَاعِيِّ ، وَعَامِرُ

ابن قُهَيْرَة مولى أبي بكر الصديق، في رجال مُسَمَّين من خيار المسلمين . فساروا حتى نزلوا ببئر مَعُونَة ، وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سُلَيْم ، كلا البلدين منها قريب ، وهي إلى حرّة بني سُلَيْم أقرب .

عامر يقتل صحابياً

فلما نزلوها بعثوا حَرَام بن مِلْحَان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - إلى عدوّ الله عامر بن الطَّفَيْل ؛ فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بني عامر، فأبوا أن يُجيبوه إلى ماداعهم إليه ، وقالوا : لن نُخَفِّرَ أبا براء ، وقد عقد لهم عقداً وجواراً ؛ فاستصرخ عليهم قِبائِل من بني سُلَيْم من عُصَيَّة ورِعْل وذَكْوَان ، فأجابوه إلى ذلك ، تَخَرَّجُوا حتى غَشَوْا الْقَوْمَ ، فأحاطوا بهم في رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا سُيوفهم ، ثم قاتلوهم حتى قَتَلُوا من عند آخرهم ، يرحمهم الله ، إلا كعبَ بن زيد ، أخا بني دِينَار ابن النَّجَّار ، فإنهم تركوه وبه رَمَقٌ ، فارتث من بين القَتْلَى ، فدأش حتى قَتَلَ يوم الخَنْدَق شهيداً ، رحمه الله .

ابن أمية والمنذر وموقفهما من القوم يعد عليهما بقتل أصحابه
وكان في مَرَجِ القوم عمرو بن أميَّة الضَمَرِي ، ورجل من الأنصار ،
أحد بني عمرو بن عوف .

قال ابن هشام : هو المنذر بن محمد بن عُمَيَّة بن أَحِيَّة بن الجَلَّاح .
قال ابن إسحاق : فلم يُنبئهما بمُصاب أصحابهما إلا الطير تحومُ على .

المسكر ، فقالا : والله إن هذه الطير لشأننا ، فأقبلا لينظرا ، فإذا القوم في دِمَائِهِمْ ، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة . فقال الأنصاري لعمر بن أمية : ماترى ؟ قال أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنخبره الخبر ، فقتل الأنصاري : لسكنى ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قُتِلَ فيه المُنذر ابن عمرو ، وما كنت لتُخبرنى عنه الرجال ؛ ثم قاتل القوم حتى قُتِلَ ، وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً ، فلما أخبرهم أنه من مُضر ، أطلقه عامر بن الطفيل ، وجزّ ناصيته ، وأعتقه عن رَقَبَةٍ زعم أنها كانت على أمه .

قتل العامريين

فخرج عمرو بن أمية ، حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة ، أقبل رجلان من بنى عامر .

قال ابن هشام : ثم من بنى كلاب ، وذكر أبو عمرو المدني أنهما من بنى سليم .

قال ابن إسحاق : حتى نزلا معه في ظلّ هو فيه . وكان مع العامريين عَقْدٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوار ، لم يعلم به عمرو بن أمية ، وقد سألهما حين نزلا ، ممن أنما ؟ فقالا : من بنى عامر ، فأمهلهما ، حتى إذا ناما ، عدا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أنه قد أصاب بهما نُؤْرَةً من بنى عامر ، فيما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد قتلت قتيلين ، لأدبَ بهما !

كراهية الرسول عمل أبي براء

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا عمل أبي براء ، قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً . فبلغ ذلك أبا براء ، فشق عليه إخفارُ عامر إِيَّاهُ ، وما أصاب أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره ؛ وكان فيمن أُصيب عامر بن فهيرة .

ابن فهيرة والسماء

قال ابن إسحاق : فحدثني هشام بن عروة ، عن أبيه : أن عامر بن الطفيل كان يقول : مَنْ رَجُلٌ مِنْهُمْ لَمَّا قُتِلَ رَأَيْتَهُ رُفِعَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، حَتَّى رَأَيْتَ السَّمَاءَ مِنْ دُونِهِ ؟ قَالُوا : هُوَ عامر بن فهيرة .

سبب إسلام ابن سلمى

قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعض بني جَبَّار بن سَلَمَى بن مالك بن جعفر ، قال - وكان جَبَّار فيمن حضرها يومئذ مع عامر ثم أسلم - (قال) فكان يقول : إن مما دعاني إلى الإسلام أني طعمتُ رجلاً منهم يومئذ بالرمح بين كتفَيْهِ ، فنظرتُ إلى سِنَانِ الرمح حين خرج من صدره ، فسمعتَه يقول : قُزْتُ وَاللَّهِ ! فقلتُ في نفسي : ما فاز ! أَلَسْتُ قَدْ قَتَلْتُ الرَّجُلَ ! قال : حتى سألتُ بعد ذلك عن قوله ، فقالوا : للشهادة ؛ فقلت : فاز لعمرِو الله .

شعر حسان في تحريض بني أبي براء على عامر

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يحرض بني أبي براء على عامر

ابن الطفيل :

بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ أَلَمْ يَرُغِّمَكُمْ وَأَنْتُمْ مِنْ ذَوَائِبِ أَهْلِ نَجْدٍ
تَهَكِّمُكُمْ عَامِرٌ بِأَبِي بَرَاءٍ لِيُخَفِّرَهُ وَمَا خَطَا كَعَمْدٍ
أَلَا أَبْلِغُ رَبِيعَةَ ذَا الْمَسَاعِي فَمَا أُحْدِثَ فِي الْحَدَثَانِ بَعْدِي
أَبُوكَ أَبُو الْحُرُوبِ أَبُو بَرَاءٍ وَخَالُكَ مَا جَدُّ حَكَمَ بْنِ سَعْدٍ

نسب حكم وأم البنين

قال ابن هشام : حكم بن سعد : من القَيْنِ بن جَسْرٍ ، وأم البنين : بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وهي أم أبي براء .

طعن ربيعة لعامر

قال ابن إسحاق : فحبل ربيعة (بن عامر) بن مالك على عامر بن الطفيل ، فطاعنه بالرمح ، فوقع في فخذه ، فأشواه ، ووقع عن فرسه ، فقال : هذا عمل أبي براء ، إن أمت قدمي لعمرى ، فلا يُتَبَعَنَّ به ، وإن أعش فسأرى رأيي فيما أتيت إلى .

مقتل ابن ورقاء ورثاء ابن رواحة له

وقال أنس بن عباس السلمى ، وكان خال طعيمة بن عدى بن نوفل ،

وَقَتْلَ يَوْمُذْ نَافِعِ بْنِ مُبْدِيلِ بْنِ وَرْقَاءِ الْخَزَاعِيِّ :

تَرَكْتُ ابْنَ وَرْقَاءِ الْخَزَاعِيِّ ثَاوِيًا بَعْدَ تَرْكِ تَسْفِي عَلَيْهِ الْأَعْمَاسِ
ذَكَرْتُ أَبَا الزَّيَّانِ لَمَّا رَأَيْتُهُ وَأَيَقَنْتُ أَنِّي عِنْدَ ذَلِكَ نَائِرٌ
وَأَبُو الزَّيَّانِ : طُعِيمَةُ بْنُ عَدَى .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ يَبْكِي نَافِعِ بْنِ مُبْدِيلِ بْنِ وَرْقَاءِ :
رَحِمَ اللَّهُ نَافِعَ بْنَ مُبْدِيلٍ رَحْمَةً الْمُبْتَنَى ثَوَابِ الْجِهَادِ
صَابِرٌ صَادِقٌ وَفِيَّ إِذَا مَا أَكْثَرَ الْقَوْمُ قَالَ قَوْلَ السَّدَادِ

شعر حسان في بكاء قتلى بئر معونة

وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يَبْكِي قَتْلَى بَيْرِ مَعُونَةَ، وَيُخْصُّ الْمُنْذِرَ بْنَ عَمْرٍو :
عَلَى قَتْلَى مَعُونَةَ فَاسْتَهْلِي بَدْمُجِ الْعَيْنِ سَحَابًا غَيْرَ نَزِيرِ
عَلَى خَيْلِ الرَّسُولِ غَدَاةَ لَا قُوا مَنَايَاهُمْ وَلَا قَتْلَهُمْ بِقَدْرِ
أَصَابِهِمُ الْقَفَاءَ بِقَدْرِ قَوْمِ نُحُونُ عَقْدُ حَبْلِهِمْ بِقَدْرِ
فَيَا لَهْنِي الْمُنْذِرِ إِذْ تَوَلَّى وَأَعْمَقَ فِي مَنِيَّتِهِ بِصَبْرِ
وَكَاثِنٌ قَدْ أَصِيبَ غَدَاةَ ذَاكُمْ مِنْ أَبْيَضِ مَاجِدٍ مِنْ سَرِّ عَمْرٍو
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : أَنَشَدَنِي آخِرُهَا بَيْتًا أَبُو زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ .

شعر كعب في يوم بئر معونة

وَأَنَشَدَنِي لِكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ فِي يَوْمِ بَيْرِ مَعُونَةَ، يُعَيِّرُ بَنِي جَعْفَرِ بْنِ كَلَّابٍ :

نَزَّكْتُمْ جَارَكُمْ لَبِئْسَ سُكَّيْنٌ خِفَافَةٌ حَرْبُهُمْ عَجْزًا وَهُونًا
فَلَوْ حَبِيلًا تَفَاوَلَ مِنْ عُقِيلٍ لَمَدَّ بِحَبْلِهَا حَبْلًا مَتِينًا
أَوْ الْقُرْطَاءَ مَا إِنْ أَسْلَمُوهُ وَقَدْ مَا وَقَوْا إِذْ لَا تَقُونَا
نسب القرطاء

قال ابن هشام: القرطاء: قبيلة من هوازن، ويروى «من عقيل»
مكان «من عقيل»، وهو الصحيح؛ لأن القرطاء من عقيل قريب.

مقتل خبيب وأصحابه

وذكر غدرَ عَصَلٍ والقَارَةِ، وهما بطنان من بني الهون، والهون هم
بنو الرِّيش وَيَشِيعُ ابْنَيْ الْهُونِ بْنِ خُزَيْمَةَ^(١)، وقد تقدم التعريف بمعنى

(١) ورد عنهم في نسب قريش للمصعب الزبيري أن خزيمة بن مدركة ولد
الهون وأن أمه برة بنت مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ثم قال بالنص
«فأما الهون بن خزيمة فهم عضل وديش والقارة بنو يشع بن الهون، وهم
بطنان من خزاعة يقال لهما: الحيا والمصطلق، ص ٩ وفي جملة ابن حزم أن
الهون بن خزيمة واد مليحا، وأن هذا ولد يشع. وأن الديش هو ابن علم
ابن غالب بن عائذة بن يشع. وأن الديش ولد عضلا، وأن الديش هم القارة
ص ١٧٩ لكن ابن عبد البر يقول: «ولد خزيمة كنانة أمه هند ابنة عيلان
ابن مضر، وأسد أو الهون وهو القارة أمهما بنت مر أخت تميم بن مر، وفي
القارة بطون كثيرة، ويكرر هذا بقوله عن أكثر أهل العلم أنهم لا يسمون
لخزيمة ولدا غير أسد والهون وهو القارة وكنانة، بل إنه ليجعل القارة عنوانا
خاصا ثم يقول «وهو الهون بن خزيمة، ثم قال: «قال الزبير: عضل والقارة
ابنا يشع بن الهون بن خزيمة». يقال لهم القارة. وقال أبو عبيدة عن يشع =

القارة ، وبالمثل الذي جرى فيهم ، والقارة الحرة^(١) ، وذكرنا السبب
في تسميتهم بها .

وذكر أن أصحاب خُبَيْب كانوا سبعة ، وفي الجامع الصحيح للبخاري أنهم
كانوا عشرة ، وهو أصح ، والله أعلم .

وذكر أسماء السبعة ، وقد نسبهم فيما تقدم ، فأما خُبَيْب فهو من بني
جَحْجَبِي^(٢) بن كُلفَة بن عمرو بن عَوْف بن مَالِك بن الأوس ، وزيد بن
الدَّيْمَة^(٣) بن معاوية مَقْلُوبٌ من الدَّيْمَة والتَّدْنُ استرخاء اللحم^(٤) .

وذكر فيهم عاصم بن ثابت وقوله :

مَاعَتِي وَأَنَا ج ————— الدَّنَائِلُ والقَوْسُ فيها وَرَرٌ عُنَابِلُ

والْعُنَابِلُ : الشديد ، وكأنه من الْعَبَالَةِ ، وهي القُوَّة ، والنون زائدة .

== هو أبشع بن الهون بالالف ، وقال محمد بن حبيب : هو يشع بالياء كما قال الزبير
وقال ابن السكيت : يشع بن مليح بن الهون بن خزيمه ، وهو القارة ، ص ٧٣
وما بعدها الإنباه . أما الديش ، فهو في الأصل الريش وهو خطأ ، والديش بكسر
الدال . وقال الجوهري وربما قالوا بفتح الدال . ص ٥٦ نهاية الأرب في معرفة
أنساب العرب للقلقشندي .

(١) الحرة : أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار .

(٢) في الأصل جحجبي وهو خطأ .

(٣) ضبطه القاموس بدون تضعيف النون .

(٤) في الأصل تدنية والتدن وهو خطأ ، ويقول ابن دريد إن الدثنة

مشتقة من دثن الطائر — بتضعيف الثاء — إذا طاف حول وكزه . ولم
يسقط عليه .

وَالْعَبَالَةُ أَيْضاً : شَجَرَةٌ صُلْبَةٌ ، وَفِي الْخَبَرِ أَنَّ عَصَا مُوسَى كَانَتْ مِنْ عَبَالَةٍ ،
وَقَدْ رَوَى أَنَّ عَصَا مُوسَى كَانَتْ مِنْ عَيْنٍ وَرَقَّةِ آسِ الْجَنَّةِ ، وَبِمُجُوزٍ أَنْ يَكُونَ
مَنْحُوتًا مِنْ أَصَابِينَ : مِنَ الْعَيْنِ ^(١) وَالنَّبْلِ ، كَأَنَّهُ يُصِيبُ مَا عَزَلَهُ بِنَبْلِهِ .

وَذَكَرَ قَوْلَهُ : أَبُو سُلَيْمَانَ وَرِيشُ الْمُقْعَدِ .

قَوْلُهُ : أَبُو سُلَيْمَانَ ، أَيْ : أَنَا أَبُو سُلَيْمَانَ قَدْ عُرِفْتُ فِي الْحُرُوبِ ، وَعِنْدِي
نَبْلٌ رَاشِحٌ الْمُقْعَدُ ، وَكَانَ ^(٢) رَاشِحًا صَانِعًا . وَرِيشُ : السَّهْمُ الْحَمُودُ فِيهِ الْاَوَّامُ ،
وَهُوَ أَنْ تَكُونَ الرَّيْشَةُ بَطْنُهَا إِلَى ظَهْرِ الْأُخْرَى ، وَاللَّغَابُ ^(٣) بِعَكْسِ ذَلِكَ ،
أَنْ يَكُونَ ظَهْرُ وَاحِدَةٍ إِلَى ظَهْرِ الْأُخْرَى ، وَهُوَ الظَّهَارُ أَيْضاً ، وَمِنْ الْاَوَّامِ
أُخِذَ الْاَلَامُ وَهُوَ السَّهْمُ الْمَرِيشُ قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ :
كَرَّكَ لِأَمِينٍ عَلَى نَابِلٍ ^(٤) .

وُسُئِلَ رُوَيْبُةٌ عَنْ مَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ ، ، فَقَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ
حَدَّثَنِي عَمِّي ، وَكَانَتْ فِي بَنِي دَارِمٍ قَالَتْ : سَأَلْتُ امْرَأَ الْقَيْسِ ، وَهُوَ بِشَرَبِ

(١) العين : ظهور الشيء أمامك .

(٢) أي هذا المقعد المذكور كان رجلاً راثشاً الخ .

(٣) في القاموس : سهم لام عليه ريش اوام يلائم بعضها بعضها . واللغاب :

السهم الفاسد لم يحسن بريده « القاموس » .

(٤) البيت في اللسان

نطعنهم سلكي ومخلوجة لفتك لامين على نابيل

ويروى كما ذكر السهيلي : كرك لامين

طَلَاءَ لَهُ مَعَ عَائِمَةَ بْنِ عَبْدِةَ : مَامَعْنَى قَوْلِكَ : كَرِهَكَ لِأَمِينٍ عَلَى نَابِلٍ ؟ فَقَالَ :
مَرَرْتُ بِنَابِلٍ وَصَاحِبُهُ يَنَالُوهُ الرِّيشَ لَوْأَمًا وَظُهُارًا ، فَمَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَسْرَعَ
مِنْهُ ، وَلَا أَحْسَنَ فَنَشَبَّهْتُ بِهِ ، ذَكَرَ هَذَا أَبُو حَنِيفَةَ . وَقَوْلُهُ : وَضَالَّةٌ ، أَيْ :
سَهَامٌ قَدَّاحُهَا مِنَ الضَّالِّ ، وَهُوَ السَّدْرُ . قَالَ الشَّاعِرُ [ذُو الرُّمَّةِ] :

قَطَعْتُ إِذَا تَخَوَّفْتُ التَّوَاطِيَّ ضُرُوبَ السَّدْرِ غُزِيًّا وَضَالًّا

فَالْغُزِيُّ مِنْهَا مَا كَانَ عَلَى شُطُوطِ الْأَنْهَارِ ، وَالضَّالُّ مَا كَانَ فِي الْبَرِّيَّةِ ،
وَالتَّوَاطِي هِيَ النَّاشِئَةُ تَقْطُو أَيْ تَتَنَاوَلُ ، وَإِنَّمَا تَنَاوَلُ أَطْرَافَ الشَّجَرِ فِي الصُّوفِ ،
فَمَعْنَاهُ : قَطَعْتُ هَذِهِ الصَّجَرَاءِ فِي هَذَا الْوَقْتِ ، وَتَخَوَّفْتُ : أَيْ تَنَقَّصْتُ مِنْ
قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ﴾ النحل : ٤٧ . وَذَكَرَ أَنَّ حُجَيْرَ بْنَ
أَبِي إِهَابٍ هُوَ الَّذِي اشْتَرَى خُبَيْبًا ، وَكَانَ خُبَيْبٌ قَدْ قَتَلَ الْحَارِثَ بْنَ نَوْفَلٍ
أَخَا حُجَيْرٍ لِأُمِّهِ ، وَقَالَ مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ : اشْتَرَى خُبَيْبًا بَنُو الْحَارِثِ بْنِ
نَوْفَلٍ ، لِأَنَّهُ قَتَلَ أَبَاهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَالْمَعْنَى قَرِيبٌ مِمَّا ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ .

وَقَوْلُهُ مَأْوِيَّةَ بِنْتُ ^(١) حُجَيْرٍ بِالْوَاوِ ، رَوَاهُ يُونُسُ بْنُ بَكِيْرٍ عَنْ ابْنِ

(١) فِي السِّيَرَةِ : مَوْلَاةٌ ، وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ أَنَّهُ اسْتَمَارَ الْمَوْسَى مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ
الْحَارِثِ ، وَقَدْ وَقَعَ فِي الْأَطْرَافِ لَخْلَافٍ أَنَّ أَعْمَاءَ زَيْنَبَ بِنْتَ الْحَارِثِ . وَهِيَ
أَخْتُ عَقْبَةَ الَّذِي قَتَلَ خُبَيْبًا ، وَقِيلَ : أَمْرَأَتُهُ . وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ أَنَّ بِنْتَ
الْحَارِثِ قَالَتْ بَعْدَ أَنْ أَعَارَتْهُ الْمَوْسَى لِيُحْلِقَ بِهِ عَاتِيَهُ : « قَالَتْ : فَفَعَلْتُ عَنْ صَبِيٍّ
لِي فَنَدْرَجَ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَاهُ ، فَوَضَعَهُ عَلَى فَخْذِهِ ، فَلَمَّا رَأَيْتَهُ ، فَزَعَتْ فَرْعَةً ، عَرَفَ
ذَلِكَ مِنِّي ، وَفِي يَدِهِ الْمَوْسَى ، فَقَالَ : أَتَخْشِينَ أَنْ أَقْتُلَهُ ؟ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ إِنْ
شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَكَانَتْ تَقُولُ : مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ ، ثُمَّ ذَكَرْتُ =

إسحاق ، ورواه غيره عن ابن إسحاق : مارية بالراء ، وبالواو وقع في النسخ
العتيقة من رواية ابن هشام ، كما رواه ابن بكير ، وقد تكلمنا عن اشتقاق
هذا الاسم في صدر هذا الكتاب ، فأغنى عن إعادته ، وذكرنا أن نسرية
بالتخفيف هي البقرة ، وبتشديد الياء : القطاة المأساء ، وأما الغلام الذي
أعطاه المديّة ، ف قيل : هو أبو عيسى بن الحارث بن عديّ بن نوفل بن

== فطاف العنب . وفي الفتح نقلا عن الزبير أيضاً أن الغلام هو : أبو حسين
ابن الحارث بن عدي بن نوفل بن عبد مناف . وفي رواية بريدة بن سفيان : وكان
ابن صغير ، فأقبل إليه الصبي ، فأخذه ، فأجلسه عنده ، فخشيتم المرأة أن يقتله ،
فناشدته . وعند أبي الاسود عن عروة ، فأخذ خبيب بيد الغلام ، فقال : هل
أمكن الله منكم ، فقالت : ما كان هذا ظني بك ، فرمى لها موسى ، وقال :
إنما كنت مازحاً ، وفي رواية بريدة بن سفيان : ما كنت لأغدر . وقد حاول
الجمع بين الروایتين رواية ابن إسحاق وما تقدم في مسألة من حل موسى .
ويعلق ابن بطال على مسألة فطاف العنب : وهذا ويمكن أن يكون الله جملة آية
على الكفار وبرهانا لنبيه ، لتصحيح رسالته . قال : فأما من يدعى وقوع ذلك له
اليوم بين ظهري المسلمين ، فلا وجه له ، إذ المسلمون قد دخلوا الدين ، وأيقنوا
بالنبوة ، فأى معنى لإظهار الآية عندهم ، ولو لم يكن في تجويز ذلك إلا أن يقول
جاهل : إذا جاز ظهور هذه الآيات على يد غير نبي ، فكيف تصدقها من نبي ،
والفرض أن غيره يأتي بها ، لكان في إنكار ذلك قطعاً للزريعة — إلى أن قال -
إلا أن يكون وقوع ذلك بما لا يحرق عادة . ولا يقلب عينا ، مثل أن يكرم الله
عبداً باجابة دعوة ، في الجين ، ونحو ذلك مما يظهر فيه فضل الفاضل وكرامة
الولي ، ومن ذلك حباة الله تعالى عاصيا لئلا ينتهك عدوه حرمة ، ص ٣٠٥
ح ٧ فتح الباري .

عَبْدُ مَنَافٍ^(١)، قاله الزبير : وهو جَدُّ عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حُسَيْنِ
الذى يروى عنه مالك في المَوْطَأَ .

وذكر أن أبا مَيْسَرَةَ هو الذى طعن خُبَيْبًا في الخَشَبَةِ ، وهو أبو مَيْسَرَةَ
ابن عَوْف بن السَّبَّاق بن عبد الدار ، والذى طعنه معه عُقْبَةُ بن الحارث .
يُسَكَّنَى أبا سَرُوعَةَ ، ويقال : إن أبا سَرُوعَةَ وعُقْبَةُ أخوان أسلمهما جميعاً
ولعُقْبَةَ بن الحارث حديث واحد في الرضاع ، وشهادة امرأة واحدة فيه .
وحديثه مشهور في الصَّحَاح ، فيه أنه قال : تزوجت بنت أبي إهاب بن
عزيز ، فجاءت امرأة ، سوداء ، فقالت : إني قد أَرْضَعْتُكُمَا ، وذكر الحديث^(٢) .
وزاد فيه الدَّارُ قُطَيْبٌ قال : جاءت امرأةٌ سَوْدَاءُ تَسْأَلُ ، فلم نُعْطِهَا شَيْئاً ،
فقالت : إني والله أَرْضَعْتُكُمَا ، فذكر ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم - وقال
إنها كاذبةٌ بارسول الله ، فقال له عليه السلام : كيف ؟ وقد قيل ؟ فطَلَمَهَا ،
ونسكحت خَرِيبَ بن الحارث ، فولدت له أُمَّ قَتَالٍ ، وهى امرأةٌ جُبَيْرِ بن
مُطْعِمٍ ، وأُمُّ ابنه محمد ، ونافع ابنا جابر ، واسم هذه المرأة التى طلقها عُقْبَةُ :

- (١) وهى كلمة حق يجب أن يعيها الذين لا عمل لهم في الدين سوى
إثبات أن شيوخهم كانوا صنّاع معجزات تقلب الإنسان حجراً ۱۱
(٢) رواه البخارى في الشهادات والعلم واليوع والنسكاح ، ورواه أبو داود
في القضايا ، والترمذى في الرضاع ، والنسائي في النسكاح . ولعقبة حديث : « صلى
المصطفى قام مسرعاً ، فتخطى رقاب الناس إلى بعض حجر نسائه ، رواه
البخارى والنسائي ، وحديث ثالث « جىء بالنعميان أو ابن النعميان شارباً ،
رواه البخارى .

عُنَيْتَةٌ ، وَكُنِّيَ أُمُّ يَحْيَى ، ذَكَرَ اسْمُهَا أَبُو الْحَسَنِ الدَّارَقُطْنِيُّ فِي الْمُنْتَفِ
وَالْمُخْتَفِ ، وَلَمْ يَذْكُرْهُ أَبُو مُعَرَّرٍ فِي كِتَابِ النِّسَاءِ ، وَلَا كَثِيرٌ مِمَّنْ أُلْفَ
فِي الْحَدِيثِ .

وَذَكَرَ قِصَّةَ عَاصِمٍ حِينَ سَحَّتهُ الدَّبْرُ . الدَّبْرُ هَاهُنَا : الزَّائِبُ ، وَأَمَّا
الدَّبْرُ (١) فَصَفَارُ الْجُرَادِ ، وَمِنْهُ يُقَالُ مَاءُ دَبْرٍ (٢) قَالَهُ أَبُو حَنِيفَةَ ، قَالَ : وَقَدْ يُقَالُ
لِلنَّحْلِ أَيْضاً دَبْرٌ بَفَتْحِ الدَّالِّ وَاحِدَتِهَا دَبْرَةٌ ، قَالَ : وَيُقَالُ لَهُ : خَشْرَمٌ ،
وَلَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ ، هَذِهِ رَوَايَةٌ أَبِي عُبَيْدٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ ، وَرَوَايَةٌ غَيْرُهُ عَنْهُ أَنَّ
وَاحِدَتَهُ : خَشْرَمَةٌ . وَالثَّوْلُ جَمَاعَةُ النَّحْلِ أَيْضاً ، وَلَا وَاحِدَ لَهَا ، وَكَذَلِكَ
الثُّوبُ وَالثُّوبُ . وَمِنْ الثُّوبِ : حَدِيثُ زَبَّانِ بْنِ قَسْوَرٍ (٣) ، قَالَ : رَأَيْتُ
النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ نَازِلٌ بِوَادِي الشُّوْحِطِ (٤) فَكَلَّمْتُهُ ،
فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ مَعَنَا لُوبًا لَنَا - يَعْنِي نَحْلًا - كَانَتْ فِي عَيْنِ لَنَا بِهِ طَرْمٌ
وَشَمْعٌ ، فُجَاءَ رَجُلٌ فَضَرَبَ مِيتَتَيْنِ (٥) فَانْتَجَحَ حَيًّا ، وَكَفَّتهُ بِالثَّمَامِ ، يَعْنِي نَارًا

(١) هكذا ضبطها اللسان .

(٢) فِي اللِّسَانِ : مَا لِدَبْرٍ : أَيُّ كَثِيرٍ .

(٣) فِي الْإِسَابَةِ : ابْنُ قَيْسٍ ، أَوْ قَيْسُورٌ . وَقَالَ : رَوَى حَدِيثَهُ الدَّرَاقُطْنِيُّ
فِي الْمُؤْتَفِ مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ يَحْيَى بْنِ عَرُورَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْهُ ، قَالَ
الدَّرَاقُطْنِيُّ : حَدِيثُهُ مَنْكُرٌ .

(٤) فِي الْقَامُوسِ وَفِي مَرَاوِدِ الْإِطْلَاحِ : شَوَاحِطُ بَضْمِ الثَّيْنِ وَكُسْرِ الْخَاءِ
جَبَلٌ مَشْهُورٌ قَرِبَ الْمَدِينَةِ كَثِيرُ التَّمُورِ

(٥) لَمْ أَهْتَدِ لَهَا ، فِي الْمَعْجَمِ ، فَلَعَلَّهَا حَنْيْنٌ وَهُوَ الْجَبَلُ أَوْ الْغِيَارُ أَوْ عَتَيْنٌ
وَهِيَ خَيْرُوطٌ تَشَدُّ بِهَا أَوْصَالُ الْخِيَامِ ١١ لَا أَدْرِي .

من زنديق، ونحسه يعنى: دُخِنَه، فطار الأوبُ هارباً، ودلَّيْ مشواراً، فى العَلِمَ
فاستار العسل، فمضى به، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - مَأْمُونٌ مَأْمُونٌ
مَنْ سَرَقَ شَرَوْ قَوْمٌ، فَأَضَرَّ بِهِمْ، أَفَلَا تَبْعُمُ أَثَرَهُ، وعرفتم خبره؟ قال: قلت: يا رسول الله إنه دخل فى قوم لهم مَنَعَةٌ، وهم جيراننا من هُذَيْلٍ، فقال:
النبي - صلى الله عليه وسلم - صَبْرَكَ صَبْرَكَ تَرِدُ نَهْرَ الْجَنَّةِ، وإن سَمَعْتَهُ كما بين
الائمية والسحيفة (١) يَنْسَبُ جَرِيّاً بِعَسَلٍ صَافٍ مِنْ قِذَاءِ مَا تَقِيَاهُ لُوبٌ،
ولا يَجْهَ ثُوبٌ. فالعَلِمَ البئر، وأراد بها هاهنا قُبَّةَ النَّحْلِ أو التَّحْلِيَّةَ، وقد
يقال لموضع النحل إذا كان صَدْعاً فى جَبَلٍ: شَيْقٌ، وجمعه: شَيْفَانٌ، ويقال
لكل دُخَانٍ نُحَاسٍ (٢)، ولا يقال أَيَّامٌ إِلَّا لدخان النحل خاصة، يقال: آمها
بثومها إذا دَخَنَهَا، قاله أبو حنيفة.

مقتل صهر عمرى:

فصل: وذكر أن خُبَيْباً أول من سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ عند القتل. قوله
هذا بَدُلٌ على أنهما سُنَّةٌ جاريةٌ، وكذلك فعلهما حُجْرُ بن عَدِيٍّ بن الأذْبَرِ
حين قتله معاوية - رحمه الله - وذلك أن زياداً كتب من البَصْرَةِ إلى معاوية
يذكر أن حُجْراً وأصحابه، قد خرجوا على السُّلْطَانِ، وشَقُّوا عصا المسلمين،
ووجه مع الكتاب (٣) بك فيه شهادة سبعين رجلاً فيهم الحسن بن أبى الحسن.

(١) لم أهد فى مراجعى إلى معرفتهما.

(٢) الذى سبق ذكره نحسة لا نحاس، وليس فى المعاجم نحسة بمعنى دخان.

(٣) هكذا بالأصل، وأصلها: صكا.

الطبري وابن سيرين وإبراهيم بن زياد وجماعة من عتية التابعين ذكرهم الطبري^(١) يشهدون بما قال زياد من خروج حُجْر بن عدي عليه^(٢)، وكان حُجْرٌ شديد الإنكار للظلم، غليظاً على الأمراء، وأنكر على زياد أموراً من الظلم، فخرج عليه، ولم يكن قصده الخروج على معاوية، فلما حمل حُجْر إلى معاوية في خمسة من أصحابه، قال له: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال له معاوية: أو أنا للمؤمنين أمير؟ ثم أمر بقتله، فمعد ذلك صلى حُجْر الركعتين، ثم أتى معاوية عائشة بالمدينة، فقالت له: أما اتقيت الله يا معاوية في حُجْر بن عدي وأصحابه؟ فقال: أو أنا قتلهم، إنما قتلهم من شهد عليهم، فلما أكرت عليه، قال لها: دعيني وحُجْرًا فأني مُلاقية غداً على الجادة، قالت: فأين عزبَ عنك حلمُ أبي سفيان؟ فقال: حين غاب عني مثلك من قومي^(٣).

(١) في ص ٢٦٩ وما بعدها ح ط دار المعارف.

(٢) وقد جاء في كتاب هذه الشهادة ما يأتي: وهذا ما شهد عليه أبو بردة بن أبي موسى لله رب العالمين. شهد أن حُجْر بن عدي خلع الطاعة، وفارق الجماعة، ولعن الخليفة، ودعا إلى الحرب والفتنة، وجمع إليه المجموع يدعوهم إلى نكث البيعة، وخطب أمير المؤمنين معاوية، وكفر بالله عز وجل كفره صلحاء، ص ٢٦٩ المصدر السابق.

(٣) تعددت روايات الطبري لقاء عائشة ومعاوية رضى الله عنهما. ففي ص ٢٥٧ يذكر أنه ألقبها بمكة، فقالت: يا معاوية أين كان حلك عن حُجْر؟ فقال لها: يا أم المؤمنين لم يحضرني رشيد ١١ وفي ص ٢٧٨ أن عائشة أرسلته إلى معاوية بعث عبد الرحمن بن الحارث بن هشام في شأن حُجْر وأصحابه، فقدم عليه، وقد قتلهم، فقال له عبد الرحمن: أين غاب عنك حلم أبي سفيان؟ قال: غاب عني حين غاب عني مثلك من حباء قومي.

لمَ صارت صلاة غيبب سنة ؟ :

وإنما صار فعلُ خُيِّبَ سُنَّةٌ حَسَنَةٌ . وَالسُّنَّةُ إِنَّمَا هِيَ أَقْوَالٌ مِنَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَفْعَالٌ وَإِقْرَارٌ ، لِأَنَّهُ فَعَلَهَا فِي حَيَاتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَاسْتَحْسِنَ ذَلِكَ مِنْ فَعْلِهِ ، وَاسْتَحْسَنَهُ الْمُعَلِّمُونَ ، مَعَ أَنَّ الصَّلَاةَ خَيْرٌ مَا خُتِمَ بِهِ عَمَلُ الْعَبْدِ ، وَقَدْ صَلَّى هَاتَيْنِ الرُّكْعَتَيْنِ أَيْضاً زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ مَوْلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَذَلِكَ فِي حَيَاتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرُ بْنُ طَاهِرٍ بْنُ طَاهِرٍ الْإِسْبِيلِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْغَنَائِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عُثْمَرَ النَّسَمَرِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ سُفْيَانَ بْنِ جَبْرُونَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرُ بْنُ أَبِي خَيْشَمَةَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ مَعِينٍ : أَخْبَرَنَا قَالَ : أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَكِيرٍ الْمَصْرِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ اكْتَبَرَى مِنْ رَجُلٍ

== وفي نفس الصفحة ذكر أن معاوية حين حج مر على عائشة رضوان الله عليهما ، فاستأذن عليها ، فأذنت له ، فلما قعد قالت له : يا معاوية : ألمنت أن أخبأك من يقتلك ؟ قال بيت الأمن دخلت . قالت : يا معاوية أما خشيت الله في قتل حجر وأصحابه ؟ قال : لست أنا قتلهم إنما قتلهم من شهد عليهم . هذا وقد فصل الطبري في تاريخه قصة حجر وجعل مصرعه من أحداث سنة إحدى وخمسين وهي في كتابه من ص ٢٥٣ إلى ص ٢٨٥ أما المسعودي فذكر أن مصرع حجر كان في سنة ٥٥٣ . ولكنه قال : قيل إن قتلهم كان في سنة ٥٠ ص ١٢ - ٣٠ مروج الذهب لابن الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ط ١٩٤٨ وانظر ص ٢٢ المجلد الثالث من تاريخ عبد الرحمن بن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر الخ ، ط لبنان ١٩٥٧ .

بَعْلًا مِنْ الطَّائِفِ اشْتَرَطَ عَلَيْهِ الْكَرْبِيُّ أَنْ يُنْزِلَهُ حَيْثُ شَاءَ ، قَالَ : فَسَالَ بِهِ إِلَى خَرَبَةٍ ، فَقَالَ لَهُ : انْزِلْ فَنَزَلَ ، فَإِذَا فِي الْخَرَبَةِ قَتْلَى كَثِيرَةٌ ، قَالَ : فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَهُ ، قَالَ : دَعْنِي أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ ، قَالَ : صَلِّ ، فَقَدْ صَلَّى قَبْلَكَ هَؤُلَاءُ فَلَمْ تَنْفَعَهُمْ صَلَاتُهُمْ شَيْئًا ، قَالَ : فَلَمَّا صَلَّيْتُ أَنَا نِي ، لِيَقْتُلَنِي ، قَالَ : فَقُلْتُ : يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، قَالَ : فَسَمِعَ صَوْتًا : لَأَنْتُقُلَهُ ، قَالَ : فَهَابَ ذَلِكَ فَخَرَجَ يَطْلُبُ أَحَدًا ، فَلَمْ يَرِ شَيْئًا ، فَرَجَعَ إِلَى ، فَنَادَيْتُ : يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، فَعَمِلَ ذَلِكَ ثَلَاثًا ، فَإِذَا أَنَا بِفَارِسٍ بِيَدِهِ حَرَبَةٌ حَدِيدٌ فِي رَأْسِهَا شُعْلَةٌ مِنْ نَارٍ فَطَعَنَهُ بِهَا ، فَأَنْفَذَهُ مِنْ ظَهْرِهِ ، فَوَقَعَ مَيِّتًا ، ثُمَّ قَالَ : لَمَّا دَعَوْتُ الْمَرَّةَ الْأُولَى يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ كُنْتُ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَلَمَّا دَعَوْتُ الْمَرَّةَ الثَّانِيَةَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، كُنْتُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَلَمَّا دَعَوْتُ الْمَرَّةَ الثَّلَاثَةَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ أَتَيْتُكَ ^(١) .

مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْفَرَادَى فِي مَوْءِ غَيْبٍ وَأَصْحَابِهِ :

فَصَلَ : وَذَكَرَ ابْنَ إِسْحَاقَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي خَيْرِ خَبِيرٍ وَأَصْحَابِهِ مِنْ قَوْلِ الْمُنَافِقِينَ فِيهِمْ : وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ بِالْبَقَرَةِ : ٢٠٤ الْآيَةِ ، وَأَكْثَرُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ عَلَى خِلَافِ قَوْلِهِ وَأَنَّهَا نَزَلَتْ فِي الْأَخْذَسِيِّ بْنِ شَرِيْقٍ الثَّقَفِيِّ ، رَوَاهُ أَبُو مَالِكٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ ، وَقَالَ ابْنُ السَّكَلَبِيِّ : كُنْتُ بِمَكَّةَ ، فَسُئِلْتُ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقُلْتُ :

(١) لَأَشْكُ فِي أَنَّهَا أَسْطُورَةٌ .

نزلت في الأخنس بن شريق ، فسمي رجلاً من ولده ، فقال لي : يا هذا إنما أنزل القرآن على أهل مكة ، فلا تُسم أحدًا مادت فيها ، وكذلك قالوا في قوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ ﴾ البقرة ٢٠٧ . نزلت في صهيب بن سنان حين هاجر ، وترك جميع ماله لقرين ويدعونه بهاجر بنفسه إلى الله ورسوله ، واستشهد ابن هشام على تفسير الألف بقول مُهَلِّهْل ، قال : واسمه امرؤ القيس ، ويقال عدي ، وقد صرح مُهَلِّهْل باسمه نفسه في الشعر الذي استشهد به ابن هشام ، فقال :

صَرَبَتْ صَدْرَهَا إِلَى وَقَالَتْ يَاعَدِيَا لَقَدْ وَقَتَكَ الْوَاقِي^(١)

وفيه البيت الذي ذكر ابن هشام :

إِنْ تَحْتَ الْأَحْجَارِ حَدًّا وَلِينًا وَخَصِيًّا أَلَدَّ ذَا مِغْلَاقٍ^(٢)

ويروى : مِغْلَاقٌ بالعين المعجمة ، والمِغْلَاقُ : اللسان ، وأما المِغْلَاقُ بالعين مُعْجَمَةٌ ، فالقول الذي يُغْلِقُ قَمَّ الْخُفْمِ وَيُسَكِّتُهُ وَبَعْدَهُ :

حَيَّةٌ فِي الْوِجَارِ أَرْبَدُ لَا يَنْفَعُ مِنْهَا السَّلِيمُ نَفْتُ الرَّاقِي

(١) الواقي : جمع واقية ، فمزمز الواد الأول في الجمع . ومن قال : إن اسمه امرؤ القيس بن ربيعة الخ زوى الشطرة الثانية هكذا : يا امرأ القيس حان وقت الفراق . ص ١١١ سمط اللآلي للبكري .

(٢) أنشده اللسان : إن تحت الأحجار حزمًا وجردًا . وزاد في تفسيره المعلق أنه اللسان إذا كان جدلاً . هذا البيت الطرماح الذي في السيرة أنشده اللسان هكذا : يضحى على سوق الجدول كأنه . . . يلتند .

وسمى مُهَيَّلًا بقوله :

لَمْ تَوْقَلْ فِي السَّكَارِاعِ هَجِيْنُهُمْ هَلَهَتْ أُنْمَارُ جَبْرًا أَوْ صِيْلًا^(١)

هَلَهَتْ: أَيْ كَذَتْ وَقَارَبَتْ ، وَأَمَّا الْأَلَدُ ، فَهُوَ مِنَ اللَّدِيدَيْنِ ، وَهِيَ جَانِبُ الْعُنُقِ ، فَلِأَلَدُ الَّذِي يُرْبِعُ الْحُجَّةَ مِنْ جَانِبٍ إِلَى جَانِبٍ ، يُقَالُ : تَرَكْتَهُ يَتَلَدَّدُ^(٢) ، وَقَالَ الرَّجَّاجُ : الْخِصَامُ يَجْمَعُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ الْخِصَامَةُ ، لِأَنَّهُ أَقْفَلُ الَّذِي يَرَادُ بِهِ التَّفْضِيلُ إِنَّمَا يَكُونُ بَعْضُ مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ ، تَقُولُ : زَيْدٌ أَفْصَحُ النَّاسِ ، وَلَا تَقُولُ : زَيْدٌ أَفْصَحُ الْكَلَامِ .

قَالَ الشَّيْخُ الْحَافِظُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ حَسَنٌ إِنْ كَانَ الْأَلَدُ مِنْ هَذَا الْبَابِ الَّذِي مُؤَنَّثُهُ الْفُعْلَى ، أَمَا إِنْ كَانَ مِنْ بَابِ أَفْعَلَ الَّذِي مُؤَنَّثُهُ فَعْلَاءَهُ نَحْوُ : أَخْرَسُ وَخَرَسَاءُ ، فَالْخِصَامُ مُصْدَرٌ خَاصِمَتُهُ ، وَهُوَ ظَاهِرُ قَوْلِ الْفَرَسِيِّ ، فَإِنَّهُمْ فَسَرُوهُ بِالشَّدِيدِ الْخِصُومَةِ ، فَالَّذِدُّ إِذَا مِنْ صِفَةِ الْمَخَاصِمَةِ ، وَإِنْ وُصِفَ

(١) فِي الْأَصْلِ : تَوْقَلُ وَصَوَابُهَا تَوْقَلُ ، وَالْبَيْتُ فِي الْلسَانِ ، وَفِي سَمَطِ اللَّكَلِ ص ١١٢ : تَوْعَرُ بَدَلًا مِنْ تَوْقَلُ . وَالْبَيْتُ مِنْ شِعْرِ قَالَهُ لُزْمِيُّ بْنُ جَنَابٍ ، وَقَدْ قَالَهُ لَمَّا ادْرَكَ بِثَارِ أَخِيهِ كَلِيبٍ ، وَقَدْ سَبَقَ الْحَدِيثُ عَنْ الْمَهْلِلِ ، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ قَتِيْبَةَ أَنَّهُ سَمِيَ مَهْلِلًا لِأَنَّهُ هَلَّلَ الشَّعْرَ ، أَيْ أَرْقَهُ وَقَوْلُ السَّهْلِيِّ هُوَ قَوْلُ الطَّوْسِيِّ ، وَهُوَ الَّذِي ارْتَضَاهُ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِيُّ فِي رِسَالَةِ الْفَرَّانِ ، وَجَابِرُ وَصْنِبِلُ رَجُلَانِ مِنْ تَغْلِبَ .

(٢) قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ : مَعْنَى الْخِصَامِ الْأَلَدُ فِي الْقِتَّةِ : الشَّدِيدُ الْخِصُومَةُ الْجَدَلُ وَاشْتِقَاقُهُ مِنْ لَدِيدِ الْعُنُقِ ، وَهِيَ صَفْحَتَاهُ . وَتَأْوِيلُهُ : أَنَّ خِصَمَهُ أَيْ وَجْهَهُ أَخَذَ مِنْ رَجْوِهِ الْخِصُومَةَ غَلَبَهُ فِي ذَلِكَ .

به الرجل مجازاً ، ويقوى هذا قوله : وَخَصِيماً أَلَدَّ ، وَلَمْ يُضَيِّعْهُ ، وَلَا قَالَ أَلَدَّ مِنْ كَذَا ، فجعله من باب أَعَمَّ وَأَشَمَّ ونحوه ، ويقويه أيضاً قولهم في الجمع : قوم لُدَّ ، روت عائشة عن النبي - صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ أُنْبِضِ الْخَلْقَ إِلَى اللَّهِ الْخَلِصِ الْأَلَدِّ ﴾ ^(١) وقرأ ابن محيصن ﴿ وَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَنِ مَاتَ قَلْبُهُ ﴾ بفتح الياء والهاء ، ورفع الهاء من اسم الله تعالى ، أى : ويعلم الله ماني قلبه .

(١) البخارى ومسلم والترمذى والفسائى . والنخعي بكسر الصاد الذى يحج من بخاصة .

هذا وقد استشهد ابن هشام في السيرة ببنت قاله يزيد بن ربيعة بن مفرغ . وقد سبق حديث عنه وعن السبب الذى من أجله قال القهيدة . والقهيدة التى منها البيت : وشربت برداً ليقتنى ، الخ هي كما رواها الزجاج في أماليه :

أصرفت	حبلك	من	أمامه	من	بعد	أيام	براه
لهني	على	الرأى	الذى	كانت	عواقبه	نداه	
تركى	سعيداً	ذا	الذى	والبيت	ترفعه	الدعاه	
وتبت	عبد	بنى	علا	ج	تلك	أشراط	القيامة
جاءت	به	حبشية	سكاه	تحسبها	نعاه		
من	نسوة	سود	الوجوه	ه	قرى	عليهن	الدعاه
وشربت	بردا	ليقتنى	من	بعد	برد	كنت	هامه
أو	بومة	تدعو	صدى	بين	المشقر	والبياه	
العبد	يقارع	بالعاه	والحر	تسكفيه	الملامه		
الريح	تبكى	شجوها	والبرق	يلمع	قي	غمامه	
ورمقتها	فوجدتها	كالمضلع	ليس	له	استقامه		

ص ٢٩ وما بعدها الأمالى لابن القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي ط ١٢٢

عمرس في شهر مساه في غيب:

وذكر شعر حسان في قصة خبيب، وقوله فيه:

من القبائل منهم من نَفَتْ عُدُسُ

قوله: من نَفَتْ عُدُسُ، يعني حُجَيْرَ بن أبي إهاب بن عُزَيْن، وهو ينتسب إلى بني عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دَارِم بن مالك بن حَنْظَلَة، ويقال: بل هو من بني رَيْهَمَة بن مالك بن حَنْظَلَة، ومن هاهنا ذكرَ نَفَى بن عُدُس له، من أجل الاختلاف في نسبه. وعُدُس بضم الدال في تميم، وهو هذا، وكل عُدَس في العرب سواء فهو بفتح الدال، وهو من عُدَس في الأرض إذا ذَهَبَ فيها، والله أعلم، فمن المفتوح الدال عُدَس بن عُبَيْدٍ في الأنصار، ثم في بني النَّجَّار، وهو جد أبي أُمَامَة أسعد بن زُرَّارَة^(١) وقد قال بعض النسابين في عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دَارِم الذي تقدم ذكره: عُدَس بفتح الدال، والأول أعرف وأشهر.

دهوة غيب على قاتله:

وذكر قول خبيب حين رفعوه في الخشبة: اللهم أحسبهم عَدَاً، واقتلهم بَدَاً، فمن رواه بَدَاً بكسر الباء، فهو مصدر بمعنى التَّبَدُّد، أي: ذوى^(٢)

(١) في الأصل دارة وهو خطأ وصوابه ما أثبت.

(٢) جاء في هامش المطبوعة: وفي النسخة الأخرى: بكسر الباء فهو جمع بدة، وهي اللمرة والقطعة من الشيء المتبدد، أي ذوى بدها وقد ذكر =

يَدْرُ. فَإِنْ قِيلَ : فَهَلْ أُجِيبَتْ فِيهِمْ دَعْوَةُ خُبَيْبٍ ، والدَّعْوَةُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ مِنْ
مِثْلِ ذَلِكَ الْعَبْدِ مُسْتَجَابَةٌ ؟

قُلْنَا : أَصَابَتْ مِنْهُمْ مَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنْ يَمُوتَ كَافِرًا ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ
فَلَمْ يَبْعَثْهُ خُبَيْبٌ وَلَا فَصَدَهُ بِدَعَايِهِ ، وَمَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ كَافِرًا بَعْدَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ ،
فَإِنَّمَا قُتِلُوا أَبَدًا غَيْرَ مُسْكِرِينَ وَلَا مُجْتَمِعِينَ كَاجْتِمَاعِهِمْ فِي أَحَدٍ ، وَقَبْلَ ذَلِكَ
فِي بَدْرٍ ، وَإِنْ كَانَتْ الْخَفْدُ بَعْدَ قِصَّةِ خُبَيْبٍ فَقَدْ قُتِلَ مِنْهُمْ أَحَادٌ فِيهَا
مُتَبَدِّدُونَ ، ثُمَّ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ جَمْعٌ وَلَا مَعْسَكَرٌ غَزَوْا فِيهِ ، فَتَنَزَّهَتْ
الدَّعْوَةُ عَلَى صُورَتِهَا وَفِيمَنْ أَرَادَ خُبَيْبٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَحَاشَا لَهُ أَنْ يَكْرَهُ
إِيمَانَهُمْ وَإِسْلَامَهُمْ ^(١) .

ابن كرهية في سمر مائة :

فصل : وَذَكَرَ أَشْعَارَ حَسَّانٍ فِي خُبَيْبٍ وَأَصْحَابِهِ ، وَلَيْسَ فِيهِمْ مَعْنَى خَفِيٍّ ،
وَلَا لَفْظَ غَرِيبٍ وَخَشْيَةٍ ، فَيَحْتَاجُ إِلَى تَفْسِيرِهِ ، اسْكُنْ فِي بَعْضِهَا :

= الخشني البدة بكسر الباء : المتفرقون ، وهو بفتح الباء المصدر ، وأصله من التبدد
وهو التفرق . وَذَكَرَ ابْنُ الْأَثِيرِ مَا يَأْتِي : بَدَدَ : يَرُوي بِكَسْرِ الْبَاءِ جَمْعُ بَدَةٍ وَهِيَ
الْحَصَّةُ وَالنَّصِيبُ : أَيِ اقْتِلَامِ حَصَصَا مَقْسَمَةٍ ، أَسْكَلَ وَاحِدٌ حَصَصَهُ وَنَصَبَهُ .
وَيُرُوي بِالْفَتْحِ . أَيِ - مَتَمَرِّقِينَ فِي الْقَتْلِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ مِنَ التَّبِيدِ .

(١) وَفَصِيدَةُ خُبَيْبٍ فِي السَّيْرِ لَمْ يَرَوْا مِنْهَا الْبُخَارَى غَيْرَ هَذَيْنِ :

مَا إِنْ أَبَالَى حِينَ أُقْتِلَ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كَانَ اللَّهُ مُصْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ يَبَارِكُ عَلَى أَرْصَالِ شُلُومِوعِ
وَفِي رِوَايَةِ أَبِي الْأَسْوَدِ عَنْ عُرْوَةَ ذَكَرَ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ وَالرَّابِعَ مِنَ الْقَصِيدَةِ .

بنى كُتَيْبَةَ أَنْ الْحَرْبَ قَدْ لَقَعَتْ .

جعل كُتَيْبَةَ كَأَنَّهُ اسْمٌ عَلَّمُ لَهُمُ ، وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : بَنَى ضَوْطَرَى
هُوَ بَنَى الْغُبَاءَ وَبَنَى دَرَزَةَ ^(١) قَالَ الشَّاعِرُ :

أَوْلَادُ دَرَزَةَ أَسْلَمُوا لَوْ طَارُوا ^(٢)

وَهَذَا كُلُّهُ اسْمٌ لِمَنْ يُسَبُّ ، وَعِبَارَةٌ عَنِ السَّفَلَةِ مِنَ النَّاسِ ، وَكُتَيْبَةُ
مِنَ السُّكْنَةِ ، وَهِيَ الْغُبَةُ ، وَهَذَا كَمَا قَالُوا : بَنَى الْغُبَاءَ ، وَأَكْثَرُ أَشْجَارِ
حَسَّانَ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ ، قَالَ فِيهَا مِنْ هَذَا بَلِّ ، لِأَنَّهُمْ إِخْوَةُ الْقَارَةِ ، وَالشَّارِكُونَ
لَهُمْ فِي الْقَدْرِ بِجُبَيْبٍ وَأَصْحَابِهِ ، وَهَذَا بَلِّ وَخَزِيمَةُ أَبْنَاءُ مُدْرِكَةَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ
وَعِصْلُ الْقَارَةِ مِنْ بَنِي خَزِيمَةَ .

مول العلم ومنه من التنوين مع الحذف :

وقوله : وابن لطريق ، وابن دَنَنَةٍ منهم ، حذف التنوين كما تقدم في قوله

(١) الضوطرى : الرجل الضخم الذى لا غناء عنده ، ويقال لقوم إذا كانوا
لا يبنون غناء بنو ضوطرى . وبنو ضوطرى : حى معروف . وبنو غبراء يقال
للمحاربين أو الفقراء كأنهم نسبوا إلى الأرض ، وهى فى الأصل : غبرى —
مفصورة — ولم أجدها . وبنو درزة يقال لدعى هو ابن درزة وابن ترقى ،
وذلك إذا كان ابن أمة تساعى فجاءت به من المساعة : ولا يعرف له أبويقال :
مؤلاء أولاد درزة وأولاد فرتى للسفلة والسقاط . انظر اللسان فى مادة درز
وضطرو وغير .

(٢) فى اللسان قاله شاعر يخاطب زيد بن على . ويقال . أراد به الخياطين ،
مؤلف كانوا أخرجوا معه ، فتركوه وانهمزوا .

شَأَتْ بَدَا وَخَشِي مِنْ قَائِلٍ ، وَلَوْ أَنَّهُ حِينَ حَذَفَ التَّنْوِينَ نَعَبَ ، وَجَعَلَهُ
كَالاسْمِ الَّذِي لَا يَنْصَرَفُ ، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ الْخَفْضِ مَفْتُوحٌ ، لَسَكَانٌ وَجْهًا وَقِيَاسًا
صَحِيحًا ، لِأَنَّ الْخَفْضَ تَابِعُ التَّنْوِينِ ، فَإِذَا زَالَ التَّنْوِينُ زَالَ الْخَفْضُ ، لِأَنَّ
يَلْتَبَسُ بِالْمُضَافِ إِلَى ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ ، لِأَنَّ ضَمِيرَ الْمُتَكَلِّمِ ، وَإِنْ كَانَ بَاءً فَقَدْ
يَحْذَفُ ، وَيَكْتَفَى بِالْكَسْرَةِ مِنْهُ ، وَزَوَالَ التَّنْوِينِ فِي أَكْثَرِ مَا لَا يَنْصَرَفُ إِنَّمَا
هُوَ لاسْتِفْنَاءِ الْاسْمِ عَنْهُ ، إِذْ هُوَ عَلَامَةُ الْانْفِصَالِ عَنِ الْإِضَافَةِ ، فَكُلُّ اسْمٍ لَا يُتَوَمَّهُ
فِيهِ الْإِضَافَةُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّنْوِينِ ، لَسَكَانُهُ إِذَا لَمْ يُنَوَّنْ لَمْ يُخَفَّضْ ، لَمَّا ذُكِرَ نَامُ
مِنْ التَّيَاسِيَةِ بِالْمُضَافِ إِلَى الْمُتَكَلِّمِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي أَسْمَارِ أَحَدٍ : كَثَارَ
أَبِي حُبَّاحِبٍ وَالظُّبَيْنَا بَفَتْحِ الْبَاءِ مِنْ حُبَّاحِبٍ فِي مَوْضِعِ الْخَفْضِ ، وَكَانَ حَقٌّ
كُلُّ عِلْمٍ إِلَّا يُنَوَّنَ ، لِأَنَّهُ مُسْتَفْنً عَنِ الْإِضَافَةِ كَمَا لَمْ يُنَوَّنْ جَمِيعُ أَنْوَاعِ
الْمَعَارِفِ ، وَلَسَكَانُهُ نَوَّنَ مَا نَوَّنَ مِنْهُ لِلْسَّرِّ الَّذِي يَشْتَمِلُ فِي أَسْرَارِ مَا لَا يَنْصَرَفُ
مِنَ الْأَسْمَاءِ ، وَقَدْ أَمَلِينَا فِي ذَلِكَ جُزْءًا ، وَلَكِنْ الْخَفْضُ فِي طَارِقٍ وَوَحْشِيٍّ
مَرْوِيٍّ ، وَوَجْهُهُ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ ضَرُورَةً شِعْرٍ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي كَلَامِهِمْ لَمْ يُنَبِّعُوا
الْخَفْضَ فِيهِ التَّنْوِينَ إِذْ لَا يَقُومُ إِضَافَتُهُ إِلَى الْمُتَكَلِّمِ ، إِذْ لَا يَبْقَى إِلَّا نَادِرًا
فِي شِعْرِ ، فَالْتَّبَسَ فِيهِ بَعِيدٌ .

استفان اسم خبيث وهزيل :

وقوله : وابن البُكَيْرِ إمامهم وخبيثٌ ، أَرَدَفَ حَرْفَ الرَّوِيِّ بِبَاءٍ
مَفْتُوحٍ مَاقِلَهَا ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِيهِ مَرَّتَيْنِ .. وَخَبِيبٌ فِي الْفَتْحِ تَعْنِيهِ خَبٌّ ،
وَهُوَ الْمَاكِرُ مِنَ الرِّجَالِ الْخُلْدَاعِ ، وَيُجَوِّزُ أَنْ يَكُونَ تَعْنِيهِ خَابٌ مِنَ الْخَبِيبِ .

فيكون من باب تصغير الترخيم ، وهو الذي ينبغي على حذف الزوائد ، وأما هُذَيْلٌ فقالوا فيه : إنه مُصَغَّرُ تَصْغِيرِ التَّخِيمِ ، لأنه من هَوَذَلَ الرَّجُلُ يَبْوُلُهُ إذا باعد به ، فسكانه تصغيرٌ مُهَوَذِلٍ على حذف الزوائد ، ويجوز أن يكون تصغير هُذَلُولٍ ، وهو التَّلُّ المَصْغَرُ مِنَ الرَّمْلِ على تصغير الترخيم أيضاً^(١).

سالت بديرة همره :

وقوله : سالت^(٢) هُذَيْلٌ رسولَ الله فاحِشَةً ، ليس على تسهيل الهمزة في سالت ، ولسكنها لغةً بدليل قولهم : تَسَايَلَ القَوْمُ ، ولو كان تَسْهِيلاً ، لسكانت الهمزة بينَ بَيْنَ ، ولم يستقم وَزْنُ الشعرِ بها ، لأنها كالتَّصَحُّرِ كَةٍ ، وقد ثَقُلَ أَلِفُهَا سَاكِفَةً كما قالوا : الْمِنْسَاءُ^(٣) ، ولسكنه شيء لا يقاس عليه ، وإذا كانت سَالًا لَمَّا في سَالٍ فيلزم أن يكون المضارعُ يَسِيلُ ، ولسكن قد حكى يونس : سَيْلَتْ تَسَالُ مثل خِفَتْ تَخَافُ ، هو عنده من ذَوَاتِ الواو ، وقال الزجاج : الرجلان يَتَسَايَلَانِ ، وقال النجاشي والمبرد : يَتَسَاوِلَانِ ، وهو مثل ما حكى يونس .

خبر بئر معونة

قال ابن إسحاق : وكانوا أربعين رجلاً ، والصحيح أنهم كانوا سبعين ،

-
- (١) قريب منه قسول ابن دريد : اشتقاق هذيل من الهذل وهو الاضطراب ، يقال : هوذل الرجل يبو له إذا اضطرب بوله فقد هوذل .
 (٢) السيلى ينتقل من قصيدة إلى قصيدة دون ترتيب .
 (٣) المفساء : المعاصم ولا يهمز .

كذا وقع في صحيح البخاري ومسلم .

ملعب الأسيئة وإخوانه ومهوز الحكماء :

وذكر أبا براء مَلَاعِبَ الْأَسِيئَةِ، وأنه أجاز أصحابَ بئر مَثُونَةَ من أهل نجد ، وهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، سُمِّيَ مَلَاعِبَ الْأَسِيئَةِ في يوم سُوبَانَ ، وهو يوم كانت فيه وقعةٌ في أيام جَبَلَةَ ، وهي أيامُ حَرْبٍ كانت بين قيسٍ وتميم ، وجَبَلَةُ اسمٌ لهضبةٍ عالية ، وقد تقدم طَرَفٌ من هذا الحديث في أول الكتاب ، وكان سببُ تَسْمِيَّتِهِ في يوم سُوبَانَ مَلَاعِبَ الْأَسِيئَةِ أن أخاه الذي يقال له فارسٌ قُرْزُلٌ ، وهو طُفَيْلُ بن حَالِكٍ ، وقد ذكرنا في أول الكتاب معنى قُرْزُلٍ ، كان أسلمه في ذلك اليوم ، وفَرَّقَ فقال شاعر :

قَرَزْتُ وَأَسْلَمْتُ ابْنَ أُمِّكَ عَامِرًا مُلَاعِبُ أَطْرَافِ الْوَشِيحِ الْمَرْغَزِ
فَسُمِّيَ مَلَاعِبَ الْأَسِيئَةِ ، وَمَلَاعِبُ الرَّمَاحِ . قال لبيد :

ولمَّا نِيَّ مُلَاعِبُ الرَّمَاحِ وَمِدْرَةُ السَّكْتِيَّةِ الرَّدَاحِ

وهو عَمُّ لَبِيدِ بْنِ رِيعة ، وكانوا إِخْوَةً خَمْسَةً : طُفَيْلُ فَارِسُ قُرْزُلٍ ، وعَامِرُ مَلَاعِبِ الْأَسِيئَةِ ، وَرَبِيعَةُ الْمُفْتَرِينَ ^(١) وهو والد لبيد ، وَعُبَيْدَةُ الْوَضَّاحِ ، ومعاوية مَعْوُذُ الْحُكَمَاءِ ^(٢) وهو الذي يقول :

(١) في الجهرة لابن حزم : وربيعة ، وهو ربيع المفترين .
(٢) في الجهرة معمود ص ٢٦٨ وكذلك في القاموس سقط اللال

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضٍ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا
وَفِي هَذَا الشَّعْرِ يَقُولُ :

يَمُودُ مِثْلَهَا الْحِكْمَاءُ بَعْدِي إِذَا مَا الْأَمْرُ فِي الْحَدَثَانِ نَابَا
وَبِهَذَا الْبَيْتِ سُمِّيَ مُمُودُ الْحِكْمَاءِ ^(١).

شعر لبيد عن ماعز وإفرونه أمام النعمان :
وإياهم عني آبيد حين قال بين يدي النعمان بن الْمُقْدِرِ :

نَحْنُ بَنِي أُمِّ الْبَيْتَيْنِ الْأَرْبَعَةِ الْمُطْعِمُونَ الْجَفْنَةَ الْمُدْعَدَةَ
وَالضَّارِبُونَ الْهَامَ نَحْتُ الْخَيْضَةَ يَارُبُّ هَيْجًا هِيَ خَيْرٌ مِنْ دَعَةٍ ^(٢)

(١) البيت في اللسان هكذا :

أعود مثلها الحكماء بعدى إذا ما الحق في الحدثنان نابا
ويقول اللسان قبلها : وسمى مود الحكماء لقوله في هذه القصيدة ثم ذكر البيت .
وفي سبط اللال ص ١٩٠ يقول : سمي مود - بالادال - الحكماء بقوله :
سأعقلها وتحملها غنى وأورث مجدها أبداً كلابا
أعود مثلها الحكماء بعدى إذا ما معضل الحدثنان نابا
وفي ص ٤٤٨ يذكر بعد بيته إذا نزل السماء هذين البيتين :

لكل مقلص عجل شواه إذا وضعت أعنتهن نابا
وعفزة الحزام بمرفقيها كفافة الربل أفلتت الكلابا
روانظر ص ١٨٢ ج ١ الأما إلى القالى ط ٢

(٢) في اللسان وفي سبط اللال : نحن بنو ، وزاد اللسان بعد الشطرة الأولى
في مادة خضع : ونحن خير عامر بن صمصمة ، والمدعدة : المليئة بالخبيصة :
البيضة أو التفاف الأصوات في الحرب وقد قال لبيد الرجز حين ناظر الربيع =

ثم ذكر الربيع بن زياد [العبسي] فقال :

مَهْلًا أُبَيِّتَ اللَّغْنَ لَا تَأْكُلُ مَمَّةً

إلى آخر الرجز في خبر طويل ، إنما قال : الأربعة ، وهم خمسة ، لأن
أباه ربيعة قد كان مات قبل ذلك ، لا كما قال بعض الناس ، وهو قول يُغزى
إلى الفرّاء أنه قال إنما قال أربعة ، ولم يقل خمسة من أجل القوافي ، فيقال له : لا يجوز
للشاعر أن يُلحَن لإقامة وزن الشعر ، فكيف بأن يكذب لإقامة الوزن ،
وأعجب من هذا أنه استشهد به على تأويل فاسد تأوله في قوله سبحانه :
﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ الرحمن : ٤٦ وقال : أراد جنة واحدة ،
وجاء بلفظ التثنية ، لتفق رؤوس الآي ، أو كلاماً هذا معناه ، فَصَّي صَمَامٌ (١) ،
ما أشنع هذا الكلام ، وأبعد عن العلم ، وفهم القرآن : وأقول هَيْبَةُ قَائِلِهِ
من أن يَدَبُوا مُقَمَّده من النار ، فَعَذَارٍ مِنْهُ حَذَارٍ - ومما يدل أنهم كانوا
أربعة حين قال كَيْدُ هذه المقالة أن في الخبر ذِكْرُ بُثْمٍ كَيْدٍ وَصِفَرٍ سِنَّةً ،
وأن أحماته الأربعة استصغروه أن يُدْخِلُوهُ معهم على الثمان حين همهم
ما قَالُوهُمْ به الربيع بن زياد ، فسمعهم ليبدؤ يتحدثون بذلك ، ويهتفون له ،
فسألهم أن يُدْخِلُوهُ معهم على الثمان ، وزعم أنه سَيُفْجِمُهُ قَتْلَهُمْ بِقَوْلِهِ ،

= ابن زياد العبسي بحضرة الثمان بن المنذر . أنظر ص ١٥١ سطر اللآلي . وحسننا فعل
السبيل حين يتر الرجز ، فقد أفضى فيه لبيد ، ورمى زياداً بما تهرأ منه الرهولة
بالفاظ تثير التمزز ،

(١) صمى صمام : يضرب الرجل يأتى الداهية ، أى اخرس . يا صمام . ويقال
لداهية : صمى صمام مثل قطام ومى الداهية ، أى زبدي .

حتى اختبروه بأشياء مذكورة في الخبر ، فبان بهذا كله أنهم كانوا أربعة ، ولو سكت الجاهل لقل الخلاف والحمد لله .

معتبر ابن مغيرة :

وذكر ابن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه أن عامر بن الطفيل قال يومئذ : مَنْ رَجُلٌ لَمَّا طَعَنَتْهُ رُفِعَ حَتَّى رَأَيْتُ السَّمَاءَ مِنْ دُونِهِ . هذه رواية البكاءي عن ابن إسحاق ، وروى يونس بن بكير عنه بهذا الإسناد أن عامر بن الطفيل قدم المدينة بعد ذلك ، وقال للنبي عليه السلام : مَنْ رَجُلٌ يَأْمُرُ لَمَّا طَعَنَتْهُ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ ؟ فقال : هو عامر بن قُيَيرة^(١) وروى عبد الرزاق وابن المبارك أن عامر بن قُيَيرة التَّمِسَ فِي الْقَتْلِ يَوْمَئِذٍ ، فَقُتِلَ ، فَيَرَوْنَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ رَفَعَتْهُ أَوْ دَفَنْتْهُ .

أسم البنين الأربعة :

وذكر قول حسان :

بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ أَلَمْ يَرُعْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي ذَوَائِبِ أَهْلِ نَجْدٍ

وهذه أم البنين التي ذكر لبيد في قوله :

نَحْنُ بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ الْأَرْبَعَةُ

(١) في رواية البخاري أن عامر بن الطفيل سأل عمرو بن أمية الضمري ، وإن عامرا قال : لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء ، حتى إنني لا أنظر إلى السماء بينه وبين الأرض وهذا قول رجل كافر ظل على كفره فهل يصدق ؟

(٢) في السيرة : من .

واسمها : كَيْلَى بنتُ عامر - فيما ذكروا وقد ذكر بن هشام نسبها ،
ولم يذكر اسمها .

وذكر قول أنس بن عباس السلمي :

تركتُ ابنَ وَرْقَاءِ الْخَزَاعِيَّ ثَاوِيًا بِمَعْتَرِكِ تَسْنِي عَلَيْهِ الْأَعَامِرُ
ذكرتُ أبا الزَّبَّانِ لما رأيته وأيقنتُ أني عند ذلك نائِرُ

الزبانه أو المريان

هكذا وقع في النسخة أبا الزبَّان^(١) ، وفي رواية إبراهيم بن سعد :
أبا الزَّبَّانِ بالراء المهملة ، وبالياء أخت الواو ، وهكذا ذكره الدارقطني
في المؤتلف والمختلف ، كما في رواية إبراهيم بن سعد .

القرطاء :

وذكر شعر كعب وفيه : أَوِ الْقُرَطَاءُ مَا إِنْ أَسْلَمُوهُ . الْقُرَطَاءُ : هـ
بنو قُرْطٍ وقُرَيْطٍ وقَرِيْطٍ ، وهم أَبْلُنُّ من بني عامر ثم من بني كلاب .

شيء منسوخ

ولما قتل أصحابُ بئر معونة نزل فيهم قرآن ، ثم رفع : أَنْ أَبْلَغُوا قَوْمَنَا
أَنْ قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَحْنِي سَعْمًا وَرَحِيمِنَا عَنْهُ^(٢) ، فثبت هذا في الصحيح ، وليس .

(١) في أبي ذر: الزبان أي بالزاء والياء وقد صوب : الزبان .

(٢) البخاري : إنا لقينا ربنا ، فرحى عنا وأرضانا . ولتدبر النقد الرائع

الذي نقد به السهيلي هذا .

عليه رَوَتْهُ الإِمْجَازُ ، نِقَال : إِنْهُ لَمْ يُنْزَلْ بِهَذَا النِّظْمِ ، وَكَانَ يُنْظَمُ مُعْجَزٍ
كَنْظَمِ الْقُرْآنِ .

فَإِنْ قِيلَ : إِنْهُ خَبَرٌ وَالْخَبَرُ لَا يَدْخُلُهُ النُّسخُ ، قُلْنَا : لَمْ يُنْسخْ مِنْهُ الْخَبَرُ ،
وَإِنَّمَا نُسخَ مِنْهُ الْحُكْمُ ، فَإِنَّ حُكْمَ الْقُرْآنِ أَنْ يُتْلَى فِي الصَّلَاةِ ، وَأَنْ لَا يَمْسَهُ
إِلَّا طَاهِرٌ^(١) ، وَأَنْ يُكْتَبَ بَيْنَ الْأَوْحَيْنِ ، وَأَنْ يَكُونَ تَعْلَمُهُ مِنْ قُرُوضِ
الْكِفَايَةِ ، فَكُلُّ مَا نُسخَ ، وَرَفَعَتْ مِنْهُ هَذِهِ الْأَحْكَامُ ، وَإِنْ بَقِيَ مُحْفُوظًا ،
فَإِنَّهُ مَنْسُوخٌ ، فَإِنْ تَضَمَّنَ حُكْمًا جَازَ أَنْ يَبْقَى ذَلِكَ الْحُكْمُ مَعْمُولًا بِهِ ،
وَأَنْكَرَتْ ذَلِكَ الْمُعْزَلَةُ ، وَإِنْ تَضَمَّنَ خَبْرًا بَقِيَ ذَلِكَ الْخَبَرُ مُصَدَّقًا بِهِ ،
وَأَحْكَامُ التَّلَاوَةِ مَنْسُوخَةٌ عَنْهُ ، كَمَا قَدْ نَزَلَ : لَوْ أَنَّ لِبْنِ آدَمَ وَادِئِينَ مِنْ
ذَهَبٍ لَا يَتَغَيَّرُ لِهَمَانَالْتَا ، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ ، وَيُحِبُّ اللَّهُ
حُلِيَّ مَنْ تَابَ .

وَيُرْوَى : لَا يَمْلَأُ عَيْنَيَّ ابْنِ آدَمَ ، وَفَمَّ ابْنِ آدَمَ ، كُلُّ ذَلِكَ فِي الصَّحِيحِ ،
وَكَذَلِكَ رُويَ : وَادِيًا مِنْ مَالٍ أَيْضًا ، فَهَذَا خَبَرٌ حَقٌّ ، وَالْخَبَرُ لَا يُنْسخُ ،
وَلَكِنْ نُسخَ مِنْهُ أَحْكَامُ التَّلَاوَةِ ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ أَعْنَى قَوْلِهِ : لَوْ أَنَّ

(١) يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمْسُهُ إِلَّا
الْمُطَهَّرُونَ) الْوَاقِعَةُ : ٧٧ — ٧٩ وَالضَّمِيرُ فِي لَا يَمْسُهُ يَعُودُ إِلَى الْكِتَابِ الَّذِي فِي
السَّمَاءِ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ . وَالْمُطَهَّرُونَ هُمُ الْمَلَائِكَةُ . وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ : زَعَمَتْ كُفَرَاءُ
قُرَيْشٍ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ نَزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَمْسُهُ إِلَّا
الْمُطَهَّرُونَ كَمَا قَالَ تَعَالَى : (وَمَا نَزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ) وَقَالَ الْقُرَاءُ : لَا يَجِدُ طَعْمَهُ
وَنَفْعَهُ إِلَّا مَنْ آمَنَ بِهِ .

أمر إجلاء بنى النضير

في سنة أربع

بنو النضير يأمرّون بالرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى النضير يستعينهم في دية ذبكت القَتيلين من بنى عامر ، اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري ، للجوار الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لهما ، كما حدثني يزيد بن رومان ، وكان بين بنى النضير وبين بنى عامر عقد وحلف .

لابن آدم في سورة يونس بعد قوله : كأن لم تكن بالأمس كذلك فصل الآيات لقوم يتفكرون ، كذلك قال ابن سلام ، وأما الحكم الذي بقي ، وكان قرآنا يُقلى : فالشيخ والشيخة إذا زنيا ، فارجموهما البتة نكالا من الله ، ولا ترغبوا عن آبائكم ، فإن ذلك كفر بكم ، فهذا حكم كان نسخ جازئا حين نسخ حكم التلاوة ، وكان جازئا أن يبقى حكم التلاوة ، وينسخ هذا الحكم بخلاف هذا الخبر كما تقدم ^(١) .

(١) سؤال نسأله لخواه الذين يزعمون مثل هذا : هل يجوز لمسلم أن يدعّم أن قوله : لو أن لابن آدم الخ من القرآن ؟ ثم هل يكفر من ينكر أنه كان من القرآن ؟ وفي آي القرآن من جلال البيان وجماله وإشراقه ما يفنى عن هذا ، وما يحكم بأن هذا كلام ليس عليه — كما قال السهيلي من قبل — رونق الإعجاز ثم كيف تفسخ آية ويبقى حكمها ؟ أهذه تتفق مع حكمة الله بعباده ورحمته ؟ ليتفق الله الذين يزعمون مثل هذا ، وكيف نأمن شرأبغرى مثل هذا ؟ وسؤال آخر : أفى كتاب الله آية يحرم على المسلم أن يعمل بها ؟ لا يجوز أحد على قول : نعم .

فلما أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم في دية ذينك القَتيلين ، قالوا : نعم ، يا أبا القاسم ، نعيمك على ما أحببت ، مما استعقت بنا عليه . ثم خلا بعضهم ببعض ، فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه . ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد - فمن رجل يعلو على هذا البيت ، فيُلقي عليه صخرة ، فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو ابن جعاش بن كعب ، أحدهم ، فقال : أنا لذلك ، فصعد ليُلقي عليه صخرة كما قال ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه ، فيهم أبو بكر ومُحر وعلي ، رضوان الله عليهم .

الله يعلم نبيه بما دبروا

فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة ، فلما استلبث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ، قاموا في طلبه ، فلقوا رجلاً مُقبلاً من المدينة ، فسألوه عنه ؛ فقال : رأيته داخل المدينة . فاقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى انتهوا إليه صلى الله عليه وسلم ، فأخبرهم الخبر ، بما كانت اليهود أرادت من القدر به ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيو لحربهم ، والسير إليهم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : ثم سار بالناس حتى نزل بهم .

قال ابن هشام : وذلك في شهر ربيع الأول ، فحاصروهم ست ليال ؛ ونزل
تحريم الطمر .

حصار الرسول لبني النضير

قال ابن إسحاق : فتحصنوا منه في الحصون ، فأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم بقطع النخيل والتخريب فيها ، فتأذوه : أن يأمروا ، قد كنت تنهى
عن الفساد ، وتعيبه على من صنعه ، فما بال قطع النخل وتحريقها ؟

تحريض الرهط لهم ثم محاولتهم الصلح

وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج ، منهم (عدو الله) عبد الله بن
أبي بن سلول ، ووديمة ، ومالك بن أبي قوقل ، وسويد وداعس ، قد بعثوا إلى
بني النضير : أن اثبتوا وتمنوا ؛ فإننا لن نسلمكم ، إن قوتكم قاتلنا معكم ،
وإن أخرجتم خرجنا معكم ، فتربعوا ذلك من تعمرهم ، فلم يزلوا ، وقذف
الله في قلوبهم الرعب ، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجلبهم
ويكف عن دمانهم ، على أن لهم ما حلت الإبل من أموالهم إلا الخلقة ،
ففعل . فاحتلوا من أموالهم ما استقلت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم
بيته عن نجاف بابيه ، فيضعه على ظهر بعيره ، فيمطق به . فخرجوا إلى خيبر ،
ومنهم من سار إلى الشام .

من هاجر منهم إلى خيبر

فكان أشرفهم من سار منهم إلى خيبر : سلام بن أبي الحقيق ،

وكيفانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وحيبي بن أخطب. فلما نزلوها دان لهم أهلها.
قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث: أنهم استقلوا
بالنساء والأبناء والأموال، معهم الدقوف والزمير، والقيان يفرق خلفهم،
ولم يكن فيهم لأم عمرو صاحبة عروة بن الزرد العبسي، التي ابتاعوا منه،
وكانت إحدى نساء بني غفار، بزهاة وفخر مارئي مثله من حي من الناس
في زمانهم.

تقسيم الرسول أموالهم بين المهاجرين

وخلوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فسكان لرسول الله
صلى الله عليه وسلم خاصة، يضمها حيث يشاء، فسمها رسول الله صلى الله
عليه وسلم على المهاجرين الأولين دون الأنصار. إلا أن سهل بن حنيف
وأبأ دجانة سمالك بن خرسة ذكرا فقرا، فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم.

من أسلم من بني النضير

ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان: يامين بن عمير، أبو كعب بن عمرو
ابن جحاش؛ وأبو سعد بن وهب، أسلما على أموالهما فأحرزاهما.

تحريض يامين على قتل ابن جحاش

قال ابن إسحاق - وقد حدثني بعض آل يامين: أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ليامين: ألم تر ما لقيت من ابن عمك، وما هم به من شائي؟

فجعل يامين بن عمير لرجل جُملاً على أن يقتل له عمرو بن جعاش ، فقتله
فيما يزعمون .

ما نزل في بني النضير من القرآن

ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها ، يذكر فيها ما أصابهم الله به
من نعمته . وما سيط عليهم به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما عمل به فيهم ،
فقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ
لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ، مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ
مِنَ اللَّهِ ، فَاتَّخَذَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ، وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ
الرُّعْبَ ، يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وذلك لهدمهم بيوتهم
عن نجف أبوابهم إذا احتملوها . ﴿ فَأَعْتَبُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ . وَلَوْلَا أَنْ
كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ ﴾ وكان لهم من الله نعمة ، ﴿ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ﴾ :
أي بالسيف ، ﴿ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴾ مع ذلك . ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْلَةٍ أَوْ
نَوْمٍ رَكْتُمْوهَا قَائِمَةً عَلَى أُمُومِهَا ﴾ . والليانة : ما خالف المجرة من النخل ﴿ فَيَاذِنْ
اللَّهُ ﴾ : أي فيأمر الله قطعت ، لم يكن فساداً ، ولكن كان نعمة من الله
﴿ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الليانة : من الألوان ، وهي ما لم تكن برنسية ولا عَجْوَة
من النخل ، فيما حدثنا أبو عبيدة . قال ذو الرُّمَّة :

كَانَ قُتُودِي فَوْقَهَا عَشُّ طَائِرٍ عَلَى لِيْنَةٍ سَوْدَاءَ تَهْفُو جُنُوبَهَا
وهذا البيت في قصيدة له .

﴿ وما أفاءَ اللهُ عَلَى رَسُوْلِهِ مِنْهُمْ ﴾ - قال ابن إسحاق : يعنى من بنى
النَّضِير - ﴿ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ
رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ : أى له خاصة .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : أوجفتم : حركتم وأتممتم في السير . قال تميم بن أبي بن
مُقْبِل أحد بنى عامر بن صَمْعَةَ :

مذاوِيد بالبيض الحديثِ مِقالها من الرِّكاب أحياناً إذا الركبُ أوجفوا
وهذا البيت في قصيدة له ، وهو الوجيف . (و) قال أبو زيد الطائي ،
واسمه حَرَملة بن المُنْذِر :

مُسْتَفات كأنهن قَدَا الهنْد لِطُولِ الْوَجِيفِ جَذَبَ الْمَرُودِ
وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن هشام : السَّنَاف : البِطَان . والوجيف (أيضاً) : وجيف القلب
والكبد ، وهو الضَّرْبَان . قال قيس بن الخطيم الظفري :
إِنَّا وَإِنْ قَدَّمُوا إِلَيَّ عَلَمُوا أَكْبَادُنَا مِنْ وَرَائِهِمْ تَحِيفُ
وهذا البيت في قصيدة له .

﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلَهُ وَلِلرَّسُولِ ﴾ - قال :
 إسحاق : ما يؤجف عليه المسلمون بالخليل والركاب ، وفتح بالحرب عنوة فله
 وللرسول - ﴿ وَلِلَّهِ الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ وَابْنُ السَّبِيلِ ، كَيْتِلَا
 يَكُونُ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ ، وما آتاكم الرسول فخذوه ،
 وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ . يقول : هذا قسم آخر فيما أصيب بالحرب بين
 المسلمين ، على ما وضعه الله عليه .

ثم قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا ﴾ يعنى عبد الله بن أبي
 وأصحابه ، ومن كان على مثل أمرهم ﴿ يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ : يعنى بنى النضير ، إلى قوله : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ
 قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاتُوا أَيْمَانٍ وَهَمَّ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ : يعنى بنى قينقاع .
 ثم القصة . . إلى قوله : كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ ، فَلَمَّا
 كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ، إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ . فسكان
 عاقبتهم أنهما فى النار خالدَيْنِ فِيهَا ، وذلك جزاء الظالمين ﴾ .

ما قيل فى بنى النضير من الشعر

وكان مما قيل فى بنى النضير من الشعر قول ابن لقيم القلبي ، ويقال :
 قاله قيس بن بحر بن طريف . قال ابن هشام : قيس بن بحر الأشجى - فقال :

أَهْلِي فِدَاؤَ لَامِرِيٍّ غَيْرِ هَالِكٍ أَحَلَّ الْيَهُودَ بِالْحِمَى الْمُزَنِّمِ
 يَقُولُونَ فِي بَحْرِ الْفَضَاءِ وَبَدَلُوا أَهْيَضِبَ عُودِي بِالْوَدِيِّ الْمُسَكَّمِ

فَإِنْ يَكُ طَائِي سَادِقًا بِمُحَمَّدٍ تَرَوْا خَفَلَهُ بَيْنَ الصَّلَا وَرَمَرَمِ
يَوْمَ بِهَا عَمْرُو بْنُ بَهْنَةَ إِيَّاهُمْ عَدُوٌّ وَمَا حَيَّ صَدِيقٌ كَجُزْمِ
حَلِيمٍ أَبْطَالُ مَسَاعِيرُ فِي الْوَعَى يَهْزُونَ أَطْرَافَ الْوَشِيحِ الْمُتَقَوْمِ
سُوكُلٌ رَقِيقُ الشَّفَرَتَيْنِ مَهْنَدٌ تُوَوِّرُنِي مِنْ أَرْزَامَانِ عَادٍ وَجُرْمِ
نَحْنُ مُبْلَغٌ عَنِّي قُرَيْشًا رِسَالَةً قَهْلٌ بَعْدَمِ فِي الْمَجْدِ مِنْ مُتَكْرَمِ
بِأَنَّ أَهْلَكُمْ فَاعْلَمُنْ مُحَمَّدًا تَلِيدُ النَّدَى بَيْنَ الْحُجُونِ وَزَمَمِ
خَدِيفُوا لَهُ بِالْحَقِّ تَجَسُّمُ أُمُورِكُمْ وَتَسْمُوا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى كُلِّ مُنْظَمِ
نَبِيٌّ تَلَاقَتْهُ مِنْ اللَّهِ رَحْمَةٌ وَلَا تَسْأَلُوهُ أَمْرَ غَيْبٍ مُرْجَمِ
فَقَدْ كَانَ فِي بَدْرِ لَعْنَتِي عِزَّةٌ لَكُمْ يَا قُرَيْشًا وَالْقَلِيلِ الْبَلَمَمِ
غَدَاةً أَتَى فِي الْخَزْرَجِيَّةِ هَامِدًا إِلَيْكُمْ مُطِيعًا لِلْعَظِيمِ الْمُكْرَمِ
مُؤْمِنًا بِرُوحِ الْقُدُسِ يُنْكِي عَدُوَّهُ رَسُولًا مِنَ الرَّحْمَنِ حَقًّا بِمَعْلَمِ
رَسُولًا مِنَ الرَّحْمَنِ يَتْلُو كِتَابَهُ فَلَمَّا أَنَارَ الْحَقُّ لَمْ يَتَلَقَّمِ
أَرَى أَمْرَهُ يَزْدَادُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ عَلُوًّا لِأَمْرِ نَحْمَهُ اللَّهُ مُحْكَمِ

قال ابن هشام : عمرو بن بهنثة ، من غطفان . وقوله « بالحسي الزنم » عن
غير ابن إسحاق :

قال ابن إسحاق : وقال علي بن أبي طالب : يذكر إجلال بني النضير ،
وقتل كعب بن الأشرف .

قال ابن هشام : قال رجل من المسلمين غير علي بن أبي طالب ، فيما ذكر

لى بعض أهل العلم بالشعر ، ولم أر أحداً منهم يعرفها لعل :

عرفتُ ومنَ يَعْتَدِلُ يَعْرِفُ وَأَيَقَنْتُ حَقًّا ولم أَصْدِفِ
 عَنِ السَّكَمِ الْمُحْكَمِ اللّاءِ من لدى الله ذى الرَّأْفَةِ الْأَرْفَدِ
 رَسَائِلُ تُنْذِرُ فِي الْمُؤْمِنِينَ بِهِنَ اصْطَفَى أَحَدَ الْمُصْطَفَى
 فَأَصْبَحَ أَحَدُ فِينَا عَزِيزاً عَزِيزَ الْقَامَةِ وَالْمَوْقِفِ
 فَيَا أَيُّهَا الْمَوْعِدُوهَ سَفَاهَا وَلَمْ يَأْتِ جَوْرًا ولم يَمْنُفِ
 أَلَسَمُ تَخَافُونَ أَدْنَى الْعَذَابِ وَمَا آمِنُ اللَّهَ كَلَّا أَخَوْفُ
 وَأَنْ تُفْصِرُوا تَحْتَ أَسْيَافِهِ كَتَمْتُ كَمْبِ أَبِي الْأَشْرَفِ
 عَمْدَاهُ رَأَى اللَّهُ طُفْيَانَهُ وَأَعْرَضَ كَالْجَمَلِ الْأَجْنَفِ
 فَأَنْزَلَ جِبْرِيلَ فِي قَتْلِهِ يُوْخِي إِلَى عَيْنِهِ مُلْطَفِ
 فَدَسَّ الرَّسُولُ رَسُولاً لَهُ بِأَبْيَضِ ذِي هَبَّةٍ مُرْهَفِ
 قَبَائِلَ عَيُونٍ لَهُ مُغُولَاتِ مَتَى يُنْفَعُ كَمْبٌ لَهَا تَنْذِرُفِ
 وَقُلْنَا لِأَحْمَدَ ذَرْنَا قَلِيلًا فَإِنَّا مِنَ النَّوْحِ لَمْ نَشْفِ
 فَخَلَّاهُمْ نَمِ قَالَ اطْمَئِنُّوا دُحُورًا عَلَى رَغَمِ الْأَنْفِ
 وَأَجَلَى النَّظِيرِ إِلَى غُرْبَةٍ وَكَانُوا بِدَارِ ذَوَى زُخْرَفِ
 إِلَى أَذْرِعَاتِ رُدَافِي وَمُ عَلَى كُلِّ ذِي دَبَرٍ أَعْجَفِ

فأجابه سماك اليهودي ، فقال :

إِنْ تَفْخَرُوا فَهُوَ فَخْرُكُمْ بِمَقْتَلِ كَمْبِ أَبِي الْأَشْرَفِ

عَدَاهُ غَدَوْتُمْ عَلَى حَتْفِهِ وَلَمْ يَأْتِ غَدْرًا وَلَمْ يُخْلِفْ
 قَوْلَ اللَّيَالِي وَصَرَفَ الدُّهُورَ يُدْبِلُ مِنَ الْعَادِلِ الْمُتَنَصِفِ
 بِقَتْلِ النَّصِيرِ وَأَخْلَافِهَا وَعَقْرِ النَّخِيلِ وَلَمْ تُقْطَفْ
 فَإِنَّ لَا أُمَّتَ تَأْتِكُمْ بِالْقَنَاءِ وَكَلَّ حُسَامٍ مَعًا مَرَهَفِ
 بِكَفٍّ كَمِيِّ بِهِ يَحْتَمِي مَتَى يَبْلُقَ قِرْنَانَا لَهُ يُثْلِفِ
 مَعَ الْقَوْمِ صَخْرٌ وَأَشْيَاءُهُ إِذَا غَاوَرَ الْقَوْمَ لَمْ يَضْمَفِ
 كَلَيْثٍ يَنْزِجُ حَتَّى غِيَلَهُ أُخِي غَابِيَةً هَاصِرٍ أَجُوفِ

شعر كعب في إجلاء بني النضير وقتل ابن الأشرف

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بني النضير وقتل
 كعب بن الأشرف :

لَقَدْ خَزَبْتَ بِغَدْرِنَا الْخُبُورَ كَذَلِكَ الدُّهُرُ ذُو صَرَفٍ يَدُورُ
 وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِرَبِّ عَزِيزٍ أَمْرُهُ أَمْرٌ كَبِيرُ
 وَقَدْ أَوْتُوا مَعًا قَهْمًا وَعِلْمًا وَجَاءَهُمْ مِنَ اللَّهِ النَّذِيرُ
 نَذِيرٌ صَادِقٌ أَدَّى كِتَابًا وَآيَاتٍ مُبِينَةً مُنِيرُ
 فَقَالُوا : مَا أَتَيْتَ بِأَمْرِ صِدْقٍ وَأَنْتَ بِمُنْكَرٍ مِنَّا جَدِيرُ
 قَال : بَلَى لَقَدْ أَدَيْتُ حَقًّا يُصَدِّقُنِي بِهِ الْقَهْمُ الْخَلِيرُ
 فَمَنْ يَنْبَغِيهِ هَذَا لِكُلِّ رُشْدٍ وَمَنْ يَكْفُرُ بِهِ يُجْزَى الْكَفُورُ
 فَلَا أَمْرِي بَوَا غَدْرًا وَكُفْرًا وَحَادٍ بِهِمْ عَنِ الْحَقِّ الْفُورُ

أَرَى اللَّهَ النَّبِيَّ بِرَأْيِ صَدَقٍ وَكَانَ اللَّهُ بِحِكْمٍ لَا يَجُورُ
فَأَبْدَهُ وَسَاطَئِهِ عَلَيْهِمُ وَكَانَ نَصِيرُهُ نِعَمَ النَّصِيرِ
غُفُودٍ مِنْهُمْ كَفَبٌ مَرِيحًا فَذَلَّتْ بِمَدِّ مَضْرَعِهِ النَّصِيرِ
عَلَى الْكَافِّينَ ثُمَّ وَقَدْ عَلَّمَتْهُ بِأَيْدِيهَا مُشْهَرَةً ذُكُورِ
بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ إِذْ دَسَّ لَيْلًا إِلَى كَفَبٍ أَخَا كَفَبٍ بَسِيرِ
فَمَا كَرِهَ فَأَنْزَلَهُ بِمَكْرِ وَتَحْمُودٍ أَخُو ثِقَةٍ جَسُورِ
فَتِلْكَ بَنُو النَّصِيرِ بَدَارِ سَوَاءٍ أَبَارِهِمْ بِمَا اجْتَرَمُوا الْمُبِيرِ
غَدَاةَ أَتَانَهُمْ فِي الزَّحْفِ رَهَوًا رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ بِهِمْ بَصِيرِ
وَعَسَانَ الْحِمَاةِ مُوَارِزُوهُ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَهُوَ لَهُمْ وَزِيرِ
فَقَالَ السَّلَامُ وَبِحِكْمٍ قَصَدُوا وَحَالَفَ أَمْرَهُمْ كَذِبَ وَزُورِ
فَذَاقُوا غِيبَ أَمْرِهِمْ وَبَلَاءَ اِكْلَ ثَلَاثَةِ مِنْهُمْ بِمَسِيرِ
وَأَجَلُوا عَامِدِينَ لَقَيْتُنَّاعَ وَغُودِرَ مِنْهُمْ تَحْلَ وَدُورِ

شمر سمالك في الرد على كعب

فأجابه سمالك اليهودي ، فقال :

أَرَقْتُ وَضَافَنِي مَمَّ كَبِيرُ بَلِيلٍ غَيْرُهُ اِهْلُ قَصِيرِ
أَرَى الْأَخْبَارَ تُنْكَرُهُ جَمِيعًا وَكُلُّهُمْ لَهُ مِنْ خَبِيرِ
وَكَانُوا الدَّارِسِينَ لِكُلِّ عِلْمٍ بِهِ التَّوْرَةَ تَنْطَلِقُ وَالزُّبُورِ
فَقَلَّمُ سَيِّدَ الْأَخْبَارِ كَغَبَا وَقَدَمَا كَانَ بِأَمْنٍ مَنْ يُجِيرِ

تَدَلَّى نَحْوَ مَحْمُودٍ أَخِيهِ وَمَحْمُودٌ سِرِّيَرُهُ الْفَخْرُ -
فَقَدَرَهُ كَأَن كَانَ دَمًا نَجِيمًا يَسِيلُ عَلَى مَدَارِعِهِ مَدًا -
فَقَدْ وَابِيكُمُ وَابِي جِيمًا أَصِيتَ إِذَا أَصِيبَ بِهِ النَّعْمُ -
فَإِنْ نَسَلَكُمْ تَرَكَ رِجَالًا بَكَفَبَ حَوْلَهُمْ طَيْرٌ مَدًا -
كَأَنَّهُمْ عَطَارُ يَوْمٍ عِيدٍ تُدْبِحُ وَهِيَ لَيْسَ نَهًا -
بِيَدَيْهِ لَا تُلْقِي لَهْنٌ عَظْمًا صَوَافِي الْخَدَّ أَكْثَرُهَا ذَنُورًا -
كَأَلَا قِيمٌ مِنْ بَاسٍ صَخْرٍ بِأَحَدٍ حَيْثُ لَيْسَ لِسَاكًا عِيدًا -

شعر ابن مرداس في امتداح رجال بني التنضير

وقال عباس بن مرداس أخو بني سليم يمتدح رجال بني التنضير

تَوَّأْنَ أَهْلَ الدَّارِ لَمْ يَتَصَدَّعُوا رَأَيْتَ خِلَالَ الدَّارِ مَلْهُي وَمَعَا -
فَإِنَّكَ عَمْرَى هَلْ أُرِيكَ عَظَمَاتِنَا سَلَكْنِ عَلَى رُكْنِ الشَّطَاةِ قِيَامًا -
عَلَيْنَ عَيْنٍ مِنْ غِلَاءِ تَبَالَةٍ أَوَانِسُ يُصَيِّنُ الْحَلِيمَ الدَّهْرًا -
إِذَا جَاءَ بَانِي الْخَيْرِ قُلْنَ فُجَاءَةً لَهُ بَوُجُوهٌ كَالدَّانَائِرِ مَرَحًا -
وَأَهْلًا فَلَا مَتْنُوعَ خَيْرٍ طَلَبْتَهُ وَلَا أَفْتَ تَحْتَى عِنْدَنَا أَنْ نَوْنَا -
فَلَا تَحْسَبْنِي كَفْتُ مَوْلَى ابْنِ مَشْكَمٍ سَلَامٌ وَلَا مَوْلَى حُتَيْ بْنِ أَحْطَا -

شعر خوات في الرد على ابن مرداس

فأجابه خوات بن جبير، أخو بني عمرو بن موف، فقال:

تُبَكِّي عَلَى قَتْلَى يَهُودَ وَقَد تَرَى مِنْ الشَّجْوِ لَوْ تَبْكِي أَحَبَّ وَأَقْرَبَا
قَهْلًا عَلَى قَتْلَى بَيْطُنِ أُرَيْنِقِ بِكَيْتٍ وَلَمْ تَقُولِ مِنَ الشَّجْوِ مُسْهَبَا
إِذَا لِلسُّلَمِ دَارَتْ فِي صَدِيقِ رَدْدَتَهَا فِي الدِّينِ صَدَادًا وَفِي الْحَرْبِ تَغْلِبَا
عُدْتَ إِلَى قَدَرِ لِقَاؤِكَ تَبْتَغِي لَمْ شَبَهَا كُنَيْمًا تَبْعَزْ وَتَغْلِبَا
فَإِنَّكَ لَمَّا أَنْ كَفَيْتَ تَمْدُحَهَا لَنْ كَانَ عَيْنِيَا مَدْحُهُ وَتَكْذِبَا
رَحَلْتَ بِأَمْرِ كُنْتَ أَهْلًا لِنَفْسِهِ وَلَمْ تُنَلِّفْ فِيهِمْ قَائِلًا لَكَ مَرْحَبَا
قَهْلًا إِلَى قَوْمِ مُلُوكٍ مَدَحَتِهِمْ تَبَيَّنُوا مِنَ الْعِزِّ الْمُؤَلَّلِ مَفْصِلَا
إِلَى مَعَشَرٍ صَارُوا مُلُوكًا وَكُرُمُوا وَلَمْ يُنَلِّفْ فِيهِمْ طَالِبُ الْعُرْفِ مُجْدِبَا
أُولَئِكَ أُخْرَى مِنْ يَهُودَ بِمَدْحَةٍ تَرَاهُمْ وَفِيهِمْ عِزَّةَ الْمَعْدِ تَرْبُيَا

شعر ابن مرداس في الرد على خوات

فأجابه عباس بن مرداس السلمي ، فقال :

هَجَوْتُ صَرِيحَ الْكَاهِنِينَ وَفِيكُمْ لَمْ نَعَمْ كَانَتْ مِنَ الدَّهْرِ تَرْبُيَا
أُولَئِكَ أُخْرَى لَوْ بِكَيْتٍ عَلَيْهِمْ وَقَوْمُكَ لَوْ أَدَّوْا مِنَ الْحَقِّ مُوجِبَا
مِنَ الشُّكْرِ إِنْ الشُّكْرَ خَيْرُ مَغْبَةٍ وَأَوْفَى فَعَلًا لِذِي كَانَ أَصُوبَا
فَكُنْتُ كَمَنْ أَمْسَى يُقَطِّعُ رَأْسَهُ لَيُنَلِّغْ عِزًّا كَانَ فِيهِ مَرْكَبَا
فَبِكَ بَنِي هَارُونَ وَاذْكُرْ فَعَالَهُمْ وَقَتْلَهُمْ لِلْجُوعِ إِذْ كُنْتَ مُجْدِبَا
أَخَوَاتُ أَذْرِ الدَّمْعِ بِالْأَمْعِ وَابْكِيَهُمْ وَأَعْرِضْ عَنِ التَّكْرُوهِ مِنْهُمْ وَنَكَبَا
فَإِنَّكَ لَوْ لَا قِيَّتَهُمْ فِي دِيَارِهِمْ لِأَلْفَيْتَ عَمَّا قَدْ تَقُولُ مُنْكَبَا

سراع إلى القنبا كرام لدى الوغى . يُقال لباعى الخير أهلاً ومرحباً

شعر الكعب أو ابن رواحة في الرد على ابن مرداس

فأجابه كعب بن مالك ، أو عبد الله بن رواحة ، فيما قال ابن هشام ، فقال :
 تعمري لقد حكت رحي الحرب بعد ما أطارت لؤياً قبل شرفاً ومغرباً
 بقمية آل السكاهنين وعزها فعاد ذليلاً بعد ما كان أغلباً
 فطاح سلام وابن سعية عنوة وقيد ذليلاً للقنبا ابن أخطباً
 وأجلب يبغي العز والذل يبتغى خلاف يديه ما جرى حين أجلباً
 كتارك سهل الأرض والحزن هممه وقد كان ذاق الناس الكدى وأصعباً
 وشأس وعزال وقد صلياً بها وما غيباً عن ذاك فيمن تغيباً
 وعوف بن سلمى وابن عوف كلاهما وكعب رئيس القوم حان وخيباً
 فبعداً وسجقاً للنضير ومثلها إن أعقب فتتح أو إن الله أعقباً

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدي : ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بني النضير بني المصطلق . وسأذكر حديثهم إن شاء الله في الموضع الذي ذكره ابن إسحاق فيه .

غزوة ذات الرقاع

في سنة أربع

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة

بني النضير شهر ربيع الآخر وبمض جمادى ، ثم غزا نجداً يريد بني محارب وبني تغلبة من غطفان ، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري ، ويقال : عثمان بن عفان ، فيما قال ابن هشام .

لِمَ سُمِّيَتْ بذات الرقاع ؟

قال ابن إسحاق : حتى نزل نَحْلًا ، وهي غزوة ذات الرقاع .

قال ابن هشام : وإنما قيل لها غزوة ذات الرقاع ، لأنهم رَقَعُوا فيها راياتهم ، ويقال : ذات الرقاع : شجرة بذلك الموضع ، يقال لها : ذات الرقاع .

قال ابن إسحاق : فلقى بها جمعاً عظيماً من غطفان ، فتقارب الناس ، ولم يكن بينهم حرب ، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف ، ثم انصرف بالناس .

صلاة الخوف

قال ابن هشام : حدثنا عبد الوارث بن سعيد التثوري - وكان يسكني أبا عبيدة - قال : حدثنا يونس بن عبيد ، عن الحسن بن أبي الحسن ، عن جابر بن عبد الله في صلاة الخوف ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطائفة ركعتين ثم سَلَّمَ ، وطائفة مُقْبِلُونَ على العدو . قال : فجاموا فصلى بهم ركعتين آخرين ، ثم سَلَّمَ .

قال ابن هشام : وحدثنا عبد الوارث ، قال : حدثنا أيوب ، عن أبي الزبير ،

عن جابر ، قال : صفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صفين ، فركع بنا جميعاً ، ثم سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسجد الصف الأول ، فلما رفعوا سجد الذين يلونهم بأنفسهم ، ثم تأخر الصف الأول ، وتقدم الصف الآخر حتى قاموا مقامهم ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم بهم جميعاً ثم سجد النبي صلى الله عليه وسلم وسجد الذين يلونه معه ، فلما رفعوا رءوسهم سجد الآخرون بأنفسهم ، فركع النبي صلى الله عليه وسلم بهم جميعاً ، وسجد كل واحد منهما بأنفسهم سجدةًتين .

قال ابن هشام : حدثنا عبد الوارث بن سعيد التثوري قال : حدثنا أيوب بن نافع ، عن ابن عمر ، قال : يقوم الإمام وتقوم معه طائفة ، وطائفة مما يلي عدوهم ، فيركع بهم الإمام ويسجد بهم ، ثم يتأخرون فيسكونون مما يلي العدو ، يتقدم الآخرون فيركع بهم الإمام ركعة ، ويسجد بهم ، ثم تصلي كل طائفة بأنفسهم ركعة ، فكانت فم مع الإمام ركعة ركعة ، وصلوا بأنفسهم ركعة ركعة .

هم غورث بن الحارث يقتل الرسول

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله : أن رجلاً من بني محارب ، يقال له : غورث ، قال لقومه من غطفان ومحارب : ألا أقتل لكم محمداً ؟ قالوا : بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أفتك به . قال : فاقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس ، وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره ، فقال : يا محمد ، أنظر إلى سيفك هذا ؟ قال : نعم . وكان

مُحَلَّى بِنَفْضَةٍ ، فَمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ - قَالَ : فَأَخَذَهُ فَاسْتَلَّهَ ، ثُمَّ جَعَلَ يَهْزُهُ ، وَيَسْأَلُهُ : قِيمَ كِتَابَتِهِ اللَّهُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَمَا تَخَافُنِي ؟ قَالَ : لَا ، وَمَا أَخَافُ مِنْكَ ؟ قَالَ : أَمَا تَخَافُنِي وَفِي يَدَيِ السَّيْفِ ؟ قَالَ : لَا ، يَتَمَعْنِي اللَّهُ مِنْكَ . ثُمَّ عَمِدَ إِلَى سَيْفِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَرَدَّهُ عَلَيْهِ . قَالَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ، فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَعَلَى اللَّهِ قَلْبَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن رومان : أنها إنما أنزلت في عمرو بن جحاش ، أخى بنى النضير ومأمومه ، فأنه أعلم أى ذلك كان .

قصه جمل جابر

قال ابن إسحاق : وحدثني وهب بن كيسان ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرجتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ مِنْ نَجْلٍ ، عَلَى بَجَلٍ لِي ضَعِيفٍ ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : جَعَلَتِ الرِّقَاقُ تَمْضِي ، وَجَعَلْتُ أَتَخَلَّفُ ، حَتَّى أُدْرِكَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : مَا لَكَ يَا جَابِرُ ؟ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَبْطَأَ بِي جَمَلِي هَذَا ؛ قَالَ : أَيْخِي ؟ قَالَ : فَأَتَخَذْتُهُ ، وَأَنَاخَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ ثُمَّ قَالَ : أُعْطِنِي هَذِهِ الْعَصَا مِنْ يَدِكَ ، أَوْ اقْطَعْ لِي عَصَا مِنْ شَجَرَةٍ ؛ قَالَ : فَعَمَلْتُ . قَالَ : فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَخَسَهَا بِهَا نَخَسَاتٍ ، ثُمَّ قَالَ : ارْكَبْ . فَرَكِبْتُ ، فَخَرَجَ ، وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ ، يُوَاهِقُ نَاقَتَهُ مُوَاهِقَةً .

قال : وتحدثت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لى : أتبينى جملتك هذا يا جابر ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، بل أهبه لك ؛ قال : لا ، ولكن بمنية ، قال : قلت : فسمنيه يا رسول الله ؛ قال : قد أخذته بدرم ؛ قال : قلت : لا ، إذن ، تفينى يا رسول الله ! قال : فبدرهمين ؛ قال : قلت : لا . قال : فلم يزل يرفع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثمنه حتى بلغ الأوقية . قال : فقلت : أفقد رضيت يا رسول الله ؟ قال : نعم ؛ قلت : فهو لك ، قال : قد أخذته . قال : ثم قال : يا جابر ، هل تزوجت بعد ؟ قال : قلت : نعم يا رسول الله ، قال : أكثيباً أم بكرأ ؟ قال : قلت : لا ، بل كئيباً ؛ قال : أفلا جارية تُلأبها وتُلَاعِبُكَ ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، إن أبى أصيب يوم أُحُدٍ وترك بناتٍ له سبعاً ، ففككتُ امرأةً جامعةً ، تجمع رؤوسهنَّ ، وتقوم عليهنَّ ؛ قال : أصنبت إن شاء الله ، أما إننا لو قد جئنا صراراً أمرنا بجزور ففجرت ، وأقمنا عليها يومنا ذاك ، وسمعت بنا ، ففقت نمارقها ؛ قال : قلت : والله يا رسول الله ما لنا من نمارق ؛ قال : إنها ستكون ، فإذا أنت قدِمْتَ فاهمل عملاً كئيباً . قال : فلما جئنا صراراً أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجزور ففجرت ، وأقمنا عليها ذلك اليوم ؛ فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ودخلنا ، قال : فحدثتُ المرأة الحديثَ ، وما قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فدؤنك ، فسمع وطاعة . قال : فلما أصبحتُ أخذتُ برأس الجمل ، فأقبلتُ به حتى أنخته على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ثم جلستُ فى المسجد قريباً منه ، قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأى الجمل ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : يا رسول الله ، هذا جمل جاء به

جابر ، قال : فأين جابر؟ قال : فدُعيتُ له ، قال : فقال : يا ابن أخي خُذْ برأس جمالك ، فهولك ، ودعاً بلالاً ، فقال له : اذهب بجابر ، فأعطه أوقية . قال : فذهبت معه ، فأعطاني أوقيةً ، وزادني شيئاً يسيراً . قال : فوالله ما زال يَنْمِي عندي ، ويُرَى مكانُهُ من بيتِنَا ، حتى أُصِيب أُسٌّ فيما أُصِيب لنا ، يعني يوم الحرة .

ابن ياسر وابن بشر، وقيامهما على حراسة جيش الرسول

وما أُصِيبَا به

قال ابن إسحاق : وحدثني عمي صدقة بن يسار ، عن عَقِيل بن جابر ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع من نخل ، فأصاب رجل امرأة رجل من المُشركين ، فلما انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قافلاً ، أتى زوجها وكان غائباً ، فلما أخبر الخبر حَافَ لا ينتهي حتى يَهْرِيق في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم دمًا ، تخرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منزلاً ، فقال : من رَجُل يَكَاؤُنَا لَيْلَتَنَا (هــذِه) ؟ قال : فالتدب رجلٌ من المهاجرين ، ورجل آخر من الأنصار ، فقالا : نحن يا رسول الله ، قال : فسكونا بقمِ الشَّعب . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد نزلوا إلى شعب من الوادي ، وهما عمار بن ياسر وعبداد بن بشر ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فلما خرج الرجلان إلى قَمِ الشَّعب ، قال الأنصاريُّ

للمهاجرى أى الليل تحب أن أكنيكه : أوله أم آخره ؟ قال : بل أكنى
 أوله ، قال : فاضطجع المهاجرى فنام ، وقام الأنصارى يصلى ، قال : وأتى
 الرجل ، فلما رأى شخص الرجل عَرَفَ أنه رَبيثةُ القوم . قال : فرمى بسهم ،
 فوضعه فيه ، قال : فنزعه ووضعه ، وثبت قائماً ، قال : ثم رماه بسهم آخر فوضعه
 فيه . قال : فنزعه فوضعه ، وثبت قائماً ، ثم عاد له بالثالث ، فوضعه فيه ، قال :
 فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد ، ثم أَهَبَ صاحبه فقال : اجلس فقد أثبت ،
 قال : فوثب ، فلما رآهما الرجلُ عرف أن قد نذرا به ، فهرب . قال : ولما
 رأى المهاجرى ما بالأنصارى من الدماء ، قال : سبحان الله ! أفلا أَهْبَبْتَنِي
 أول مارماك ؟ قال : كنت فى سورة أقرؤها فلم أُحِبَّ أن أقطعها حتى أُنْقِذَهَا ،
 فلما تابع على الرنمى ركعت فأذنتك ، وإيم الله ، لولا أن أضيق نَفْراً أمرنى
 رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحفظه ، لقطع نفسى قبل أن أقطعها
 أو أُنْقِذَهَا .

قال ابن هشام : ويقال : أنقذها .

رجوع الرسول

قال ابن إسحاق : ولما قَدِمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من
 غزوة الرقاع ، أقام بها بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجباً .

غزوة بدر الآخرة

في شعبان سنة أربع

خروج الرسول

قال ابن إسحاق : ثم خرج في شعبان إلى بدر ، لمعاد أبي سفيان ، حتى نزل .

استعماله ابن أبي على المدينة

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول الأنصاري .

رجوع أبي سفيان في رجاله

قال ابن إسحاق : فأقام عليه ثمانى ليال ينتظر أبا سفيان ، وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل بحجة ، من ناحية الظهران ، وبعض الناس يقول : قد بلغ عسفان ، ثم بداله في الرجوع ، فقال : يامعشر قريش ، إنه لا يصلحكم إلا عام خصب ترعون فيه الشجر ، وتشربون فيه الالين ، وإن عامكم هذا عام جذب ، وإنى راجع ، فارجعوا فرجع الناس . فسماهم أهل مكة جيش السويق ، يقولون : إنما خرجتم تشربون السويق .

الرسول ومخشي الضمري

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده .

فَأَتَاهُ نَحْشَى بْنُ عَمْرِو الصُّنْمَرِيُّ ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ وَادَّعَى عَلَى بَنِي ضَمْرَةَ فِي غَزْوَةِ
وَدَّانَ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَجِئْتَ لِقَاءَ قُرَيْشٍ عَلَى هَذَا الْمَاءِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، يَا أَخَا
بَنِي ضَمْرَةَ ، وَإِنْ شِئْتَ مَعَ ذَلِكَ رَدَدْنَا إِلَيْكَ مَا كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ ، ثُمَّ جَالَدْنَاكَ
حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ ، قَالَ : لَا وَاللَّهِ يَا مُحَمَّدُ ، مَا لَنَا بِذَلِكَ مِنْكَ مِنْ حَاجَةٍ .

معبد وشعره في ناقة للرسول هوت

فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْتَظِرُ أَبَا سَفْيَانَ ، فَرَبَّرَ بِهِ مَعْبِدُ بْنُ
أَبِي مَعْبِدٍ الْخُزَاعِيُّ ، فَقَالَ ، وَقَدْ رَأَى مَكَانَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَنَاقَتَهُ تَهْوِي بِهِ .

قَدْ نَفَرْتُ مِنْ رُفَقَتِي مُحَمَّدٍ وَعَجَوَةٌ مِنْ يَثْرِبٍ كَالْعَفْجَدِ
تَهْوِي عَلَى دِينَ أَبِيهَا الْأَنْلَدِ قَدْ جَعَلْتُ مَاءَ قُدَيْدٍ مَوْعِدِي
وَمَاءَ ضَجْنَانَ لَهَا ضُحَى الْغَدِ

شعر لابن رواحة أو كعب في بدر

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فِي ذَلِكَ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : أَنْشَدْنَاهَا أَبُو زَيْدٍ
الْأَنْصَارِيُّ لِكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ :

وَعَدْنَا أَبَا سَفْيَانَ بَدْرًا فَلَمْ يَحِدْ لِمِيعَادِهِ صِدْقًا وَمَا كَانَ وَافِيًا
فَأَقْسِمَ لَوْ وَاقِفَيْنَا فَلَقَيْنَا لَا بُتَ ذَمِّهَا وَافْتَقَدْتَ الْمَوَالِيَا
تَرَكَنَا بِهِ أَوْصَالَ عَثْبَةٍ وَابْنِهِ وَعَمْرًا أَبَا جَهْلٍ تَرَكَنَاهُ نَارِيَا

عَصَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ أَفَّ لَدَيْكُمْ وَأَمْرُكُمْ السَّيِّئُ الَّذِي كَانَ غَاوِيَا
فَإِنِّي وَإِنْ عَنَّفْتُمُونِي لِقَائِلٌ فِدَى لِرَسُولِ اللَّهِ أَهْلِي وَمَالِيَا
أَطْعَمَاهُ لَمْ تَعْدِلْهُ فِينَا بَقِيرُهُ شَيْهَابًا لَنَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ هَادِيَا

شعر حسان في بدر

وقال حسان بن ثابت في ذلك :

دَعُوا فَلَجَّاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُونُهَا جِلَادُ كَأَفْوَاهِ الْخَاضِ الْأَوَارِكِ
بِأَيْدِي رِجَالٍ هَاجَرُوا نَحُورَهُمْ وَأَنْصَارِهِ حَقًّا وَأَيْدِي الْمَلَانِكِ
إِذَا سَلَكَتِ اللَّغُورُ مِنْ بَعَانٍ عَالِجٍ فَقُولَا لَهَا لَيْسَ الطَّرِيقُ هُنَالِكَ
أَقْمَعْنَا عَلَى الرَّسِّ النَّزُوعَ مِمَّا نِيَا بَارِعَنَ جَرَّارٍ عَرِيضَ الْمَبَارِكِ
بِكُلِّ كَمَيْتٍ جَوَزُهُ نِصْفُ خَلْقِهِ وَقُبَّ طَوَالٍ مُشْرِفَاتِ الْخَوَارِكِ
تَرَى الْعَرَفَجَ الْعَامِيَ تَذَرِي أُمُودَهُ مَنَاسِمُ أَخْفَافِ الْمَطَى الرَّوَائِكِ
فَإِنْ تَلَقَّ فِي تَطَوُّافِنَا وَالتَّمَاثِنَا فُرَاتَ بْنَ حَيَّانٍ يَكُنْ رَهْنًا هَالِكِ
وإِنْ تَلَقَّ قَيْسُ بْنُ اِمْرِيءُ الْقَيْسِ بَعْدَهُ

يُرَدُّ فِي سَوَادٍ لَوْنُهُ لَوْنُ حَالِكِ
فَأَبْلَغُ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي رِسَالَةً فَإِنَّكَ مِنْ غُرِّ الرِّجَالِ الصَّعَالِكِ

شعر أبي سفيان في الرد على حسان

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، فقال :

أَحْسَنُ إِنَّا يَا بَنَ آكِلَةِ الْفَنَّا وَجَدَكَ نَفْتَالِ الْخُرُوقِ كَذَلِكَ
خَرَجْنَا وَمَا تَنْجُو الْيَعَاظِيرَ بَيْنَنَا وَلَوْ وَأَلْتَ مَنَّا بِشَدَّةٍ مُدَارِكَ
إِذَا مَا انْبَعَثْنَا مِنْ مُنَازِحِ حَسْبَبْتُهُ مُدَمَّنَ أَهْلِ الْمَوْسِمِ الْمُتَعَارِكِ
أَقَمْتَ عَلَى الرِّسِّ النَّزْوِعِ تُرِيدُنَا وَتَتَرُكُنَا فِي النَّخْلِ عِنْدَ الْمَدَارِكِ
عَلَى الزَّرْعِ تَمْشَى حَيْثُ لَنَا وَرِكَابُنَا فَمَا وَطِئْتَ أَنْصَقْنَهُ بِاللَّهِ كَادِكَ
أَفَمْنَا ثَلَاثًا بَيْنَ سَلْعٍ وَفَارِعٍ بِحُرْدِ الْجِيَادِ وَالْمَطِيِّ الرَّوَاتِكِ
حَسِبْتُمْ جِلَادَ الْقَوْمِ عِنْدَ قِبَابِهِمْ كَمَا خَذَكُمْ بِالْعَيْنِ أَرْطَالُ أَنْكَ
فَلَا تَبْعَثِ الْخَيْلَ الْجِيَادَ، وَقُلْ لَهَا عَلَى نَحْوِ قَوْلِ الْمُعْصِمِ التَّمَايِكِ
سَمِعْتُمْ بِهَا وَغَيْرُكُمْ كَانَ أَهْلَهَا فَوَارِسُ مِنْ أَبْنَاءِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ
فَلَيْكَ لَا فِي هَجْرَةٍ إِنْ ذَكَرْتَهَا وَلَا حُرْمَاتِ الدِّينِ أَنْتَ بِنَاسِكَ

قال ابن هشام : بقيت منها أبيات تركناها . لقبح اختلاف قوافيها .
وأنشدني أبو زيد الأنصاري هذا البيت :

خرجنا وما تنجو اليعاظير بيننا .

والبيت الذي بعده لحسان بن ثابت في قوله :

دعوا فلجأت الشام قد حال دونها

وأنشدني له فيها بيته « فأبلغ أبا سفيان » .

غزوة بني النضير وما نزل فيها

ذكر ابن إسحاق هذه الغزوة في هذا الموضع ، وكان ينبغي أن يذكرها بعد بدر ، لما روى عقيل بن خالد وغيره عن الزهري ، قال : كانت غزوة بني النضير بعد بدر بستة أشهر .

قطع اللينة وتأويله :

وذكر نزول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ببني النضير ، وسيره إليهم حين نقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه ، وهما بقتله ، فلما تحصنوا في حصونهم وحرق نخلهم نادوه أن يا محمد ، قد كنت تنهى عن الفساد وتمييه ، وذكر الحديث . قال أهل التأويل : وقع في نفوس المسلمين من هذا الكلام شيء ، حتى أنزل الله تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ ، أَوْ تَرَكْتُمْوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا ﴾ الآية الحشر : ٥ . واللينة ألوان التمر ما عدا العجوة والبرني . وفي هذه الآية أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يحرق من نخيلهم إلا ما ليس بقوة للناس ، وكانوا يفتاتون العجوة ، وفي الحديث : العجوة من الجنة^(١) ، وتمرها ينفذوا أحسن غذاء ، والبرني أيضاً كذلك . وقال أبو حنيفة : معناه بانقارسية حمل مبارك ، لأن بر معناه : حمل ، وفي معناه جيد ، أو مبارك . فعرّفته العرب ، وأدخلته في كلامها ، وفي حديث وفد عبد القيس أن

(١) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة وأحمد والشافعي وابن ماجه عن أبي سعيد وجابر عنه صلى الله عليه وسلم .

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لهم ، وذكر البرني : إنه من خير تمر كرم ، وإنه دواء وليس بداء ، رواه منهم مزينة النضيري ، ففي قوله تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ ﴾ ولم يقل : من نخلة على العموم : تنبيه على كراهة قطع ما يقتات ويغذو من شجر القدو إذا رجي أن يصير إلى المسلمين ، وقد كان الصديقي - رضى الله عنه - يوصي الجيوش ألا يقطعوا شجراً كثيراً ، وأخذ بذلك [أبو عمرو غبيل الرحمن بن عمرو] الأوزاعي ، فأما تأولوا حديث بني النضير ، وإما رأوه خاصاً للنبي عليه السلام ، ولم يختلفوا أن سورة الحشر نزلت في بني النضير ، ولا اختلفوا في أموالهم ، لأن المسلمين لم يؤجفوا عليها بخيل ولا ركاب ، وإنما قذف الرعب في قلوبهم وجأوا عن منازلهم إلى خيبر ، ولم يكن ذلك عن قتال من المسلمين لهم ، فقسمها النبي صلى الله عليه وسلم - بين المهاجرين ، ليرفع بذلك مؤنتهم عن الأنصار ، إذ كانوا قد ساء لهم في الأموال والديار ، غير أنه أعطى أبا دجانة وسهل بن حنيف الحاجتهما ، وقال غير ابن إسحاق : وأعطى ثلاثة من الأنصار ، وذكر الحارث بن الصمة فيهم .

مول أول سورة الحشر :

وقوله سبحانه : ﴿ يُخْرِجُونَ يَدِيهِمْ ﴾ [بأيديهم وأيدي المؤمنين] الحشر : ٢
أي يخرجونها من داخلهم والمؤمنون من خارج ، وقيل معنى بأيديهم : بما كسبت أيديهم من نقض العهد ، وأيدي المؤمنين ، أي بجهادهم .

وقوله (لأول الحشر) ، روى موسى بن عتبة أنهم قالوا له : إلى أين نخرج

يا محمد؟ قال : إلى الحشر، بمعنى : أرض الحشر ، وهى الشام ، وقيل : لأنهم كانوا من بسط لم يصبهم جلاء قبلها ، فلذلك قال : لأوّل الحشر ، والحشر : الجلاء^(١) ، وقيل إن الحشر الثانى ، هو حشر النار التى تخرج من قعر عدن ، فتحشر الناس إلى الموقف ، تبیت معهم ، حيث بانوا ، وقيل معهم قالوا ، وتأكل من تخلف ، والآية متضمنة لهذه الأقوال كلها ، ولزائد عليها ، فإن قوله : لأوّل الحشر يؤذن أن ثم حشراً آخر ، فكان هذا الحشر والجلاء إلى خيبر ، ثم أجلاهم عمر من خيبر إلى نيماء وأريحا^(٢) ، وذلك حين بلغه التثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يبقين دينان يارض العرب .

وقوله : ﴿ فأنام الله من حيث لم يحتسبوا ﴾ الحشر : ٢ ، يقال : نزلت فى قتل كعب بن الأشرف .

وقوله تعالى : ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى ﴾ الحشر : ٧ . وروى عن مالك أنه قال : هم بنو قريظة ، وأهل التأويل على أنها عامّة فى جميع القرى المفتحة على المسلمين وإن اختلفوا فى حكمها ، فرأى قوم

(١) الحشر — كما يقول الراغب : « إخراج الجماعة عن نفهم وإزناهم عنه إلى الحرب ونحوها ، ولذا يقول البيضاوى : أى فى أول حشرهم من جزيرة العرب إذ لم يصبهم هذا التل قبل ذلك ، أو فى أول حشرهم للقتال أو الجلاء إلى الشام وهو قريب من بعض ما ذكر السبلى .

(٢) نيماء : بليد فى أطراف الشام بينها وبين وادى القرى على طريق حاج دمشق . وأريحا مدينة الجبارين فى الغور بينها وبين بيت المقدس يوم المراعص .

قَسَمَهَا كَمَا تُقَسَّمُ الْغَنَائِمُ ، وَرَأَى بَعْضُهُم لِلْإِمَامِ أَنْ يَقَعَهَا ، وَسَيَأْتِي بَيَانُ
هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِي غَرْوَةِ خَيْرٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَذَكَرَ شِعْرَ الْعَبَّاسِيِّ فِي إِجْلَاءِ الْيَهُودِ ، قَالَ :

أَحَلَّ الْيَهُودَ بِالْحَسِيِّ الْمَزْتَمِ

يريد : أَحَلَّهُمْ بِأَرْضِ غُرَبِيَّةٍ ، وَفِي غَيْرِ عَشَائِرِهِمْ ، وَالزَّانِئِيمُ وَالْمَزْتَمُ :
الرَّجُلُ يُكُونُ فِي الْقَوْمِ ، وَلا يَسُ مِنْهُمْ ، أَى أَنزَلَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْحَسِيِّ ، أَى الْمُبْعَدِ
الطَّرِيدِ ، وَإِنَّمَا جُعِلَ الطَّرِيدُ الدَّلِيلُ حَسِيًّا لِأَنَّهُ عُرْضَةُ الْأَكْلِ ، وَالْحَسِيُّ
وَالْحَسُوُّ مَا يُحْسَى مِنَ الطَّعَامِ حَسَوًّا ، أَى أَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ عَلَى آكِلٍ ، وَيَجُوزُ أَنْ
يُرِيدَ بِالْحَسِيِّ مَعْنَى الْقَذَى مِنَ الْغَنَمِ ، وَهُوَ الصَّغِيرُ الضَّعِيفُ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ
الرَّقَى ، يُقَالُ : بُدِّلُوا بِالْمَالِ الدَّنِيرِ وَالْإِبِلِ الْكُومِ رُدَّالَ الْمَالِ وَغِذَاءَ
الْغَنَمِ ، وَالْمَزْتَمُ مِنْهُ ، فَهَذَا وَجْهُ يَحْتَمِلُ ، وَقَدْ أَكْثَرْتُ النَّقِيرَ عَنِ الْحَسِيِّ
فِي مَضَانَّتِهِ مِنَ الْلُغَةِ فَلَمْ أَجِدْ نَصًّا شَافِيًّا أَكْثَرَ مِنْ قَوْلِ أَبِي عَلِيٍّ : الْحَسِيَّةُ ، وَالْحَسِيُّ
مَا يُحْسَى مِنَ الطَّعَامِ ، وَإِذْ قَدْ وَجَدْنَا الْقَذَى وَاحِدَ غِذَاءِ الْغَنَمِ ، فَالْحَسِيُّ فِي مَعْنَاهُ غَيْرُ
مُتَمْنِعٍ أَنْ يُقَالَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ^(١) . وَالْمَزْتَمُ أَيْضًا : صِفَارُ الْإِبِلِ ، وَسَائِرُ هَذَا

(١) يَقُولُ أَبُو ذَرٍّ الْخَشَنِيُّ : الْحَسِيُّ وَالْحَسَاءُ : مِيَاهُ تَفُورُ فِي الرَّمْلِ وَتَمْسِكُهَا
صَلَابَةُ الْأَرْضِ ، فَإِذَا حَفَرَ عَنْهَا وَجَدْتَ ، وَالْمَزْتَمُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ هُوَ الْمُقْلَلُ
الْيَسِيرُ ، وَمَنْ رَوَاهُ بِالْحَشَى أَرَادَ بِهِ حَاشِيَةَ الْإِبِلِ ، وَهِيَ صَفَارُهَا وَضَعْفَاها وَهُوَ
الصَّوَابُ ، وَالْمَزْتَمُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَعْنِي بِهِ أَوْلَادَ الْإِبِلِ الصَّغَارِ ، وَقَدْ يَكُونُ
الْمَزْتَمُ هُنَا الْمَعَزُ سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِلزَّانِئَتَيْنِ اللَّتَيْنِ فِي أَعْنَاقِهَا ، وَهُمَا الْهَيْتَانِ اللَّتَانِ
تَتَعَلَّقَانِ مِنْ أَعْنَاقِهَا ص ٢٨٨ .

الشعر مع ما بعده من الأشعار ليس فيه عوبص من الغريب ، ولا مُستفلق من الكلام .

الطهارة :

وما ذكر من أمر الكاهنين فهما قُرَيْظَةُ والنَّضِيرُ ، وفي الحديث : يخرج في الكاهنين رجل يدرس القرآنَ درساً لم يدرسهُ أحدٌ قبـله ، ولا يدرسهُ أحدٌ بعده ، فكانوا يروونه أنه مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ وهو محمد ابن كعب بن عطية^(١) ، وسيأتي خبرُ جدِّه عَطِيَّةٍ في بنى قُرَيْظَةَ ، والكاهن في اللغة بمعنى الكاهل ، وهو الذى يقوم بحاجة أهله ، إذا خَلَفَ عليهم ، يقال : هو كاهنُ أبيه وكاهله ، قاله المروى ، فيحتمل أن يكون مسمى الكاهنان بهذا^(٢) .

مروج بنى النضير إلى خيبر :

فصل : وذكر ابن إسحاق خروجَ بنى النضير ، إلى خيبر ، وأنهم استقلوا بالنساء والأبناء والأموال معهم الدفوف والزمامير والقيان يغزفون

(١) محمد بن كعب القرظي المديني ثم الكوفي أحد العلماء . قال ابن عون : ما رأيت أحداً أعلم بتأويل القرآن من القرظي ، وقال ابن سعد : كان ثقة ورعا كثير الحديث ، وقد وثقه أبو زرعة والمجلي مات سنة ١١٩ ، وقيل سنة ١٢٠ وقيل سنة ١٠٨ خلاصة تذهيب الكمال والإكمال لولى الدين أبي عبد الله مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الخطيب .

(٢) العرب تسمى كل من يتعاطى علماً دقيقاً : كاهناً .

خلفهم ، وإن فيهم لأم غمرو صاحبة عروة بن الورد التي ابتاعوا منه ، وكانت إحدى نساء بني غفار. انتهى كلام ابن إسحاق ، ولم يذكر اسمها في رواية البكرائي عنه ، وذكره في غيرها ، وهي سلمى ، قال الأصمعي : اسمها : تيملى بنت شعواء ، وقال أبو الفرج : هي سلمى أم وهب امرأة من كنانة ، كانت ناكحاً في مزينة ، فأغار عليهم عروة بن الورد ، فسبها ، وذكر الحديث ، وقول أبي الفرج إنها من كنانة لا يدفع قول ابن إسحاق إنها من غفار ، لأن غفار من كنانة. غفار بن مليل بن ضمرة بن كيث^(١) بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة. وعروة بن الورد بن زيد ، ويقال : ابن عمرو بن ناشب بن هذم ابن عوذ بن غالب بن قطنية بن عتب ، فهو عتبى عطفاني قيسى ، لأن عتباً هو ابن بفيض بن زيث بن غطفان قال فيه عبد الملك بن مروان : ما يسرنى أن أحداً من العرب ولدني إلا عروة بن الورد لقوله :

أَهْزَأَمْنِي أَنْ سَمِنتَ ، وَقَدْ تَرَى بِجِسْمِي مَنْسَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ جَاهِدُ
إِنِّي أَمْرُوٌّ عَافٍ إِنَائِي شِرْكَةٌ وَأَنْتَ أَمْرُوٌّ عَافٍ إِنَائِكَ وَاحِدُ
أَقْسَمُ جِسْمِي فِي جُسُومٍ كَثِيرَةٍ وَأَحْسُو قَرَّاحَ الْمَاءِ وَالْمَاءُ بَارِدُ^(٢)

(١) في جهرة ابن حزم : مليل بن ضمرة بن بكر بإسقاط ليت بين ضمرة وبكر

ص ١٧٥ .

(٢) هي في الأمالى ص ٢٠٤ > ٢ وقد نسب القالي بيتا في أولها إلى عروة :

لا تشتمني يا بن ورد فإني تعود على مال الحقوق العوائد
ومن يؤثر الحق الندوب تكن خصاصة جسم وهو طيان ماجد

وقد علق البكري في السمط على هذا بقوله : هذا وهم بين وغلط واضح والبيت =

وكان يقال : مَنْ قَالَ : إِنْ حَانَمَا أَسْمَحُ الْعَرَبَ ، فَقَدْ ظَلَمَ عُرْوَةَ بْنَ
الْوُرْدِ^(١) ، قَالَ أَبُو الْفَرَجِ : وَكَانَ عُرْوَةُ يَتَرَدَّدُ عَلَى بَنِي النَّضِيرِ ،
فَيَسْتَمِرُّهُمْ إِذَا اخْتِاجَ ، وَيَبِيعُ مِنْهُمْ إِذَا غَنِمَ ، فَأَوَا عَنْدَهُ سَلْمَى ،
فَنَاجَبَتْهُمْ ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَبِيعَهَا^(٢) ، مِنْهُمْ فَأَبَى فَسَقَوْهُ الْخَمْرَ ، وَاحْتَالُوا عَلَيْهِ ،
حَتَّى ابْتَاعُوهَا مِنْهُ ، وَأَشْهَدُوا عَلَيْهِ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ :

سَقَوْنِي الْخَمْرَ نِمَ تَسَكَّنُونِي عِدَاةَ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ

وُروى أيضاً أن قومها افتدوها منه ، وكان يظن أنها لا تختار عليه
أحدًا ، ولا تفارقه ، فاختارت قومها ، فندم ، وكان له منها بُدُونٌ فقالت له :
والله ما أعلم امرأة من العرب أرخت سِتْرًا على بعلٍ مثلك أغض طرفًا ،

= الأول لقيس بن زهير يخاطب عروة . . وكان بين قيس وعروة . تنافس
وتحاسد ، وكان قيس أكلوا مبطانًا ، وكان عروة يعرض له بذلك في أشعاره .
وقيل في نسب عروة عمرو بن زيد بن عبد الله بن نَاشِب بن هرم بن لديم
بن سواد الخ ، وهو في الأغاني كذلك . ويعلق الأستاذ الميمني على هذا بقوله :
وخرمه السهيل في ٢٠ ص ١٧٩ ص ٨٢٢ ، ٧٢٣ سمط اللالي . وكان يكنى عروة :
أبا الصماليك ، وقيل بل أبا نجدة ، وقيل : كنيته أبو المغاس ، أو : أبو عبلة
وفي السلم : أبو هراشة . وفي الحماسة ثلاثة أبيات من قصيدة عروة هذه ، ورواية
البيت الأول هكذا :

أنهزأ مني أن سممت وأن ترى بوجهي شحوب الحق والحق جاهد

وفي الأغاني ثلاثة أبيات منها أيضاً ص ٧١ ص ٢٠

(١) ص ٧١ ص ٢٠ الأغاني ط لبنان .

(٢) لمعلم : يبيعوها منه .

وَلَا أُنْدَى كَفًّا وَلَا أُغْنَى غَنَاءَ ، وَإِنَّكَ لَرَفِيعُ الْعِمَادِ ، كَثِيرُ الرَّمَادِ ، خَفِيفٌ عَلَى ظُهُورِ الْخَلِيلِ ، ثَقِيلٌ عَلَى مُتُونِ الْأَعْدَاءِ ، رَاضٍ لِلْأَهْلِ وَالْجَارِ ، وَمَا كُنْتُ لِأَوْثَرِ عُنْكَ أَهْلِي ، لَوْلَا أَنِي كُنْتُ أَسْمَعُ بَنَاتِ عَمِّكَ يَقْلُنَ فَعَلْتُ أُمَّةً عُرْوَةً ، وَقَالَتْ أُمَّةُ عُرْوَةٍ ، فَأَجِدُ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْتَ ، وَاللَّهِ لَا يَجَامِعُ وَجْهِي وَجْهَهُ غَطْفَانِيَّةً أَبَدًا ، فَاسْتَوْصِ بَيْنِيكَ خَيْرًا ، قَالَ ثُمَّ تَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ ^(١) ، فَبَايَعَهَا أَنْ تُتَذِّنِي عَلَيْهِ فِي نَادَى قَوْمِهِ ، كَمَا أَتَيْتِ عَلَى عُرْوَةٍ ، فَقَالَتْ : اءَعْفَنِي ، فَإِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا مَا عَلِمْتَهُ ، فَأَبَى أَنْ يُعْفِيَهَا ، فَجَاءَتْ حَتَّى وَقَفَتْ عَلَى النَّادَى ، وَهُوَ فِيهِ ، فَقَالَتْ : عُمُوا صَبَاحًا ، ثُمَّ قَالَتْ : إِنْ هَذَا أَمَرَنِي أَنْ أَتُذِّنِي عَلَيْهِ بِمَا عَلِمْتَ فِيهِ ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ : وَاللَّهِ إِنْ شِئْتُمْ لَتَكُنَّ

(١) اقرأ قصتها في الأغاني ص ٧٢ ، ٧٣ ط لبنان في إحدى الروايتين أن قومها هم الذين قالوا لعروة : فادنا بصاحبتنا فانها وسيطة النسب فينا معروفة . فلما فادوه بها خيروها واختارت أهلها ثم أقبلت عليه فقالت : يا عروة أما إني أقول فيك ، وإن فارقتك الحق : والله ما أعلم امرأة من العرب ألفت سترها على رجل خير منك ، وأغض طرفا ، وأقل فحشا ، وأجود بدا ، وأحمى للحقيقة ومامر على يوم منذ كنت عندك إلا والموت أحب إلي من الحياة بين قومك لأنني لم أكن أشاء أن أسمع امرأة من قومك تقول : قالت أمة عروة كذا وكذا إلا سمعته ، والله لا أنظر في وجه غطفانية أبدا ، فارجع راشدا إلى ولدك وأحسن إليهم ص ٧٣ ط ٣ - ٣ الأغاني ط لبنان وفي رواية أخرى أنها قالت له : والله إنك ما علمت لضحوك موقلا كسوب مدبرا ، خفيف على متن الفرس ، ثقیل على العدو ، طويل العماد كثير الرماد ، راضى الأهل والجانب ، فاستوص ببنيك خيرا ، ثم فارقته ، فتزوجها رجل من بني عمها . والسبيل جمع بين الروايتين . أو لعله نقل من كتاب آخر .

لا التِّفَافُ^(١) ، وإن شُرِبَكَ لاشْتِفَافٌ ، وإن ضَجَعْتَكَ لَانْجِمَافٌ ، وإنك
لَتَشْبَعُ لَيْلَةَ تَضَافُ ، وتَنَامُ لَيْلَةَ تَخَافُ^(٢) ، فقال له قومه : قد كنت في غَيٍّ
عن هذا ، وفيها يقول عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ :

أَرِقْتُ وَصُحْبَتِي بِمَضِيقٍ عُمَقِ	لِبَرْقٍ فِي تِهَامَةٍ مُسْتَطِيرِ ^(٣)
إِذَا قُلْتُ اسْتَهْلْ عَلَى قَدِيدِ	يَحْمُورُ رَبَابِهِ حُورِ الْكَسِيرِ
سَقَى سَلَمَى ، وَأَيْنَ مَحَلُّ سَلَمَى	إِذَا حَلَّتْ مُجَاوِرَةَ السَّرِيرِ ^(٤)
إِذَا حَلَّتْ بِأَرْضِ بَنِي عَلِيٍّ	وَأَهْلِكَ بَيْنَ أَمْرِئٍ وَكَبِيرِ ^(٥)
ذَكَرْتُ مَنَازِلًا مِنْ أُمِّ وَهَبٍ	مَحَلَّ الْحَيِّ أَسْفَلَ ذِي النَّقِيرِ ^(٦)
وَأَخْرُ ^(٧) مَعَهْدٍ مِنْ أُمِّ وَهَبٍ	مُعَرَّسُنَا قُوتِي بَنِي النَّضِيرِ ^(٨)
وَقَالَتْ : مَا نَشَاءُ ، فَقُلْتُ : أَلَهُوْ	إِلَى الْإِصْبَاحِ آثِرَ ذِي أُثِيرِ
بَانِسَةِ الْحَدِيثِ رُضَابُ فِيهَا	بُعَيْدِ النَّوْمِ كَالْعَيْنِ الْعَصِيرِ

(١) في الأغانى : لا التِّفَافُ .

(٢) في الأغانى : وإنك لتنام ليلة تخاض ، وتشبع ليلة تضاف ، وما ترضى
الأمَل ولا الجواب ، ص ٧٥ - ٣٠ الأغانى .

(٣) في الأغانى : من تِهَامَةٍ .

(٤) في الأغانى : كانت مجاورة ..

(٥) في الأغانى : وأهلى .

(٦) في الأغانى : من نَقِيرِ .

(٧) في الأغانى : وأحدث .

(٨) في الأغانى : بدار بني النضير .

كُطِّمْتُ الْأَمِيرِينَ بِصَرْمِ سَامِي فَطَارُوا فِي بِلَادِ الْيَسْتَمُورِ
 سَتَمُونِي الْخَمَرَ نَمَّ تَكْتَفُونِي عِدَاةُ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورِ
 وَقُلُوا لَسْتُ بِعَدِّ فِدَاءِ سَلَمٍ بِمَنْ مَالِدَيْكَ وَلَا فَتِيرِ
 وَلَا وَأَبِيكَ لَوْ كَالْيَوْمِ أَمْرِي وَمَنْ لَكَ بِالْتَدْبِيرِ فِي الْأُمُورِ
 إِذَا لَمَلَكْتَ عِصْمَةً أُمٌّ وَهَبِ عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَسَكِ الصُّدُورِ
 فَيَا لِلنَّاسِ كَيْفَ غَلَبْتُ نَفْسِي عَلَى شَيْءٍ وَيَكْرَهُهُ ضَمِيرِي ^(١)

قوله : السريير موضع في ناحية كِنَانَة ، وقوله : الْيَسْتَمُور : هو موضع
 قبل حَرَّةِ الْمَدِينَةِ ، فِيهِ عِصْمَةٌ مِنْ سَمَرٍ وَطَلْحٍ ، وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : الْيَسْتَمُورُ شَجَرٌ
 يُسَمَّاكَ بِهِ ، يَذْبُتُ بِالسَّرَاةِ ، وَالْيَسْتَمُورُ أَيْضًا مِنْ أَسْمَاءِ الدَّوَاهِي ، وَالْيَاءُ
 فِي الْيَسْتَمُورِ أَصْلِيَّةٌ ، فَمِنْ هَذَا شَرَحَ مَا أَوْمَأَ إِلَيْهِ ابْنُ إِسْحَاقَ مِنْ حَدِيثِ
 أُمِّ عَمْرٍو ، وَإِنَّمَا هِيَ أُمٌّ وَهَبٍ كَمَا تَكَرَّرَ فِي شِعْرِهِ .

شجرة ذات الرقاع

وُسَمِّيَتْ ذَاتُ الرَّقَّاعِ ، لِأَنَّهُمْ رَقَعُوا فِيهَا رَأْيَاهِمُ فِي قَوْلِ ابْنِ هِشَامٍ ، قَالَ :
 وَيُقَالُ ذَاتُ الرَّقَّاعِ شَجَرَةٌ بِذَلِكَ الْمَوْضِعِ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ الرَّقَّاعِ ، وَذَكَرَ غَيْرُهُ
 أَنَّهَا أَرْضٌ فِيهَا بُقْعٌ سَوْدٌ ، وَبُقْعٌ بَيْضٌ ، كَأَنَّهَا مَرْقَعَةٌ بِرِقَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ ،

(١) الْآيَاتُ : الثَّانِي ثُمَّ التَّاسِعُ وَالْحَادِي عَشَرَ إِلَى آخِرِ الْقَصِيدَةِ لَيْسَتْ فِي
 الْآغَانِي . هَذَا وَقَدْ نَسَبَ عِدَاةً عَلَى الدَّمِ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ (عِدَاةُ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورِ)
 وَزُورِ) أَنْظَرْ لِهَذَا ص ٢٢٥ لِأَعْرَابِ ثَلَاثِينَ سُورَةَ لِابْنِ خَالَوَيْهِ .

فسميت ذات الرقاع لذلك ، وكانوا قد نزلوا فيها في تلك الغزاة ، وأصبح من هذه الأقوال كلها مارواه البخارى من طريق أبى موسى الأشعرى ، قال : « خرجنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في غزاة ، ونحن سبعة نفر بيننا بعيرٌ نعتقبه ، فنقبت أقدامنا ، ونقبت قدمائى ، وسقطت أظفارى ، فكنا ذائبٌ على أرجلنا الخرق ، فسميت غزوة ذات الرقاع ، لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا ، فحدث أبو موسى بهذا ، ثم كره ذلك ، فقال : ما كنت أصنع بأن أذكره ، كأنه كره أن يكون شيئاً من عمله أفشاء » ^(١) .

صلاة الخوف :

فصل : وذكر صلاة الخوف ، وأوردها من طريقي ثلاث ، وهى مروية بصور مختلفة أكثر مما ذكر . سمعت شيخنا أبا بكر - رحمه الله - يقول : فيها ست عشرة رواية ، وقد خرج المصنفون أصحها ، وخرج أبو داود منها مجلة ، ثم اختلف الفقهاء في الترجيح ، فقال طائفة : يعمل منها بما كان أشبه بظاهر

(١) هو فى صحيح مسلم أيضاً . ونقبت أقدامنا : رقت أقدامنا . نعتبه : نركبه عتبة عقبة ، وهو أن يركب هذا قليلاً ، ثم ينزل فيركب الآخر بالنبوة حتى يأتى على سائرهم . وقد اختلف في ميقاتها على أقوال ذكرها الحافظ فى الفتح ، ثم قال : وهذا التردد لا حاصل له ، بل الذى ينبغى الجزم به أنها بعد غزوة بنى قريظة ، لأنه تقدم أن صلاة الخوف فى غزوة الخندق لم تكن شرعت ، وقد ثبت وقوع صلاة الخوف فى غزوة ذات الرقاع ، فدل على تأخرها بعد الخندق . ص ٣٣٥ > ٦ فتح البارى سنة ١٣٤٨ مطبعة البهية المصرية . وانظر أيضاً زاد المعاد ص ٢٧٤ > ٢ ط السنة المحمدية .

القرآن ، وقالت طائفة : يُجْتَنَبُ فِي طَلَبِ الْآخِرِ مِنْهَا ، فَإِنَّهُ النَّاسِخُ لِمَا قَبْلَهُ ،
وقالت طائفة : يُؤْخَذُ بِأَصَحِّهَا نَقْلًا ، وَأَعْلَاهَا رُؤَاةً ، وقالت طائفة - وهو
مذهب شيخنا : يُؤْخَذُ بِجَمِيعِهَا عَلَى حَسَبِ اخْتِلَافِ أَحْوَالِ الْخَوْفِ ، فَإِذَا اشْتَدَّ
الْخَوْفُ ، أُخِذَ بِأَبْسَرِهَا مُؤَانَةً ، فَإِذَا تَقَاعَمَ الْخَوْفُ صَلُّوا بِغَيْرِ إِمَامٍ لِقَبْلَةٍ أَوْ
لِغَيْرِ قَبْلَةٍ ، وَقَدْ رَوَى ابْنُ سَلَامٍ عَنْ طَائِفَةٍ مِنَ السَّلَفِ أَنَّ صَلَاةَ الْخَوْفِ ،
قَدْ تَنَوَّلُوا إِلَى أَنْ تَكُونَ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ ، وَذَلِكَ عِنْدَ مَعْنَةِ الْقِتَالِ ، وَسَيَأْتِي
بَقِيَّةُ الْقَوْلِ فِي صَلَاةِ الْخَوْفِ فِي خَبَرِ بَنِي قُرَيْظَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ^(١) ، وَمَا تَخَالَفَ
بِهِ صَلَاةُ الْخَوْفِ حُكْمٌ غَيْرُهَا أَنَّهُ لَا سَهْوَ فِيهَا عَلَى إِمَامٍ ، وَلَا عَلَى مَأْمُومٍ

(١) رَوَى أَحْمَدُ وَالشَّيْخَانُ وَأَصْحَابُ السَّنَنِ الثَّلَاثَةُ عَنْ صَالِحِ بْنِ خُوَاتٍ
عَنْ سَهْلِ بْنِ أَبِي حَشْمَةَ - وَفِي لَفْظٍ عَنْ صَالِيٍّ مَعَ النَّبِيِّ د ص - يَوْمَ
ذَاتِ الرِّقَاعِ - أَنَّ طَائِفَةً صَفَّتْ مَعَ النَّبِيِّ د ص ، وَطَائِفَةٌ وَجَّاهُ الْعَدُوَّ -
أَيَّ تَجَاهَهُ مَرَاqَبَةً لَهُ - فَصَلَّى بَاتِيٍّ مَعَهُ رُكْعَةً ، ثُمَّ ثَبَتَ قَائِمًا فَأَتَمُّوا لِأَنفُسِهِمْ ، ثُمَّ
انْصَرَفُوا وَجَّاهُ الْعَدُوَّ ، وَجَاءَتِ الطَّائِفَةُ الْآخَرَى ، فَصَلَّى بِهِمُ الرُّكْعَةَ الَّتِي بَقِيَتْ
مِنْ صَلَاتِهِ ، فَأَتَمُّوا لِأَنفُسِهِمْ ، فَسَلَّمَ بِهِمْ ، وَهَذِهِ السَّكِينَةُ تَطَابُقُ مَفْهُومِ الْآيَةِ
الْكُرْعِيَّةِ ، لِإِذْ لَيْسَ فِي الْآيَةِ ذِكْرُ السُّجُودِ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً . وَهَذِهِ الصَّلَاةُ قَالَ
عَلِيُّ بْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عُمَرَ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَأَبُو مُوسَى
وَسَهْلُ بْنُ أَبِي حَشْمَةَ ، وَعَلِيُّهَا مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَأَبُو ثَوْرٍ وَغَيْرُهُمْ . وَهَنَّاكَ رِوَايَةٌ
أُخْرَى عَنْ أَحَدِ الشَّيْخَيْنِ مِثْلَ هَذِهِ غَيْرَ أَنَّهَا زَادَتْ أَنَّ كُلَّ فِرْقَةٍ قَضَتْ رُكْعَةً !!
وَلَكِنْ لَيْسَ فِي الْآيَةِ هَذَا . أَمَّا حِينَ يَكُونُ خَوْفٌ مِنْ شَيْءٍ أَكْثَرَ مِنَ الْفِتْنَةِ
فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ (فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا) جَمْعُ رَاجِلٍ وَرَاكِبٍ وَقَدْ فُسِّرَ بِهَا
ابْنُ عُمَرَ : قِيَامًا عَلَى أَقْدَامِهِمْ مُسْتَقْبِلِي الْقَبْلَةِ وَغَيْرِ مُسْتَقْبِلِيهَا قَالَ مَالِكٌ : قَالَ نَافِعٌ :
لَا أَرَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ قَالَ إِلَّا عَنِ الرَّسُولِ د ص ، الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ قَوْلِ
ابْنِ عُمَرَ بِنَحْوِ ذَلِكَ ، وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ عَنْهُ مَرْفُوعًا ، وَرَوَاهُ الشَّافِعِيُّ فِي الْأَمِّ .

رواه الدارقطني بسند ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا سهو في صلاة الخوف.

رفع النصب:

فصل: وذكر حديث جابر بن عبد الله به جملة فذكره النبي صلى الله عليه وسلم - نخسات ، نخرج بواقي ناقة مواهدة . المواهدة كالسابقة ، والمجاراة ، وأنشد سيديويه لأوس بن حجر :

نَوَاهِقُ رِجَالَهَا يَدَاهَا وَرَأْسُهُ مَا قَتَبَ خَلْفَ الْحَقِيمَةِ رَادِفُ
رَفَعَ يَدَاهَا وَرِجْلَاهَا رَفَعَ الْفَاعِلُ ، لأن المواهدة ، لا تكون إلا من اثنين ، فكل واحدٍ منهما فاعلٌ في المعنى كما ذكرنا في قول الراجز :

قَدْ سَأَلَ الْحَيَّاتُ مِنْهُ الْقَدَمَا الْأَفْعَوَانَ وَالشَّجَاعَ الشَّجَعَمَا
[وذات قرنين ضموراً ضرزماً^(١)]

هكذا تأوله سيديويه ، ولعل هذا الشاعر كان من لغته أن يجعل التثنية بالالف في الرفع والنصب والخفض كما قال :

تَرَوَّدَ مِنَّا بَيْنَ أَذْنَاهُ طَعْنَةٌ دَعَتْهُ إِلَى هَائِي التَّرَابِ عَقِيمُ

(١) الزيادة من الكتاب سيديويه ص ١٤٥ ط أولى ، وقد نسيه سيديويه لشاعر قال عنه هو عبد بن عيسى . وقد نسيه في اللسان إلى مساور بن هند العبسي ، وفي شرح الشواهد للشافعي نسبة للعجاج . والشهم : الطويل ، والضمور : الساكنة المطرفة التي لا تصغر لخبثها . والضرزم : المسنة .

وكما قال الآخر :

قد بلغنا في المجد غايتها^(١)

وهي لغة بني الحارث بن كعب ، قاله أبو عبيد . وقال النحاس في الكتاب
المقنع : هي أيضاً لغة تلمع وطبي وأبطن من كنانة ، والبيت أعنى :
تواهي رجلاً يداهما ، هو لأونس بن حجر الأسدي ، وليس ممن هذه
لغته ، فالبيت إذاً على ما قاله سيديويه .

(١) أصل الشعر :

واها لليلي ثم واها واها هي المن لو أننا قلناها
بالبت عينيها لنا وفاها

وقد نسبته الهرودي في التلويح شرح فضيحه تملب ص ٣٩ ط ١٩٤٩ إلى أبي النجم
العجلي المتوفى نحو سنة ١٣٠ هـ وفي بعض الروايات سلمى ، وفي بعضها : ويا
وقد زاد القالي في الأمالى : بضمن نرضى به أباهما ص ٧٧ ط ١ وبعده هذا :
إن أباهما وأبا أباهما قد بلغنا في المجد غايتها
وفي الصحاح زيادة قبل المنى :

فاضت دموع العين من جراها

وقيل أيضاً :

شالوا علينا فشي علاها واشدد بتمن حجب حمواها
إن أباهما وأبا أباهما قد بلغنا في المجد غايتها

أنظر سمط الألى ص ٢٤٧ وشرح شواهد ابن عقيل للجرجاني ص ٩ وعلى
هادشه شرح الشواهد أيضاً للشيخ فظه العدوى ص ٩ .

مساومة جابر في مهمته وما فيه منه الفقر :

وذكر مسأومة النبي صلى الله عليه وسلم لجابر في الجمل^(١) ، حتى اشتراه منه بأوقية ، وأنه أعطاه أولاً درهماً ، فقال : لا إذا تَغَبَّنِي يارسول الله ، فإن كان أعطاه الدرهم مازحاً ، فقد كان يمزح ، ولا يقول إلا حقاً ، فإذا كان حقاً ، ففيه من الفقه إباحة المسكيسة الشديدة في البيع ، وأن يُعطى في السلعة ما لا يشبه أن يكون ثمناً لها بنص الحديث ، وفي دليله أن من اشترى سلعة بما لا يشبه أن يكون لها ثمناً ، وهو عاقل بصير ، ولم يكن في البيع تدليس عليه ، فهو بيع ماضٍ لارْجوع فيه ، ورؤى من وجه صحيح أنه كان يقول له كلما زاد له درهماً قد أخذته بكذا والله يغير لك ، فسكأنه عليه السلام أراد بإعطائه إياه درهماً درهماً أن يكثر استغفاره له ، وفي جعل جابر هذا أمور من الفقه سوى ما ذكرنا ، وذلك أن طائفة من الفقهاء احتجوا به في جواز بيع وشرط^(٢) ، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - شرط له ظهره إلى المدينة ، وقالت طائفة : لا يجوز بيع وشرط ، وإن وقع فالشرط باطل ، والبيع باطل^(٣) ، واحتجوا بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه شعيب عن جد أبيه

(١) كما رواه ابن إسحاق رواه ابن سعد في طبقاته ، وفي البخارى في عشرين موضعاً في بعضها أن ذلك كان في غزوة تبوك ، وفي مسلم أنه في غزوة الفتح . . وعن نخسه ذكر في أحمد ومسلم أنه ضربه برجله ، ودعاه .

(٢) إلى هذا ذهب أحمد والبخارى لكثرة رواية الاشتراط .

(٣) إلى هذا ذهب أبو حنيفة والشافعي مطلقاً ، وتوسط مالك ففصل .

عبد الله بن عمرو بن العاصي أن النبي ﷺ - صلى الله عليه وسلم - نهى عن شرط البيع ، وعن بيع وسلف .

شعيب لا يروى عن أبيه وإنما عن جده :

وقد روى أبو داود هذا الحديث ، فقال : عن عمرو بن شعيب عن أبيه شعيب عن أبيه محمد بن عبد الله بن عمرو عن أبيه عبد الله بن عمرو . وهذه رواية مستغربة عند أهل الحديث جداً ، لأن المعروف عندهم أن شعيباً إنما يروى عن جده عبد الله ، لا عن أبيه محمد لأن أباه عمداً مات قبل جده عبد الله ، قف على هذه التنبيهة في هذا الحديث ، فقل من نذبه إليها ، وقالوا : لا حجة في حديث جابر لما فيه من الاضطراب ، فقد روى أنه قال : أفقرني ظهري إلى المدينة ، وروى أنه قال : استثنيت ظهري إلى المدينة ، وروى أنه قال : شرط لي ظهري^(١) ، وقال البخاري : الاشتراط أكثر وأصح ، وكذلك اضطربوا في الثمن ، فقالوا : بيعته منه بأوقية ، وقال بعضهم : بأربع أواق ، وقال بعضهم : بخمس أواق ، وقال بعضهم بخمسة دنانير ، وقال بعضهم : بأربعة دنانير ، وقال بعضهم : هو في معنى الأوقية ، وكل هذه الروايات قد ذكرها البخاري ، وقال مسلم في بعض رواياته : دينارين ودرهمين ، وقالت طائفة بإبطال الشرط ، وجواز البيع ، واحتجوا بحديث بريرة حين باعها هاهنا من عائشة ، واشترطوا الولاء ، فأجاز النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم

(١) وفي رواية : وشرطت ظهره إلى المدينة .

البيع وأبطل الشرط (١)، واشتعمل مالك هذه الأخاديد أجمع، فقال :
 بإبطال البيع والشرط على صورة، وبجوازها على صورة أخرى، وبإبطال
 الشرط وجواز البيع على صورة أيضاً، وذلك بين في المسائل لمن تدبرها،
 وأبين ما توجد محكمة الأصول مُستتمرة الجنا والفصول في كتاب المقدمات
 لابن رشد، فلينظرها هنالك من أرادها (٢).

الحكمة من مساومة النبي لجابر :

فصل : ومن لطيف العلم في حديث جابر بعد أن تعلم قطعاً أن النبي -
 صلى الله عليه وسلم - لم يكن يفعل شيئاً عبثاً بل كانت أفعاله مقرونة
 بالحكمة ومؤيدة بالعصمة، فاشتراؤه الجمل من جابر ثم أعطاه الثمن، وزاده
 عليه زيادة، ثم ردّ الجمل عليه، وقد كان يمكن أن يعطيه ذلك القطاء دون
 مساومته في الجمل، ولا اشتراؤه ولا شرط ولا توضيل، فالحكمة في ذلك
 بدية جداً، فلتنظر بعين الاعتبار، وذلك أنه سأله : هل تزوجت، ثم قال
 له : هلاً بكراً، وذكر له مقتل أبيه، وما خلف من البنات، وقد كان عليه
 السلام قد أخبر جابراً بأن الله، قد أحيا أباه، وردّ عليه روحه، وقال :
 ما تشتهي فأزيدك، فأكد عليه السلام هذا الخبر بمثل ما يشبهه، فاشترى منه
 الجمل، وهو مطيته، كما اشترى الله تعالى من أبيه، ومن الشهداء أنفسهم

(١) عن عائشة أنها أرادت أن تشتري بيرة للعتق، فاشتروا ولأها،
 فذكرت ذلك لرسول الله ص، فقال اشترها واعتمها، فإنما الولاء لمن أعتق،
 متفق عليه. ولم يذكر البخاري لفظة : أعتقها. وروى بصورة أخرى أطول من هذه.
 (٢) أنظر في ص ١٢٢ > ٢ من إايه المجتهد لابن رشد ط ١٣٢٢ .

بشئ هو الجنة، ونفس الإنسان مطيته، كما قال عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - إن نفسى مطيتى ، ثم زادهم زيادة فقال : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ بونس : ٢٦ ، ثم رد عليهم أنفسهم التى اشترى منهم فقال : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ﴾ آل عمران ١٦٩ الآية ، فأشار عليه السلام باشتراؤه الجمل من جابر وإعطائه الثمن وزيادته على الثمن ، ثم رد الجمل المشتري عليه ، أشار بذلك كله إلى تأكيد الخبر الذى أخبر به عن فعل الله تعالى بأبيه ، ففشا كل النمل مع الخبر ، كما تراه ، وحاش لأفعاله أن تخلو من حكمة ، بل هى كلها ناطرة إلى القرآن ومقتزعة منه صلى الله عليه وسلم .

سباق الحرب عه عمرو بن عبير :

فصل : وحديث عن عمر عبيد عن الحسن عن جابر ، وذكر حديث غورث ، وقد ذكره البخارى فقال فيه : غورث بن الحارث ^(١) ، وقد ذكره الخطابى ، فقال فيه : إنه لما قتل النبى - صلى الله عليه وسلم - رمى بالزئخة فنذر السيف من يده ، وسقط إلى الأرض . الزئخة : وجع يأخذ فى الصلب ، وأما روايته الحديث عن عمرو بن عبيد فأعجب شئ ، سياقته إياه عن عمرو بن عبيد ، وقد رواه الأثبات عن جابر ، وعمرو بن عبيد متفق على وهن حديثه ، وترك الرواية عنه ، لما اشتهر من بدعته ، وسوء نجاته ،

(١) يقال أيضاً بضم الفين . ووقع عند الخطيب بالكاف بدلا من التاء ، وحكى الخطابى فيه غورث . وقد ذكر فى غزوة ذى أمر بناحية نجد مثل هذه القصة لرجل اسمه دعشور .

فإنه حُجَّةُ الْقَدَرِيَّةِ ، فيما يُسْنِدُونَ إِلَى الْحَسَنِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مِنَ الْقَوْلِ بِالْقَدَرِ ، وَقَدْ بَرَّاهُ اللَّهُ مِنْهُ ، وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ، وَأَمَّا عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ ، فَدَأْبٌ ، فَقَدْ ^(١) كَانَ عَظِيمًا فِي زَمَانِهِ عَلَى الرُّتْبَةِ فِي الْوَرَعِ ، حَتَّى افْتَنَ بِهِ ، وَبِمَقَالَتِهِ أُمَّةٌ فَصَارُوا قَدَرِيَّةً ، وَقَدْ نَبَزَ بِمَذْهَبِهِ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ ، فَلَمْ يَسْقُطْ حَدِيثُهُمْ ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَجَادِلُوا عَلَى مَذْهَبِهِمْ ، وَلَا طَعَنُوا فِي مُخَافَتِهِمْ مِنْ أَهْلِ الشُّنَّةِ ، كَمَا فَعَلَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ . فَمِمَّنْ نَبَزَ بِالْقَدَرِ ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ وَقَتَادَةُ وَدَاوُدُ بْنُ الْحَصَنِ وَعَبْدُ الْحَمِيدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، وَطَائِفَةٌ سِوَاهُمْ مِنَ الْأَثْبَاتِ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ ، وَعَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ يُكْنَى أَبَا عَمَّانَ وَأَبُوهُ عُبَيْدُ بْنُ دَأْبٍ كَانَ صَاحِبَ شُرْطَةٍ فِيمَا ذَكَرُوا وَسَمِعَ يَوْمًا نَاسًا يَقُولُونَ فِي ابْنِهِ هَذَا خَيْرُ النَّاسِ ابْنُ شَرِّ النَّاسِ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ ، وَقَالَ : وَمَا يَعْجِبُكُمْ مِنْ هَذَا ؟ هُوَ كَأَبِرَاهِيمَ وَأَنَا كَأَزَرَ ، وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ ، يَقُولُ بِمَوْتِ عَمْرُو بْنِ عُبَيْدٍ : مَا بَقِيَ أَحَدٌ يُسْتَخَيَّرُ مِنْهُ ^(٢) بَعْدَ عَمْرُو ، وَكَانَ يَقُولُ :

(١) تَوَفَّى عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ سَنَةَ ١٤٤ بِحِرَانَ وَرِثَاهُ الْمَنْصُورُ ، قَالُوا : وَلَمْ يَسْمَعْ بِخَلِيفَةٍ رَفِيٍّ مِنْ دُونِهِ سِوَاهُ .

(٢) قَالَ الْمَنْصُورُ قَوْلَهُ لَمَّا مَاتَ ابْنُ أَبِي لَيْلَى وَعَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ ص ٩٤ - ٢٠٠ الْبَيَانُ لِلْجَاحِظِ . وَمِنْ أَقْوَالِ عَمْرُو الطَّبِيبِ أَنَّ أَحَدَهُمْ قَالَ لَهُ : إِنِّي لَأَرْحَمُكَ بِمَا يَقُولُ النَّاسُ فِيكَ ، قَالَ : أَسَمِعْتَنِي أَذْكَرَ فِيهِمْ شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : إِيَّاهُمْ فَارْحَمْ . وَقَوْلُهُ لِأَبِي جَعْفَرٍ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَهَبَ لَكَ الدُّنْيَا بِأَسْرَها ، فَاشْتَرِ نَفْسَكَ بِبَعْضِها ، فَلَوْ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي صَارَ إِلَيْكَ بَقِيَ فِي يَدَيَّ مِنْ - كَانَ قَبْلَكَ لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ ، وَتَذَكَّرَ يَوْمًا بِتَمَخُّصِ بَأْهْلِهِ لَا لَيْلَةَ بَعْدَهُ ص ٦٥ - ٢٠٠ الْبَيَانُ . وَمِنْ دَعَائِهِ : اللَّهُمَّ اغْنِنِي بِالْاِفْتِقَارِ إِلَيْكَ ، وَلَا تَفْقُرْنِي بِالْاِسْتِغْنَاءِ عَنْكَ ص ٢٧١ - ٢٠٠ الْبَيَانُ . اللَّهُمَّ اغْنِنِي عَلَى الدُّنْيَا بِالْقَنَاعَةِ . وَعَلَى الدِّينِ بِالْعَصْمَةِ .

كُلُّكُمْ خَاتِلٌ صَيْدٌ * كُلُّكُمْ يَمْشِي رُؤَيْدٌ * غَيْرَ عَمْرٍو بْنِ عُبَيْدٍ
وقد نبز ابن إسحاق بالقدر أيضاً ، وروايته عن عمرو بن عُبيدٍ رُؤَيْدٌ
قول من عزاه إليه ، والله أعلم ^(١) .

(١) وروى صاحب العقد الفريد أن عمراً بعد أن نصح أبا جعفر النصيحة
التي سبق ذكرها أتبعه أبو جعفر بهرة فلم يقبلها ، وجعل يقول :
كُلُّكُمْ يَمْشِي رُؤَيْدٌ كُلُّكُمْ خَاتِلٌ صَيْدٌ
غير عمرو بن عبيد

وفي رواية : كَلِمَتُكُمْ يَطْلُبُ صَيْدٌ .
راقراً نصيحته الرائعة للمنصور في ترجمته في الملل والنحل للشهرستاني . ومن
رثاء المنصور له كما ذكر الشهرستاني :
لو أن هذا الأمر أبقي صالحاً أبقي لنا عمراً أبا نسيان
وقيل لما حضرته الوفاة قال لصاحبه : نزل بي الموت ، ولم أتأهب له ، ثم قال :
الهم إنك تعلم أنه لم يسنح لي أمران في أحدهما رضاك ، وفي الآخر هوى لي
لما اخترت رضاك على هواي فاغفر لي ، ومات عن ٦٤ عاماً . والقدرية يقال
بإطلاقين الأولى على الذين ينفون القدر ، والآخرين على الذين يثبتونه مع نفى
الشرع . والقدرية كما يعرفهم ابن تيمية — هم الذين خاضوا في قدر الله بالباطل ،
وأصل ضلالهم ظنهم أن القدر يناقض الشرع ، فصاروا حزبين حزبا يعظمون
الشرع والأمر والنهي والوعد والوعيد ، واتباع ما يحبه الله ويرضاه ، وهجر
ما ينفضه وما يستخطه ، وظنوا أن هذا لا يمكن أن يجمع بينه وبين القدر . . .
وقد وصف هذا الحزب بأنه يكذب بالقدر وينفيه ، أو ينفي بعضه ثم قال
عن الحزب الثاني : وحزبا يغلب القدر ، فينفي الشرع في الباطن ، أو ينفي حقيقته ،
ويقول : لا فرق بين ما أمر الله به وما نهى عنه في نفس الأمر الجميع سواء ،
وكذلك أولياؤه وأعداؤه ، وكذلك ما ذكر أنه يحبه وذكر أنه ينفضه لكنه
فرق بين المتماثلين بمحض المشيئة ، يأمر بهذا ، وينهى عن مثله ، فمجدوا =

== النزق والفصل الذى بين التوحيد والشرك وبين الإيمان والكفر وبين الطاعة والمعصية وبين الحلال والحرام ، ثم عاد يسم الحزب الاول وهم نفاة القدر أو بعضه أنهم أنكروا الجمع وأنكروا أن يكون الله على كل شىء قدير ، ومنهم من أنكر أن يكون الله بكل شىء عليما ، وأنكروا أن يكون خالقا لكل شىء . ثم وازن بين الفريقين فقال عن نفاة الشرع الذين يسوون بين الامر والنهى « هؤلاء نفوا حكمته وعدله ، وأولئك - أى نفاة القدر - نفوا قدرته ومشيئته » وشبه هؤلاء بالمجوس ، وشبه الآخرين بالمشركين ص ١٦٤ وما بعدها ح ١ بمجموعة الرسائل الكبرى ، وقد أبدع فيها كمادته رضى الله عنه .

وعمر بن عبيد هو من نفاة القدر الذين سموا بالمعتزلة . يقول ابن تيمية « وكانت الخوارج قد تكلموا فى تكفير أهل الذنوب من أهل القبلة ، وقالوا : إنهم كفار مخلدون فى النار ، فخاض الناس فى ذلك ، وخاض فى ذلك القدرية بعد موت الحسين البصرى ، فقال عمرو بن عبيدة وأصحابه : لا هم مسلمون ، ولا كفار . بل لهم منزلة بين المنزلتين ، وهم مخلدون فى النار ، فوافقوا الخوارج على أنهم مخلدون . وعلى أنه ليس معهم من الإسلام والإيمان شىء ، ولكن لم يسموهم كفارا ، واعتزلوا حلقة أصحاب الحسين البصرى مثل قتادة وأيوب السخيتاني وأمثالها ، فسموا معتزلة من ذلك الوقت بعد موت الحسن ، ص ٢٧ . المصدر السابق . وهناك آراء أخرى فى سبب تلقبهم بالمعتزلة واسكن ابن تيمية فى موازنة العادلة يقول عن المعتزلة « ولا ريب أن المعتزلة خير من الرافضة - أى الشيعة الذين رفضوا إمامة زيد - ومن الخوارج ، فإن المعتزلة تفر بخلافة الخلفاء الأربعة وكلهم يتولون أبا بكر وعمر وعثمان ، وكذلك المعروف عنهم أنهم يتولون عليا ، ومنهم من يفضل على أبي بكر وعمر ، وكلهم يتولى عثمان ، ويعظمون أبا بكر وعمر ، ويعظمون الذنوب ، فهم يتحرون الصدق كالخوارج لا يختلفون الكذب كالرافضة ولا يرون اتخاذ دار غير دار الاسلام كالخوارج ، ولهم كتب فى تفسير القرآن ، ونصر الرسول ولم يحاسن كثيرة يتزعمون على الخوارج والروافض ، وهم قصدتهم لإثبات توحيد ==

وقعة الحرة وموقف الصحابة منها:

فصل : وذكر قول جابر : فوالله ما زال ينمى عندنا ، ويرى مكانه من من بيتنا حتى أصيب فيما أصيب منا يوم الحرة يعني : وقعة الحرة (١) التي كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية على يدى مسلم بن عقبة المرى الذى سمي به أهل المدينة مشرف بن عقبة ، وكان سببها أن أهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية وأخرجوا مروان بن الحكم وبني أمية (٢) ، وأمرؤا عليهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الذى غسّلت أباه الملائكة يوم أحد ، ولم يوافق على هذا اتفاق أحد من أكابر الصحابة الذين كانوا فيهم . روى البخارى أن عبد الله بن عمر لما أرحف أهل المدينة يزيد دعا بنيه ومواليه ، وقال لهم : إنا قد بايعنا هذا الرجل على ببيعة الله وبيعة رسوله ، وإنه والله لا يبلغنى عن أحد منكم أنه خلع يبدأ من طاعته إلا كانت الفصيل يدين وبينه ، ثم لزم بيته ، ولزم أبو سعيد الخدرى بيته ، فدخل عليه فى تلك الأيام التى انتهت للمدينة فيها ، ففيل له : من أنت أيها الشيخ ؟ فقال : أنا أبو سعيد الخدرى

== الله ورحمته وحكمته وصدقه وطاعته، وأصولهم الخس عن هذه الصفات الخس، واسكنهم غلطوا فى بعض ما قالوه فى كل واحد من أصولهم الخس ، ثم عدد أخطائهم رضى الله عنهم ص ٧٥ > ١ المصدر السابق .

(١) الحرة سنة ٦٣ هـ ص ٢٨٢ > ٥ الطبرى .

(٢) وأخرجوا عثمان بن محمد بن أبي سفيان عامل يزيد وقد طلب يزيد من مسلم أن يدعو القوم ثلاثاً ، فإن هم أجابوه وإلا قاتلهم . وأمره أن يبحث عن على بن الحسين وأن يكف عنه ، وأن يستوصى به خيراً ، وأن يدين منه مجلسه . وكان على قد رفض أن يخب فى الفتنة .

صاحبُ النبيّ - صلى الله عليه وسلم - فقالوا له : قد سمعنا خبرَكَ ، وَلَنُفَعِمَ ما فعلتَ حينَ كَفَفْتَ بِدَكَ ، وَلَزِمْتَ بَيْتَكَ ، وَلَكِنْ هَاتِ الْمَالَ ، فَقَالَ قَدْ أَخَذَهُ الَّذِينَ دَخَلُوا قَبْلَكُمْ عَلَيَّ ، وَمَا عِنْدِي شَيْءٌ ، فَقَالُوا : كَذَبْتَ وَتَنَفُّوا إِحْيَيْتَهُ ، وَأَخَذُوا مَا وَجَدُوا حَتَّى صُوفَ الْفَرَشِ ، وَحَتَّى أَخَذُوا زَوْجَيْنِ مِنْ تَحَامٍ كَانَ صَبِيَانُهُ يَلْعَبُونَ بِهِمَا . وَأَمَّا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الَّذِي كُنَا يَمْسُقِي حَدِيثَهُ ، فَخَرَجَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَطُوفٌ فِي أَرْقَةِ الْمَدِينَةِ وَالْبُيُوتِ تُنْتَهَبُ ، وَهُوَ أَعْمَى ، وَهُوَ يَغْتَرُّ فِي الْقَتْلَى ، وَيَقُولُ تَمَسَّ مِنْ أَخَافَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ : وَمَنْ أَخَافَ رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَنْ أَخَافَ الْمَدِينَةَ ، فَقَدْ أَخَافَ مَا بَيْنَ جَنْبَيْ ، فَعَمِلُوا عَلَيْهِ لِيَقْتُلُوهُ ، فَأَجَارَهُ مِنْهُمْ مَرْوَانُ ، وَأَدْخَلَهُ بَيْتَهُ ، وَقُتِلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ وَجْهِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ أَلْفٌ وَسَبْعُمِائَةٍ ، وَقُتِلَ مِنْ أَخْلَاطِ النَّاسِ عَشْرَةٌ آلَافٍ سِوَى النِّسَاءِ وَالصَّبْيَانِ ، فَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ دَخَلَ عَلَيْهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَهِيَ تُرَضِعُ صَدِيغًا ، وَقَدْ أَخَذَ مَا كَانَ عِنْدَهَا ، فَقَالَ خَا : هَاتِ الذَّهَبَ ، وَإِلَّا قَتَلْتُكَ ، وَقَتَلَتْ صَدِيغَ ، فَقَالَتْ : وَيْحَكَ إِنْ قَتَلْتَهُ فَأَبَوْهُ أَبُو كَبْشَةَ صَاحِبُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَنَا مِنَ الْأَنْوَةِ اللَّاتِي بَايَعْنَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمَا خُنْتُ اللَّهَ فِي شَيْءٍ بَايَعْتُ رَسُولَهُ عَلَيْهِ ، فَانْتَفَضَ الصَّبِيُّ مِنْ حِجْرِهَا ، وَكَذَّبَهَا فِي فِيهِ ، وَضَرَبَ بِهِ الْخَائِطَ حَتَّى انْتَشَرَ دِمَاغُهُ فِي الْأَرْضِ وَالْمَرَأَةُ تَقُولُ : يَا بُنَيَّ لَوْ كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ لَكُنْتُ أَقْتُلُكَ بِهِ ، لَقَدْ بَيْسْتُكَ ، فَمَا خَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ حَتَّى اسْوَدَّ نِصْفُ وَجْهِهِ ، وَصَارَ مِثْلَهُ فِي النَّاسِ .

قال المؤلف : وأحسب أن هذه المرأة جدّة للصبي ، لا أمّ له ، إذ يبعد في العادة أن تباع النبیّ عليه السلام ، وتسكون يوم الحرّة في سین من رُضِع . والحرّة التي يُعرف بها هذا اليوم يقال لها حرّة زُهرَة ، وفي الحديث أن النبيّ - صلى الله عليه وسلم - وقف بها ، وقال : كَيْفَ تَلَنَ بِهَذَا الْمَكَانِ رِجَالُ هُمْ خِيَارُ أُمَّتِي بعد أصحابي ، ويذكر عن عبد الله بن سَلام ، أنه قال : لقد وَجَدْتُ صِفَتَهَا في كتاب يَهُودَ بن يَعْمُوبَ الذي لم يدخله تبديلٌ ، وأنه يُقتل فيها قومٌ صالحون يجهّون يوم القيامة وسلاحهم على عَوَاتِقِهِمْ ، وذكر الحديث . وعُرِفَتْ حرّة زُهرَة بقرية كانت لبني زُهرَة قوم من اليهود ، وكانت كبيرة في الزّمان الأوّل ، ويقال كان فيها ثلاثمائة صائغ ، ذكر هذا الزبير في فضائل المدينة له : وكانت هذه الوقعة سنّة ثلاثٍ وستين ، وقد كان يزيد ابن معاوية قد أعذر إليهم فيما ذكروا ، وبذل لهم من المطأ أضعاف ما يُعطى الناس واجتهد في استمالتهم إلى الطاعة ، وتحذيرهم من الخلاف ، ولكن أبا الله إلا ما أراد ، والله يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون : **فَإِنَّ تِلْكَ أُمَّةً قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ ، وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ^(١) البقرة : ١٣٤ ، ١٤١ .

(١) أنظر ص ٢٨٢ ح الطبري . وقد أحسن السبلي في ختام كلامه عن هذه الفتنة وإن كان قد نقل مبالغات عن كتاب الحرّة للواقدي وما ذكره من أحاديث فيها شيء لا يعتد به فإخراج واحدٍ منها أحد من أصحاب الصحيح ولا أصحاب السنن ، فقد نقلها عن كتاب الحرّة للواقدي ، وانظر ص ٨٥ ح ١ من كتاب وفاء الوفا للسمهودي وفي كتابه أيضاً عن حرة واقم : هي حرة المدينة الشرفية . . . وتسمى أيضاً حرة بني قريظة لأنهم كانوا بطرفها القبلي وحرة زهرة لمجاورتها لها

معنى الرَبِيَّةُ :

فصل : وذكر حديث الأنصاري والمهاجري ، وهما عبادُ بنِ بشرٍ ،
وعمارُ بنِ ياسرٍ ، وأن رجلاً من العدو رمى الأنصاري بسهم ، وهو يصني
نساء علم أنه رَبِيَّةُ القَوْمِ . الرَبِيَّةُ هو الطَّلِيعةُ ، يقال : رَبَّأُ على القومِ رَبَّأً
فهو رباء ورَبِيَّةٌ قال الشاعر [المَهْدَلِيُّ] :

رَبَّاءٌ شَمَهُ لَا يَأْوِي لِقَلَّتْهَا إِلَّا السَّحَابُ وَالْأَوْبُ وَالسَّبِيلُ (١)

قَرَّبَاءُ : فَعَالٌ من رَبَّأَ إِذَا نَظَرَ من مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ ، وَشَمَهُ ، يريد هَضْبَةً
شَمَاءً ، وَإِنَّمَا قَالُوا : رَبِيَّةٌ بهاء التانيث ، وطلبيعة ؛ لأنها في معنى العَيْنِ ، والعَيْنُ
مَوْثِقَةٌ ، تقول : ثَلَاثُ أَعْيُنٍ ، وإن كانوا رِجَالًا ، يعني الطَّلَائِعَ ، لأنَّ
الطَّلِيعةَ والرَبِيَّةَ إِنَّمَا يُرَادُ مِنْهُ عَيْنُهُ النَّازِرَةُ ، كما تقول في ثَلَاثَةِ أَعْبِدَ : أَعَقَمْتُ
ثَلَاثَ رِقَابٍ ، فتؤنث ، لأن الرقبة تَرْجَمَةُ عن جميع العبد ، كما أن العَيْنَ الذي
هو الطَّلِيعةُ كذلك ، ويجوز أن تسكون الهاء في رَبِيَّةٍ وطلبيعة للمبالغة ،
كما هي في عِلَامَةٍ ونَسَابَةٍ ، فعلى الوجه الأول تقول : ثَلَاثُ طَائِلِيعٍ ، وثَلَاثُ
رَبَائِيَا في جمع رَبِيَّةٍ ، كما تقول : ثَلَاثُ أَعْيُنٍ ، لأنه بابٌ واحدٌ من التانيث ،
وَإِذَا كَانَتْ الهاء للمبالغة قلت : ثَلَاثَةٌ وَأَرْبَعَةٌ ، لأنك تقصد التذكير ، لأنَّ
هاء المبالغة لا توجب تانيث المُسَمَّى ، ولأنها في الصَّنَةِ ، والصَّنَةُ بعد الموصوف ؛
ولذلك تقول : هَذَا عِلَامَةٌ ، ولا تقول : هَذِهِ عِلَامَةٌ بخلافِ الرِّقْبَةِ والعَيْنِ .

(١) سبق الكلام عن البيت في الجزء الأول وفي المستدركات في الجزء الثاني .

لأنك تقول في العبد الذكر : هذه رَقَبَةٌ فَأَعْتَقَهَا ، وفي المين : هذه طَلِيمَةٌ ،
وهذه عَيْنٌ ، وأنت تعني الرجل . هذا معنى الفرق بينهما .

فقه الحديث :

وفي هذا الحديث من الفقه صَلَاةُ الْمَجْرُوحِ وَجُرْحُهُ يَنْتَعِبُ دَمًا ، كما فعل
عمرُ بن الخطاب ، وقد ترجم بعضُ المصنفين عليه لموضع هذا الفقه ، وفيه مُتَمَلِّقٌ
لمن يقول : إِنْ غُسِلَ النَّجَاسَةُ ، لَا يُعَدُّ فِي شُرُوطِ صِحَّةِ الصَّلَاةِ ، وفيه من الفقه
أَيْضًا تَعْظِيمُ حُرْمَةِ الصَّلَاةِ ، وَأَنَّ لِلْمُصَلِّي أَنْ يَتِمَّادَى عَلَيْهَا ، وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ
ذَلِكَ الْقَتْلَ ، وَتَقْوِيَتِ النَّفْسُ ، مع أن التمرضَ لِقَوَاتِ النَّفْسِ ، لَا يَحِلُّ إِلَّا فِي
حَالِ الْمُحَارَبَةِ ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ : لَوْلَا أَنْ أَصْبَحَ تَفَرًّا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِهِ لَقَطَعَ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَقْطِعَهَا أَوْ أَنْفَذَهَا ، يَعْنِي :
السُّورَةُ الَّتِي كَانَ يَقْرَأُهَا .

قول رَجَزٍ مَعْبُودٍ وَمُسْتَعْرِضٍ إِلَى سَفِيلَةٍ :

وذكر قول مُتَعَبِدٍ :

وعجوة من يثرب كَلْفَةُ جَدِّ

الْعَنْجَدُ : حَبُّ الزَّيْبِيبِ ، وَقَدْ يُقَالُ لِلزَّيْبِيبِ نَفْسُهُ أَيْضًا عَنْجَدٌ ، وَأَمَّا
الْعَنْبُ ، فَيُقَالُ : لِعَجْمِهِ : الْفَرَحْدُ . وَالْأَتْلُ : الْأَقْدَمُ مِنَ الْمَالِ التَّلِيدِ .

وأما قول حسان :

دَعُؤَا فَلَجَاتِ الشَّامِ

جمعُ قَنْجٍ ، وهو لواء الجارى ، سُمِّيَ فَلَجًا ، لأنه قد خَدَّ في الأرضِ ،
وفَرَّقَ بين جانبيه مأخوذٌ من فَلَجِ الأسنانِ ، أو من الفَلَج وهو القَسَمُ ،
والفَالِجُ مِكْيَالٌ يُقَسَّمُ به ، والفَلَجُ والفَالِجُ بعيرٌ ذُو سَنَامَيْنِ ، وهو من هذا
الأصل ، ورواه أبو حنيفة بالحاء وقال : الفلجة المزرعة ^(١) .

وذكر شعر أبي سفيان :

أَحْسَنُ إِنَّا بَيْنَ آكَلَةِ الْغَفَا

الغَفَا : ضرب من التَّمَرِ ، ويقال : هِيَ غَبَرَةٌ تَغْلُو ، البُسْرُ ، والغَفَالَةُ :
في الغَفَا ^(٢) .

وفيه :

كَمَا خَذِ كُمْ بِالْعَيْنِ ^(٣) أَرْطَالَ آتِكَ .

(١) وفي اللسان : الفلجات : المزارع وقد استشهد بالبيت المذكور . وفي
مادة فلج يقول : د الفلحة القراح الذي اشتق للمزارع من أبي حنيفة ، وأنشد
اللسان : دعوا فلجات . . . الخ يعنى المزارع . ومن رواه فلجات فمعناه : ما اشتق
من الأرض للديار ، كل ذلك قول أبي حنيفة ،

(٢) الغفا : البسر الفاسد المغبر ، أو هو فساد البسر ، والغفا ما يخرج من
الطعام فيرمى به والردىء من كل شيء من الناس والمأكول والمشروب والمركوب

(٣) العين هنا : المال الحاضر ، والعين أيضاً الدر وكلهما يصلح ما هنا .
ومن رواه بالعير فالعير الرفقة من الإبل ، والآلك : الأسرب وهو
القردير والخشني ص ٢٩٨ ، وقيل عن الآلك إنه الرصاص القلعي . =

ألفيت على هذا البيت في حاشية أبي بحر ما هذا نصه : ذكر مُحَمَّدُ بْنُ
سَلَامٍ في الطبقات له هذا البيت :

حَسِبْتُمْ جِلَادَ الْقَوْمِ حَوْلَ بُيُوتِكُمْ كَأَخْذِكُمْ فِي الْمِينِ أَرْطَالَ أَنْكَ
ووصل به بأن قال : فقال أبو سفيان بن حربٍ لأبي سفيان بن الحارث :
يا ابن أخي : لم جعلتها آنك إن كانت لِفِضَّةٍ بَيْضَاءَ جَيِّدَةً .
وقوله :

سَعِدْتُمْ بِهَا وَغَيْرُكُمْ كَانِ أَهْلَهَا
وفي حاشية الشيخ : شَقِيتُمْ بِهَا وَغَيْرُكُمْ أَهْلُ ذِكْرِهَا .
وقوله :

حَرَّ جُنَا وَمَا تَنْجُو الْيَعْفِيرُ بَيْنَنَا
اليعافير: الطَّيَّاءُ الْمُفَرَّ^(١) يريد أنهم لكثرة عددهم لا تنجوا منهم اليعافير .

= وقيل هو الرصاص الأبيض ، وقيل الأسود . وقيل الخالص منه . ويقال : لم
يحي . على مثال فاعل بضم العين غيره أو أفعل واحدا غيره ، فأما أشد فختلف
فيه هل هو واحد أو جمع .

(١) جمع أعفر وهو من الطَّيَّاء ما يعلو بياضه حمرة ، أو الذي في سرائه
حمرة وأفراجه بيض ، أو الأبيض ليس بالشديد البياض .

غزوة دومة الجندل

في شهر ربيع الأول سنة خمس

قال ابن إسحاق : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فأقام من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها أشهراً حتى مضى ذو الحجة وولى تلك الحجة المشركون وهي سنة أربع ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دومة الجندل .

قال ابن هشام : في شهر ربيع الأول ، واستعمل على المدينة سباع بن عزة فطاة الغفاري .

قال ابن إسحاق : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يصل إليها ، ولم يلق كيداً ، فأقام بالمدينة بقية سنته .

غزوة الخندق

في شوال سنة خمس

تاريخها

حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام : قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي ، عن محمد بن إسحاق الملقبي ، قال : ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس .

اليهود تخرض قريشاً

لقد نسي يزيد بن رومان مولى آل الزبير بن عروة بن الزبير ، ومن
لا أنسهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، ومحمد بن كعب القرظي ، والزهري ،
وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، وغيرهم من علمائنا ، كلهم
قد اجتمع حديثه في الحديث عن الخندق ، وبعضهم يحدث ما لا يحدث به
بعض ، قالوا : إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود ، منهم : سلام
ابن أبي الحقيق النخعي ، ويحيى بن أخطب النخعي ، وكنانة بن أبي الحقيق
النخعي ، وهودبة بن قيس الوائلي ، وأبو عمار الوائلي ، في نفر من بني
النضير ، وانفروا من بني وائل ، وهم الذين حاربوا الأحزاب على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، خرجوا حتى قدموا على قريش مكة ، فدعواهم إلى
إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليه ،
حتى نشتأصله . فقالت لهم قريش : يا منذر يهود ، إنكم أهل الكتاب
الأول والعلم بما أصبحنا نخشع فيه نحن ومحمد أفديتمنا خير أم دينه ؟ قولوا :
بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق (منه) فهم الذين أنزل الله تعالى
فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْثَقُوا بِحَبِيبٍ مِنَ الْكِتَابِ يُوَدُّونَ بِالْإِثْمِ
وَالطَّغَاوَتِ ، وَيَتَوَلَّوْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَوَالَاءِ أَعْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا
سَبِيلًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ ، وَإِنَّ بَيْنَ اللَّهِ فَلَانَ تَجِدَ لَهُ
نَصِيرًا ﴾ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَحْسُدُوا النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ
فَضْلٍ ﴾ : أي اليهود ، ﴿ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ

مُلْكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ ، وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا .

اليهود تحرّض غطفان

قال : فلما قالوا ذلك لقريش ، سرّهم ونشطوا لما دَعَوْهم إليه ، من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعوا لذلك واتعدوا له . ثم خرج أولئك النّفر من يهود ، حتى جاءوا غطفان ، من قبس عَيْلان ، فدَعَوْهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك ، فاجتمعوا معهم فيه .

خروج الأحزاب من المشركين

قال ابن إسحاق : فخرجت قريش ، وقائدها أبو سفيان بن حرب ؛ وخرجت غطفان ، وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، في بني قزاعة ؛ والحارث بن عوف بن أبي حارثة المُرّي ، في بني مرة ؛ وسعير بن ربيعة ابن نؤيرة بن طريف بن سُحَمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان ، فيمن تابعه من قومه من أشجع .

حفر الخندق وتحاذل المنافقين وجد المؤمنين

فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أجمعوا له من الأمر ، صَرَبَ الخندق على المدينة ، فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيباً للمسلمين

في الأجر ، وعمل معه المسلمون فيه ، فدأب فيه ودأبوا . وأبطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين في عملهم ذلك رجال من المنافقين ، وجعلوا يُورثون بالضعيف من العمل ويتسألون إلى أهلهم بغير علم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا إذن ، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابتة الغائبة ، من الحاجة التي لا بد له منها ، يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويستأذنه في الحقوق بحاجته فيأذن له ، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله ، رغبة في الخير ، واحتساباً له .

ما نزل في حق العاملين في الخندق

فأنزل الله تعالى في أولئك من المؤمنين : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسبة والرغبة في الخير ، والطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال تعالى ، يعني المنافقين الذين كانوا يتسألون من العمل ، ويذهبون بغير إذن من النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَا تَجْمَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ، قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ، فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ، أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

تفسير بعض الغريب

قال ابن هشام : اللواذ : الاستتار بالشئ عند الحرب ، قال حسان بن

ثابت :

وَقَرِيشٌ تَفْسِرُهُمْ لَوَاذًا أَنْ يُقِيمُوا وَخَفَ مِنْهَا الْخُلُومُ

وهذا البيت في قصيدة له قد ذكرتها في أشعر يوم أحد .

إِلَّا إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ

قال ابن إسحاق : من صدق أو كذب .

وَيَوْمَ يَرْجَمُونَ إِلَيْهِ فَيَنْبِتُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ، وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءًا عَالِمٌ بِهِ

المسلمون يرتجزون في الحضر

قال ابن إسحاق : وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين ، يقال له جُعِيل ، سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمراً ، فقالوا :

سَمَاءٌ مِنْ بَنِي جُعِيلٍ عَمْرًا وَكَانَ لِلْبَائِسِ يَوْمًا ظَهْرًا

فإذا مروا « بعمرو » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمراً ، وإذا

مروا « بظهر » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ظهرأ .

الآيات التي ظهرت في حفر الخندق

قال ابن إسحاق: وكان في حفر الخندق أحاديثٌ بلغتني ، فيها من الله تعالى عبرة في تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتحقيق نبوته ، عاين ذلك المسلمون .

فكان مما بلغني أن جابر بن عبد الله كان يحدث : أنه اشتدت عليهم في بعض الخندق كذبة ، فسكّوها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدعا ياناب من ماء ، ففعل فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكذبة ، فيقول من حضرها : فوالذي بعثه بالحق نبياً ، لانهايات حتى عادت كالكتيب ، لاترد فأساً ولا مسحاة .

قال ابن إسحاق : وحدثني سميد بن مينا أنه حدث : أن ابنة لبشير بن سعد ، أخت النعمان بن بشير ، قالت : دعيتُ أُمِّي عَمْرَةَ بِنْتُ رَوَاحَةَ ، فأعطتني حَفَنَةً مِنْ تَمْرٍ فِي ثَوْبِي ، ثم قالت : أَيُّ بُنْيَةٍ ، أَدْعِي إِلَى أَبِيكَ وَخَلَاكِ عبد الله بن رَوَاحَةَ بَعْدَهُمَا ، قالت : فأخذتها ، فانطلقت بها ، فمرت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألتصُّمُ أَبِي وَخَالِي ؛ فقال : تعالى يَا بُنْيَّةُ ، ما هذا منك ؟ قالت : فقالت : يا رسول الله ، هذا تمر ، بعثتني به أُمِّي إِلَى أَبِي بَشِيرٍ بْنِ سَعْدٍ ، وَخَالِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ يَتَغَدَّيَانِهِ ؛ قال : هاتيه ؛ قالت : فَصَبَّبْتُهُ فِي كَفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمَالَاهُمَا ، ثُمَّ أَمْسَ بَشُوبَ فَبَسَطَ لَهُ ، ثُمَّ دَحَا بِالْتَمَرِ عَلَيْهِ ، فَتَبَدَّدَ فَوْقَ الثَّوْبِ ، ثُمَّ قَالَ لِلْإِنْسَانِ عِنْدَهُ :

انصرخ في أهل الخندق : أن هلم إلى الغداء ، فاجتمع أهل الخندق عليه ، فجعلوا
يأكلون منه ، وجعل يزيد ، حتى صدر أهل الخندق عنه ، وإنه ليسقط من
أطراف الثوب .

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن مينا ، عن جابر بن عبد الله ، قال :
عملنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخندق ، فكانت عندي شوية ،
غير جد سميحة . قال : قلت : والله لو صنعناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛
قال : فأمرت امرأتى ، فطحننت لنا شيئاً من شعير ، فصنعت لنا منه خبزاً ،
وذبحت تلك الشاة ، فشويناتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فلما
أمسينا وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصراف عن الخندق - قال :
وكنا نعمل فيه نهارنا ، فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا - قال : قلت :
يا رسول الله ، إني قد صنعت لك شوية كانت عندنا ، وصنعنا معها شيئاً من
خبز هذا الشعير فأحب أن تنصرف معي إلى منزلي ، وإنا أريد أن ينصرف
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده . قال : فلما أن قلت له ذلك قال : نعم ،
ثم أمر صارخاً فصرخ : أن انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
بيت جابر بن عبد الله ؛ قال : قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ! قال : فأقبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل الناس معه ؛ قال : فجلس وأخرجناها
إليه . قال : فبرك وسمى (الله) ، ثم أكل ، وتواردها الناس ، كلما فرغ قوم
قاموا وجاء ناس ، حتى صدر أهل الخندق عنها .

قال ابن إسحاق : وحدثت عن سلمان الفارسي ، أنه قال : ضربتُ

في ناحية من الخندق ، فَعَلَّظَتْ عَلَى صَخْرَةٍ ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم قريب مني ؛ فلما رآني أضرب ورأى شدة المكان على ، نزل فأخذ المِعْوَل من من يدي ، فضرب به ضربة كَمَعَتْ تحت المِعْوَل بركة ، قال : ثم ضرب به ضربة أخرى ، فلمعت تحته بركة أخرى ؛ قال : ثم ضرب به الثالثة ، فلمعت تحته بركة أخرى . قال : قلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! ما هذا الذي رأيت لَمَعَ تحت المِعْوَل وأنت تضرب ؟ قال : أَوَقَدَ رَأَيْتَ ذَلِكَ يَا سَلْمَانُ ؟ قال : قلت : نعم ؛ قال : أما الأول فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَىٰ بَيْهَا الْيَمِينَ ؛ وأما الثانية فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَىٰ بَيْهَا الشَّامَ وَالْمَغْرِبَ ؛ وأما الثالثة فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَىٰ بَيْهَا الْمَشْرِقَ .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا آتهم عن أبي هريرة أنه كان يقول ، حين فُتِحَتْ هذه الأمصار في زمان عمر وزمان عثمان وما بعده : افْتَتَحُوا مَابَدَا السَّكَمِ ، فوالذي نفسُ أبي هريرة بيده ، ما افْتَتَحْتُمْ من مدينة ولا تَفْتَتِحُونَهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَفَاتِيحَهَا قَبْلَ ذَلِكَ .

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ، أَقْبَلَتْ قُرَيْشٌ حَتَّى نَزَلَتْ بِمَجْتَمَعِ الْأَسْيَالِ مِنْ رُومَةٍ ، بَيْنَ الْجُرُفِ وَزَغَابَةِ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ مِنْ أَحَابِيْشِهِمْ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ وَأَهْلِ يَمَامَةَ ، وَأَقْبَلَتْ غَطَفَانٌ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ، حَتَّى نَزَلُوا بِذَنْبِ تَمِيمٍ ، إِلَى جَانِبِ أَحَدٍ . وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ ، حَتَّى جَعَلُوا

ظهورهم إلى سَلَمَ ، في ثلاثة آلاف من المسلمين ، ف ضرب هفالك عَشْكَرَهُ ،
والتخندق بينه وبين القوم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابنَ أَمِّ مَكْتُوم .
قال ابن إسحاق : وأمر بالذَّرَارَى والنساء تُجْعَلُوا فِي الْآطَام .

تخريص حي بن أخطب لكعب بن أسد

وخرج عدو الله حِيَّ بن أخطب النَّصْرِي ، حتى أتى كَعْب بن أسد
الْقُرْظِي ، صاحب عَقْد بني قُرَيْظَة وَعَهْدِهِمْ ، وكان قد وادَعَ رسول الله صلى الله عليه
وسلم على قومه ، وعاقده على ذلك وعاهده ؛ فلما سمع كَعْب بحِيَّ بن أخطب أغلق
دونه باب حصنه ، فاستأذن عليه ، فأبى أن يفتَح له ، فناداه حِيَّ : وَيَحْك يا كَعْب !
افتح لي ، قال : وَيحك يا حِيَّ ! إنك امرؤ مَشْتُومٌ ، وإني قد عاهدتُ محمداً ،
فلستُ بِنَاقِضٍ ما بيني وبينه ولم أرَ منه إلا وفاءً وصِدْقاً ؛ قال : وَيحك افتح
لي أَكَلْتُكَ ؛ قال : ما أنا بفاعل ، قال : والله إن أغلقت دوني إلا تخوفت
على جيشيتك أن آكل معك منها ، فأحفظ الرجل ، ففتح له ، فقال : وَيحك
يا كَعْب ، جيشك بمنزلة الدهر وببخر طامٍ ، جيشك بقريش على قادتها وساداتها ،
حتى أنزلتهم بمُجْتَمَعِ الْأَسْيَالِ من رُومَةٍ ، وبغطفان على قادتها وساداتها حتى
أنزلتهم بذَنْبِ نَقَمَى إلى جانب أحد ، قد عاهدوني وعاهدوني على أن لا يَبْرَحُوا
حتى نستأصل محمداً ومن معه . قال : فقال له كعب جيشتي والله بذل الدهر ،
وبجهم أَمٍ قد هَرَأَقَ مَاءَهُ ، فهو يُرْعِدُ وَيُهْرِقُ ، ليس فيه شيء ، وَيحك يا حِيَّ !
فدعني وما أنا عليه ، فأبى لم أرَ من محمد إلا صِدْقاً ووفاءً . فلم يزل حِيَّ

بِكَعْبِ يَنْفِتِلْهُ فِي الذَّرْوَةِ وَالْغَارِبِ ، حَتَّى سَمِعَ لَهُ ، عَلَى أَنْ أَعْطَاهُ عَهْدًا مِنْ اللَّهِ
يَوْمَئِذًا : لَنْ رَجَعْتُ قَوْشَ وَغَطْفَانَ ، وَلَمْ يُصِيبُوا مُحَمَّدًا أَنْ أَدْخَلَ مَعَكَ
فِي حَصْنِكَ حَتَّى يُصِيبَنِي مَا أَصَابَكَ . فَتَقَضَّ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ عَهْدَهُ ، وَبَرَى .
جَمَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

التحرى عن نقض كعب للعهد

فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبْرُ وَإِلَى السَّلْمِينَ ،
بَشَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ بْنِ النُّعْمَانِ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدُ
الْأَوْسِ ، وَسَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ بْنِ دُكَيْمٍ ، أَحَدَ بَنِي سَاعِدَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ الْخَزْرَجِ
وَهُوَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ وَمَعَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، أَخُو بَنِي الْحَارِثِ بْنِ
الْخَزْرَجِ ، وَخَوَاتُ بْنُ جُبَيْرٍ ، أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ؛ فَقَالَ : انْطَلِقُوا حَتَّى
تَنْظُرُوا ، أَحَقَّ مَا بَلَّغْنَا عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْ لَا ؟ فَإِنْ كَانَ حَقًّا فَاتَّخِذُوا إِلَيْنَا
أَعْرَفَهُ ، وَلَا تَفُتُّوا فِي أَعْضَادِ النَّاسِ وَإِنْ كَانُوا عَلَى الْوَفَاءِ فَمَا يَبِينُنَا وَيَبِينُهُمْ فَاجْهَرُوا
بِهِ لِلنَّاسِ . قَالَ : فَخَرَجُوا حَتَّى أَتَوْهُمْ ، فَوَجَدُوهُمْ عَلَى أَخْبَثَ مَا بَلَّغْنَاهُمْ عَنْهُمْ ،
فَنَالُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالُوا : مَنْ رَسُولُ اللَّهِ ؟ لَاعْهَدْ بَيْنَنَا
وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَلَا عَقْدَ . فَسَأَلَهُمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَشَاعِمُوهُ ، وَكَانَ رَجُلًا ضِعْفَ حِدَّةٍ ،
فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ : دَعْ عَنْكَ مُشَاكَمَتَهُمْ ، فَمَا يَبِينُنَا وَيَبِينُهُمْ أَرْبَى مِنْ
الْمُشَاكَمَةِ . ثُمَّ أَقْبَلَ سَعْدٌ وَسَعْدٌ وَمَنْ مَعَهُمَا ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَسَأَلُوهُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالُوا : عَصَلٌ وَالْقَارَةُ ، أَيْ كَعْدَرُ عَصَلٍ وَالْقَارَةُ

بأصحاب الرجيع ، خُيِّبَ وأصحابه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :
الله أكبر ، أبشروا يامعشر المسلمين .

ظهور نفاق المنافقين واشتداد خوف المسلمين

وعظم عند ذلك البلاء ، واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن
أسفل منهم ، حتى ظنَّ المؤمنون كلَّ ظَنٍّ ، ونَجَمَ النِّفاق من بعض المنافقين ،
حتى قال مُعْتَب بن قُشَيْر ، أخو بني عمرو بن عوف : كان محمد يَعِدُنَا أَنْ نَأْكُلَ
كَنْوَزَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ ، وَأَحْدُنَا الْيَوْمَ لَا يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْغَائِطِ .

أكان معتب منافقاً ؟

قال ابن هشام : وأخبرني من أثق به من أهل العلم : أن مُعْتَب بن قُشَيْر
لم يكن من المنافقين ، واحتجَّ بأنه كان من أهل بدر .

قال ابن إسحاق : وحتى قال أَوْسُ بْنُ قَيْظٍ ، أحد بني حارثة بن الحارث :
يا رسول الله ، إن بيوتنا عَوْرَةٌ مِنَ الْعَدُوِّ ، وَذَلِكَ عَنْ مَلَأٍ مِنْ رِجَالِ قَوْمِهِ ،
فَأَذْنُ لَنَا أَنْ نَخْرُجَ فَنَرْجِعَ إِلَى دَارِنَا ، فَانْهَارَ مِنْ الْمَدِينَةِ . فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَقَامَ عَلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ بَعْضًا وَعَشْرِينَ لَيْلَةً ، قَرِيبًا مِنْ شَهْرٍ ،
لَمْ تَكُنْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ إِلَّا الرَّمْيُ بِالْغَبْلِ وَالْحِصَارُ .

قال ابن هشام : ويقال الرَّمْيُ .

الهم بعقد الصلح مع غطفان

فلما اشتدَّ على الناس البلاء ، بعث رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - كلَّ
حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أتهم ، عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن
شهاب الزهري - إلى عُمَيْيْنَةَ بن حِصْنِ بن حُذَيْفَةَ بن بَذْرِ ، وإلى الحارث
ابن عوف بن أبي حارثة المُرِّي ، وهما قائدَا غَطَفَان ، فأعطاهما ثلثَ ثَمَارِ المدينة
على أن يَرَجِعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، فجزى بينه وبينهما الصلح ، حتى
كتبوا السِّكِّتَاب ، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصُّلح ، إلا المُرَاوَصَةُ في ذلك .
فلما أراد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل ، بعث إلى سَعْدِ بن مُعَاذٍ
وسَعْدِ بن عُبَادَةَ ، فذكر ذلك لهما ، واستشارهما فيه ، فقالا له : يا رسول الله ،
أمرأُ نُحِبُّه فنصنعه ، أم شيئاً أمرك الله به ، لا بدَّ لنا من العمل به ، أم شيئاً
تصنعه لنا ؟ قال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت
القرب قد رَمَتْكم عن قَوْسٍ واحدة ، وكالبوكم من كلِّ جانب ، فأردت أن
أكْثِرَ عنكم من شَوْكَتهم إلى أمرٍ ما ؛ فقال له سَعْدُ بن مُعَاذٍ : يا رسول الله ،
قد كُنَّا نحن وهؤلاء القوم على الشُّرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله
ولا نعرفه . وهم لا يَطْمَئِنُّون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قَرَّيْ أو بيعاً ، أخفِ
أَكْرَمْنَا الله بالإسلام وهدانا له وأعزَّنَا بك وبه ، نُعْطِهم أموالنا ! (والله)
مالنا بهذا من حاجة ، والله لا نُعْطِهم إلا السَّيْفَ حتى يَحْكُمَ الله بيننا وبينهم ؛
قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فأنت وذاك . فتناول سَعْدُ بن مُعَاذٍ
الصَّحِيفَةَ ، فمحا ما فيها من السِّكِّتَاب ، ثم قال : لِيَجْهَدُوا عَلَيْنَا .

عبور نفر من المشركين الخندق

قال ابن إسحاق : فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ،
وعُدوهم محاصروهم ، ولم يكن بينهم قتال ، إلا أن فوارس من قريش ، منهم
عمرو بن عبد ود بن أبي قيس ، أخو بني عامر بن لؤي .

- قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن عبد بن أبي قيس -

قال ابن إسحاق : وعكرمة بن أبي جهل ، وهُبيرة بن أبي وهب
الحزوميان ، وضرار بن الخطّاب الشاعر ابن مرداس ، أخو بني محارب بن فهر ،
تلبّسوا للقتال ، ثم خرجوا على خيلهم ، حتى مروا بمنازل بني كنانة ، فقالوا :
تَهَيَّئُوا يَا بَنِي كِنَانَةَ لِلْحَرْبِ ، فستعملون من الفُرسان اليوم ، ثم أقبلوا تُعَذِّقُ
بهم خيلهم ، حتى وقفوا على الخندق ، فلما رأوه قالوا : والله إن هذه لمسكيدة
ما كانت العربُ تُسَكِّدُهَا .

سلمان وإشارته بحفر الخندق

قال ابن هشام : ويقال : إن سلمان الفارسي أشار به على رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

وحديثي بعض أهل العلم : أن المهاجرين يوم الخندق قالوا : سلمان مَقَامٌ ؛
وقالت الأنصار : سلمان مَنَّا ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : سلمان منا
أهل البيت .

مبارزة عليٍّ لعمر بن عبد دو

قال ابن إسحاق : ثم تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق ، فضربوا خيلهم فافتحمت منه ، فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع ، وخرج علي بن أبي طالب عليه السلام في نفر معه من المسلمين ، حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تغتنيق نحوهم ، وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة ، فلم يشهد يوم أحد ؛ فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليبري مكانه . فلما وقف هو وخيله ، قال : من يبارز ؟ فبرز له علي بن أبي طالب فقال له : يا عمرو ، إنا قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه ، قال له : أجل ؛ قال له علي : فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله ، وإلى الإسلام ، قال : لا حاجة لي بذلك ، قال : فإني أدعوك إلى النزال ، فقال له : لم يابن أخى ؟ فوالله ما أحب أن أقتلك ، قال له علي : لكني والله أحب أن أقتلك ، فخمي عمرو عند ذلك ، فافتحمت عن فرسه ، فقعره ، وضرب وجهه ، ثم أقبل على علي ، فتنازلا وتجاولا ، فقتله علي رضي الله عنه . وخرجت خيلهم منهزمة ، حتى اقتحمت من الخندق هاربة .

قال ابن إسحاق : وقال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في ذلك :
 نَصَرَ الْحِجَارَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ وَنَصَرْتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ بِصَوَابِي
 فَصَدَدْتُ حِينَ تَرَكْتَهُ مُتَجَدِّلاً كَالْجُدْعِ بَيْنَ دَكَاذِكِ وَرَوَابِي

وَعَفَّتْ عَنْ أَثْوَابِهِ وَلَوْ أَنَّنِي كُنْتُ الْمُقَطَّرَ بَرَّيْنِي أَثْوَابِي
لَا تَغِيْبَنَّ اللَّهُ خَاذِلَ دِينِهِ وَنَبِيَّهِ يَا مَعْشَرَ الْأَحْزَابِ
قال ابن هشام : وأكثر أهل العالم بالشعر يشك فيها علي بن أبي طالب .

شعر حسان في عكرمة

قال ابن إسحاق : وألقى عكرمة بن أبي جهل رُحْجَهُ يومئذ وهو منهزم
عن عمرو ، فقال حسان بن ثابت في ذلك :

فَرَّ وَالْتَقَى لَنَا رُحْجُهُ لَعَلَّكَ عِكْرِمَ لَمْ تَفْعَلْ
وَوَلَّيْتَ تَعْدُو كَعْدُو الظُّلُمِ مَا لِمَنْ تَجْهَرُ عَنِ الْعَفْدِلِ
وَلَمْ تَلْقَ ظَهْرَكَ مُسْتَأْنِيًا كَأَنْ قَفَاكَ قَفَا فُرْعُنِ

قال ابن هشام : الفُرْعُلُ : صغير الضباع ، وهذه الأبيات في أبيات له .

شعار المسلمين يوم الخندق

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وبنى قريظة :
حَمَّ ، لَا يُنْصَرُونَ .

حديث سعد بن معاذ

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن
ابن سهل الأنصاري ، أخو بني حارثة : أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن

بنى حارثة يوم الخندق ، وكان من أخرز حصون المدينة . قال : وكانت أم سعد ابن معاذ معها في الحصن ؛ فقالت عائشة وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب ، فرى سعد وعليه درع له مُقْلَصَة ، قد خرجت منها ذراعه كلها ، وفي يده حربته يرقل بها ويقول :

كَبْتُ قَلِيلًا يَشْهَدُ الْهَيْجَا بِجَمَلٍ لَا بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ

قال فقالت له أمه : الحق : أى بنى ، فقد والله أخرت ؛ قالت عائشة : فقلت لها : يا أم سعد ، والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي ، قالت : وخيفت عليه حيث أصاب السهم منه ، فرمى سعد بن معاذ بسهم ، فقطع منه الأَكْحَلُ ، رماه كما حدثني عامر بن عمر بن قتادة ، حبان بن قيس بن العريفة ، أحد بنى عامر بن لؤى ، فلما أصابه ، قال : خذها منى وأنا ابن العريفة ، فقال له سعد : عرق الله وجهك في النار ؛ اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقي لها ، فإنه لا قوم أحب إلى أن أجاهدكم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه ، اللهم وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ، ولا تُمِتْنِي حَتَّى تُقَرَّ عَيْنِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ .

من قاتل سعد ؟

قال ابن إسحاق : وحدثني مَنْ لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول : ما أصاب سعداً يومئذ إلا أبو أسامة الجُمَحي ، حليف بنى مخزوم .

وقد قال أبو أسامة في ذلك شعراً لعكرمة بن أبي جهل :

أَعِكَرَمَ هَلَّا لُمْتُنِي إِذْ تَقُولُ لِي فِدَاكَ بِأَطَامِ الْمَدِينَةِ خَالِدُ
أَلَسْتُ الَّذِي أَلَزَمْتُ سَعْدًا مُرِشَّةً لَهَا بَيْنَ أَثْنَاءِ الْمَرَافِقِ عَانِدُ
قَضَى نَحْبَهُ مِنْهَا سَعِيدٌ فَأَعْوَلْتُ عَلَيْهِ مَعَ الشُّطِّ الْعَذَارَى النَّوَاهِدُ
وَأَنْتَ الَّذِي دَافَعْتَ عَنْهُ وَقَدْ دَعَا عُبَيْدَةُ جَمْعًا مِنْهُمْ إِذْ يُكَابِدُ
عَلَى حِينٍ مَا هُمْ جَائِرٌ عَنْ طَرِيقِهِ وَآخِرَ مَرْغُوبٍ عَنِ الْقَصْدِ قَاصِدُ
(والله أعلم أي ذلك كان) .

قال ابن هشام : ويقال : إن الذي رَمَى سعداً خَفَاجَةُ بْنُ عَاصِمٍ بْنُ حِبَّانَ .

الحديث عن جبن حسان

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه
عباد قال : كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع ، حِصْنُ حَسَّانَ بن ثابت ؛
قالت : وكان حسان بن ثابت معنافية ، مع النساء والصبيان ، قالت صفية : فرّ بنا
وجن من يهود ، فجعل يطيف بالحِصْنِ ، وقد حاربت بنو قريظة ، وقطعت
مابينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع
هنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحور عدوهم ، لا يستطيعون
أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آتٍ . قالت : فقلت : يا حسان ، إن هذا
اليهودى كما ترى يطيف بالحِصْنِ ، وإني والله ما آمنه أن يدلّ على عورتنا

مَنْ وراءنا من يهود ، وقد شغل عنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ،
فانزل إليه فاقتله ؛ قال : يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا بَنَةَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، والله لقد عرفتِ
ما أنا بصاحب هذا : قالت : فلما قال لى ذلك ، ولم أر عنده شيئاً ، احتجرت
ثم أخذت عموداً ، ثم نزلت من الحصن إليه ، فضربتُه بالعمود حتى قتلتَه .
قالت : فلما فرغت منه ، رجعتُ إلى الحصن ، فقلت : يا حَسَّانَ ، انزل إليه
فأسلبه ، فإنه لم يَمْنَعْنِي مِنْ سُلْبِهِ إِلَّا أَنَّهُ رَجُلٌ ؛ قَالَ : مَالِي بَسْلَبِهِ مِنْ حَاجَةِ
يَابَنَةَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ .

نُعَيْمٌ يَخْذُلُ الْمُشْرِكِينَ

قال ابن إسحاق : وأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فيما
وصف الله من الخوف والشدّة ، لتظاهر عدوهم عليهم ، وإتيانهم إياهم من
فوقهم ومن أسفل منهم .

قال : ثم إن نُعَيْمَ بْنَ مَسْعُودٍ بْنَ عَامِرٍ بْنَ أُنَيْفٍ بْنَ ثَعْلَبَةَ بْنَ قُنْفُذٍ بْنَ هِلَالٍ
ابن خَلَاوَةَ بْنَ أَشْجَعٍ بْنَ رَيْثٍ بْنَ غَطَفَانَ ، أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ،
فقال : يا رسولَ الله ، إني قد أسلمتُ ، وإن قومي لم يعاموا بإسلامي ، فرأيتُ
بما شئتُ ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنما أنت فينا رجلٌ واحدٌ ،
تَخْذُلُ عَنَّا إِنْ اسْتَطَعْتَ ، فَإِنْ اَلْحَرْبُ خُدَعَةُ . فخرج نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ حَتَّى أَتَى بَنِي
قُرَيْظَةَ ، وَكَانَ لَهُمْ نَدِيمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فقال : يَا بَنِي قُرَيْظَةَ ، قد عَرَفْتُمْ وَدِّي
إِيَّاكُمْ ، وَخَاصَّةً مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتهم ، فقال

لهم : إن قريشاً و غطفان ليسوا كأنتم ، البسلة بلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونسأؤكم ، لا تقدرّون على أن تحوّلوا منه إلى غيره ، وإن قريشاً و غطفان قد جاءوا لحرب محمّد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدكم وأموالهم ونسأؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فإن رأوا شهرة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقّوا ببلادهم وخلّوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرفهم ، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمّداً حتى تُفاجزوه ، فقالوا له : لقد أشرت بالرأي .

ثم خرج حتى أتى قريشاً ، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم ودي لكم وفراقى محمّداً ، وإنه قد كفاني أمره قد رأيت على حقّ أن أبغضكموه ، نُضجاً لكم ، فاكتبوا عني ، فقالوا : نفعل ، قال : تعاموا أن معشر يهود قد ندّموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمّد ، وقد أرسلوا إليّ : إنا قد ندّمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن تأخذ لك من القميلتين ، من قريش و غطفان رجلاً من أشرفهم فنعطيكهم ، فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من يبقى منهم حتى نستأصلهم ؟ فأرسل إليهم : أن نعم . فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً .

ثم خرج حتى أتى غطفان ، فقال : يا معشر غطفان ، إنكم أصليّ وعشيري ، وأحب الناس إليّ ، ولا أراكم تهملوني ، قلوا : صدقت ، ما أنت عندنا

يَبْتَغِيهِمْ ، قَالَ فَاكْتُمُوا عَنِّي ، قَالُوا : نَفْعَلُ ، فَمَا أَمْرُكَ ؟ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ
تَقْرِيشَ وَحَذَرَهُمْ مَا حَذَرَهُمْ .

فَلَمَّا كَانَتْ أَيْلَةُ السَّبْتِ مِنْ شَوَّالِ سَنَةِ خَمْسٍ ، وَكَانَ مِنْ صُنْعِ اللَّهِ لِرَسُولِهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَرْسَلَ أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَرِءُوسَ غَطَفَانَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ
عِزَّةَ بِنْتِ أَبِي جَهْلٍ ، فِي تَقْرِيشِ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ ، فَقَالُوا لَهُمْ : إِنَّا لَسْنَا بِدَارِ
مَقَامٍ ، قَدْ هَلَكَ الْخَلْفُ وَالْحَاظِرُ ، فَاعْدُوا لِلْقِتَالِ حَتَّى نُنَاجِزَ مُحَمَّدًا ، وَتَفْرُغَ
تَمَامُ بَيْتِنَا وَبَيْتِهِ ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ : إِنْ الْيَوْمَ يَوْمَ السَّبْتِ ، وَهُوَ (يَوْمٌ) لَا نَعْمَلُ فِيهِ
شَيْئًا ، وَقَدْ كَانَ أَحْدَثَ فِيهِ بَعْضُنَا حَدَثًا ، فَأَصَابَهُ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكُمْ ، وَلَسْنَا مَعَ
ذَلِكَ بِالَّذِينَ يُقَاتِلُ مَعَكُمْ مُحَمَّدًا حَتَّى تُعْطُونَا رَهْنًا مِنْ رِجَالِكُمْ ، يَكُونُونَ بِأَيْدِينَا
ثَمَنًا لَنَا حَتَّى نُنَاجِزَ مُحَمَّدًا ، فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ ضَرَسْتُمْ الْحَرْبَ ، وَاشْتَدَّ عَلَيْكُمْ
الْقِتَالُ أَنْ تُلْشَمُوا إِلَى بِلَادِكُمْ وَتَتْرَكُونَا ، وَالرَّجُلُ فِي بِلَدِنَا ، وَلَا طَاقَةَ لَنَا
بِذَلِكَ مِنْهُ . فَلَمَّا رَجَعَتْ إِلَيْهِمُ الرُّسُلُ بِمَا قَالَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ ، قَالَتْ قُرَيْشُ
وِغَطَفَانُ : وَاللَّهِ إِنْ الَّذِي حَدَّثَكُمْ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ لَحَقَّ ، فَأَرْسَلُوا بَنِي قُرَيْظَةَ :
إِنَّا وَاللَّهِ لَا نَدْفَعُ إِلَيْكُمْ رَجُلًا وَاحِدًا مِنْ رِجَالِنَا ، فَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْقِتَالَ
فَاخْرُجُوا فَيُقَاتِلُوا ، فَقَالَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ ، حِينَ انْتَهَتْ الرُّسُلُ إِلَيْهِمْ بِهَذَا : إِنْ
الَّذِي ذَكَرْ لَكُمْ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ لَحَقَّ ، مَا يَرِيدُ الْقَوْمُ إِلَّا أَنْ يُقَاتِلُوا ، فَإِنْ
رَأَوْا فُرْصَةً انْتَهَزُوهَا ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ انْشَمَرُوا إِلَى بِلَادِهِمْ . وَخَآؤُوا بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَ الرَّجُلِ فِي بِلَدِكُمْ ، فَأَرْسَلُوا إِلَى قُرَيْشٍ وَغَطَفَانِ : إِنَّا وَاللَّهِ لَا نُقَاتِلُ مَعَكُمْ
مُحَمَّدًا حَتَّى تُعْطُونَا رَهْنًا ، فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ وَخَذَلَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ ، وَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الرِّيحَ

في نِمال شاتية باردة شديدة البرد ، فجعلت تكفأ قدورهم ، وتطرح أبنيتهم ..

تعرف ما حلّ بالمشرّكين

(قال) : فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم ، وما فرق الله من جماعتهم ، دعا حذيفة بن اليمان ، فبعثه إليهم ، لينظر ما فعل القوم ليلاً .

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : قال رجل من أهل السكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله ، أرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه موه ؟ قال : نعم ، يا بن أخي ، قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نجهد ، قال : فقال : والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض والحملناه على أعناقنا . قال : فقال حذيفة : يا بن أخي ، والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هوباً من الليل ، ثم التفت إلينا فقال : مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لِمَا فَعَلَ الْقَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ - يَشْرُطُهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّجْعَةَ - أَسْأَلَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ ؟ فَمَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ ، مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ ، وَشِدَّةِ الْجُوعِ ، وَشِدَّةِ الْبَرْدِ ، فَلَمْ يَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ ، دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمْ يَكُنْ لِي بَدٌّ مِنَ الْقِيَامِ حِينَ دَعَانِي ، فَقَالَ : يَا حَذِيفَةَ ، اذْهَبْ فَادْخُلْ فِي الْقَوْمِ ، فَانْظُرْ مَاذَا يَصْنَعُونَ ، وَلَا تَحْدِثَنَّ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِينَا . قال : فذهبت فدخلت في القوم ، والرياح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تُقرّ لهم قدراً ولا ناراً

ولا بناء . فقام أبو سفيان ، فقال : يامعشر قريش : لينظر امرؤ من جلسه ؟
قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي ، فقلت : من أنت ؟ قال :
فلان بن فلان .

أبو سفيان ينادى بالرحيل

ثم قال أبو سفيان : يامعشر قريش ، إنكم والله ما أصبَحتم بدار مُقام .
لقد هلك الكراع والخف ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكروه .
وأقينا من شدة الريح ما ترون ، ماتطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ،
ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإني مرتحل ، ثم قام إلى سجله وهو معقول .
فجأس عليه ، ثم ضربه ، فوثب به على ثلاث ، فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم ،
ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى « أن لا تحدث شيئاً حتى تأتيني » .
ثم شئت ، لقتلته بسهم .

قال حذيفة : فرجعتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي .
في مرط لِبعض نسائه ، مراجل .

قال ابن هشام : المراحل : ضرب من وشى اليمن .

فأما رَأَى أدخني إلى رجليه ، وطرح على طَرَف الرط ، ثم ركع وسجد .
وإني لفيهِ ، فلما سلم أخبرته الخبر ، وسمعت غطفان بما فعلت قريش ، فانشمروا ،
راجعين إلى بلادهم .

الإنصراف عن الخندق

قال ابن إسحاق : ولما أصبح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون ، ووضعوا السلاح .

غزوة بني قريظة

في سنة خمس

الأمر الإلهي بحرب بني قريظة

فلما كانت الظُّهر ، أتى جبريلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني الزُّهري ، معتجراً بعمامة من إستبرق ، على بَعْلَةٍ عليها رِحالَةٌ ، عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أَوْقَدْ وضعتَ السلاحَ يا رسولَ الله ؟ قال : نعم ، فقال جبريل : فما وضعتَ الملائكةَ السلاحَ بعد ، وما رجعتَ الآن إلا من طلب القوم ، إن الله عزَّ وجلَّ يأمرُك يا محمد بالتمسيرِ إلى بني قُريظة ، فإني عامدٌ إليهم فترزُل بهم .

فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مؤذناً ، فأذن في الناس ، من كان سامعاً مطيعاً ، فلا يصلِّينَ العصرَ إلا ببني قُريظة .

واستعمل على المدينة ابنَ أم مكتوم ، فيما قول ابن هشام .

على يبلغ الرسول ما سمعه من بني قريظة

قال ابن إسحاق : وقَدَّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على بنِ أبي طالب

برايته إلى بني قريظة ، وابتدروا الناس . فسار علي بن أبي طالب ، حتى إذا
دنا من الخصب سمع منها مقالةً قبيحةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع
حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق ، فقال : يا رسول الله ، لا عليك
أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث ، قال : إِم ؟ أظنك سمعت منهم لى أذى ؟ قال :
نعم يا رسول الله ، قال : لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً . فلما دنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم من حصونهم . قال : يا إخوان القردة ، هل أخزاكم الله
وأنزل بكم نعمته ؟ قالوا يا أبا القاسم ، ما كنت جهولاً .

جبريل في صورة دحية

ومرَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بنفَرٍ من أصحابه بالصَّوْرَيْنِ قبل أن
يصل إلى بني قريظة ، فقال : هل مرَّ بكم أحد ؟ قالوا : يا رسول الله ، قد مرَّ
بنا دحية بن خليفة الكلبي ، على بَغلةٍ بيضاء عليها رِحالُهُ ، عايناهُ قطيفةً ديباج .
فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ذلك جبريل ، بعث إلى بني قريظة يُزَلِّلُ
بهم حصونهم ، ويقذف الرعبَ في قلوبهم .

ولما أتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة : نزل على بئرٍ من
آبارها من ناحية أموالهم ، يقال لها بئرُ أنا .
قال ابن هشام : بئرُ آنى .

تلاحق الناس بالرسول

قال ابن إسحاق : وتلاحق به الناس ، فأتى رجالٌ منهم من بعد العشاء

الآخرة ، ولم يصلّوا العصر ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يصلّين أحد العصر إلا بيني قريظة ، فشغلهم ما لم يكن منه بدّ في حربهم ، وأبوا أن يصلّوا ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : حتى تأتوا بنى قريظة . فصلّوا العصر بها ، بعد العشاء الآخرة ، فما عابهم الله بذلك في كتابه ، ولا غنّهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم . حدّثنى بهذا الحديث أبي إسحاق بن يسار . عن معبد بن كعب بن مالك الأنصاري .

الحصار

(قال) : وحاصروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى جهّدهم الحصار ، وقذف الله في قلوبهم الرعب .

وقد كان حُيَّ بن أخطب دخل مع بنى قريظة في حصنهم ، حين رجعت عنهم قريش وغطفان ، وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه .

نصيحة كعب بن أسد لقومه

فلما أيقنوا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مُنصرف عنهم حتى يُفاجزهم ، قال كعب بن أسد لهم : يا معشر يهود ، قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإني عارض عايكم خلا لا ثلاثا ، تُخذوا أيها شتم ، قالوا : وما هي ؟ قال : مُتباع هذا الرجل ونصديق فوالله لقد تبَيَّن لكم أنه لنبى مُرسل ، وأنه - للذى تجِدونه في كتابكم ، فتأمنون على دماءكم وأموالكم وأبنائكم ونساءكم ، قالوا : لا نفارقُ حكم التّوراة أبداً ، ولا نستبدل به غيره ، قال : فإذا أبيتُم على هذه ،

فَقِيلَ فَلْيَقْتُلْ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا ، ثُمَّ نَخْرُجْ إِلَى مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ رِجَالًا مُصْلَحِينَ السُّيُوفَ ،
لَمْ نَتْرَكْ وَرَاءَنَا نَفْسًا ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ ، فَإِنْ تَهَلَّكَ نَهْلَكَ ، وَلَمْ نَتْرَكْ
وَرَاءَنَا نَفْسًا نَخْشَى عَلَيْهِ ، وَإِنْ نَظَرُ فَلَعَمْرِي لَنَجِدَنَّ النِّسَاءَ وَالْأَبْنَاءَ ، قَالُوا :
نَقْتُلْ هَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينَ ! فَمَا خَيْرَ الْعَيْشِ بَعْدَهُمْ ؟ قَالَ : فَإِنْ أُبَيِّمَ عَلَى هَذِهِ ،
فَإِنَّ اللَّيْلَةَ لَيْلَةُ السَّبْتِ ، وَإِنَّهُ عَسَى أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ قَدْ أَمْنُونَا فِيهَا ،
فَانْزِلُوا لَعَلَّنَا نُصِيبُ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ غَرَّةً ، قَالُوا : نَفْسُ سَبْتِنَا عَلَيْنَا ، وَنُحَدِّثُ
فِيهِ مَا لَمْ يَحْدِثْ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا إِلَّا مِنْ قَدِ عَامَتِ ، فَأَصَابَهُ مَا لَمْ يَخَفْ عَلَيْكَ
مِنْ الْمَسِيخِ ! قَالَ : مَا بَاتَ رَجُلٌ مِنْكُمْ مِنْذُ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ لَيْلَةً وَاحِدَةً مِنَ الدَّهْرِ
حَازِمًا .

قصة أبي لبابة

ثُمَّ إِنَّهُمْ بَعَثُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْ ابْعَثْ إِلَيْنَا أَبَا لُبَابَةَ
ابْنَ عَبْدِ الْمُذَنَّبِ ، أَخَا بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، وَكَانُوا حُلَفَاءَ الْأَوْسِ ، لَنَسْتَشِيرَهُ
فِي أَمْرِنَا ، فَأَرْسَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَامَ إِلَيْهِ
الرِّجَالُ ، وَجَهَّشَ إِلَيْهِ لِلنِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ يَبْكُونَ فِي وَجْهِهِ ، فَرَفَّقَ لَهُمْ ، وَقَالُوا
لَهُ : يَا أَبَا لُبَابَةَ ! أَتَرَى أَنْ نَنْزِلَ عَلَى حُكْمِ مُحَمَّدٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ
إِلَى حَنْفِهِ ، إِنَّهُ الذَّبْحُ . قَالَ أَبُو لُبَابَةَ : فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ قَدَمَايَ مِنْ مَكَائِهِمَا حَتَّى
عَرَفْتُ أَنِّي قَدْ خَفْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ انْطَاقَ أَبُو لُبَابَةَ عَلَى
وَجْهِهِ ، وَلَمْ يَأْتِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى ارْتَبَطَ فِي الْمَسْجِدِ إِلَى
إِلَى عُمُودٍ مِنْ عُمُدِهِ ، وَقَالَ : لَا أَبْرَحُ مَكَانِي هَذَا حَتَّى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيَّ مِمَّا

صنعت ، وعاهد الله : أن لا أطأ بنى قريظة أبداً ، ولا أرى في بلد خُنت الله
ورسوله فيه أبداً .

توبة الله على أبي لبابة

قال ابن هشام : وأنزل الله تعالى في أبي لبابة ، فيما قال سُفيان بن عُيينة ، عن
إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن أبي قتادة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . الأنفال : ٢٧ .

قال ابن إسحاق : فلما باع رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره ، وكان
قد استبطأه ، قال : أما إنه لو جاءني لاستغفرتُ له ، فأما إذ قد فعل ما فعل ، فما
أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه .

قال ابن إسحاق : خدثنى يزيد بن عبد الله بن قُسيط : أن توبة أبي لبابة
نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من السَّحَر ، وهو في بيت أم سَلَمَةَ .
(فقالت أم سَلَمَةَ) : فسمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من السَّحَر وهو
يضحك . قالت : فقلت : ممّ تضحك يا رسول الله ؟ أضحك الله سنك ؟ قال :
تريب على أبي لبابة ، قالت : قلت : أفلا أُبشِّرُهُ يا رسول الله ؟ قال : بلى ، إن
سئت . قال : فقامت على باب حجرتها ، وذلك قبل أن يُضرب عليهن الحجاب ،
فقالت : يا أبا لبابة ، أُبشِّرُ فقد تاب الله عليك . قالت : فثار الناس إليه يُطِيطونه
فقال : لا والله حتى يكون رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يُطلقني
بيده ، فلما مرَّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خارجاً إلى صلاة الصبح أخطقه .

قال ابن هشام : أقام أبو لبابة مُرتبطاً بالجذع ستَّ ليالٍ ، تأتيه امرأته في كلِّ وَقت صلاة ، فتجلبه للصلاة ، ثم يعود فيرتبط بالجذع ، فيما حدثني بعض أهل العلم والآية التي نزلت في توبته قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأَخْرُوجُوا عَنْكُمْ فَيُؤْمِنُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

إسلام بعض بني هذيل

قال ابن إسحاق : ثم إن ثعلبة بن سَعْيَةَ ، وأَسِيدَ بن سَعْيَةَ ، وأَسَدَ بن عُبَيْدٍ ، وهم نضر من بني هَذِلٍ ، ليسوا من بني قُرَيْظَةَ ولا النَّضِيرِ ، نَسَبُهُمْ فوق ذلك هم بنو عَمِّ القوم ، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قُرَيْظَةَ على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عمرو بن مُعَدَى

وخرج في تلك الليلة عمرو بن مُعَدَى القُرَظِيُّ ، فمرَّ بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه محمد بن مَسْلَمَةَ تلك الليلة ، فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن مُعَدَى - وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قُرَيْظَةَ في غدرهم - برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : لا أغدر بمحمد أبداً - فقال محمد بن مَسْلَمَةَ حين عرفه : اللهم لا تحرمني إقالة عَثَرَاتِ الْكَرَامِ ، ثم خَلَّى سبيله . فخرج على وجهه حتى أتى باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب فلم يُدْرَأَ أين توجه من الأرض إلى يومه هذا ، فذكر

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَأْنَهُ ، فَقَالَ : ذَاكَ رَجُلٌ نَجَّاهُ اللَّهُ بِوَفَائِهِ . وَبَعْضُ النَّاسِ يَزْعُمُ أَنَّهُ كَانَ أُوثِقَ بِرُمَّةٍ فَيَمِينُ أُوثِقَ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ ، حِينَ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَصْبَحَتْ رُمَّتُهُ مُلْقَاةً ، وَلَا يُدْرَى أَيْنَ ذَهَبَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ تِلْكَ الْمَقَالَةُ ، وَاللَّهِ أَعْلَمُ أَيْ ذَلِكَ كَانَ .

تَحْكِيمُ سَعْدِ بْنِ أَمْرِ بْنِ قُرَيْظَةَ وَرِضَاءِ الرَّسُولِ بِهِ

(قَالَ) فَلَمَّا أَصْبَحُوا نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَوَاتَبَتِ الْأَوْسُ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهُمْ مَوَالِينَا دُونَ الْخَزْرَجِ ، وَقَدْ فَعَلْتَ فِي مَوَالِي إِخْوَانِنَا بِالْأَمْسِ مَا قَدْ عَلِمْتَ . وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ بَنِي قُرَيْظَةَ قَدْ حَاصَرَ بَنِي قَيْنُقَاعَ ، وَكَانُوا حُلُقَاءَ الْخَزْرَجِ ، فَتَنَزَّلُوا عَلَى حُكْمِهِ ، فَسَأَلَهُ إِبَاهِمُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَنٍ سَلُولَ ، فَأَوْهَبَهُمْ لَهُ . فَلَمَّا كَلَّمَتْهُ الْأَوْسُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَلَا تَرَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ أَنَّ يَحْكُمَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَذَلِكَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَعَلَ سَعْدَ ابْنِ مُعَاذٍ فِي خَيْمَةِ لَامِرَأَةَ مِنْ أَسْلَمَ ، يُقَالُ لَهَا رُقَيْدَةُ ، فِي مَسْجِدِهِ . كَانَتْ تُدَاوِي الْجُرْحَى ، وَتَحْتَسِبُ بِنَفْسِهَا عَلَى خِدْمَةِ مَنْ كَانَتْ بِهِ ضَمِيمَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ لِقَوْمِهِ حِينَ أَصَابَهُ السَّهْمُ بِالْخَنْدَقِ : اجْعَلُوهُ فِي خَيْمَةِ رُقَيْدَةَ حَتَّى أَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ . فَلَمَّا حَكَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ ، أَنَاهُ قَوْمَهُ سَخَمَلُوهُ عَلَى حِمَارٍ

تهد وطئوا له بوسادة من أدم ، وكان رجلا جسيما جميلا ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحسن في مواليك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم - إنما وُلاكَ ذلك لتحسن فيهم ، فلما أكثروا عليه قال : لقد أتني إسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم . فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل ، فنعى لهم رجال بني قريظة ، قبل أن يصل إليهم سعد ، عن كلمته التي سمع منه . فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تقوموا إلى سييّدكم - فأما المهاجرون من قُريش ، فيقولون : إنما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار ، وأما الأنصار ، فيقولون : قد عمّ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وُلاكَ أمرَ مواليك لتحسّم فيهم ، فقال سعد بن معاذ : عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقه ، أن الحكم فيهم لما حكمتُ ؟ قالوا : نعم ، وعلى من هاهنا ، في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مُعرّض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالاً له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، قال سعد : فإني أحكم فيهم أن تُقتل الرجال ، وتُنقسم الأموال ، وتُسبى الذراري والنساء .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن علقمة بن وقاص اللَّيْثي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة :

قال ابن هشام : حدثني بعض من أتى به من أهل العلم : أن علي بن أبي طالب صاح وهم مُحاصرو بني قريظة : يا كَتِيبَةَ الْإِيمَانِ ، وَتَقَدَّمَهُ هُوَ وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا ذَوْقَنَ مَازَاقَ حَمْزَةٍ أَوْ لَا فَتَحَنَ حِصْنِهِمْ ، فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدَ ، نَزَلَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ .

تنفيذ الحكم في بني قريظة

قال ابن إسحاق : ثم استُنْزِلُوا ، فحبسهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة في دار بنت الحارث ، امرأة من بني النَجَّارِ ، ثم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة ، التي هي سوقها اليوم ، تخفدق بها خنَاق ، ثم بعث إليهم ، فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ فِي تِلْكَ الْخَنَاقِ ، يُخْرِجُ بِهِمْ إِلَيْهِمْ أَرْسَالًا ، وَفِيهِمْ عَدُوُّ اللَّهِ حَيٌّ بْنُ أَخْطَبَ ، وَكَعْبُ بْنُ أَسَدَ ، رَأْسُ الْقَوْمِ ، وَهُمْ سِتُّ مِائَةٍ أَوْ سَبْعَ مِائَةٍ ، وَالْمُكَثَّرُ لَهُمْ يَقُولُ : كَانُوا بَيْنَ الثَّمَانِ مِائَةٍ وَالتَّسْعِ مِائَةٍ . وَقَدْ قَالُوا لِكَعْبِ بْنِ أَسَدَ ، وَهُمْ يُذْهَبُ بِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَالًا : يَا كَعْبُ ، مَا تَرَاهُ يُصْنَعُ بِنَا ؟ قَالَ : أَفَى كُلِّ مَوْطِنٍ لَا تَنْفِقُونَ ؟ أَلَا تَرَوْنَ الدَّاعِيَ لَا يَنْزِعُ ، وَأَنَّهُ مِنْ ذُهِبَ بِهِ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُ ؟ هُوَ وَاللَّهُ الْقَتْلُ ! فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ الدَّأْبَ حَتَّى فَرَّغَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

مقتل حيي بن أخطب

وَأَتَى بِحَيِّ بْنِ أَخْطَبَ عَدُوُّ اللَّهِ ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ لَهُ فُجَاعِيَّةٌ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ :

فَمَاجِيَّةٌ : ضَرَبَ مِنَ الْوَشْيِ - قَدْ شَقَّهَا عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ قَدْرُ أُنْمُلَةٍ لثَلَا
يُسَدُّهَا ، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ بِجَبَلٍ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ مَا لَمْتُ نَفْسِي فِي عَدَاوَتِكَ ، وَلَكِنَّهُ مِنْ يُخَذِّلُ اللَّهَ
يُخَذَّلُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ لَا بَأْسَ بِأَمْرِ اللَّهِ ، كِتَابٌ
وَقَدَرٌ وَمَلْجَأَةٌ كَتَبَهَا اللَّهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، ثُمَّ جَلَسَ فَضَرِبَتْ عُنُقَهُ .

فَقَالَ جَبَلُ بْنُ جَوَّالِ التَّمَلُّبِي :

لَعَمْرُكَ مَا لَمْ ابْنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ وَلَكِنَّهُ مَنْ يُخَذِّلُ اللَّهَ يُخَذَّلُ
لِجَاهِدٍ حَتَّى أَبْلُغَ النَّفْسَ عُذْرَهَا وَقَلَّلَ بَيْنِي الْمَرْءَ كُلَّ مُقْلَقِلٍ

المرأة القتيل من بني قريظة

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَدْ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ
الزُّبَيْرِ ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ : لَمْ يَقْتُلْ مِنْ نِسَائِهِمْ إِلَّا امْرَأَةً وَاحِدَةً .
قَالَتْ : وَاللَّهِ إِنَّهَا لَعِنْدِي تَحَدَّثُ مَعِيَ ، وَتَضْحَكُ ظَهْرًا وَبَطْنًا ، وَرَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْتُلُ رَجُلَهَا فِي الشُّوقِ ، إِذْ هَتَفَ هَاتِفٌ بِاسْمِهَا : أَيْنَ فُلَانَةُ ؟
قَالَتْ : أَنَا وَاللَّهِ ، قَالَتْ : قُلْتُ لَهَا : وَيْلَكَ ، مَا لَكَ ؟ قَالَتْ : أَقْتُلُ ، قُلْتُ : وَلَمْ ؟
قَالَتْ : لِحَدِيثٍ أُحَدِّثُهُ ، قَالَتْ : فَاَنْطَلَقَ بَهَا ، فَضَرَبَتْ عُنُقَهَا ، فَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ :
فَوَاللَّهِ مَا أُنْسَى عَجَبًا مِنْهَا ، طَيِّبَ نَفْسِهَا ، وَكَثْرَةَ ضَحْكِهَا ، وَقَدْ عَرَفْتُ
أَنَّهَا تُقْتَلُ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَهِيَ الَّتِي طَرَحَتْ الرَّحَا عَلَى خِلَافِ بْنِ سُؤَيْدٍ ، فَقَتَلَتْهُ .

شأن الزبير بن باطا

قال ابن إسحاق : وقد كان ثابت بن قيس بن الشَّاس ، كما ذكر لي ابنُ شهاب الزُّهري ، أتى الزَّبير بن باطاً القرظيَّ ، وكان يُكنَّى أبا عبد الرحمن وكا الزبير قد منَّ على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية . ذكر لي بعضُ ولد الزبير أنه كان من عليه يوم بُعث ، أخذه فجزَّ ناصيته ، ثم خلى سبيله . فجاءه ثابت وهو شيخ كبير ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، هل تعرفني ؟ قال : وهل يُجهل مثلي مثلك ، قال : إني قد أردت أن أجزيك بيدك عندي ، قال : إن الكريم يجزي الكريم ، ثم أتى ثابت بن قيس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله إنه قد كانت للزَّبير علىَّ مَنَّةٌ ، وقد أحببت أن أجزيه بها ، فهب لي دمه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : هو لك ، فأتاه فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمك ، فهو لك ، قال : شيخ كبير لأهل له ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ؟ قال : فأتى ثابت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، هب لي امرأته وولده ، قال : هم لك . قال : فأتاه فقال : قد وهب لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهلَكَ وولدَكَ ، فهم لك ، قال : أهلُ بيتٍ بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، ماله ، قال : هو لك . فأتاه ثابت فقال : قد أعطاني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مالَكَ ، فهو لك ، قال : أيُّ ثابت ، ما فعل الذي كان وجهه مرآة صينية يترامى فيها حدَّاري الحَيَّ ، كعبُ بن أسد ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل سيِّد الحاضر

والبادي حُيَّي بن أُخْطَب ؟ قال : قُتِل ، قال : فما فعل مُقَدِّمَتنا إذا شددنا ،
وحاميتنا إذا فَرَرنا ، عَزَّال بن سَمُوَال ؟ قال : قُتِل ، قال : فما فعل المجلسان ؟
يعني بني كعب بن قُرَيْظَة وبني عَمْرُو بن قُرَيْظَة ؟ قال : ذهبوا قُتِلُوا . قال : فإني
أَسْأَلُكَ يا نَاطِب بِيَدِي عِنْدَكَ إِلَّا أَكَلْتَنِي بِالْقَوْم ، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء
من خير ، فما أنا بصابر لله قَتْلَةً دَلَوِنا ضَحِيحَةً حَتَّى أَلْقَى الْأَحْبَةَ . فَقَدَّمَهُ نَاطِب ،
فَضْرَبَ عُنُقَهُ .

فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله « أَلْقَى الْأَحْبَةَ » . قال : يَلْقَاهُمُ اللَّهُ فِي نَارِ
جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا .

قال ابن هشام : قَبْلَةَ دَاوُدَ نَاضِح . وقال زهير بن أبي سلمى في « قَبْلَةِ » :
وَقَابِلٍ يَتَمَنَّى كَلِّمًا قَدَرْتُ عَلَى الْعِرَاقِ يَدَاهُ قَائِمًا دَقَقًا
وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن هشام : وَيُرْوَى : وَقَابِلٍ يَتَمَلَّقِي ، يعني قَابِلُ الدَّلو يَتَنَاوَلُ .

عطية القرظي ورفاعة

قال ابن إسحاق : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بِقَتْلِ
كُلِّ مَنْ أَنْبَتَ مِنْهُمْ .

قال ابن إسحاق : وَحَدَّثَنِي شُعْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ ،
عَنْ عَطِيَّةِ الْقُرَظِيِّ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَمَرَ أَنْ يُقْتَلَ

من بنى قريظة كل من أنبت منهم ، وكنت غلاماً ، فوجدني لم أنبت ،
تخلوا سبيلى .

قال : وحدثني أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صغصعة أخو بنى
عدى بن النجار : أن سلمى بنت قيس ، أم المنذر ، أخت سليط بن أخت
سليط بن قيس - وكانت إحدى خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد
صلى مع القبلتين ، وبايعته بيعة النساء - سأله رفاعة بن سموأل القرظى ،
وكان رجلاً قد بلغ ، فلاذ بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك ، فقالت : يا نبي الله ،
بأبي أنت وأمي ، هب لي رفاعة ، فإنه قد زعم أنه سيصلى ويأكل لحم الجمل ،
قال : فوهبه لها فاستحيته .

الرسول صلى الله عليه وسلم يقسم في بنى قريظة

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بنى
قريظة ونساءهم وأبنائهم على المسلمين ، وأعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل
وسهمان الرجال ، وأخرج منها الخمس ، فكان للفارس ثلاثة أسهم ، للفرس
سهمان وللفارسه سهم ، وللراجل ، من ليس له فرس ، سهم . وكانت الخيل يوم
بنى قريظة ستة وثلاثين فرساً ، وكان أول فيز وقعت فيه السهمان ، وأخرج
منها الخمس ، فعلى سنتها ومامضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وقعت
المقاسم ، ومضت السنة في المغازى .

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الأنصاري أخا

بنى عبد الأشهل بسبايا من سبايا بنى قريظة إلى نجد ، فابتاع لهم بها خيلا
و—إلاها .

شأن ريحانة

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة
بنت عمرو بن خنافة ، إحدى نساء بنى عمرو بن قريظة ، فكانت عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفى عنها وهي في مِلْكِهِ ، وقد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم عَرَضَ عليها أن يتزوجها ، ويضرب عليها الحجاب ،
فقالت يا رسول الله ، بل تتركني في مِلْكِكَ ، فهو أخفّ عليّ وعليك ،
فتركها . وقد كانت حين سبها قد تعصّت بالإسلام ، وأبت إلا اليهودية ،
فمزّلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووَجِدَ في نفسه لذلك من أمرها . فبينما هو
مع أصحابه ، إذ سمع وقع نعلين خلفه ، فقال : إن هذا للثعلبة بن سَعْمَةَ يبشرني
بإسلام ريحانة ، فجاءه فقال يا رسول الله ، قد أسلمت ريحانة ، فسرّه ذلك
من أمرها .

ما نزل من القرآن في الخندق وبنى قريظة

قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى في أمر الخندق ، وأمر بنى قريظة من
القرآن ، القِصَّةَ في سورة الأحزاب ، يذكر فيها ما نزل من البلاء ، ونعمته
عليهم ، وكِفايته إياهم حين فرّج ذلك عنهم ، بعد مقالة مَنْ قال من أهل
النفاق : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ

جُنُودَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١٠٠﴾ وَالْجُنُودَ قَرِيشَ وَغَطَفَانَ وَبَنُو قُرَيْظَةَ ، وَكَانَتِ الْجُنُودُ الَّتِي أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَعَ الرِّيحِ الْمَلَائِكَةَ . يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِذْ جَاءَهُمْ كُنُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ، وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنَّوْنَا ﴾ . فَالَّذِينَ جَاءَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ بَنُو قُرَيْظَةَ ، وَالَّذِينَ جَاءَهُمْ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ . يَقُولُ اللَّهُ (تَبَارَكَ وَ) تَعَالَى : ﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا . وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ لِقَوْلِ مُعْتَبِرِ بْنِ كَثِيرٍ إِذْ يَقُولُ مَا قَالَ . ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ، إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ لِقَوْلِ أَوْسَ بْنِ قَيْظٍ وَمَنْ كَانَ عَلَى رَأْيِهِ مِنْ قَوْمِهِ ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ﴾ : أَيُّ الْمَدِينَةِ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الأقطار : الجوانب ، وواحد : قطر ، وهى الأقطار وهى واحدها : قطر .

قال الفرزدق :

كَمْ مِنْ غَنَى فَتَحَ إِلَهُ لَهُم بِهِ وَالْخَيْلُ مُقْعِمَةٌ عَلَى الْأَقْطَارِ

وَيُرْوَى : « عَلَى الْأَقْطَارِ » . وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةِ لَهُ .

﴿ ثُمَّ سَلُوا الْفِتْنَةَ ﴾ : أى الرجوع إلى الشرك ﴿ لَا تَوَهَاوَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا . وَاقْعَدُوا كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْثِرُونَ الْأَذْبَارَ ، وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴾ فهم بنو حارثة ، وهم الذين هموا أن يَفْشَلُوا يوم أُحُد مع نبي سلامة حين همّتا بالَفْشَل يوم أُحُد ، ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها أبداً ، فذكر لهم الذى أعطوا من أنفسهم ، ثم قال تعالى : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ قَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ، وَإِذَا لَا تُنْمَتُونَ إِلَّا قَلِيلًا * قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَنْفَعُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا ، أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ، وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْعَوَّيْنَ مِنْكُمْ ﴾ : أى أهل النفاق ﴿ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ، وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ : أى إلا دفعا وتمذيرا ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾ : أى لا تخفون الذى فى أنفسهم ﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَقْظُرُونَ إِلَيْكَ ، تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ : أى إعظاما له وفرقا منه ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ ﴾ : أى فى القول بما لا تحبون ، لأنهم لا يرجون آخرة ، ولا تحماهم حسنة ، فهم يهابون الموت هَيْبَةً من لا يرجو ما بعده .

تفسير ابن هشام لبض الغريب

قال ابن هشام : سلقوكم : بالفوا فيكم بالكلام ، فأحرقوكم وأذوكم .
تقول العرب : خطيب سلاق ، وخطيب مسلق ومِسْلَق . قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

ففيهم المجدُ والتماحةُ والفجدةُ فيهم والخطابُ السلاقُ

وهذا البيت في قصيدة له .

﴿ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ﴾ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانٌ ﴿ وَإِنْ يَأْتِ
الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ
يُولَوُا كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتُلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

ثم أقبل على المؤمنين فقال : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ : أى لئلا يَرِغَبُوا بأنفسهم
عن نفسه ، ولا عن مكانٍ هو به .

ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وَعَدَهُمُ اللَّهُ من البلاءِ يختبرهم به ،
فقال : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ،
وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ : أى صبراً على البلاءِ
وتسليماً للاقضاء ، وتصديقاً للحق ، لما كان الله تعالى وَعَدَهُمُ ورسوله صلى الله
عليه وسلم . ثم قال : ﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُمْ
مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ﴾ : أى فرغ من عمله ، ورجع إلى ربه ، كمن استشهد يوم
بَدْرٍ ويوم أُحُدٍ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : قضى نَحْبُهُ : مات ، والنحب : النفس ، فيما أخبرني
أبو عبيدة ، وجمعه : نحوب . قال ذو الرمة :

عَشِيَّةَ فَرَّ الْحَارِثِيُّونَ بَعْدَ مَا قَصَى نَجْبَهُ فِي مُلْتَقَى الْخَلِيلِ هَوْبَرٍ
وهذا البيت في قصيدة له . وهوبر : من بني الحارث بن كعب ، أراد :
يزيد بن هوبر . والنجب (أيضاً) : النذر . قال جرير بن الخطاف :

طِخْفَةَ جَالِدِنا الْمُلُوكَ وَخَيْلِنا عَشِيَّةَ بَسْطامٍ جَرِيرٍ عَلَى نَجْبٍ
يقول : على نذر كانت نذرت أن تقتله فقتلته ، وهذا البيت في قصيدة له .
وبسْطام : بسْطام بن قيس بن مسعود الشيباني ، وهو ابن ذى الجدين : حدثني
أبو عبيدة : أنه كان فارس ربيعة بن نزار . وطِخْفَةُ : موضع بطريق البصرة .
والنجب (أيضاً) : الخطار ، وهو : الرهان . قال الفرزدق :

وَإِذْ نَجَبْتُ كَلْبٌ عَلَى النَّاسِ أَيْنًا عَلَى النَّجْبِ أَعْطَى لِجَزِيلٍ وَأَفْضَلُ
وَالنَّجْبِ (أيضاً) : البكاء . ومنه قولهم ينتجب . والنجب (أيضاً) :
الحاجة والهمة ، تقول : مالى عندهم نجب . قال مالك بن نويرة الأيربوعي :
وَمَالِي نَجْبٌ عِنْدَهُمْ غَيْرَ أَنْبِي تَلَمَّسْتُ مَا تَبَغَى مِنَ الشُّدُنِ الشُّجُرِ
وقال نهار بن تَوْسِعَةَ ، أحد بني تيم اللات بن كَعْبَلَةَ بن عُسْكَابَةَ بن صعب
ابن علي بن بكر بن وائل .

قال ابن هشام : هؤلاء موال بني حنيفة :
وَنَجَّى يَوْسُفَ النُّفَى رَكْضٌ دِرَاكٌ بَعْدَ مَا وَقَعَ الْأَوَاهُ
ولو أذركمه لَقَضَيْنَ نَجْبًا بِهِ وَلِكُلِّ نُحْطَاءٍ وَقَاءُ

والنَّحْب (أيضاً) : السير الخفيف المرّ .

قال ابن إسحاق : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ﴾ : أى ما وعد الله به من نصره ،
والشهادة على ماضى عليه أصحابه . يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴾ :
أى ما شكوا وما تردّدوا فى دينهم ، وما استبدلوا به غيره . ﴿ لَيَجْزِيَ اللَّهُ
الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ، وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ ، أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، إِنَّ
اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ورد الله الذين كفروا بغضبهم : أى قريشاً وغطفان .
﴿ لَمْ يَمَالُوا خَيْرًا ، وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالِ ، وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾
وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب : أى بنى قريظة من
صياصيصهم ، والصياصى : الحصون والآطام التى كانوا فيها .

قال ابن هشام : قال سُهَيْمُ عَبْدُ بَنِي الْحُسَيْنِ ، وبنو الحسحاس من بنى
أسد بن خزيمة :

وَأَصْبَحْتَ الثَّيْرَانِ مَرْعَى وَأَصْبَحْتَ نِسَاءً تَمِيمٌ يَبْتَدِرْنَ الصَّيَاصِيَا ،
وهذا البيت فى قصيدة له . والصياصى (أيضاً) : القرون . قال النابغة
الجمدى :

وَسَادَةَ رَهْطَى حَتَّى بَقِيَتْ فَرْدًا كَصِيصَةِ الْأَعْصَبِ

يقول : أصاب الموت سادة رهطى . وهذا البيت فى قصيدة له . وقال
أبو دؤاد الإيادى :

فَدَعَرْنَا سُخْمَ الصَّيَاصَى بِأَيْدِيهِنَّ نَضَحَ مِنْ الْكُحَيْلِ وَقَارَ

وهذا البيت في قصيدة له . والصياصى أيضاً : الشوك الذى للنساجين ،
 «فما أخبرنى أبو عبيدة . وأنشدنى لدريد بن الصمة الجشمى ، جشم بن معاوية
 ابن بكر بن هوازن :

نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالرَّمَا حَ تَنُوشُهُ كَوَقْعِ الصَّيَاصَى فِي النَّسِيجِ الْمَمْدَدِ

وهذا البيت في قصيدة له . والصياصى (أيضاً) : التى تكون فى أرجل
 الديكة نائمة كأنها القرون الصغار ، والصياصى (أيضاً) : الأصول . أخبرنى
 أبو عبيدة أن العرب تقول : جذَّ الله صيبيته : أى أصله .

قال ابن إسحاق : ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، فَرِيقًا تَمُوتُونَ
 وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ : أى قتل الرجال ، وسبى الذرارى والنساء ، ﴿ وَأَوْزَنَكُمْ
 أَرْضَهُمْ وَيَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّوها ﴾ : يعنى خيبر ﴿ وَكَانَ اللَّهُ
 سَطْلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا .

إكرام سعد فى موته

قال ابن إسحاق : فلما انقضى شأن بنى قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه ،
 نفثت منه شهيداً .

قال ابن إسحاق : حدثنى معاذ بن رفاعة الزرقى ، قال : حدثنى من شئت
 من رجال قومي : أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
 قبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجراً بعمامة من إستبرق ، فقال : يا محمد ،

من هذا الميِّت الذي فُتحت له أبوابُ السماء ، واهتز له العرش ؟ قال : فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سريعاَ يجرُ ثوبه إلى سعد ، فوجده قد مات .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت : أقبلت عائشة قافلة من مكة ، ومعها أسيد بن حضير ، فلقية موتُ امرأة له ، فحزن عليها بعض الحزن ، فقالت له عائشة : يغفر الله لك يا أبا يحيى ، أتحنن على امرأة وقد أصيبت بآبن عمك ، وقد اهتز له العرش !

قال ابن إسحاق : وحدثني من لآأهم عن الحسن البصري ، قال : كان سعد رجلا بادِنا ، فلما حمله الناس وجدوا له خفة ، فقال رجالٌ من المنافقين : والله إن كان لبادنا ، وما حملنا من جنازة أخف منه ، فبأن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن له كحلةً غيركم ، والذي نفسى بيده ، لقد استبشرت الملائكة بروح سعد ، واهتز له العرش .

قال ابن إسحاق : وحدثني معاذ بن رِفاعه ، عن محمود بن عبد الرحمن ابن عمرو بن الجوح ، عن جابر بن عبد الله ، قال : لما دُفن سعد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فسبح الناس معه ، ثم كبر فكبر الناس معه ، فقالوا : يا رسول الله ، ممّ سيِّحت ؟ قال : لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره ، حتى فرَّجه الله عنه .

قال ابن هشام : وبجاز هذا الحديث قولُ عائشة : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : إنَّ للقبرَ لَضَمَّةً لو كان أحدُ منها ناجياً لكان سعدُ بنُ مُعَاذٍ .

قال ابن إسحاق : ولسعد يقول رجل من الأنصار :

وما اهتز عرش الله من موت هالك سمعنا به إلا لسعدِ أبي عمرو

وقالت أمُّ سعد ، حين احتُملَ نعشه وهي تبكيه - قال ابن هشام - وهي
كبيشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبد بن الأبحر ، وهو خُذْرَة بن
عَوْف بن الحارث بن الخزرج :

وَيْلَ أُمِّ سَعْدٍ سَعْدًا صَرَامَةً وَحَدًّا

وَسُودَدًا وَنَجْدًا وَفَارَسًا مُمَدًّا

سُدَّ بِهِ مَسَدًا يَقْدُ هَامًا قَدًّا

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلُّ نائمةٍ تَكْذِبُ ، إلا نائمةً

سعدِ بنِ مُعَاذٍ .

شهداء الغزوة

قال ابن إسحاق : ولم يُستشهد من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر .

ومن بني عبد الأشهل : سعدُ بنُ مُعَاذٍ ، وأنس بن أوس بن عتيك بن

همرو ، وعبد الله بن سهل . ثلاثة نفر .

ومن بني جُشَم بن الخزرج ، ثم من بني سامة : الطفيل بن النعمان ، و ثعلبة

ابن غفمة . رجلان .

ومن بنى النّجار ، ثم من بنى دينار : كعبُ بن زيد ، أصحابه سهم
- غَرْب ، فقتله .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : سَهْمُ غَرْبٍ وَسَهْمُ غَرْبٍ ، بإضافة وغير إضافة ، وهو
الذى لا يُعرف من أين جاء ولا من رمى به .

قتلى المشركين

وَقُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ .

من بنى عبد الدّار بن قُصَيٍّ : مُنَبِّه بن عثمان بن عُبَيْد بن السَّبَّاق بن
- عبد الدار ، أصحابه سهم ، فمات منه بمكة .

قال ابن هشام : هو عثمان بن أمية بن منبّه بن عبيد بن السباق .

قال ابن إسحاق : ومن بنى تخزوم بن يَظْظَةَ : نوفل بن عبد الله بن
المغيرة ، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيهم جَسَدَهُ ، وكان اتنعم
الخندق ، فتورّط فيه ، فقتل ، فعَلَبَ المُسلمون على جَسَدِهِ . فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : لا حاجة لنا في جَسَدِهِ ولا بشَمْنِهِ ، فخلّى بينهم وبينه .

قال ابن هشام : أعطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بجسده عشرة
آلاف درهم ، فيما بلغني عن الزُّهري .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عامر بن لُؤَيٍّ ، ثم من بنى مالك بن حِثْلٍ :

.....

عمرو بن عبد ود ، قتله علي بن أبي طالب رضوان الله عليه .

قال ابن هشام : وحدثني الثقة أنه حدث عن ابن شهاب الزهري أنه قال : قتل علي بن أبي طالب يومئذ عمرو بن عبد ود وابنه حنبل بن عمرو .
قال ابن شام : ويقال عمرو بن عبد ود ، ويقال : عمرو بن عبد .

شهداء المسلمين يوم بني قريظة

قال ابن إسحاق : واستشهد يوم بني قريظة من المسلمين ، ثم من بني الحارث بن الخزرج : خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو ، طرحت عليه رحي ، فشذخه شذخاً شديداً ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن له لأجر شهيدين .

ومات أبو سنان بن محصن بن حُرثان ، أخو بني أسد بن خزيمة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم محاصر بني قريظة ، فدُفن في مقبرة بني قريظة التي يذفنون فيها اليوم ، وإليه دفنوا أمواتهم في الإسلام .

البشارة بغزو قريش

ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني : إن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ، ولستكنكم تغزونها . فلم تغزهم قريش بعد ذلك ، وكان هو الذي يغزوها ، حتى فتح الله عليه مكة .

غزوة دُومَةَ الْجُنْدَلِ

قال أبو عُبَيْدٍ الْبَكْرِيُّ: سَمِيتَ دُومَةُ الْجُنْدَلِ بِدُومَى بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، كَانَتْ تَزَلُّهَا ^(١)

غزوة الخندق

وَحَفَرُ الْخَنْدَقِ لَمْ يَكُنْ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ ، وَلَسَكُنَّهُ مِنْ مَكَائِدِ الْفُرْسِ . وَحُرُوبُهَا ، وَلِذَلِكَ أَشَارَ بِهِ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ ، وَأَوَّلُ مَنْ خَنَدَقَ الْخَنْدَاقَ مِنْ مُلُوكِ الْفُرْسِ فِيمَا ذَكَرَ الطَّبْرِيُّ « مَنُوشَهْرُ بْنُ أَبِي جَرَّجٍ ^(٢) » بْنُ أَفْرِيدُونٍ ^(٣) وَقَدْ قِيلَ فِي أَفْرِيدُونٍ : إِنَّهُ ابْنُ إِسْحَاقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَكْثَرُهُمْ يَقُولُ فِيهِ : هُوَ ابْنُ أَنْقِيَّانَ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَخَذَ آلَةَ الرَّعْنِيِّ ، وَإِلَى رَأْسِ سِتِينَ سَنَةً مِنْ مُلْكِهِ بُعِثَ .

(١) يَصِفُهَا الْبَكْرِيُّ بِأَنَّهَا عَلَى عَشْرِ مَرَاحِلٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَعَشْرٍ مِنَ السَّكُوفَةِ ، وَثَمَانٍ مِنْ دِمَشْقَ ، وَاثْنَتَيْ عَشْرَةَ مِنْ مِصْرَ . وَسَمِيتَ بِدُومَانَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَزَلُّهَا .

(٢) هُوَ فِي الطَّبْرِيِّ : إِبْرَاجُ وَكَذَلِكَ فِي الزُّرْقَانِيِّ وَهُوَ يَنْقُلُ عَنِ الرُّوَضِ وَيَقُولُ ، عَنِ الطَّبْرِيِّ ص ٣٧٩ - ١ ط الْمَعَارِفُ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَنَدَقَ الْخَنْدَاقَ وَجَمَعَ آلَةَ الْحَرْبِ .

(٣) ذَكَرَهُ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ الطَّائِيُّ فِي شَعْرِهِ إِذْ قَالَ :

مَا نَالَ مَا قَدْ نَالَ فِرْعَوْنَ وَلَا هَامَانَ فِي الدُّنْيَا ، وَلَا قَارُونَ
بَلْ كَانَ كَالضَّحَّاكِ فِي سَطْوَاتِهِ بِالْعَالَمِينَ وَأَنْتَ أَفْرِيدُونُ
وَالْعَجَمُ يَزْعُمُونَ أَنَّ أَفْرِيدُونَ وَثَبَ بِالضَّحَّاكِ ، وَأَرْثَقَهُ وَصِيرَهُ بِجَبَالِ
دُبَابُونَدَوَاتِهِ إِلَى الْيَوْمِ مَوْثِقٌ فِي الْحَدِيدِ يَعْذِبُ ١١ ص ١٩٧ - ١ تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ .

موسى عليه السلام ، وقد تقدم ذكر الكمائن في الحروب ، وأن أول من فعلها
مُحَمَّدُ بْنُ قَوْلِ الطَّبْرِيِّ .

وذكر حمز بن قُرَيْبَةَ الْأَحْزَابِ ، وَنَسَبَ طَائِفَةً مِنْ بَنِي النَّضِيرِ ،
فَقَالَ فِيهِمُ النَّضِيرِيُّ ، وَهَكَذَا تَقِيدُ فِي النِّسْجَةِ الْعَتِيقَةِ ، وَتَقِيَّاسُهُ : النَّضِيرِيُّ
إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ قَوْلِهِمْ تَقَيَّيْتُ وَقُرَيْيْتُ^(١) ، وَهُوَ خَارِجٌ عَنِ الْقِيَّاسِ ،
وَإِنَّمَا يُقَالُ : فَعَلَيْتُ فِي النَّسَبِ إِلَى قَعِيلَةٍ .

عِيْنَةُ بِنِ مَعْصَرٍ :

وذكر قائد غَطَفَانَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ ، وَهُوَ عُمَيْيَةُ بْنُ حِصْنٍ ، وَاسْمُهُ
حُذَيْفَةُ ، وَتُسَمَّى : عُمَيْيَةُ لِشَتْرِ كَانَ بِعَيْنِهِ ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) هذا شاذ في فاعل بفتح الفاء وفعيل بضم الفاء . فالقياس فيها إبقاء
الياء . ولكن يقول السيرافي عن النسب إلى فاعل بضم الفاء . أما ما ذكره
سليوبه من أن النسبة إلى هذيل فهذا الباب عندي لكثرة كالأحراج عن
الشدوذ وذلك خاصة في العرب الذين بتأمة وما يقرب منها ، لأنهم قالوا : قرشي
وملحي وهذلي وفقمي ، وكذا قالوا في سليم وخشيم وقريم وحريق وهم من هذيل-
وكلها بضم الأول — سلمى وخشمى وقرمى وحرقى . وهؤلاء كلهم متجاوزون
بتأمة وما يدانيها ، والعلّة اجتماع ثلاث ياءات مع كسر في الوسط ، ص ٢٩
٢٠ شرح الشافيه للرضي . ويرى المبرد أن ما كان على فاعل وفعيل بالفتح في
الأولى والضم في الأخرى فأنك مخير في النسب إليهما بين حذف الياء وبقيائها
قياساً مطرداً فتقول في النسب إلى شريف وجعيل شريفي وجعيلي أو شرفي وجعلي .
أما مذهب السيرافي فيبدو أنه يشير إلى أن ما كان على فاعل بفتح الفاء فليس فيه
إلا إبقاء الياء .

الْأَحَقُّ الْمَطَاعُ ، لَأَنَّهُ كَانَ مِنَ الْجَرَّارِينَ تَتَبَعُهُ عَشْرَةُ آلَافٍ قَنَاقَةً ، وَهُوَ
الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ شَرَّ النَّاسِ مَنْ وَدَّعَهُ النَّاسُ اتَّقَاهُ شَرُّهُ ،
وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : أَنَّهُ قَالَ : إِنِّي أَدَارِيهِ ، لِأَنِّي أَخْشَى أَنْ يُفْسِدَ عَلَيَّ خَلْقًا كَثِيرًا ،
وَفِي هَذَا بَيَانٌ مَعْنَى الشَّرِّ الَّذِي اتَّقَى مِنْهُ ، وَكَانَ دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِغَيْرِ إِذْنٍ ، فَلَمَّا قَالَ لَهُ : أَيْنَ الْإِذْنُ ؟ قَالَ : مَا اسْتَأْذَنْتَ عَلَى مُضَرِّى قَبْلَكَ ،
وَقَالَ : مَا هَذِهِ الْحُمَيْرَاءُ مَعَكَ يَا مُحَمَّدُ ؟ فَقَالَ : هِيَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ :
كَلَّمَهَا ، وَأَنْزِلُ لَكَ عَنْ أُمِّ الْبَنِينَ ، فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ تَذَكَّرُ مِنْ جَفَائِهِ ، أَسْلَمَ ،
ثُمَّ ارْتَدَّ ، وَآمَنَ بِطُلَيْحَةَ حِينَ تَنْبَأُ وَأَخَذَ أَسِيرًا ، فَأَتَى بِهِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ أَسِيرًا ، فَمَنَّ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَزَلْ مُظْهِرًا لِلْإِسْلَامِ عَلَى جَفَوْتِهِ وَعُنْجُوبِيَّتِهِ
وَلَوْثَةِ أُعْرَابِيَّتِهِ حَتَّى مَاتَ . قَالَ الشَّاعِرُ :

وَأِنِّى عَلَى مَا كَانَ مِنْ عُنْجُوبِيَّتِي وَلَوْثَةِ أُعْرَابِيَّتِي لَا دِيبٌ ^(١)

وَذَكَرَ حَفَرَهُ الْخُنْدَقَ ، وَأَنَّهُ عَرَضَتْ لَهُ صَخْرَةٌ ، وَوَقَعَ فِي غَيْرِ السَّيِّرَةِ

(١) البيت في اللسان . وفيه عيديهيتى بدلا من عنجهيتى ، وأرب بدلا من أديب
والعنديهية : السكر . والعنجهية والعنديهية أيضا والعنديهية وعجرفية ، وشمخرة إذا كان
فيه جفاء . هذا وقد وصف بالاحق المطاع في حديث رواه سعيد بن منصور
مرسلا . وقد قيل عنه ذلك بعد أن سألت عائشة عنه بعد أن قال ما قال . وقد
أخرجه الطبراني موصلا من وجه آخر عن جرير بن عيينة بن حصن دخل على
النبي د ص ، فقال وعنده عائشة — من هذه الجلوسة إلى جانبك ؟ قال : عائشة .
قال : أفلا أنزل لك عن خير منها ؟ يعنى امرأته ، فقال له النبي : أخرج فاستأذن ،
فقال : إنما يمين على ألا استأذن على مضرى ، فقالت عائشة : من هذا ؟ فذكره .

عَبْلَةٌ وَهِيَ الصَّخْرَةُ الصَّمَاءُ ، وَجَمْعُهَا عِبَلَاتٌ وَيُقَالُ لَهَا الْعِبْلَاءُ وَالْأَعْبَلُ أَيْضًا ،
وَهِيَ صَخْرَةٌ بِيضَاءُ .

البرقات التي لمعت :

وذكر أنه أَمَعَتْ لَهُ مِنْ تِلْكَ الصَّخْرَةِ بَرْقَةٌ بَعْدَ بَرْقَةٍ ، وَخَرَّجَهُ النَّسَوِيُّ
مِنْ طَرِيقِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ بِأَنَّهُمْ قَعُوا فِي السَّيْرِ ، قَالَ : لَمَّا أَمَرَ نَارِسُ بْنُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ تَحْفَرِ الْخُنْدَقَ عَرَضَ لِنَاحِجٍ لَا يَأْخُذُ فِيهِ الْمِعْوَلُ ،
فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ وَقَالَ : بِسْمِ اللَّهِ ، فَضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ مُثْلَ الصَّخْرَةِ ،
وَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرَ أُعْطِيتُ مِفَاتِيحَ الشَّامِ ، وَاللَّهُ إِنِّي لَا أَبْصِرُ قُصُورَهَا الْخَمَرَ مِنْ
مَكَانِي هَذَا ، قَالَ : ثُمَّ ضَرَبَ أُخْرَى ، وَقَالَ : بِسْمِ اللَّهِ ، وَكَسَرَ مُثْلَهَا أُخْرَى ،
قَالَ اللَّهُ أَكْبَرَ أُعْطِيتُ مِفَاتِيحَ فَارِسَ ، وَاللَّهُ إِنِّي لَا أَبْصِرُ قُصُورَ الدَّائِنِ
الْأَبْيَضِ الْآنَ ، ثُمَّ ضَرَبَ ثَلَاثَةً وَقَالَ : بِسْمِ اللَّهِ ، فَقَطَعَ الْحَجَرَ ، وَقَالَ : اللَّهُ
أَكْبَرَ . أُعْطِيتُ مِفَاتِيحَ الْيَمَنِ ، وَاللَّهُ إِنِّي لَا أَبْصِرُ بَابَ صَنْعَاءَ [مِنْ مَكَانِي هَذَا
السَّاعَةَ] ^(١) . وَقَوْلُهُ : فَاسْأَلَا وَلَا مِسْحَاةً . الْمِسْحَاةُ : مِفْعَلَةٌ مِنْ سَحَوْتُ الطَّيْنِ ،
إِذَا قَسَرْتَهُ ، وَيُقَالُ لِحَدِّ الْفَأْسِ وَالْمِسْحَاةِ : الْغُرَابُ ، وَلَوْ صَلَّيْهُمَا : الْفِعَالُ بِكَسْرِ
الْفَاءِ ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ فِي حَدِيثِ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ التَّهْدِيُّ أَنَّهُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ ضَرَبَ فِي الْخُنْدَقِ قَالَ :

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالْفَسَائِي وَالزُّبَايْدَةُ مِنْ رَوَايَتِهِمَا . وَالطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو نَحْوَهُ ، وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ طَرِيقِ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
ابْنِ عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ وَتَمَّتْ خِلَافُ بَيْنِ رَوَايَتِهِمَا وَرَوَايَةُ السَّيْرِ
فَوَازَنَ بَيْنَ الرُّوَايَتَيْنِ .

بِسْمِ اللَّهِ وَبِهِ بَدِينَا * وَلَوْ عَبَدْنَا غَيْرَهُ شَقِينَا * حَبَّذَا رَبًّا وَحَبَّذَا دِينًا^(١)

(١) هو عند الحارث بن أبي أسامة من طريق سليمان بن طرخان التيمي عن أبي عثمان النهدي . وبدينا بكسر الدال يقال : بديت بالشيء بكسر الدال ، أى : بدأت به ، فلما خفف الهمز كسر الدال ، فانتقلت الهمزة ياء ، وليست الياء فيه أصلية . وقوله حبذا ديننا يجعل الرجز غير موزون إلا بإسكان ياء حبذا . والذي في الفتح والحلبية : حبذا رباً وحب ديننا . انظر ص ٣٣٢ ٢٠ وفتح الباري في غزوة الخندق .

وفي البخارى : كان النبي « ص » ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه أو أغمر بطنه يقول :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الآلى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا
وفي رواية أخرى عن البراء « فسمعت يرتجز بكلمات ابن رواحة ثم ذكر الرجز السابق . وقوله : إن الآلى قد بغوا ليس بموزون ، وتحريره إن الذين قد بغوا علينا . وفي رواية مسلم : أبوا بدلاً من بغوا أنظر ص ٣٣١ ٧ فتح الباري شرح صحيح البخارى . وفي البخارى أيضاً أنه خرج « ص » فرأى المهاجرين والأنصار يحفرون في غداة باردة ، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال :

اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة
فقالوا مجيبين له :

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً
وهذا قول ابن رواحة . وقد قال الداودي : إنه قاله : لا هم ، فأورده بعض الرواة على المعنى ، وقيل ليس كذلك بل يكون دخله الخرم ومن صورته زيادة شيء من حروف المعاني في أول الجزء ، والجزء الثاني أيضاً غير موزون . وفي رواية : فبارك بدل : فاغفر

تحقيق اسم زغابة :

وقوله : حتى نزلوا بين الجُرُفِ وزَغَابَةٍ . زَغَابَةُ اسمٌ موضع بالغين المنقوطة والزَّأى المفتوحة ، وذكره البكري بهذا اللفظ بعد أن قدم القول بأنه زُغَابَةٌ بضم الزأى والعين المهملة ، وحكى عن الطَّبري أنه قال في هذا الحديث بين الجُرُفِ والغَابَةِ ، واختار هذه الرواية وقال : لأن زَغَابَةً لا تُعْرَفُ . قال المؤلف : والأعْرَفُ عندي في هذه الرواية رواية مَنْ قال : زَغَابَةٌ بالغين المنقوطة ، لأن في الحديث المسند أنه عليه السلام ، قال في ناقةٍ أهداها إليه أَعْرَابِي ، فكافاه بَيْتٌ بَكْرَاتٍ ، فلم يرض ، فقال عليه السلام : أَلَا تَعْجِبُونَ لهذا الأَعْرَابِي ! أَهْدَى إِلَيَّ نَاقَةً أَعْرَفُهَا بَعِينَهَا ، كما أعرف بعض أهل ذَهَبِ مَنَى يوم زَغَابَةِ^(١) ، وقد كافأته بَيْتٌ قَسَخِطٌ . الحديث ، وقال : ذَنْبٌ نُقِمَ وَنَقِمَى مَعَا .

يفتل في الذروة والغارب :

وذكر حُصَيْنُ بْنُ أَخْطَبٍ ، وما قال لكعب ، وأنه لم يَزَلْ يَفْتَلُ في الذَّرْوَةِ والغَارِبِ . هذا مَثَلٌ ، وأصله في البعير ، يَسْتَصْعَبُ عَلَيْكَ فَتَأْخُذُ الْقُرَادَ مِنْ ذُرْوَتِهِ وَغَارِبِ سِنَامِهِ ، وَتَفْتَلُ هُنَاكَ ، فَيَجِدُ الْبَعِيرُ لَذَّةً فَيَأْنَسُ عِنْدَ ذَلِكَ^(٢) ، فَضَرِبَ هَذَا الْكَلَامُ مَثَلًا فِي الْمَرَاوِضِ وَالْمَحَاتِلِ ، وكذلك جاء في حديث

(١) ولكن يقول الخشني : د كذا وقع هنا بالراء مفتوحة ، وزغابة بالراء

المفتوحة هو الجيد وكذلك رواه الوقشي ، ص ٣٠١ .

(٢) فسر الخشني بقوله : أراد بذلك أنه لم يزل يتخذه كما يتخذ البعير إذا

كان نافرأ فيمسح باليد على ظهره حتى يستأنس ، فيجعل الخطام على رأسه .

ابن الزبير حين أراد عائشة على الخروج إلى البصرة^(١) ، فأبت عليه ، فجعل
يقتل في الذروة والغارب حتى أجابته . وقال الخطيئة :

لعمرك ما قرأ دُ بني بغيض إذا نزع القرادُ بمسطاع^(٢) .
يريد : أنهم لا يحدعون ولا يستدلون .

اللمحة :

وذكر قول النبي - صلى الله عليه وسلم - الخنوا إلى خنأ أعرفه ، ولا تفثوا .
في أعضاد الناس .

الآخن : العُدول بالكلام على الوجه المعروف عند الناس إلى وجه لا يعرفه .
إلا صاحبه ، كما أن الآخن الذي هو الخطأ عُدُولٌ عن الصواب المعروف .

قال السيرافي : ما عرفت حقيقة معنى النَّجْوِ إِلَّا من معنى الآخن الذي
هو ضده ، فإن الآخن عُدُولٌ عن طريق الصواب ، والنَّجْوُ قصدٌ إلى
الصواب ، وأما الآخنُ بفتح الحاء ، فأصله من هذا إلا أنه إذا خن لك لِقْفَهُمْ
عنه ، ففهمت سُمِّيَ ذلك الْفَتْهُمْ خَنًا ، ثم قيل لكل من فَهِمَ قد خَنَ بكسر

(١) يقول ابن قتيبة في ضبطها : مسكنة الصاد ، وكسرها خطأ ، فإذا حذفوا
الهاء قالوا : البصر ، فكسروا الباء ، وإنما أجازوا في النسب بصري لذلك .
ص ٢٠ ، أدب الكاتب ، وانظر معجم البكري . وفي القاموس البصرة بلد
وموضع ويكسر ويحرك وبكسر الصاد ، أو هو معرب بس راه ، أي كثير الطرق .
(٢) البيت في اللسان وفيه كليب بدلًا من : بغيض ، وقد لسهه الأزهري
الأخطل .

الحاء ، وأصله ما ذكرناه من الفهم عن اللحن^(١) قال الجاحظ في قول مالك
ابن أسماء [بن خازجة الفزاري] :

مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلَحُّنٌ أَحْيَا نَا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لِحْنًا^(٢)

أراد أَنَّ اللَّحْنَ الَّذِي هُوَ الْخَطَأُ فَيُسْتَمَاعُ ، وَيُسْتَقَابُ مِنَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثِ
السَّرِّ ، وَخُطِئَ الْجَاظُ فِي هَذَا التَّأْوِيلِ^(٣) ، وَأَخْبِرَ بِمَا قَالَهُ الْحِجَاجُ بْنُ

(١) في اللسان : اللحن واللعن — بالسكون في الحاء الأولى والفتح في الثانية .
والاحانة واللاحان ترك الصواب في القراءة والنشيد . وفيه أيضاً : اللحن —
بفتح الحاء — الفطنة .

(٢) يريد : أنها تتكلم بشئ . وهي تريد غيره ، وتعرض في حديثها ، تنزله عن
جهته من فطنتها . وفسر القائل قوله : وتلحن أحياناً : تصيب ، وذكر أن اللحن بفتح
الحاء هو الفطنة . قال : وربما أسكنوا الحاء في الفطنة ، وقال : لحن الرجل يلحن
بفتح الحاء لحناً فهو لاحن إذا أخطأ ، ولحن يلحن بكسر الحاء في الماضي وتفتحها
في المضارع . فهو لحن بفتح فكسر إذا أصاب وفطن . واستشهد بالبيت ويدت قبله .

(٣) قال الجاحظ : وقد قال مالك بن أسماء في استصلاح اللحن من بعض نساءه :

أَمَغْطَى مَنَى عَلَى بَصْرِى لِلْحَبِّ أَمْ أَنْتَ أَكْمَلُ النَّاسِ حَسَنًا
وَحَدِيثُ أَلْذِهِ هُوَ مِمَّا تَشْتَبِيهِ النَّفُوسُ يَوْزَنُ وَزَنًا

ثم ذكر البيت الذي في الروض

وقال في موضع آخر : وقال مالك بن أسماء في بعض نساءه : وكانت

لأنصيب الكلام كثيراً وربما لحنت ثم ذكر ثلاثة الأبيات ص ١٤٧ ، ٢٢٥ ، ١٦٠

البيان والتبيين بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، وانظر ص ٥٩٩ من أمالي

ثعلب بتحقيق الأستاذ الفاضل وقد أنشد ابن الأنباري في كتاب الاضداد

البيت وبيتاً قبله ، وقال : أى أبو العباس : أراد بتلحن : تصيب وتفطن ،

وأراد بقوله : ما كان لحناً : ما كان صواباً . ونقل قول ابن قتيبة : وهذا =

يُوسُفَ لامرأته : هِنْد بنتِ أَسماء بن خَارجة ، حينَ لَحَمَتْ ، فأنكر عليها ،
اللعنَ فاحتجت بقول أخيها مالك بن أسماء :

وخيّرُ الحديثِ ما كانَ لحناً

فقال لها الحجاجُ : لم يُرِدْ أخوك هذا ، إنما أراد اللحنَ الذى هو
التَّوْزِيَةُ والألغازُ ، فسكتت ، فلما حَدَّثَ الجاحظُ بهذا الحديث ، قال : لو كان
بلغنى هذا قبل أن أُؤلف كتابَ البيان ما قلت فى ذلك ما قلت ، فقل له :
أفلا تُغيِّره ؟ فقال : كيف وقد سارت به البيغالُ الشُّبُّ وأُتِمِّدَ فى البلادِ وغار .
وكما قال الجاحظ فى معنى تَلَحَّنَ أحياناً قال ابن قتيبة مثله أو قريباً منه ^(١)

الشاعر استملح من هذه المرأة ما يقع فى كلامها من الخطأ ، ثم رد قول ابن قتيبة بقوله :
وقوله عندنا محال ، لأن العرب لم تزل تستقيح اللحن من النساء كما تستقيحه من
الرجال الخ ص ٢١٠ ط الحسيفية . وقد ذكر ابن قتيبة بعد البيت أربعة أبيات
أخرى . كما نقل ثلاثة الأبيات فى ص ٢١٠ من مقدمته لكتابه عيون الأخبار ، ونقلها
أيضاً فى ص ١٦١ ، ١٦٢ و ٢٣٠ ونقل تعليق ابن دريد على الأبيات ، وهو
قوله : استملح منها الإعراب .

(١) يقول الأستاذ عبد السلام هارون فى تعليقه على أمالى ثعلب ، وقد نبه
الجاحظ إلى خطئه فاعترف به ، وقصته واعترافه فى تاريخ بغداد د ١٢ : ٢١٤ ،
ومعجم الأدباء (٦ : ٦٥) مرجليوث ص ٥٩٩ أمالى ثعلب . هذا وقد قال
الحجاج لهند لما لحنت : أتلحنين وأنت شريفة ، وفى بيت قيس ، فاستشهدت
بقول أخيها كما ذكر السهيلي ، فقال لها : إنما عنى أخوك اللحن فى القول إذا كنى
المحدث عما يريد ، ولم يعن اللحن فى العربية ، فأصلحى لسانك . وانظر ص ١١ ،
١٢ من أمالى المرتضى ، ففيها بيان خطأ الجاحظ واعترافه بهذا الخطأ ، ونص
المرتضى على خطأ ابن قتيبة حين ذكر فى كتابه عيون الأخبار أبيات الفزارى
يعتذر بها عن لحن أصيب فى كتابه — كما يقول المرتضى ط ١ .

وقوله : يَفْتُ في أَعْضَادِ النَّاسِ ، أى يَكْسِرُ من قُوَّتِهِمْ وَيُوهِنُهُمْ ، وضرب
الْمُضْدَ مثلاً ، وَالْفَتْ : الْكَسْرُ ، وقال : في أَعْضَادِهِمْ ولم يقل : يَفْتُ أَعْضَادَهُمْ ،
لأنه كنايةٌ عن الرُّغْبِ الدَّخْلِ في القلب ، ولم يُرِدْ كَسْرًا حَقِيقِيًّا ، ولا الْمُضْدَ
الذى هو الْمَضُوءُ ، وإنما هو عبارة عما يَدْخُلُ في القلب مِنَ الْوَهَنِ ، وهو
من أَفْصَحِ الْكَلَامِ .

وَذَكَرَ أَوْسَ بْنَ قَيْظِيٍّ ، وهو القائل : ﴿ إِنْ بَيُّوْنَا عَوْرَةً ﴾ وابنه :
عَرَابَةُ بْنُ أَوْسٍ كَانَ سَيِّدًا ، وَلَا صُحْبَةَ لَهُ ، وقد قيل : له صحبة ، وقد ذكرناه
فِيمَنْ اسْتُصْغِرَ يَوْمَ أُحُدٍ ، وهو الذى يقول فيه الشَّامُخُ :

إِذَا مَارَايَةُ رُفِقَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ ^(١)

وَلِعَرَابَةَ أَخٌ اسْمُهُ : كَبَائِمَةُ مَذْكُورٌ فِي الصَّحَابَةِ أَيْضًا .

مصالح الأعراب :

فصل : وذكر ما همَّ به النبي صلى الله عليه وسلم من مُصَالَحَةِ الْأَحْزَابِ
عَلَى مُلْكِ تَمَرِ الْمَدِينَةِ ، وفيه من الفقه جوازُ إعطاء المالِ لِلْقَدْوِ ، إِذَا كَانَ
فِيهِ نَظَرٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَحِيطَاةٌ لَهُمْ ، وقد ذكر أبو عبيد هذا الخبر ، وأنه أُمِرَ

(١) معناها كما يقول البكري في السمت : القوة أو الحق . ومن القصيدة :

إِذَا بَلَّغْتَنِي وَحَلَمْتَ رَحْلِي عَرَابَةُ فَاشْرُقِ بِدَمِ الْوَتِينِ
فَنَعَمَ الْمُرْتَجَى رَحَلْتُ إِلَيْهِ رَحَى حَيَزُومَهَا كَرَحَى الطَّحِينِ

مَعْمُولٌ بِهِ ، وَذَكَرَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَالِحَ مَلِكِ الرُّومِ عَلَى السَّكْفِ عَنْ ثُغُورِ الشَّامِ بِمَالٍ دَفَعَهُ إِلَيْهِ ، قِيلَ : كَانَ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَأَخَذَ مِنَ الرُّومِ رُهْنًا ، فَغَدَرَتِ الرُّومُ ، وَنَقَضَتِ الصَّالِحَ ، فَلَمْ يَرِ مُعَاوِيَةَ قَتَلَ الرَّهَائِنَ ، وَأَطْلَقَهُمْ ، وَقَالَ : وَقَلَا بَغْدِيزٌ خَيْرٌ مِنْ غَدْرِ بَغْدِيزٍ ، قَالَ : وَهُوَ مَذْهَبُ الْأَوْزَاعِيِّ وَأَهْلِ الشَّامِ إِلَّا تُقْتَلَ الرَّهَائِنُ ، وَإِنْ غَدَرَ الْعَدُوُّ .

سَلَامَةُ مَنَا :

وَذَكَرَ قَوْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : سَلَامَانُ مِثْلُ أَهْلِ الْبَيْتِ بِالنَّصَبِ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ ، أَوْ عَلَى إِضْطَارِّ أَعْنَى ، وَأَمَّا الْخَفِضُ عَلَى الْبَدَلِ ، فَلَمْ يَرَهُ سَيْبُوِيَّةُ جَائِزًا مِنْ ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ ، وَلَا مِنْ ضَمِيرِ الْمُخَاطَبِ ، لِأَنَّهُ فِي غَايَةِ الْبَيَانِ ، وَأَجَازَةِ الْإِخْفَاشِ .

مَوْلِ مَبَارِزَةِ ابْنِ أَدِ الْعَلِيِّ :

فَصَلَ : وَذَكَرَ خَبَرَ عَمْرِو بْنِ أَدِّ الْعَامِرِيِّ ، وَمَبَارِزَتَهُ لِعَلِيِّ إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ ، وَوَقَعَ فِي مَغَازِي ابْنِ إِسْحَاقَ مِنْ غَيْرِ رِوَايَةِ ابْنِ هِشَامٍ عَنِ الْبَيْهَقِيِّ فِيهَا زِيَادَةٌ حَسَنَةٌ ، رَأَيْتُ أَنْ أُورِدَهَا هُنَا تَتِمِيمًا لِلْخَبَرِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : إِنْ عَمْرُو بْنُ أَدِّ ^(١) خَرَجَ فَنَادَى : هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ ؟ فَقَامَ عَلِيٌّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَهُوَ مُقَنَّعٌ بِالْحَدِيدِ ، فَقَالَ : أَنَا لَهُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، فَقَالَ : إِنَّهُ عَمْرُو أَجْلَسَ ، وَنَادَى عَمْرُوًّا أَلَا رَجُلٌ يُوَدِّيهِمْ ، وَيَقُولُ : أَيْنَ جَمْعُكُمْ ؟ الَّتِي تَزْعُمُونَ أَنَّهُ مَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ دَخَلَهَا ، أَفَلَا تُبْرِزُونَ لِي رَجُلًا ، فَقَامَ عَلِيٌّ ،

(١) فِي السَّيْرَةِ : وَد . وَكَانَ سَنَهُ كَمَا ذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ تَسْمَعِينَ عَامًا .

. :

فقال : أنا يارسل الله ، فقال : اجلس إنه عمرو ، ثم نادى الثالثة وقال :

ولقد بَحَثْتُ مِنَ النَّدَا ۖ بِمَجْمَعِكُمْ هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ ؟
وَوَقَفْتُ إِذْ جَاءَ بَيْنَ الْمَشَا ۖ جَمْعُ مَوْقِفِ الْقِرْنِ الْمُتَاجِزِ
وكذلك إني لم أَزَلْ مُتَسَرِّعًا قَبْلَ الْهَزَاهِزِ (١)
إِنَّ الشَّجَاعَةَ فِي الْفَتَى ۖ وَالْجُودَ مِنْ خَيْرِ الْغَرَائِزِ

فقام على ، فقال يارسل الله ، أنا له فقال : إنه عمرو ، فقال : وإن كان
عمراً ، فأذن له النبي - صلى الله عليه وسلم - فمشى إليه على ، حتى أتاه وهوية ول

لَا تَعْجَلَنَّ فَقَدْ أَنَا كَمُجِيبِ صَوْنِكَ نَيْرَ عَاجِزٍ
ذُو نَبِيَّةٍ وَبَصِيرَةٍ ۖ وَالصَّدْقُ مُنْجِي كُلِّ قَائِزٍ
إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَفِي بِمِ عَلَيْكَ نَائِمَةِ الْجَنَائِزِ
مِنْ ضَرَبَةِ نَجْلَاءِ يَتِي قِي ذَكَرُهَا عِنْدَ الْهَزَاهِزِ

فقال له عمرو : من أنت ؟ قال : أنا على ، قال : ابن عبد مناف ؟ فقال : أنا
ابن أبي طالب ، فقال : غيرك يا ابن أخي من أَعْمَامِكَ مَنْ هُوَ أَسْنُ مِنْكَ ، فإني
أكره أن أُهْرِيقَ دَمَكَ ، فقال له على رضى الله عنه : ولكني والله لا أكره
أن أُهْرِيقَ دَمَكَ ، فغضب ونزل فسل سيفه ، كأنه شُعْلَةُ نَارٍ ، ثم أقبل
نحو عَامِي مُغْضِبًا ، وذكر أنه كان على فَرَسِهِ ، فقال له على : كيف أقاتلك ،

وَأَنْتَ عَلَى قَرْسِكَ ، وَلَكِنْ أُنْزِلْ مَعِيَ ، فَنَزَلَ عَنْ قَرْسِهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ نَحْوَهُ عَلَى تَمٍّ ،
وَاسْتَقْبَلَهُ عَلَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِدَرْقَتِهِ ^(١) ، فَضْرِبَهُ عَمَرُو فِيهَا فَقَدَّهَا وَأَثَبَتْ
فِيهَا السِّيفَ ، وَأَصَابَ رَأْسَهُ فَشَجَّهُ ، وَضْرِبَهُ عَلَى عَلَى حَبْلِ الْعَانِقِ ، فَسَقَطَ ،
وَنَارَ الْمَجَاجُ ، وَبَسَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّكْبِيرَ ، فَقَرَفَ أَنْ عَلِيًّا
- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَدْ قَتَلَهُ ، ثُمَّ يَقُولُ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

أَلَيْ تَقْتَحِمُ الْفَوَارِسُ هَكَذَا عَنِ وَعَنْهُ أَخْرُوا أَصْحَابِي
فَالْيَوْمَ تَمْنَعُنِي الْفَرَارَ حَفِيطِي وَمُصَمِّمٌ فِي الرَّاسِ لَيْسَ بِنَابِي
أَدَى مُعْمِرٍ حِينَ أَخْلَصَ صَقْلَهُ صَافِي الْحَدِيدَةِ يَسْتَفِيضُ ثَوَابِي
فَقَدَوْتُ أَلْتَمِسُ الْقَرَاعَ بِمُرْهَفٍ عَضْبٍ مَعَ الْبَثَاءِ فِي أَقْرَابِ
قَالَ ابْنُ عَبْدِ حِينَ شَدَّ أَلِيَّةً وَحَلَفْتُ فَاسْتَمَعُوا مِنَ الْكَذَّابِ
أَلَا يَفِرُّ وَلَا يُهْلَلُ فَالْتَقَى رَجُلَانِ بِلَتَقِيَّانِ كُلِّ ضِرَابِ

وبعده : نصر الحجارة إلى آخر الأبيات ، إلا أنه روى : عَبْدَ الْحِجَارَةِ ،
وَعَبْدَتُ رَبِّ مُحَمَّدٍ ، وروى في موضع : وَلَقَدْ بَحِثْتُ : وَلَقَدْ عَجِبْتُ ،
ويروى : فَالْتَقَى أَسْدَانُ يَضْطَرِبَانِ كُلِّ ضِرَابِ ، وفيه إنصاف من عليٍّ -
رضي الله عنه - لقوله : أَسْدَانُ ، ونسبه إلى الشَّجَاعَةِ وَالنَّجْدَةِ . وقوله : أَدَى
عَمِيرٍ إِلَى قَوْلِهِ ثَوَابِي ، أَى أَدَى إِلَى ثَوَابِي ، وَأَحْسَنَ جَزَائِي حِينَ أَخْلَصَ صَقْلَهُ ،

(١) الدرقة : النرس من جلد ايس خشب ولا عقب ، والعقب هو القصب
الذى تعمل منه الآوتار .

ثم أقبل نحو النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو مُهْدَلٌ ، فقال له عمر بن الخطاب :
رضى الله عنه : هَلَّا سَلَبْتَهُ دِرْعَهُ ، فإنه ليس في العرب دِرْعٌ خير منها ، فقال :
إني حين ضربته استقبلاني بِسَوَاتِهِ ، فَاسْتَحْيَيْتُ ابن عَمِي أَن أَسْقَلِيَهُ ، وخرحت
خيلهم مُنْهَزِمَةً حتى اتهمت الخندقَ هاربةً ، فن هنا لم يأخذُ عليٌّ سَدَبَهُ ،
وقيل تنزه عن أخذها ، وقيل : لِمَهم كانوا في الجاهلية إذا قتلوا القَتِيلَ
لا يسلبونه ثيابه .

وقول عمرو لملي : والله ما أحب أن أقتلك ، زاد فيه غيره : فإن أباك كان
لى صديقاً ، قال الزبير : كان أبو طالب يُنَادِمُ مُسَافِرَ بن أبي عمرو ، فلما هلك
اتخذ عمرو بن ودٍّ نديماً ، فلذلك قال لملي حين بارزه ما قال .

الفرعل :

وقول حسان في عكرمة :

كَأَنَّ قَفَاكَ قَفَا فُرْعُلٍ

الْفُرْعُلُ : وَلَدُ الضَّيْعِ .

وذكر قول سعد :

لَيْتَ قَلِيلًا يَبْلُغِي التَّهِيَّجَا حَمَلٍ

هو بيت تمثّل به عُنَى به حَمَلُ بن سعدانة بن حارثة بن مَعْقِلِ بن كَعْبِ
ابن عُليم بن جَنَابِ الكَلْبِيِّ . وقوله يَرْقُدُ^(١) بالحربة أى : يُسْرِعُ بها ، يقال :
ارْقُدْ وارْمَدْ بمعنى واحد . قال ذو الرُّمَّة :

(١) في السيرة : يرفل .

يَرْقُدُ فِي أَثَرِ عَرَّاضٍ وَتَتَّبِعُهُ صَهْبَاءُ شَامِيَّةٌ عُنُونُهَا حَصْبٌ^(١)

يعنى الريح .

ابن العرقفة وأسم سعد :

وابن العرقفة الذي رعى سعداً هو حَبَّانُ بن قَيْسِ بن العَرِيقَةِ ، والعَرِيقَةُ هي قِلَابَةُ بنت سَعِيدِ بن سَعْدِ بن سَهْمٍ [بن سَهْمِ بن عمرو بن هُصَيْنِ بن كعب ابن لؤي] تُكْنَى أُمُّ فَاغْلَمَةِ ، سُمِّيَتْ الْعَرِيقَةُ لِطَيْبِ رِيحِهَا ، وهي جَدَّةُ خَدِيجَةَ أُمِّ أُمِّهَا هَالَةَ ، وَحَبَّانُ هو ابنُ عَبْدِ مَنَافٍ بن مُنْذِرٍ بن عَمْرٍو بن مَعِيصٍ بن عَامِرِ ابنِ لُؤَيٍّ^(٢) .

(١) البيت في اللسان وفيه عراض وحفيف ناجية بدلا من عراض وصهباء شامية ، وعراض خطأ وقد روى الشطره الثانية في مادة حصب كما رواها هنا . وروى البيت كله في مادة عرص وشطرته الاولى هكذا يرقد في ظل عراض ويطرده . . . الخ

وقبل البيت :

حتى إذا الميق أمسى أفرخه وهن لا، وبس نايأ ولا كشب
والبيت في وصف ظليم .

انظر ص ٧٩٨ سطر اللآلى ص ١٨٠ > ٢ ط ٢ .

(٢) في نسب قریش : عبد مناف بن الحارث بن منقذ الخ ص ٢٢ ، ٤١٢ ويقول عنه إنه آخر هالة لآيها وأما . وعند الحافظ في الفتح عنه فيما شرح به لفظ البخاري ، وهو حبان بن قيس ، . ويقال : ابن أبي قيس بن علقمة ابن عبد مناف

وَأَمَّ سَعْدُ اسْمَهَا : كَذِبَتْهُ بَذْتُ رَافِعُ [بن عبيد] ^(١)

حول اهتزاز العرش

وحديث اهتزاز العرش ثابت من وجوه ^(٢) ، وفي بعض النسخ أن جبريل

(١) هي من الانصار من بنى خدرة ، وقد ذكر ابن سعد أنها أول من بايع النبي وحن من نساء الانصار .

(٢) رواه الشيخان من حديث جابر ، وثبت — كما قيل — عن عشرة من الصحابة أو أكثر . وقال الحاكم : الا حديث الذي تصرح به اهتزاز عرش الرحمن منخرجة في الصحيحين ، وليس لمعارضها في التصحيح ذكر . وسيأتي حديث السهيلي عن هذا .

وقد أنكر مالك هذا الحديث ، وكره القحدث به . فقد سئل — كما روى صاحب العتبية — عن هذا الحديث ، فقال : أنك أن تقول له وما يدعو المرء أن يتكلم بهذا ، وما يدري ما فيه المخرور . ويقول العمري من إنكار مالك : إن العلماء اختلفوا في هذا الخبر ، فمنهم من يحمله على ظاهره ، ومنهم من يؤوله ، وما هذا سبيله من الاخبار المشككة ، فمن الناس من يكره روايته إذا لم يتعلق به حكم شرعي ، فلعل الكراهة المروية عن مالك من هذا القسط . ويقول أبو الوليد بن رشد في شرح العتبية : إنما هي مالك لتلا يسبق إلى وهم الجاهل أن العرش إذا تحرك يتحرك الله بحركته ، كما يقع للجالس منا على كرسيه ، وليس العرش بموضع استقرار الله تبارك الله وتزه عن مشابهة خلقه . ولكن مالك من رواة حديث النزول وهو أصرح في إثبات الحركة . فقل : لعل حديث سعد لم يثبت عنده كما ثبت حديث النزول . لكن لو كان الأمر كذلك لقال مالك : ليس بثابت ، أو لا أعرفه أو ما سمعته أو نحو ذلك . وكان ابن عمر يقول : إن العرش لا يهتز لأحد . ولكن قيل إنه رجع عن هذا المبلغته الروايات . أخرج ذلك ابن حبان من طريق مجاهد عنه . المراد باهتزاز العرش : قيل المراد استبشاره وسروره بقدوم روحه ، كما يقال = (٢٦٠ - الينوس الأثف ج ٦)

عليه السلام نزل حين مات سعداً مُعْتَجِراً بِعِمَامَةٍ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ، فقال : يا محمد

== اسكن من فرح بقدوم أحد عليهِ : اهتز له : ومنه : اهتزت الأرض بالنبات إذا اخضرت وحسنت . ومنه قول العرب : فلان يهتز للمكارم يريدون : ارتياحه إليها ووقع ذلك من حديث ابن عمر عند الحاكم بلفظ : اهتز العرش فرحاً به لكنه تأوله ، فقال : اهتز العرش فرحاً بلقاء الله سعداً حتى تفسخت أعراده على عواتقنا . قال ابن عمر : يعنى عرش سعد الذى حمل عليه . وقيل : المراد باهتزاز العرش : اهتزاز حملة العرش وبؤيده . حديث إن جبريل قال : من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء ، واستبشر به أهلها ؟ أخرجه الحاكم ، وقيل : هى علامة نصبا لله الموت من يموت من أوليائه ، ليسعمر ملائكته بفضله . وقال الحربى : هو عبارة عن تعظيم شأن وفاته من النبى ، والعرب إذا عظموا الأمر نسبوه إلى عظيم ، كما يقولون : قامت لموت فلان القيامة ، وأظلمت الدنيا بموته ونحو ذلك .

وقال النووى فى شرح مسلم مامعناه : إن طائفة حملت الاهتزاز على ظاهره ، وقالوا إن اهتزاز العرش تحركة حقيقة فرحاً بقدوم روح سعد ، وجعل الله فى العرش تمييزاً حصل به هذا التحرك ، ولا مانع منه كما قال تعالى عن الحجارة ، (وإن منها لما يهبط من خشية الله) وهذا القول هو ظاهر الحديث ، وهو المختار . ويقول المازرى عن حركة العرش : وهذا لا ينكر من جهة العقل ، لأن العرش جسم مخلوق يقبل الحركة والسكون .

وأقول : دين السلف : إذا ثبت النص ثبوتاً لا اختلاف عليه ، فإنه لا يجوز تأويله تأويل يفسد معناه ، أو يجرده من حقيقته ، وإنما يجب حمله كما ورد دون تشبيه لما نسب إلى الله من صفة أو اسم أو فعل بما ينسب إلى الخلق من ذلك . وقد نبهت إلى ذلك مراراً فى الكتاب . فلهذا مثلاً يدان حقيقتان ليستا هما النعمة أو القدرة أو غير ذلك مما يهرف به المعطلة ، لكنهما ليستا كيد الخلق ، وإذا كانت أبدى البشر لا تشابهه ، فكيف تشبه يد الخالق بيد الخلق ، فنقع فى وصف الله بأنه عدم حين تجرد صفاته من معانيها ، أو بأنه ضم حين نسب إليه عين ما نسبته إلى الخلق ، تعالى الله عن هذا علواً كبيراً . وما نقلت ما نقلت إلا لتعرف فحسب

من هذا التَمَيُّتُ الذي فُتِحَتْ له أبوابُ السماء ، واهتز له العرشُ ؟ وفي حديث آخر : قال عليه السلام : لقد نزل لموت سعدِ بنِ مُعَاذٍ سبعون ألفَ مَلَكٍ ما وطِئُوا الأرضَ قبلها ، ويذكر أن قبره وُجِدَ منه رائحةُ المسك ، وقال عليه السلام : لو نجا أحدٌ من ضَفْطَةِ القبرِ لنجا منها سعد^(١) ، وفي كتاب الدَّلَالِ أن النبي صلى الله عليه وسلم جلس على قبر سعد حين وضع فيه ، فقال : سُبْحَانَ اللَّهِ لهذا العبدِ الصالحِ ثُمَّ في قبره ضَمَّةٌ ، ثم فرج عنه ، وأما ضَفْطَةُ القبرِ التي ذُكِرَ في الحديث ، فقد روى عن عائشة - رضى الله عنها أنها قالت : يا رسول الله ، ما انتفعتُ بشئٍ مُنْذُ سمعتُك تذكر ضَفْطَةَ القبرِ ، وَصَمَّتَهُ [وصوت مُنْكَرٍ ونَكِيرٍ] فقال : يا عائشة ، إن ضَفْطَةَ القبرِ على المؤمن أو قال ضَمَّةُ القبرِ على المؤمن كضَمَّةِ الأُمِّ الشَّفِيقَةِ يَدْبِهَا على رأسِ ابنها ، يشكو إليها الصَّدَاعَ ، وصوت مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ كالخُجُلِ في العَيْنِ ، ولكن يا عائشة وَبِئْسَ لِلشَّاكِّينَ [في الله] أولئك الذين يَضْفُطُونَ في قبورهم ضَفْطُ البَيْضِ على الصَّخَرِ . ذكره أبو سعيد ابن الأعرابي في كتاب المعجم^(٢) .

وذكر ابن إسحاق في زوابة [يونس] الشَّيْبَانِي عنه ، قال : خدتنى أُمِّيَّةُ ابن عبدِ الله ، قال : قلت لبعض أهل سعد بن مُعَاذٍ : ما بلغكم في هذا ، يعنى انضَمَّةَ التي انضَمَّ القبرُ عليه ؟ قال : كان يُقَصِّرُ في بعضِ الطُّمُورِ من البَوَلِ

(١) أخرجه ابن سعد وأبو نعيم

(٢) ورواه أيضاً : البيهقي وابن مندة .

بعض التَّصْيِيرِ (١).

ألمه مسانه ميانا ؟ :

فصل : وذكر حديث حسان حين جُمِلَ في الآطام مع النساء والصبيان ، وما قالت له صِفِيَّةُ في أمر اليهودي حين قتلتها ، وما قال لها ، وتَحَمَّلْ هذا الحديث عند الناس على أن حَسَّاناً كان جباناً شديداً الجبن ، وقد دَفَعَ هذا بعضُ العلماء ، وأنكره ، وذلك أنه حديث مُنْقَطِعُ الإسنادِ ، وقال : لو صح هذا لَهُجِيَ به حَسَّانُ ، فإنه كان يهاجى الشعراءَ كِضْرَارِ وابْنِ الزَّبْعَرِيِّ ، وغيرهما ، وكانوا يَنَاقِضُونَهُ وَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ ، فَمَا عَيَّرَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِجُبْنٍ ، وَلَا وَسَمَهُ بِهِ ، فأقول هذا على ضعف حديث ابن إسحاق ، وإن صح فلعل حَسَّانَ أن يكون نَعْمَةً لَا في ذلك اليوم بِعِلَّةٍ مُنْعَتِهِ مِنْ شُهُودِ الْقِتَالِ ، وهذا أولى ما تأول عليه ، ومن أنكر أن يكون هذا صحيحاً أبو عُمَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب الدرر له .

الحديث عن الصَّوْرَيْنِ وَوَمِثْلِهِ :

فصل : وذكر خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى بنى قُرَيْظَةَ حين مر بالصَّوْرَيْنِ ، والصَّوْرُ الْقِطْعَةُ مِنَ النَّخْلِ (٢) ، فسألهم ، فقالوا مَرَّ بِنَا دَحِيَّةُ

(١) قيل : إن تصديره لم يكن على وجه يؤدي إلى فساد عبادته . وأقول : إن الرجل الذي قيل عنه ما قيل لا تصدق أنه يقع في مثل هذا الذي نسب إليه . هذا وإفرا حديث سعد الذي قال فيه : اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً الخ المذكور في السيرة في البخاري وغيره .
(٢) الصَّوْرَيْنِ : موضع قرب المدينة .

ابن خَلِيفَةَ السَّكَلَبِيِّ . هو : دَحْيَةُ بَفَتْحِ الدَّال ، ويقال : دَحْيَةُ بِكسر الدال أيضاً ، والدَّحْيَةُ بلسان الدين : الرَّئِيسُ ، وجمعه دِحَاءٌ ، وفي مقطوع الأحاديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - رأى البيت المعمور يدخله كلَّ يوم سَبْعُونَ ألفَ دَحْيَةٍ ، تحت يد كلِّ دَحْيَةٍ سبعون ألفَ مَلَكٍ ، ذكره القُتَيْبِيُّ ، ورواه ابن سُنَجَرٍ في تفسيره مُسْنَدًا إلى عبدِ الله بن الهُدَيْل ، رواه عنه أبو التَّيَّاح ، وذكر أن سَمَادَ بن سَلَمَةَ قال لأبي التَّيَّاح حين حدثه بهذا الحديث ما الدَّحْيَةُ ؟ قال : الرَّئِيسُ ، وأما نَسَبُ دَحْيَةٍ فهو ابن خَلِيفَةَ بن قُرُوءَ بن فَضَالَةَ بن زَيْد بن أَمْرِئ القَيْس بن الحَزْرَج ، والخَزْرَجُ العَظِيمُ البَطْنُ ابن زَيْد مَنَاءَ ابن عامر بن بَكْر بن عامر الأكبر بن عَوْف بن عُذْرَةَ بن زَيْد اللَّاتِ ابن رُقَيْدَةَ بن ثَوْر بن كَلْبٍ ^(١) يُذَكَّرُ من جَمَالِهِ أنه كان إذا قَدِمَ المَدِينَةَ لم تَبْقِ مُعْصِرَةٌ ، وهى العَرَاهِقَةُ لِاحْتِيضِهَا خَرَجَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ .

فقر رابعا بين اهدكم العصر والاف في بنى قريظة :

وذكر قوله عليه السلام : لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُكُمْ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنَى قُرَيْظَةَ ، فغربت عليهم الشمس قبلها ، فصلَّوا العَصْرَ بها بعد العشاء الآخرة ، فسا عابهم الله بذلك في كتابه ، ولا عَنَّفَهُمْ به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وفي هذا من الفقه أنه لا يُعَابُ على من أخذ بظاهر حديثٍ أو آيةٍ ، فقد صَلَّتْ منهم طائفةٌ

(١) لم يذكر ابن حزم في نسبه زيد مَنَاءَ ص ٢٨٤ الجهرة . وذكر ابن دريد في الاشتقاق أن الخزرج ذو الریح العاصف .

قبل أن تغرب الشمس ، وقالوا : لم يُردِ النبي - صلى الله عليه وسلم - إخراج الصلاة عن وقتها ، وإنما أراد الحث والإعجال ، فما عُمِّفَ أحدٌ من الفريقين ، وفي هذا دليل على أن كل مُختلفين في الفروع من المجتهدين مصيب ، وفي حكم داود وسليمان في الحرث أصلٌ لهذا الأصل أيضاً ، فإنه قال سبحانه : ﴿ فَفَقَّهْنَاهَا سُلَيْمَانُ ، وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ ﴾ الأنبياء : ٧٩ ، ولا يستحيل أن يكون الشيء صواباً في حق إنسانٍ وخطأً في حق غيره ، فيكون من الاجتهاد في مسألة فأداه اجتهاده إلى التحليل مصيباً في استحلاله ، وآخر اجتهاده فأداه ، اجتهاده ونظره إلى تحريمها ، مُصيباً في تحريمها ، وإنما المُحال أن يُحكم في النازلة بحكمين متضادين في حق شخص واحد ، وإنما عسر فهم هذا الأصل على طائفتين : الظاهرية والمعتزلة ، أما الظاهرية فإنهم علقوا الأحكام بالنصوص ، فاستحال عندهم أن يكون النص يأتي بحظر ، وإباحة مماً إلا على وجه النسخ ، وأما المعتزلة ، فإنهم علقوا الأحكام بتقبيح العقل وتحسينه ، فصار حُسنُ الفعل عندهم أو قبحه صفة عين ، فاستحال عندهم أن يتَّصفَ فعلٌ بالحسن في حق زيدٍ والقبح في حق عمرو ، كما يستحيل ذلك في الألوان ، والأكوان وغيرها من الصفات القائمة بالذوات ، وأما ماعداهاتين الطائفتين من أرباب الحقائق ، فليس الحظرُ والإباحة عندهم بصفات أعيانٍ ، وإنما هي صفات أحكام ، والحكم من الله تعالى يُحكم بالحظر في النازلة على من أداه نظره واجتهاده إلى الحظر ، وكذلك الإباحة والنَّدْبُ والإيجابُ والكَرَاهَةُ ، كلها صفات أحكامٍ ، فكلُّ مجتهد وافق اجتهاده وجهاً من التأويل ، وكان عنده من أدوات الاجتهاد ما يترفع به عن حضيض

التقليد إلى هَضَبَةِ النَّظَرِ ، فهو مُصِيبٌ في اجتهاده مُصِيبٌ للحكم الذى تَعَبَّدَ به ، وإن تعبد غيرُه في تلك النازلة بعينها بخلاف ما تَعَبَّدَ هو به ، فلا يُعَدُّ في ذلك إلا على من لا يعرف الحقائق أو عدل به الهوى عن أوضح الطرائق^(١) .

(١) يقول الحافظ في الفتح تعليقا على هذا ، وهو أن كل مجتهد مصيب على الإطلاق : ليس بواضح ، وإنما فيه ترك تعنيف من بذل وسعه واجتهد ، فيستفاد منه عدم تأنيمه . . هذا ومن المشهور الذى عليه الجمهور أن المصيب في القطعيات واحد . وخالف هذا الجاحظ والعنبري . وما لا قطع فيه فالجمهور يرى أيضا أنه واحد . ويقول الأشعري : كل مجتهد مصيب ، وأن حكم الله تابع لظن المجتهد ويرى بعض الحنفية والشافعية أن من لم يصب ما في نفس الامر فهو مخطئ .

وأقول : الحق واحد لا يتعدد ، والله لا يجعل الشيء مباحا ومحظورا من جهة واحدة : وإذا كان الامر كذلك ؛ فإن من اجتهد — كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم — وأصاب فله أجران ، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد استحقة باجتهاده . ويقال لمن أصاب الحق بحق . ولمن لم يصبه : غير بحق في رأيه ، لكن قد يكون الشيء واجبا فعله ومحظورا فعله لا من جهة واحدة ، وإنما من جهات متعددة ، أو من جهتين مختلفتين ، كالصوم في بعض أحواله المعروفة . وهذا وقد وقع في جميع نسخ البخارى أن الصلاة هي العصر ، واتفق على هذا جميع أهل المغازى ، ولكن وقع في جميع نسخ مسلم أنها الظهر مع اتفاق البخارى ومسلم على روايته عن شيخ واحد باسناد واحد . ووافق مسلما ابن سعد وابن حبان كلاهما من طريق مالك بن اسماعيل . وانظر التوفيق بين هذا في شرح المواهب اللدنية ص ١٣٠ . وفي فتح البارى في الغزوة . ومن بين التوفيق أن البخارى كتبه من حفظه ، ولم يراع اللفظ كما عرف من مذهبه في تجويز ذلك بخلاف مسلم فإنه يحافظ كثيرا على اللفظ .

مول قصة أبي لبلبة ::

فصل : وذكّر أبا لبلابة واسمه رفاعه بن عبد المُنذر بن زهير^(١) وقيل :
اسمه مُبَشَّر^(٢) ، وتَوَبَّه وربَّطه نَفْسُه حتى تاب الله عليه ، وذكّر فيه أنه أقسم
أَلَّا يَحْمِلَهُ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وروى حمّاد بن سلمة عن علي
ابن زيد عن علي بن الحسين أن فاطمة أرادت حله حين نزلت توبته ، فقال :
قد أقسمتُ أَلَّا يَحْمِلَنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال رسولُ الله
صلى الله عليه وسلم : إن فاطمة مُضْغَةٌ مِنِّي ، فصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، وعلى فاطمة ،
فهذا حديثٌ يدلُّ على أن من سبَّها فقد كفر ، وأن من صَلَّى عليها ، فقد صَلَّى
على أبيها - صلى الله عليه وسلم - وفيه : أنزل الله تعالى : ﴿ وَأَخْرُوجُوا
بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا بِكَثِيرٍ مِنَ الْإِسَاءَةِ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۚ ﴾ ١٠٢ الآية ، غير أن المفسرين اختلفوا
في ذنبه ما كان ، فقال ابن إسحاق ما ذكره في السيرة من إشارته على بني قُرَيْظَةَ ،
وقال آخرون : كان من المُخَلَّفِينَ : الذين تَخَلَّفُوا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غزوة تبوك ، فنزلت توبة الله عليه في هذه الآية .

لعل وعسى وليت ::

فإن قيل : ليس في الآية نصٌّ على توبته وتوبة الله عليه أكثر من قوله
تعالى : ﴿ عسى الله أن يتوبَ عليهم ﴾ .
فالجواب : أن عسى من الله واجبةٌ وخبرٌ صدق . فإن قيل : وهو سؤاله

(١) في جمهرة ابن حزم ص ٢١٤ وفي الإصابة : زهير .

(٢) يختلف في اسمه فهو بشير ، وهو مروان . انظر الإصابة . والاشتقاق لابن

يحب الاعتناء به : إن القرآن نزل بلسان العرب ، وليست عسى في كلام العرب .
بخبر ، ولا تقتضى وجوباً ، فكيف تكون عسى واجبة في القرآن ، وليس
بمخرج عن كلام العرب ؟

وأيضاً : فإن لعل تعطى معنى التَّرجى ، وليست من الله واجبة ، فقد قال :
(لعلهم يشكرون) فلم يشكروا، وقال (لعله يتذكر أو يخشى) فلم يتذكر ولم يخش ،
فما الفرق بين لعل وعسى حتى صارت عسى واجبة ؟

قلنا : لعل تعطى التَّرجى ، وذلك الترجى مصروف إلى الخلق ، وعسى
مثلها في الترجى ، وتزيد عليها بالمُقاربة ، ولذلك قال : ﴿ عسى أن يبعثك
ربك مقاماً محموداً ﴾ الإسراء : ٧٩ ومعناه الترجى مع الخبر بالقرب ، كأنه
قال قُرْبَ أن يبعثك ، فَأَتَرَجَّى مَصْرُوفٌ إِلَى الْعَبْدِ ، كما في لعل ، والخبر عن
القرب والمُقاربة مصروفٌ إلى الله تعالى ، وخبره حَقٌّ وَوَعْدُهُ حَقٌّ ، فما
تضمنته من الخبر فهو الواجب دون التَّرجى الذى هو محال على الله تعالى ،
ومصروف إلى العبد ، وليس في لعل مِنْ تَضَمَّنَ الْخَبَرَ مِثْلُ مَا فِي عَسَى ، فمن
نعم كانت عسى واجبة إذا تكلم الله بها ، ولم تكن كذلك لعل .

فإن قيل : فهل يجوز في آيت ما كان في لعل من ورودها في كلام الباري
سبحانه ، على أن يكون التنى مَصْرُوفاً إِلَى الْعَبْدِ ، كما كان الترجى في لعل كذلك ؟

قلنا : هذا غير جائز ، وإنما جاز ذلك في لعل على شرط وصورة ، نحو أن يكون قبلها ففعلٌ ، وبعدها ففعلٌ ، والأوّل سببٌ للثاني نحو قوله : ﴿ يَعْظُمُكُمْ تَعْلَمُكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ النحل : ٩٠ ، فقال بعض الناس : لعل ها هنا بمعنى كنى ، أى كى تَذَكَّرُوهُ ، وأنا أقول : لم يذهب منها معنى التَّرجى ، لأن الموعظة ، مما يُترجى أن تكون سبباً للتذكّر ، فعلى هذه الصورة وردت في القرآن ، ونحو قوله أيضاً : ﴿ فَلَمَّا لَكَ تَارِكٌ بِمَعْصَايُكَ يَوْمَئِذٍ إِلَى اللَّهِ يَتَذَكَّرُ فِيهِ لَكَ تَارِكٌ بِمَعْصَايُكَ يَوْمَئِذٍ ﴾ هود : ١٢ هى ها هنا تَوَقَّعٌ وَتَخَوُّفٌ ، أى : ما أصابك من التكذيب مما يَتَخَوَّفُ وَيَتَوَقَّعُ منه ضيقُ الصدر ، فهذا هو الجائز في لعل ، وأما أن ترد في القرآن داخلة على الابتداء والخبر مثل أن تقول ، مُبْتَدَأًا : لعل زيداً يؤمن ، فهذا غير جائز ، لأن الربّ سبحانه لا يترجى ، وإن صُرف الترجى إلى حقّ المخلوق ، وموضوعها في كلام العرب أن يكون المتكلمُ بها لا يستقيم أيضاً إلا على الصورة التي قدمنا من كونها بمعنى : كى ، ووقوعها بين السبب والمسبب ، وإذا ثبت هذا فلا إشكال في ليت أنها لا تكون في كلام البارى سبحانه ، لأن التمنى مُحَالٌ عليه ، والتَّرجى والتَّوَقُّعُ والتَّخَوُّفُ كذلك ، حتى تزيلها عن الموضع الذي يكون معناها فيه للتكلم بها .

من أسماء السماء :

فصل : وذكر حكم سعد في بنى قُرَيْظَةَ ، وقول النبي عليه السلام له : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سَبْعَةِ أَرْقَعَةٍ ، هكذا في السيرة : أَرْقَعَةٍ ،

وفي الصحيح : من فوق سَبْعِ سَمَاوَاتٍ ^(١) ، والمعنى واحد ، لأنَّ الرِّقِيعَ من أسماء السماء ، لأنها رُقِعت بالنُّجُوم ، ومن أسمائها : الْجُرْبَادُورِ قِيع ، وفي غير رواية الْبَكَّائِيُّ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ فِي حَكْمِ سَعْدٍ : بِذَلِكَ : طَرَفِي الْعَلَكُ سَحَرًا .

قُوْفِيَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ :

وفيه من الفقه تعليمٌ حسنٍ اللَّفْظُ إِذَا تَكَلَّمْتَ بِالْفَوْقِ مُخْبِرًا عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَلَّا تَرَاهُ كَيْفَ قَالَ : بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ ، وَلَمْ يَقُلْ فَوْقَ عَلَى الظَّارِفِ ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْحُكْمَ نَازِلٌ مِنْ فَوْقٍ ، وَهُوَ حُكْمُ اللَّهِ تَعَالَى ، وَهَذَا نَحْوُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ النحل : ٥٠ ، أَيْ يَخَافُونَ عِقَابًا يَنْزِلُ مِنْ فَوْقِهِمْ ، وَهُوَ عِقَابُ رَبِّهِمْ .

فَإِنْ قِيلَ : أَوَلَيْسَ بِجَائِزٍ أَنْ يُخْبِرَ عَنْهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ ؟ قُلْنَا : لَيْسَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، وَلَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى إِطْلَاقِ ذَلِكَ ، فَإِنْ جَازَ فَبِدَلِيلٍ آخَرَ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُ زَيْنَبَ : زَوَّجَنِي اللَّهَ مِنْ نَبِيِّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ

(١) رَوَاهُ النَّسَائِيُّ . هَذَا وَمَا حَكَّمَ بِهِ سَعْدٌ قَرِيبٌ جَدًّا عَمَّا فِي سَفَرِ التَّثْنِيَةِ ، فِي الإِصْحَاحِ الْمَتَمِّمِ لِلْعَشْرِينَ ، مِنْهُ جَاءَ مَا بَلَ : « إِنْ لَمْ تَسَالِمْ بِلِ عَمَلْتِ مَعَكَ حَرْبًا ، فَخَاصَرَهَا ، وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلَيْكَ إِلَى يَدِكَ ، فَاضْرِبِ جَمِيعَ ذِكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ ، وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالْأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ ، وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ كُلِّ غَنِيمَتِهَا : فَتَغْنَمْنَهَا لِنَفْسِكَ . وَتَأْكُلُ كُلُّ غَنِيمَةٍ أَعْدَاكَ إِلَى أَعْظَاكَ الرَّبُّ إِلَيْكَ ، مِنْ فُقْرَةٍ ١٠ إِلَى ١٥ . وَازْنِ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ حَكْمِ سَعْدٍ وَتَقْتُلْ مُقَاتِلَتَهُمْ ، وَتَسْبِي ذُرَارِيَهُمْ ، ثُمَّ قَوْلُ الرَّسُولِ « ص » لَهُ : قَضَيْتُ بِحُكْمِ اللَّهِ ، أَفَبِيَاحٍ لَنَا أَنْ نَقُولَ إِنْ الْحَدِيثُ يُشِيرُ إِلَى هَذَا الْحُكْمِ الَّذِي وَرَدَ فِي سَفَرِ التَّثْنِيَةِ ؟

سماوات ، وإنما معناه : أن تزويجه إياها نزل من فوق سبع سماوات^(١) ولا يهبط في الشرع وصفه سبحانه بالفوق على المعنى الذي يليق بجلاله ، لا على المعنى الذي يسبق للوهم من التَّحْدِيدِ ، ولكن لا يُتَلَقَّى إطلاق ذلك الوصف . فالتَّحْدِيدُ من الآيات والحديثين لارتباط حرف الجر بالفعل ، حتى صار وصفاً له لا وصفاً لشيء سبجانه ، وقد أملينا في حديث الأمة التي قال لها : أين الله ؟ قالت : في السماء . مسألةً بدعيةً نافعةً شافية رافعة لكل كَبْسٍ ، والحمد لله^(٢) .

(١) حقيقة الفوقية هي علو ذات الشيء على غيره ، والجهميون يزعمون أن فوقية الله فوقية رتبة وقهر كقولنا : الذهب فوق الفضة . وأهل السنة وسلفنا الصالح يقولون إن العهد والظفر والعقول والشرائع وجميع كتب الله المنزلة على خلاف ما يزعم الجهميون ، وأنه سبحانه فوق العالم بذاته ، فالخطاب بفوقيته ينصرف إلى ما استقر في الفطر والعقول والمكتب السماوية . والمجاز في الفوقية وإن احتمل في قوله : (وإنا فوقهم قاهرون) فذلك لأنه قد علم أنه جميعاً مستقرون على الأرض فهي فوقية قهر وغلبة ولكن هذا المجاز لا يمتثل في قوله سبحانه : (وهو القاهر فوق عباده) إذ قد علم بالضرورة أنه وعبيده ليسوا مستوين في مكان واحد حتى تكون فوقية قهر وغلبة . وقرأ كتاب الصواعق المرسل على الجهمية والمعتلة ولا سيما من أول ص ٢٠٥ فقد أقام الأدلة القاطعة من القرآن والسنة والعقل على فوقية الله سبحانه بذاته من سبعة عشر وجهاً ، وقرأ لابن رشد الفيلسوف في إثبات جهة علو الله سبحانه في كتابه مناهج الأدلة .

وكانت زينب رضي الله عنها تفخر على أزواج النبي تقول : زوجكن أهاليهكن ، وزجنى الله تعالى من فوق سبع سماوات . رواه البخاري في الصحيح . (٢) وحديث الأمة التي سأها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين الله ؟ قالت : الله في السماء ، قال من أنا فقالت : أنت رسول الله ، قال إنها مؤمنة فاعتقها وكان الذئب قد أصاب شاة من غنم كانت ترعاها لسيدها ، فصكها صكة ، ثم =

كيسة :

فصل : وذکر حبس بنی قُرَيْظَةَ في دار بنتِ الحَدَثِ ، كذا وقع في هذا الكتاب ، والصحيح عندهم بنت الحارثِ ، واسمها : كَيْسَةُ بنت الحارثِ بن كُرَيْزِ بن حَبِيبٍ ^(١) بن عَبْدِ ثَمَس ، وكانت تحت مُسَيْلَمَةَ الكَذَّابِ ، ثم خلف عليها عبدُ الله بن عامر بن كُرَيْزِ ، وكَيْسَةُ أُخْرَى مذكورة في النساء ، وهي بنت عبد الحميد بن عامر بن كُرَيْزِ ، وكَيْسَةُ بنت أبي بَكْرَةَ روت عن أبيها عن النبي - صلى الله عليه وسلم أنه كان ينهى عن الحِجَامَةِ يوم الثلاثاء : أَشَدَّ النَّهْيِ ، ويقول : فيه ساعةٌ لا يَرَقُّ فيها الدَّمُ ^(٢) : وأما كَيْسَةُ بسكون الياء ، فهي بنت أبي كَثِيرٍ تَرَوِي عن أمِّها عن عائشة في الطهر : لا طَيْبَ الله من

= انصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بما فعل مع الجارية . وأراد عتقها تكفيراً عن ذنبه ، فطلب منه الرسول دس ، أن يأتيه بها . ففعل فسألها عما قدمت ذكره . والحديث في صحيح مسلم . وقد ورد في حديث رواه البخاري ومسلم : ألا تأمنوني ، وأنا أمين من السماء ، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً ، وفوق ذلك كله قول الله سبحانه : (أأمتن من في السماء) .

(١) في الاشتقاق لابن دريد : كُرَيْزُ بن ربيعة بن حبيب ص ١٦٤ وكذلك هو في نسب قريش : كُرَيْزُ بن ربيعة بن حبيب فلعلمه سقط . فالسبيل يأخذ بقول الزبيريين في الانساب . وكذلك ذكر نسبه في كتاب حذف من نسب قريش للسدوسي : كُرَيْزُ بن ربيعة بن حبيب . وفي الإصابة أن المرأة هي رمة بنت الحارث ابن ثعلبة بن الحارث بن زيد . وهي زوج معاذ بن الحارث بن رفاعه . وعند أبي الاسود أنهم حبسوا في دار أسامة بن زيد

(٢) قول لا يعتد به ، وإلا توقفت الجراحات كلها يوم الثلاثاء .

تَطَيَّبَ بِهَا ، وَلَا شَفِيَّ مِنْ اسْتَشْفَى بِهَا ، ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَشْرِبَةِ فِي بَعْضِ
رَوَايَاتِ الْكِتَابِ ، وَوَقَعَ اسْمُهَا فِي السَّيْرَةِ مِنْ غَيْرِ رَوَايَةِ ابْنِ هِشَامٍ : زَيْنَبُ
بِنْتُ الْحَارِثِ الدَّجَّارِيَّةِ ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَأَمَّا كَيْسَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ ، فَهِيَ الَّتِي أَنْزَلَ
فِي دَارِهَا وَفَدُ بَنَى حَنِيفَةَ ، وَسَيَأْتِي ذِكْرُهَا .

رفيرة :

وَذَكَرَ رُقَيْدَةَ ، وَهِيَ امْرَأَةٌ مِنْ أَسْلَمَ الَّذِي كَانَ سَعْدٌ يُمَرِّضُ فِي خِيَمَتِهَا
لَمْ يَذْكُرْهَا أَبُو عُمَرَ ، وَزَادَهَا أَبُو عَلِيٍّ الْفَسَائِيُّ فِي كِتَابِ أَبِي عُمَرَ ، حَدَّثَنِي بِتِلْكَ
الزَّوَادِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ طَاهِرٍ عَنْهُ ، وَحَدَّثَنِي عَنْهُ أَيْضًا عَنْ أَبِي عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي
عَلِيٍّ : أَمَانَةُ اللَّهِ فِي عُنُقِكَ ، مَتَى عَثَرْتُ عَلَى اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ الصَّحَابَةِ ، لَمْ أَذْكُرْهُ
إِلَّا الْحَقَّةَ فِي كِتَابِي الَّذِي فِي الصَّحَابَةِ ^(١) .

غزوة الخندق :

فَصَلُّ : وَذَكَرَ فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ ثَعْلَبَةُ بْنُ سَعْيَةَ ، وَأَسَدُ بْنُ سَعْيَةَ ^(٢) .
وَأَسِيدُ بْنُ سَعْيَةَ وَهُمْ مِنْ بَنِي هَذِلٍ ، وَقَدْ تَكَلَّمْنَا فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ هَذَا

(١) وَقِيلَ هِيَ أَنْصَارِيَّةٌ ، وَفِي الْإِصَابَةِ الْأَنْصَارِيَّةِ أَوِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَقَدْ رَوَى
الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمَفْرُودِ حَدِيثَهَا ، وَذَكَرَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ إِذَا مَرَّ بِعَدُوِّهِ
عِنْدَهَا يَقُولُ : كَيْفَ أَمْسَيْتِ ، وَإِذَا أَصْبَحَ يَقُولُ : كَيْفَ أَصْبَحْتَ . وَفِي الْإِصَابَةِ
فِي حَرْفِ السَّكَافِ : كَعْبِيَّةُ بِنْتُ سَعِيدِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَقَدْ قَالَ عَنْهَا ابْنُ سَعْدٍ هِيَ الَّتِي
كَانَتْ لَهَا خِيَمَةٌ فِي الْمَسْجِدِ . وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ : وَفَضْرِبَ النَّبِيُّ ﷺ دَسًّا ، خِيَمَةً فِي
الْمَسْجِدِ ، لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ ، أَيْ لِيَعُودَ سَعْدٌ .

(٢) الْمَذْكُورُ فِي السَّيْرَةِ : أَسَدُ بْنُ عُبَيْدٍ

الكتاب على سَعْيَةٍ وَسُعْنَةٍ بالنون، وذكرنا الاختلاف في أسيدو وأسيد، وذكرنا خبراً عجيباً لزَيْد بن سَعْيَةٍ بالياء، ومن قال من النسايين هَذَا بسكون الدال في بَنِي هَذَا، فَأَغْنَى ذَلِكَ عن إعادته .

قتل المرتدة :

وأما حديث المرأة المقتولة من بَنِي قُرَيْظَةَ ، ففيها داليل لمن قال بقتل الْمُؤْمِنَةِ مِنَ النِّسَاءِ ، أَخْذاً بعموم قوله عليه السلام : مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ ، فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ (١) . وفي هذا الحديث مع العموم قوة أخرى ، وهو تعليق الحكم بالعلّة ، وهو التبديل والردّة ، ولا حُجَّةَ مع هذا لمن زعم من أهل العراق بأن لا تُقْتَلِ المرأةُ لِنَهْيِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ ، وللاحتجاج للفريقين ، وما نزل به كل واحد منهم موطن غير هذا .

الزبير بن باطا :

فصل : وذكر حديث ثابت بن قيس مع الزَّيْبِر بن باطا ، وهو الزَّيْبِرُ

(١) في حديث رواه الجماعة إلا مسلماً : مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ . وقد علق صاحب الفتح عليه بقوله : واستدل به على قتل المرتدة كالمرتد . وخصه الحنفية بالذكر متمسكين بحديث النهي عن قتل النساء ، ولكن الجمهور يحمل النهي على الكافرة الأصلية إذ لم تباشر القتال ، لقوله في بعض طرق الحديث النهي عن قتل النساء لما رأى امرأة مقتولة : ما كانت هذه أئمتنا ، ثم نهى عن قتل النساء . واحتجوا بأن من الشرطية لا تعم المؤنث ، وتعقب بأن راوى الخبر هو ابن عباس ، وقد قال بقتل المرتدة وقد قتل الصديق امرأة ارتدت في خلافته ، ولم ينكر عليه صحابي . أنظر ص ١٩٠ ج ٧ نيل الأوطار للشوكاني .

يفتح الزاي وكسر الباء جَدُّ الزُّبَيْرِ بن عبد الرحمن المذكور في المَوْطَأِ
في كتاب النسكاح ، واختلف في الزبير بن عبد الرحمن ، فقيل : الزُّبَيْرُ بفتح
الزاي وكسر الباء كاسم جده ، وقيل الزُّبَيْرُ ، وهو قول البخاري في التاريخ .

وذكر فيه قول الزُّبَيْر :

فما أنا بصابر لله قَتْلَةَ دَلْوٍ ناضِح

وقال ابن هشام : إنما هو قَتْلَةَ دَلْوٍ بالقاف والباء ، وقابلُ الدَلْوِ هو
الَّذِي بِأَخْذِهَا مِنَ الْمُسْتَقَى ^(١) .

وذكر أبو عُبَيْدٍ الحديثَ في الأقوال على غير ما قالاه جميعاً ، فقال :
قال الزُّبَيْرُ : يَا ثَابِتُ اَلْحَقْنِي بِهِمْ ، فَلَسْتُ صَابِرًا عَنْهُمْ إِفْرَاغَةَ دَلْوٍ .

الإنبيات اصل في معرفة البلوغ :

وذكر حديثَ عَطِيَّةِ الْقُرْظِيِّ ، وهو جدُّ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ ، وذكر
أنه لم يكن أَنْبَتَ فَتْرِكَ ، ففي هذا أن الإنبيات أصلٌ في معرفة البلوغ إذا
جُهِلَ الاحْتِلَامُ ، ولم تُعْرَفْ سُنُوهُ .

(١) يقول الخشني : الناضح : الحبل الذي يستخرج عليه الماء من البشر
بالسانية ، وأراد بقوله له : قَتْلَةَ دَلْوٍ ناضِح : مقدار ما يأخذ الرجل الدلو إذا
أخرجت فيصبها في الحوض يقتلها أو يردّها إلى موضعها ، ومن رواه قتلته بالقاف
والباء فهو بمقدار ما يقبل الرجل الدلو ليصبها في الحوض ، ثم يعصرها ، وهذا
كله لا يكون إلا عن استعجال وسرعة ص ٣٠٧ .

ملته هي :

وذكر حُيَّ بن أخطب حين قُدِّم إلى القتل ، وعليه حُلَّةٌ فُفَّاحِيَّةٌ . الحلة :
مِنْ أَزَارٍ وَرِدَالٍ ، وأصل تسميتها بهذا إذا كان الثوبان جديدين ، كما حُلَّ طيِّبُهُما ،
فَقِيلَ لَهُ : حُلَّةٌ لِهَذَا ، ثُمَّ اسْتَمَرَ عَلَيْهِ الْأَسْمُ ، قَالَ الْخَطَّابِيُّ .

وقوله : فُفَّاحِيَّةٌ نُسِبَتْ إِلَى الْفُقَّاحِ ، وَهُوَ الزَّهْرُ إِذَا انْشَقَّتْ أَكْمَتُهُ ،
وَانْفَرَجَتْ بَرَاعِيُهُ ، وَتَفَقَّتْ أَخْفِيَّتُهُ ، يُقَالُ لَهُ حِينَئِذٍ قَفَّحٌ وَهُوَ فُقَّاحٌ . وَالْفَنَاسُجُ
أَيْضًا فِي مَعْنَى الْبَرَاعِيمِ ، وَاحِدُهَا : فُنُبُجَةٌ ، وَأَمَّا الْفِقَّاعُ بِالْمِثْلِ (١) فَهُوَ الْفُطْرُ ،
وَيُقَالُ لَهُ أَيْضًا : آذَانُ السَّكْمَاءِ مِنْ كِتَابِ النَّبَاتِ .

وَيُرْوَى أَيْضًا : حُلَّةٌ شُقَّقِيَّةٌ وَهُوَ سَنَحٌ (٢) الْبُسْرُ إِذَا تَلَوَّنَ . قَالَ الْخَطَّابِيُّ .

وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلُ اللَّهَ يَخْذُلِ

بِنَصَبِ الْمَاءِ مِنْ اسْمِ اللَّهِ ، وَيُصَحِّحُ هَذِهِ الرِّوَايَةَ أَنَّ فِي الْخَبَرِ قَوْلَ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَلَمْ يُمَكِّنْ اللَّهُ مِنْكَ ؟ فَقَالَ : بَلَى ، وَلَقَدْ قَلَقْتُ كُلَّ
مُقَلِّقٍ ، وَلَكِنْ مَنْ يَخْذُلُكَ يَخْذُلُ ، فَقَوْلُهُ : يَخْذُلُكَ كَقَوْلِ الْآخَرِ
فِي الْبَيْتِ :

وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلُ اللَّهَ يَخْذُلِ

(١) فِي اللِّسَانِ : الْفَقْعُ بِكَسْرِ الْفَاءِ وَفَتْحِهَا وَسُكُونِ الْقَافِ الْإِبْيَضُ الرَّخْوُ
مِنْ السَّكْمَاءِ وَهُوَ أَرْدَقُهَا وَجَمْعُهَا عَلَى وَزْنِ فَعْلَةٍ بِكَسْرِ الْفَاءِ وَفَتْحِ الْعَيْنِ مِثْلُ قَرْدَةٍ .
(٢) فِي التَّعْبِيرِ خِلَالٌ ، وَهُوَ يَعْنِي أَنَّ شُقَّقِيَّةَ نَسْبَةٍ إِلَى شُقَّقَةٍ الَّتِي جَاءَهَا شُقَّقٌ .
وَالشَّقَّقَةُ : هِيَ الْبُسْرَةُ الْمُتَغَيِّرَةُ الْحَمْرَةَ . وَسَنَحٌ فِي الْأَصْلِ : صَوَابُهَا شُقَّقٌ .
(٢٢م — الرُّوضُ الْأَنْفُ ج ٢)

لأنه إنما نَظَمَ في البيت كلام حُيَّيَّ .

سلمى بنت أيوب :

وذكر حديثه عن أيوب بن عبد الرحمن عن عبد الله بن أبي صفصة ،
وأنفيت في حاشية الشيخ ، قال : وقع في تاريخ البخاري أن أيوب نفسه هو
الخبر أن سلمى بنت قيس هي : سلمى بنت أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله
وهو الصحيح والله أعلم .

سلمى بنت قيس :

وقوله عن سلمى بنت قيس ، هي سلمى بنت قيس بن عمرو بن عبَّيد بن
مالك بن عمرو بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار .

تفسير أبيات قرآنية :

وقوله تعالى : ﴿ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ والقلب لا يَنْتَقِلُ من موضعه ،
ولو انتقل إلى الحنجر لسات صاحبه ، والله سبحانه لا يقول إلا الحق ، ففي هذا
دليل على أن التكلم بالحنجر على جهة المبالغة ، فهو حق إذا فهم المخاطب منك ،
وهذا كقوله تعالى : ﴿ يَرِيدُ أَنْ يَنْفِقَ فَأَقَامَهُ ﴾ السكف : ٧٧ ، أي مثله كمثل
من يريد أن يفعل الفعل ، ويهم به ، فهو من تجاوز التشبيه ، وكذلك هؤلاء
مثلهم فيما بلغهم من الخوف والوهل وضيق الصدر كمثل المنخاج قايه من
موضعه ، وقيل : هو على حذف المضاف ، تقديره : بلغ وجيف القلوب الحناجر
وأما قوله : ﴿ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ ﴾ غافر : ١٨ فلا معنى لحمله على الحناجر .

لأنه في سنة هول القيامة، والأمر فيه أشدُّ مما تقدَّم ، لاسيَّما وقد قال في أخرى :
 ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنِدُ لَهُمْ هَوَاءٌ ﴾ إبراهيم : ٤٣ ، أي قد فارق القلبُ
 الفؤادَ ، وبقي فارغاً هَوَاءً ، وفي هذا دليلٌ على أنَّ القلبَ غيرُ الفؤاد ، كأنَّ
 الفؤادَ هو غلافُ القلب ، ويؤيده قول النبي صلى الله عليه وسلم في أهل البين :
 أَلَيْنُ قُلُوبًا وَأَرْقُ أَفْنَدَةً ^(١) مع قوله تعالى : ﴿ قَوْلِيلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ الزمر : ٣٢
 ولم يقل للقاسية أفندتهم ، والقسوة ضدُّ اللين ، فتأمله .

وقوله تعالى : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ^(٢) اللَّهُ الْمُعْذِقِينَ مِنْكُمْ ﴾ الأحزاب : ١٨ أي المُخَذِّلِينَ
 لإخوانهم : قِيَمُوا قَوْلَهُمْ بِالْمُخَذِّلِ عن الطاعة ، لقولهم : هَلُمَّ إِلَيْنَا . تقول : عاقفه
 الأمرُ عن كذا ، وعَوَّقَنِي فلانٌ عن كذا ، أي صرفني عنه .

وذكر الصَّيَاحِي وأنها أُلْحُصُونَ ، واستشهد بقول سُحَيْمٍ يَصِفُ سَيْلًا :
 وَأَصْبَحَتِ الثَّيْرَانُ صَرَعِي ، وَأَصْبَحَتْ نِسَاءُ تَمِيمٍ يَبْتَدِرُنَ الصَّيَاحِيَّ

وأنفيت في حاشية الشيخ أبي بحر رحمه الله على هذا البيت : الصياحي :
 قُرُونُ الثيران المذكورة فيه ، لآمانوهم ابنُ هشام أنها أُلْحُصُونَ والآطامُ به
 يقول : لما أهلك هذا السيلُ الثيرانَ وغَرَّقَهَا أصبحت نِسَاءُ تَمِيمٍ يَبْتَدِرُنِي
 أخذَ قُرُونَهَا ، لَيْتَسِجَنَ بِهَا الْبُجْدُ ، وهى الأَكْسِيَّةُ ، قال هذا يعقوب عن
 الْأَصْمَعِيِّ . ويصحح هذا أنه لَأُلْحُصُونَ في بادية الأعراب . قال المؤلف : ويصحح

(١) جاء في حديث متفق عليه : دهم أرق أفندة وألين قلوبا ،

(٢) دخلت قد هنا لتوكيد العلم ، ويرجع ذلك إلى توكيد الوعيد ، ولأن الله
 لا تخفى عليه خافية في الأرض ، ولا في السماء .

هذا التفسير أيضاً رواية أحمد بن داود له ، فإنه أنشده في كتاب النبات له ، فقال فيه يَلْتَقِطَانِ الصِّيَاصِيَا^(١) ولم يقل : يبتدرن ، وأنشد :

فَدَعَرْنَا سُجَمَ الصِّيَاصِي بِأَيْدِيهِنَّ نَضَحَ مِنَ الْكُحَيْلِ وَقَارُ
الْكُحَيْلِ : الْقَطْرُنُ ، وَالْقَارُ : الزُّفْتُ ، شَبَّهَ السَّوَادَ الَّذِي فِي أَيْدِيهِنَّ بِنَضَحِ
مِنْ ذَلِكَ الْكُحَيْلِ وَالْقَارِ ، يَصِفُ بَغْرَ وَحْشٍ ، وَأَنْشَدَ لِإِرْدِيدِ بْنِ الصَّمَّةِ :
كَوَقَعَ الصِّيَاصِي فِي النَّسِيجِ الْمَمْدَدِ

وحمله الأصمعي على ما تقدم في البيت قبل هذا من أنها القرون التي
يُنْسَجُ بها ، لا أنها شوك كما قال ابن هشام .

اهتزاز العرسه :

وذكر اهتزاز العرش ، وقد تكلم الناس في معناه ، وظنوا أنه مُشْكِلٌ ،
وقال بعضهم : الاهتزاز هاهنا بمعنى الاستبشارِ بقُدومِ رُوحِهِ ، وقال بعضهم :
يريد تحلة العرش ومن عنده من الملائكة ، استبعاداً منهم ، لأن يَهْتَزَّ العرشُ
على الحقيقة ، ولا بُعْدَ فِيهِ ، لأنه مَخْلُوقٌ وَتَجُوزُ عَلَيْهِ الْحَرَكَةُ ، وَالْهَيْزَةُ ،
وَلَا يُعْدَلُ عَنْ ظَاهِرِ اللَّفْظِ ، مَا وَجَدَ إِلَيْهِ سَبِيلٌ ، وَحَدِيثُ اهْتَزَّزِ الْعَرْشِ
لِمُوتِ سَعْدٍ صَحِيحٌ . قَالَ أَبُو عُمَرَ : هُوَ ثَابِتٌ مِنْ طُرُقٍ مُتَوَاظِرَةٍ ، وَمَا رَوَى
مِنْ قَوْلِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ فِي مَعْنَاهُ : أَنَّهُ سَرِيرُ سَعْدٍ اهْتَزَّزَ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ
الْعُلَمَاءُ^(٢) ، وَقَالُوا : كَانَتْ بَيْنَ هَذَيْنِ الْحَيَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ ضَعْفَانِ^(٣) . وَفِي لَفْظِ

(١) كذا أنشده ابن بري في اللسان . وقال : يلتقطان القرون ليسجن بها .

(٢) قال الحفاظ : إلا أن يراد اهتزاز حملة سريره فرحاً بقُدومه ، فينتجه

(٣) في الصحيح قال رجل لجابر : فإن البراء يقول اهتز السرير ، فقال : =

ما قيل من الشعر في أمر الخندق وبنى قريظة

شعر ضرار

وقال ضرار بن الخطَّاب بن مرداس ، أخو بني مُحارب بن فهر ، في يوم

الخندق :

وَمُشْفِقَةٌ تَنْظُنُّ بَيْنَنَا الظَّنُونَا وَقَدْ كُنَّا عَرْنَدَسَةً طَحُونَا
كَانَ زُهَاءُهَا أَحَدٌ إِذَا مَا بَدَتْ أَرْكَانُهُ لِلنَّاطِرِينَ

الحديث: اهتز عرش الرحمن، رواه أبو الزُّبَيْر عن جابر يرفعه، ورواه البخاري من طريق الأعمش عن أبي صالح وأبي سفيان كلاهما عن جابر ، ورواه من الصحابة جماعة غير جابر ، منهم أبو سعيد الخدري ، وأسيد بن حضير ، ورُمَيْثَةُ بنت عمرو، ذكر ذلك الترمذي. والعجب لما روى عن مالك رحمه الله من إنكاره للحديث، وكرهيته للتحديث به مع صحة نقله ، وكثرة الرواية له ، ولعل هذه الرواية لم تصح عن مالك والله أعلم^(١) .

== [انه كان بين هذين الحيين ضغائن. سمعت النبي ص، يقول اهتز عرش الرحمن لموت سعد . والحيان : الاوس والخزرج ، فقال ذلك جابر لإظهارا للحق واعترافا بالفضل لاهله فكانه تعجب من البراء كيف قال ذلك مع أنه أوسى ، ثم قال : أنا وإن كنت خزرجيا ، وكان بين الحيين ما كان لا أمتنع من قول الحق ، وعذر البراء أنه فهم ذلك لا أنه قصد الغرض من حكاية سعد وقد ظن جابر أن البراء قصد الغرض من سعد فانتصرله . فتح الباري ، والمواهب ٢ ص ١٤٠ .
(١) سبق الكلام عن هذا .

تَرَى الْأَبْدَانِ فِيهَا مُسَبِّغَاتٍ عَلَى الْأَبْطَالِ وَالْيَلْبَ الْحَصِيدَا
وَجُرُودًا كَالْقِدَاحِ مُسَوَّمَاتٍ نَوْمٌ بِهَا النُّوَاةُ الْخَاطِيفَا
كَأَنَّهُمْ إِذَا مَالُوا وَصَلْنَا بِيَابَ الْخُنْدَقَيْنِ مُصَاحِبَا
أَنَاسٍ لَا تَرَى فِيهِمْ رَشِيدًا وَقَدْ قَالُوا أَلَسْنَا رَاشِدِينَا
فَأُخْجِرْنَا مِنْ شَهْرٍ كَرِيمَا وَكُنَّا قَوْقِهِمْ كَالْقَاهِرِينَا
نُزَاوِحُهُمْ وَتَعْدُو كُلَّ يَوْمٍ عَلَيْهِمْ فِي السَّلَاحِ مُدَجَّجِينَا
بِأَيْدِينَا صَوْرَامُ مُرَهَفَاتٍ تَقْدِمُ بِهَا الْمَفَارِقُ وَالشُّوْنَا
كَأَنَّ وَمِيضَهِنَّ مُعَرِّيَاتٍ إِذَا لَاحَتْ بِأَيْدِي مَصَالِينَا
وَمِيضٌ عَقِيقَةٌ لَمَعَتْ بِلَيْلٍ تَرَى فِيهَا الْعَقَاقِقُ مُسْتَبِينَا
فَلَوْلَا خُنْدَقُ كَانُوا لَدَيْهِ لَدَمَرْنَا عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَا
وَلَكِنْ حَالٌ دُونَهُمْ وَكَانُوا بِهِ مِنْ خَوْفِنَا مَتَّعَوْذِينَا
فَإِنْ نَزَلَ فِينَا قَدْ تَرَكْنَا لَدَيْ أَبْنَانِكُمْ سَعْدًا رَهِينَا
إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ سَمِعْتَ نَوْحِي عَلَى سَعْدٍ يُرَجِّعُنِ الْخَنِينَا
وَسَوْفَ نَزُورُكُمْ عَمَّا قَرِيبٍ كَمَا زُرْنَاكُمْ مُتَوَازِرِينَا
يَجْمَعُ مِنْ كِنَانَةٍ غَيْرِ عَزْلٍ كَأَسَدِ الْغَابِ قَدْ سَحَّتِ الْعَرِينَا

كعب يرد على ضرار

فأجابه كعب بن مالك ، أخو بني سلمة ، فقال :

وسألتك تسائل ما أقينا ولو شهدت رأينا صابرينا

صَبَرْنَا لِأَنزَى اللَّهِ عَذْلًا عَلَى مَا نَابَنَا مُتَوَكِّلِينَ
وَكُنْ لَنَا النَّبِيُّ وَزِيرَ صِدْقٍ بِهِ تَقْلُو الْبَرِيَّةَ أَجْمَعِينَ
تَقَاتِلْ مَعْشَرًا ظَلَمُوا وَعَقُّوا وَكَانُوا بِالْعِدَاوَةِ مُرْصِدِينَ
تُعَاجِلُهُمْ إِذَا نَهَضُوا إِلَيْنَا بَصْرَبٌ يُعْجِلُ الْمُتَسَرِّعِينَ
تَرَانَا فِي فَضَائِصَ سَابِغَاتٍ كَغُذْرَانِ الْمَلَا مُتَسَرِّبِلِينَ
وَفِي أَيْمَانِنَا بَيْضٌ خِفَافٌ بِهَا نَشْفِي مِرَاحَ الشَّاعِبِينَ
يَبَابُ الْخُلْدِ دَقِينُ كَانَ أَسْدًا شَوَابِكُهُنَّ يَحْمِينَ الْعَرِيفَا
يَفْوَارِسُنَا إِذَا بَكَرُوا وَرَاحُوا عَلَى الْأَعْدَاءِ شَوْسًا مُعْلَمِينَ
لِنَنْصُرَ أَحَدًا وَاللَّهُ حَقٌّ نَكُونُ عِبَادَ صِدْقٍ مُخْلِصِينَ
يَوْمَعْلَمِ أَهْلُ مَكَّةَ حِينَ سَارُوا وَأَحْزَابُ أَتَوْا مُتَحَزِّبِينَ
يَبْنِ اللَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ وَأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ
فَيَا تَقْتُلُوا سَعْدًا سَفَاهَا فَإِنَّ اللَّهَ خَيْرُ الْقَادِرِينَ
سَيُذْخِلُهُ جَنَانًا طَيِّبَاتٍ تَكُونُ مَقَامَةً لِلصَّالِحِينَ
كَأَقْدَرَدَكُمُ فَلَا شَرِيدًا بَعِظِكُمْ خَزَايَا خَائِبِينَ
خَزَايَا لَمْ تَقَالُوا ثُمَّ خَيْرًا وَكَذَّبْتُمْ أَنْ تَكُونُوا دَامِرِينَ
يَرْبِيعُ عَاصِفٍ هَبَّتْ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ تَحْتَهَا مُتَكَمِّمِينَ

شعر ابن الزبير

وقال عبد الله بن الزبير السهمي ، في يوم الخندق :

حتى الديار بما معارف رستمها طول البلى وتراوح الأختاف
 فسكانها كتب اليهود رؤسومها إلا النكثيف ومقعد الأطاب
 قفراً كأنك لم تكن تلهو بها في نفقة بأوانسي أتراب
 فأترك تذكر مامضى من غيشة ومحلة خلق المقام يباب
 واذكر بلاء معاشر واشكركم ساروا بأجمعهم من الأنصاب
 أنصاب مكة عامدين ليثرب في ذى غياطل جحفل جباب
 يدع الحزون مناهجاً معلومة في كل نشر ظاهر وشعاب
 فيها الجياد شواذب مخفوة قُب البطون لواحق الأقراب
 من كل سلمية وأجرد سلب كالسيد بادر غفلة الرقاب
 جيش عينة قاصد بلوائه فيه وصخر قائد الأحزاب
 قرمان كالبدرين أصبح فيهما غيث الفقير ومنقل الهراب
 حتى إذا وردوا المدينة وارتدوا للموت كل تجرب قصاب
 شهراً وعشراً قاهرين محمداً وصحابه في الحرب خير صحاب
 نادوا برحلتهم صبيحة قلائم كدنا نكون بها مع الخياب
 لولا الخنادق غادروا من جمعهم قتلى لطي سغب وذباب

حسان يرد على ابن الزبيرى

فلجابه حسان بن ثابت الأنصارى ، فقال :

هل رستم دارسة المقام يباب ممتكلم لحوار يجواب

قَفَر عَفَا رَحْمُ السَّحَابِ رُسُومَهُ وَهُجُوبُ كُلِّ مُطَلَّةٍ مِنْ بَابِ
وَأَقْدَرَأَيْتَ بِهَا الْحُلُولَ يَزِينُهُمْ بِيضُ الْوُجُوهِ ثَوَابِ الْأَحْسَابِ
قَدَحَ الدِّيَارِ وَذِكْرُ كُلِّ خَرِيدَةٍ بِيضَاءُ آنَسَةِ الْحَدِيثِ كَعَابِ
وَإِنَّكَ الْهُمُومُ إِلَى الْإِلَهِ وَمَا تَرَى مِنْ مَعْشَرٍ ظَلَمُوا الرَّسُولَ غَضَابِ
سَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ إِلَيْهِ وَالْبُؤَا أَهْلَ الْقُرَى وَبَوَادِي الْأَغْرَابِ
جَيْشٍ عُمَيْنَةٍ وَابْنُ حَرْبٍ فِيهِمْ مُتَخَمِّطُونَ بِحُلَاةِ الْأَحْزَابِ
حَتَّى إِذَا وَرَدُوا الْمَدِينَةَ وَارْتَجَوْا قَتَلَى الرَّسُولَ وَمَقَنَّمِ الْأَسْلَابِ
وَعَسَدُوا عَلَيْنَا قَادِرِينَ بِأَيْدِهِمْ رُدُّوا بِغَيْظِهِمْ عَلَى الْأَعْقَابِ
بِهِجُوبٍ مُعْصِفَةٍ تُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ وَجُنُودِ رَبِّكَ سَيِّدِ الْأَرْبَابِ
فَكَفَى الْإِلَهِ الْمُؤْمِنِينَ قِتَالَهُمْ وَأَنَابَهُمْ فِي الْأَجْرِ خَيْرَ ثَوَابِ
مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا فَفَرَّقَ بَيْنَهُمْ أَنْزَلَ تَنْصُرَ مَلِكَنَا الْوَهَّابِ
وَأَقْرَبَ عَيْنِ مُحَمَّدٍ وَصِحَابِهِ وَأَذَلَّ كُلَّ مُكَذِّبٍ مُرْتَابِ
عَاتِي الْفُؤَادِ مَوْقِعِ ذِي رِيْبَةٍ فِي الْكُفْرِ لَيْسَ بِطَاهِرِ الْأَثْوَابِ
عَلِقَ الشَّقَاءُ بَقَلْبِهِ ، فَفُؤَادُهُ فِي الْكُفْرِ آخِرُ هَذِهِ الْأَحْقَابِ

كعب يرد على ابن الزبير

وأجابه كعب بن مالك أيضاً ، فقال :

أَبَقِيَ لَنَا حَدَثُ الْحُرُوبِ بَقِيَّةً مِنْ خَيْرِ نَخْلَةٍ رَبَّنَا الْوَهَّابِ
بِيضَاءُ مُشْرِقةِ الذَّرَى وَمَعَاظِنَا حُمِّ الْجُدُوعِ غَزِيرَةِ الْأَحْلَابِ

كاللُّوبُ يُبْذَلُ نَجْمُهَا وَحَفِيلُهَا لَلْجَارِ وَابْنِ الْعَمِّ وَالْمُنْتَابِ
 وَزَائِعًا مِثْلَ الشَّرَاحِ نَمَى بِهَا عَنَفُ الشَّعِيرِ وَجِزَّةُ الْمَقْضَابِ
 عَرَى الشَّوَى مِنْهَا وَأُزْدَفَ نَحْضُهَا جُرْدُ الْمُتُونِ وَسَائِرُ الْآرَابِ
 قُودًا تَرَاخِ إِلَى الصَّبَاحِ إِذْ غَدَتِ فَعَلَ الضَّرَاءُ تَرَاخُ لِلْكَلَّابِ
 وَتَحَوَّطَ سَائِمَةُ الدِّيَارِ وَتَارَةً تَرْدَى الْعَدَا وَتَتُوبُ بِالْأَسْلَابِ
 حُوشُ الْوُحُوشِ مَطَارَةٌ عِنْدَ الْوَعَى عُبْسُ الْإِقَامِ مُبِينَةُ الْإِنْجَابِ
 عُلِفَتْ عَلَى دَعَةٍ فَصَارَتْ بُدْنًا دُخَسَ الْبَضِيعُ خَفِيفَةُ الْأَقْصَابِ
 يَغْدُونَ بِالزَّغْفِ الْمُضَاعَفِ شَكَّهُ وَبِمُتَرَصَّاتٍ فِي الشَّقَافِ صِيَابِ
 وَصَوَارِمٍ نَزَعَ الصَّيَّاقِلُ غَلَبَهَا وَبَكَلَ أَرْوَعَ مَا جَدِ الْأَنْسَابِ
 يَصِلُ الْيَمِينَ بِمَارِنٍ مُتَقَارِبِ وَكَلَّتْ وَقِيعَتُهُ إِلَى خَبَابِ
 وَأَغَرَ أَرْزُقَ فِي الْقَنَاءِ كَأَنَّهُ فِي طُخْيَةِ الظُّلَمَاءِ ضَوْءُ شِهَابِ
 وَكَتَبِيَّةٍ يَنْفَى الْقِرَانَ قَتِيرُهَا وَتَرَدَّ حَدٌّ فَوَاحِدُ الذَّنَابِ
 جَاوَى مُلْمَلَمَةً كَأَنَّ رِمَاحَهَا فِي كُلِّ مَجْمَعَةٍ ضَرِيَّةُ غَابِ
 يَأْوِي إِلَى ظِلِّ الْأَوَاءِ كَأَنَّهُ فِي صَعْدَةِ الْخَطَى فِيهِ عُقَابِ
 أَعْيَتْ أَبَا كَرِبٍ وَأَعْيَتْ تُبَعًا وَأَبَتْ بَسَائِلُهَا عَلَى الْأَغْرَابِ
 وَمَوَاعِظُ مِنْ رَبَّنَا نُهْدَى بِهَا بِلِسَانِ أَزْهَرَ طَيِّبِ الْأَنْوَابِ
 عُرِضَتْ عَلَيْنَا فَاشْتَهَيْنَا ذِكْرَهَا مِنْ بَعْدِ مَا عُرِضَتْ عَلَى الْأَحْزَابِ
 حِكْمًا يَرَاهَا الْمُجْرِمُونَ بِزَنْعِهِمْ حَرَجًا وَيَقْفُوهَا ذَوُو الْأَلْبَابِ

جاءت سَخِينَةُ كَى مُغَالِبَ رَبِّهَا فَلَيَغْلِبَنَّ مُغَالِبُ الْقَلَابِ

قال ابن هشام : حدثني من أثنى به ، قال : حدثني عبد الملك بن يحيى بن
عباد بن عبد الله بن الزبير ، قال : لما قال كعب بن مالك :

جاءت سَخِينَةُ كَى مُغَالِبَ رَبِّهَا فَلَيَغْلِبَنَّ مُغَالِبُ الْقَلَابِ

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد شكرك الله يا كعب على
قولك هذا .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك في يوم الخندق :

مَنْ مَرَّةً ضَرَبَ يُجْعَلُ بَعْضُهُ	بَعْضًا كَمَنْعَةِ الْأَبَاءِ الْمُحْرَقِ
فَقِيَّاتٍ مَأْسَدَةً تُسَنَّ سِيوفُهَا	بَيْنَ اللَّذَادِ وَبَيْنَ جَزَعِ الْخَنْدَقِ
دَرَبُوا بِضَرْبِ الْمُعْلِمِينَ وَأَسْلَمُوا	مُهْجَاتِ أَنْفُسِهِمْ لِرَبِّ الْمَشْرِقِ
فِي عُصْبَةٍ نَصَرَ الْإِلَهَ نَدِيَّتِهِ	يَهُيمُ وَكَانَ بَعْدَهُ ذَا مَرْفَقِ
فِي كُلِّ سَابِقَةٍ تَخْطُ فُضُولُهَا	كَالْتَنِي هَبَّتْ رِيحُهُ الْمُتَرَفِّقِ
بِيَضَاءِ مُحْكَمَةٍ كَأَنَّ قَتِيرَهَا	حَدَقَ الْجَنَادِ ذَاتَ شَكِّ مُوْتَقِ
جَدَلَاءَ يَخْفِزُهَا نَجَادُ مُهَنَّدِ	صَافِي الْحَدِيدَةِ صَارِمِ ذِي رَوْقِ
تَنْسُكُ مَعَ الْقَوَى تَكُونُ لِباسَنَا	يَوْمَ الْهِبَاجِ وَكُلِّ سَاعَةِ مَصْدَقِ
نَحِلُ السِّيَوفِ إِذَا قُضِرْنَ بِخَطُونَا	قُدُمًا وَنُحِيتُهَا إِذَا لَمْ تُلْحَقِ
فَتَرَى الْجُمُوحَ ضَاحِيًا هَامَاتُهَا	بَلَهَ الْأَكْفَ كَأَنَّهَا لَمْ تُخْلَقِ

تَنفِي الْجَمْعِ كَفَصْدَرِ أَشْرِ الشَّرِ قَ . وَنَعْدُ لِلْأَعْدَاءِ كُلِّ مُقَاصِّ
 وَزِدِ وَنَحْجُولِ الْقَوَائِمِ أَهْلَاقِ . تَرَدَّى بِفُرْسَانٍ كَأَنَّ كَلَامَهُمْ
 عِنْدَ الْهِيَاجِ أَسْوَدَ طَلِّ مُلْتَقِ . صَدُقَ يُعَاطُونَ السُّكْمَةَ حَتَّى وَفَهُمْ
 تَحْتَ الْعِمَامَةِ بِالْوَشِيحِ الْمُرْهَقِ . أَمَرَ الْإِلَٰهَ بِرَبْطِهَا لَعْدُوهُ
 فِي الْحَرْبِ إِنَّ اللَّهَ خَيْرُ مُوَفِّقِ . لَتَكُونَ غِيْظًا لِلْعَدُوِّ وَحِيْطًا
 لِّلْدَارِ إِنْ دَلَقْتَ خِيُولَ الْبَرْقِ . وَبِعَيْنِنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ بِقُوَّةِ
 لَدَاكِ خِيُولَ الْبَرْقِ . وَنُطِيعُ أَمْرَ نَبِيِّنَا وَنُجِيبُهُ
 وَمَتَى يُنَادِ إِلَى الشَّدَائِدِ نَأْتِيهَا . وَمَتَى نَرَّ الْحَوَامِتِ فِيهَا نُعْنِقُ
 مَنْ يَتَّبِعُ قَوْلَ النَّبِيِّ فَإِنَّهُ . فِينَا مُطَاعُ الْأَمْرِ حَقُّ مُصَدِّقِ
 فَبِذَاكَ يَنْصَرُّنَا وَيُظْهِرُ عِزَّنَا . وَيُصَيِّبُنَا مِنْ نَيْلِ ذَاكَ بِمِرْقِ
 إِنْ الَّذِينَ يُكْذِبُونَ مُحَمَّدًا . كَفَرُوا وَضَلُّوا عَنْ سَبِيلِ الْمُنْتَقِ

قال ابن هشام أنشدني بيته :

تَلَسَّكُم مَعَ الْقَمَوَى تَكُونُ لِبَاسِنَا

وبيته :

مَنْ يَتَّبِعُ قَوْلَ النَّبِيِّ

أَبُو زَيْد . وَأَنْشَدَنِي :

تَنفِي الْجَمْعِ كَرَأْسِ قُدْسٍ لِلْمَشْرِقِ

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك في يوم الخندق :

انْقَذَ عَالِمُ الْأَحْزَابِ حِينَ تَأَلَّبُوا عَلَيْنَا وَرَأْمُوا دِينَنَا مَا نُؤَادِعُ
أَضَامِيمٍ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ أَضْفَقَتْ وَخِنْدَفٍ لَمْ يَذْرُؤَا بِمَا هُوَ وَاقِعُ
يَذُودُونَنَا عَنْ دِينِنَا وَنَذُودُهُمْ عَنِ الْكُفْرِ وَالرَّحْمَنِ رَاءَ وَسَامِعِ
إِذَا غَايَظُونَا فِي مَقَامٍ أَعَانَنَا عَلَى غَيْظِهِمْ نَصْرٌ مِنْ اللَّهِ وَاسِعِ
وَذَلِكَ حِفْظُ اللَّهِ فِيْنَا وَفَضْلُهُ عَلَيْنَا وَمَنْ لَمْ يَحْفَظِ اللَّهَ ضَائِعِ
هَدَانَا لَدَيْنَ الْحَقِّ وَاخْتَارَهُ لَنَا وَلِلَّهِ فَوْقَ الصَّانِعِينَ صَنَائِعِ

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له :

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك في يوم الخندق :

أَلَا أَبْلُغُ قُرَيْشًا أَنَّ سَلَمًا وَمَا بَيْنَ الْعَرِيسِ إِلَى الصَّمَادِ
نَوَاضِحُ فِي الْحُرُوبِ مُدَرَّبَاتٍ وَخُوصٍ ثَقَبَتْ مِنْ عَهْدِ عَادِ
رَوَاكِدُ يَرْخَرُ الْعُرَارِ فِيهَا فَلَيْسَتْ بِالْجِامِ وَلَا الثَّمَادِ
كَأَنَّ الْغَابَ وَالْبَرْدَى فِيهَا أَحْشَى إِذَا تَبَقَّعَ لِلْحَصَادِ
وَلَمْ تَجْعَلْ تِجَارَتَنَا اشْتِرَاءَ الْخَمِيرِ لِأَرْضِ دَوْسٍ أَوْ مُرَادِ
بِبِلَادٍ لَمْ تُبَيَّرْ إِلَّا لَكِنَّا مُجَالِدٌ إِنْ نَشِطْطِمَ لِلْجِلَادِ
أَتَرْنَا سِكَّةَ الْأَنْبَاطِ فِيهَا فَلَمْ تَرَ مِثْلَهَا جَلَّتْ وَادِ
قَصَّرْنَا كُلَّ ذِي حُضْرٍ وَطُولِ عَلَى الْغَايَاتِ مُتَقَدِّرِ جَوَادِ

أجيئونا إلى ما نَجْمَدِيكُمْ من القول المُبِين والسَّداد
 وإلا فاصبروا لِجِلْدِ يَوْمٍ لكم مِنَّا إلى شَطْرِ التَّمْداد
 نَصَبِّحُكُمْ بِكُلِّ أَخِي حُرُوبٍ وَكُلِّ مُطَهَّمٍ سَاسِ التَّمْداد
 وَكُلِّ طِمْرَةٍ خَفِقَتْ حَشَاها تَدِفُّ دَفِيفَ صَقَرَاءِ الْجُرْدِ
 وَكُلِّ مُقْلَصِ الْآرَابِ نَهْدٍ تَمِيمِ الْخَلْقِ مِنْ أَخْرِ وَهَادِي
 خُيُولٍ لَا تُضَاعُ إِذَا أُضِيعَتْ خِيُولُ النَّاسِ فِي السَّنَةِ الْجَادِ
 يُنَازِعُنِ الْأَعْنَسَةَ مُضْغِيَاتٍ إِذَا نَادَى إِلَى الْفَرْعِ الْمُتَادِي
 إِذَا قَالَتْ لَنَا التُّذْرُ اسْتَعْدُوا تَوَكَّلْنَا عَلَى رَبِّ الْعِبَادِ
 وَقُمْنَا أَنْ يُفَرِّجَ مَا أَقِينَا سِوَى ضَرْبِ الْقَوَائِسِ وَالْجِهَادِ
 فَلَمْ تَرِ عُصْبَةً فِيمَنْ لَقِينَا مِنَ الْأَقْوَامِ مِنْ قَارٍ وَبَادِي
 أَشَدَّ بَسَالَةً مِنَّا إِذَا مَا أُرْدَنَاهُ وَالْبَيْنَ فِي الْوِدَادِ
 إِذَا مَا نَحْنُ أَشْرَجْنَا عَلَيْهَا جِيَادُ الْجُدُلِ فِي الْأَرْبِ الشَّدَادِ
 قَذَفْنَا فِي السَّوَابِغِ كُلِّ صَقَرٍ كَرِيمٍ غَيْرِ مُعْتَلِكٍ الرَّنَادِ
 أَشْمَ كَأَنَّهُ أَسَدٌ عَبُوسٌ غَدَاةَ بَدَايِطِنِ الْجَزَعِ غَادِي
 يُنَشِّي هَامَةَ الْبَطْلِ الْمَذَكِّي صَبِيَّ السَّيْفِ مُسْتَرْخِي النَّجَادِ
 لِنُظْهِرَ دِينَكَ اللَّهُمَّ إِنَّا بِكَفِّكَ قَاهِيْدِنَا بِبُيْلِ الرَّشَادِ

قال ابن هشام بيته :

قَصَرْنَا كُلَّ ذِي حُضْرٍ وَطَوَّلَ

والبيت الذى يتلوه ، والبيت الثالث منه ، والبيت الرابع منه ، وبيته :

أُنْثِمَ كَأَنَّهُ أَسْدٌ عَبُوسٌ

والبيت الذى يتلوه ، عن أبى زيد الأنصارى .

مُسَافِعٌ يَبْكِي عَمْرًا فِي شَعْرِهِ

قال ابن إسحاق : وقال مُسَافِعٌ بن عبد مناف بن وهب بن حُذَافَةَ بن مُجَمِّحٍ

يَبْكِي عَمْرُو بن عَبْدُوْدَ ، وَيَذْكُرُ قَتْلَ عَلِيٍّ بن أبى طالبٍ إِيَّاهُ :

عَمْرُو بن عَبْدِ كَانَ أَوَّلَ فَارِسٍ	جَزَعَ الْعَدَادُ وَكَانَ فَارِسَ يَنْبُلِ
سَمَحُ الْخِلَافَةِ مَا جِدَ ذُو مَرَّةٍ	يَبْنِي الْقِتَالَ بِشِكَاةٍ لَمْ يَنْكُلْ
وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ حِينَ وَلَّوْا عَنْكُمْ	أَنْ ابْنَ عَبْدٍ فِيهِمْ لَمْ يَعْجَلْ
حَتَّى تَكْتَفِيهِ السَّكَاةُ وَكُلُّهُمْ	يَبْنِي مَقَاتِلَهُ وَلَيْسَ بِمُوْتَلِ
وَلَقَدْ تَكْتَفِيهِ الْأُسْدَةُ فَارِسًا	بِجَنُوبِ سَلَمٍ غَيْرَ نَكْسٍ أَمِيلِ
تَسْلُ النَّزَالَ عَلَى فَارِسٍ غَالِبِ	بِجَنُوبِ سَلَمٍ ، لَيْتَهُ لَمْ يَنْزَلْ
فَازْهَبْ عَلَى فَمَا ظَفِرَتْ بِمِثْلِهِ	فَخَرًّا وَلَا لَاقِيَتْ مِثْلَ الْأَمْضِلِ
نَفْسِي الْفَدَاءُ لِفَارِسٍ مِنْ غَالِبِ	لَاقَى حِمَامَ الْمَوْتِ لَمْ يَتَحَلَّلْ
أَعْنَى الَّذِي جَزَعَ الْعَدَادَ مَهْمَرِدِ	طَلَبًا لِنَارِ مَعَاشِرٍ لَمْ يَخْذَلْ

مسافع يؤنب الفرسان الذين كانوا مع عمرو

وقال مسافع أيضاً يؤنب فرسان عمرو الذين كانوا معه ، فأجلّوا
منه وتركوه :

عمرو بن عبد والجياد يقودها خيلٌ تُقاد له وخيلٌ تُنمّل
أجلّت فوارسه وغادر رخطه رُكناً عظيماً كان فيها أوّل
عجباً وإن أعجب فقد أبصرته مَهْما تسومُ على عمراً ينزل
لا تبعذنّ فتد أصبتُ بقتله ولقيتُ قبل الموتُ أمراً ينقل
وهُبيرة المسلوب ولّى مذبراً عند القتال مخافة أن يُقتلوا
وضرار كأن البأس منه مُحضراً ولّى كما ولّى اللّيمُ الأعزل

قال ابن هشام : وبعضُ أهل العلم بالشعر يُنكرها له . وقوله : « عمراً
ينزل » عن غير ابن إسحاق .

هُبيرة يبكي عمراً ويعتذر من فراره

قال ابن إسحاق : وقال هُبيرة بن أبي وهب يعتذر من فراره ، ويبكي
عمراً ، ويذكر قتلَ عليّ إياه :

نَعَرِي ما وَلَّيتُ ظَهْرِي محمداً وأصحابه جُبناً ولا خيفة القتالِ
ولسكنني قلبتُ أمري فلم أجد لستفي غناءً إن ضربتُ ولا نبلي
وقنتُ فلماً لم أجد لي مقدماً صدّدتُ كضُرغامٍ هزبراً أبي شبل

كَتَنِي عِطْفَه عَنْ قِرْنِهِ حِينَ لَمْ يَجِدْ مَكْرًا وَقَدْ مَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ قِطْلِي
 «فَلَا تَبْعِدَنْ يَا عَمْرُو حَيًّا وَهَالِكًا وَحَقَّ لِحُسْنِ الدَّمْحِ مِثْلُكَ مِنْ مِثْلِي
 وَلَا تَبْعِدَنْ يَا عَمْرُو حَيًّا وَهَالِكًا فَقَدْ بَنَتْ مَحْمُودُ النَّفَا مَا جِدَّ الْأَضْلُ
 فَمَنْ إِطْرَادَ الْخَلِيلِ تُقَدِّعْ بِالْقَنَا وَلَا تَفْخَرْ يَوْمًا عِنْدَ قَرْقَرَةِ الْبُرْلُ
 هُنَالِكَ لَوْ كَانَ ابْنُ عَبْدِ لَزَارَهَا وَفَرَجَهَا حَقًّا فَتَى غَيْرُ مَا وَغَلُ
 فَعَنْكَ عَلَى لَا أَرَى مِثْلَ مَوْقِفِ وَقَفْتُ عَلَى نَجْدِ الْمُقَدَّمِ كَالْفَجَلِ
 فَمَا ظَنَرْتُ كَفَأَكَ فُخْرًا بِمِثْلِهِ أَمِنْتُ بِهِ مَا عِشْتُ مِنْ زَلَّةِ النَّعْلِ

هيرة يبكي عمرواً في شعره

قال هيرة بن أبي وهب يبكي عمرو بن عبد ود ، وبذكر قتل عليّ إياه :

لَقَدْ عَلِمْتُ عَلِيًّا لَوْئِيَّ بْنَ غَالِبٍ لِفَارِسُهَا عَمْرُو إِذَا نَابَ نَائِبُ
 لِفَارِسُهَا عَمْرُو إِذَا مَا يَسُومُهُ عَلَى وَإِنْ اللَّيْثُ لَا يَدَّ طَالِبُ
 عَشِيَّةً يَدْعُوهُ عَلَى وَإِنَّهُ لِفَارِسُهَا إِذَا خَامَ عَنْهُ السَّكَايِبُ
 غِيَا لِهَيْفَ نَفْسِي إِنَّ عَمْرًا تَرَكْتُهُ بِيَثْرِبَ لَا زَالَتْ هُنَاكَ الْمَصَائِبُ

حسان يفتخر بقتل عمرو

وقال حسان بن ثابت يفتخر بقتل عمرو بن عبد ود :

بَقِيَّةَ سَكَمِ عَمْرُو أَجْنَبَاءَ بِالْقَنَا بِيَثْرِبَ نَحْمِي وَالْحِمَاةَ قَلِيلُ
 وَنَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ بِكُلِّ مُهْذَدٍ وَنَحْنُ وَلَاةُ الْحَرْبِ حِينَ نَصُولُ

وَنَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ بِيَدْرِ فَأَصْبَحَتْ مَعَاشِرُكُمْ فِي الْهَالِكِينَ تَجُولُ

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها لحسان .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً في شأن عمرو بن عبد ود :

أَمْسَى الْفَتَى عَمْرُو بْنُ عَبْدِ يَبْتَغَى بِجَنُوبٍ يَثْرِبُ تَأْرَهُ لَمْ يُنْظَرْ
فَلَقَدْ وَجَدْتَ سَيُوفَنَا مَشْهُورَةً وَلَقَدْ وَجَدْتَ حِيَادَنَا لَمْ تُقْصَرْ
وَلَقَدْ أَقَيْتَ غَدَاةَ بَذْرِ عَضْبَةٍ ضَرْبُكَ ضَرْبَ غَيْرِ ضَرْبِ الْخُسْرِ
أَصْبَحْتَ لَا تُدْعَى لِيَوْمٍ عَظِيمَةٍ يَا عَمْرُو أَوْ لَجْسِمِ أَمْرٍ مُنْكَرٍ

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها لحسان .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

أَلَا أُنَبِّئُ أَبَا هِذَمٍ رَسُولًا مُقْلَقًا لَهْ تَحَبُّ بِهَا الْمَطَى
أَكُنْتُ وَلَيْسَكُمْ فِي كُلِّ كُرْهِ وَغَيْرِي فِي الرَّخَاءِ هُوَ الْوَلَى
وَمَنْكَ شَاهِدٌ لَدَرَأَى رُفِئْتُ لَهُ كَمَا احْتَمِلَ الصَّبَى

قال ابن هشام : وتروى هذه الأبيات لربيعة بن أمية الدبلي ، وروى

فيها آخرها :

كَبَيْتَ الْخَزْرَجِيَّ عَلَى يَدَيْهِ وَكَانَ شِفَاءً لِنَفْسِي الْخَزْرَجِيَّةِ

وتروى أيضاً لأبي أسامة الجشمي .

شعر حسان في يوم بنى قريظة وبكاء ابن معاذ

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت في يوم بنى قريظة يئس بني سعد
ابن معاذ ويذكر حُكمه فيهم :

لقد سَجَمَتْ مِنْ دَمْعٍ عَيْنِي عِبْرَةٌ	وَحَقَّ لَعْنِي أَنْ تَقِيضَ هَلِي سَعْدٌ
قَتِيلُ نَوَى فِي مَعْرِكٍ فُجِعَتْ بِهِ	عُمُونٌ ذَوَارِي الدَّمْعِ دَائِمَةُ الْوَجْدِ
عَلَى مِلَّةِ الرَّحْمَنِ وَارِثَ جَنَّةٍ	مَعَ الشُّهَدَاءِ وَفَدَاهَا أَكْرَمُ الْوَفْدِ
فَإِنْ تَكْ قَدْ وَدَعْتَنَا وَتَرَكْتَنَا	وَأَمْسَيْنَ فِي غَبَاءٍ مُظْلِمَةِ الْأَلْحَدِ
فَأَنْتَ الَّذِي يَأْسَعِدُ أَبْتَ بِمَشْهَدِ	كَرِيمٍ وَأَنْثَوَابِ الْمَسْكَارِمِ وَالْحَمْدِ
بِحُكْمِكَ فِي حَيِّ قُرَيْظَةَ بِالَّذِي	قَضَى اللَّهُ فِيهِمْ مَا قَضَيْتَ عَلَى عَمْدِ
فَوَافَقَ حُكْمَ اللَّهِ حُكْمَكُمْ فِيهِمْ	وَلَمْ تَنْفُ إِذْ ذُكِرْتَ مَا كَانَ مِنْ عَهْدِ
فَإِنْ كَانَ رَبُّ الدَّهْرِ أَمْضَاكَ فِي الْأَلَى	شَرَوْا هَذِهِ الدُّنْيَا بِجَنَّتِهَا الْخُلْدِ
فَنِعْمَ مَصِيرُ الصَّادِقِينَ إِذَا دُعُوا	إِلَى اللَّهِ يَوْمًا لِلْوَجَاهَةِ وَالْقَصْدِ

شعر حسان في بكاء ابن معاذ وغيره

وقال حسان بن ثابت أيضاً ، يبكي سعد بن معاذ ، ورجالا من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشهداء ، ويذكرهم بما كان فيهم من الخير :
أَلَا يَا لِقَوِي هَلْ لِيَا حُمَّ دَافِعٍ وَهَلْ مَامَعْنَى مِنْ صَالِحِ الْعَيْشِ رَاجِعُ

تَذَكَّرْتُ عَصْرًا قَدْ مَضَى فَتَهَاقْتُ بَنَاتُ الْحَشَى وَانْهَلَ مِنْي الْعَدَامُ
صَبَابَةٌ وَجَدْتُ ذَكَرْتُ نِيَّ أَحِبَّةَ وَقَتْلِي مَضَى فِيهَا طُفِيلٌ وَرَافِعُ
وَسَمْعُ قَاضٍ عَوَافِي الْجِنَانِ وَأَوْحَشَتْ مَنَازِلَهُمْ فَلِلْأَرْضِ مِنْهُمْ بِلَاقِعُ
وَفَوَّأَ يَوْمَ بَذَرٍ لِلرَّسُولِ وَفَوَّ قَهُمُ ظِلَالُ التَّمَنَّا وَالشُّيُوفُ اللُّوَامُ
دَعَا فَأَجَابُوهُ بِحَقِّ وَكَلَّمَهُمْ مُطِيعٌ لَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَسَامِعُ
فَمَا نَكَلُوا حَتَّى تَوَلَّوْا جَمَاعَةً وَلَا يَقْطَعُ الْآجَالُ إِلَّا الْمَصَارِعُ
لَأَنَّهُمْ يَرْجُونَ مِنْهُ شَفَاعَةً إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا النَّبِيُّونَ شَافِعُ
فَذَلِكَ يَا خَيْرَ الْعِبَادِ بِلَاؤُنَا إِبَاجُتُنَا اللَّهُ وَالْمَوْتُ نَاقِعُ
لَنَا الْقَدَمُ الْأُولَى إِلَيْكَ وَخَلَقْنَا لِأَوَّلِنَا فِي مِلَّةِ اللَّهِ تَابِعُ
وَنَسَلْنَا أَنَّ الْمُلْكَ لِلَّهِ وَخَدَهُ وَأَنَّ قَضَاءَ اللَّهِ لَا بَدَّ وَاقِعُ

شعر آخر لحسان في يوم بنى قريظة

وقال حسان بن ثابت أيضاً في يوم بنى قريظة :

لَقَدْ لَقِيتُ قُرَيْظَةَ مَاسَاها وَمَا وَجَدْتُ لِدَلٍّ مِنْ نَصِيرِ
أَصَابَهُمْ بَلَاءٌ كَانَ فِيهِ سِوَى مَا قَدْ أَصَابَ بَنِي النَّصِيرِ
غَدَاةً أَنَا هُمْ يَهْوَى إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ كَأَنَّمَا الْمُتَعِيرِ
لَهُ خَيْلٌ مُجَنَّبَةٌ تَعَادَى بِفَرْسَانِ عَلَيَّهَا كَالْمَعْقُورِ
تَرْكُهُمْ وَمَا ظَفِرُوا بِشَيْءٍ دِمَائُهُمْ عَلَيْهِمْ كَالْفَدِيرِ
فَهُمْ صَرَعَى تَحُومِ الطَّيْرِ فِيهِمْ كَذَلِكَ يُدَانُ ذُو الْعَنْدِ النَّجُورِ

فَأَنْذِرْ مِثْلَهَا نُصْحًا قُرَيْشًا مِنْ الرَّحْمَنِ إِنْ قَبِلْتَ تَنْذِيرِي

وقال حسان بن ثابت في بني قُرَيْظَةَ :

لَقَدْ أَقَيْتَ قُرَيْظَةً مَاسَاها وَحَلَّ بِحِصْنِهَا ذُلَّ ذَايِلِ
وَسَعْدُ كَانَ أَنْذَرَهُمْ بِنُصْحِ بَأْنِ إِيْهِمْ رَبِّ جَلِيلِ
فَمَا بَرِحُوا بِنَقْضِ الْعَهْدِ حَتَّى فَلَاحَ فِي بِلَادِهِمُ الرَّسُولُ
أَحَاطَ بِحِصْنِهِمْ مِثْلًا صُفُوفٍ لَهُ مِنْ حَرٍّ وَقَعْتَهُمْ صَالِلِ

وقال حسان بن ثابت أيضًا في يوم بني قُرَيْظَةَ :

تَفَاقَدَ مَقْشَرُهُ نَصْرُوهَا قُرَيْشًا وَلَيْسَ لَهُمْ يَبَلَدُهُمْ نَصِيرُ
هُمْ أَوْتُوا السِّكِّتَابَ فَضَيَعُوهُ وَهُمْ عُغْيٌ مِنَ التَّوَرَاةِ بُورُ
كَفَرْتُمْ بِالْقُرْآنِ وَقَدْ أَتَيْتُمْ بِتَعْدُوقِ الذِّى قَالَ التَّنْذِيرُ
فَهَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ حَرِيقٌ بِالْبُؤْرَةِ مُسْتَطِيرُ

شعر أبي سفيان في الرد على حسان

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، فقال :

أَدَامَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ صَنِيعِ وَحَرَّقَ فِي طَرَائِقِهَا السَّعِيرُ
سَتَعْلَمُ أَيُّنَا مِنْهَا بِنُزِهِ وَتَعْلَمُ أَيُّ أَرْضَيْنَا تَضِيرُ
فَلَوْ كَانَ النَّخِيلُ بِهَا رِكَابًا لَقَالُوا لَا مَقَامَ لَكُمْ فَسِيرُوا

شعر ابن جوال في الرد على حسان

وأجابه جَبَل بن جَوَّال التَّعَلَبِي أَيْضاً ، وبكى النَّضِيرَ وَقُرَيْظَةَ ، فقال :

أَلَا يَا سَعْدُ سَعْدَ بَنِي مُعَاذٍ لَمَّا لَقِيتَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرَ
لَمَمَرِكَ إِنَّ سَعْدَ بَنِي مُعَاذٍ غَدَاةً تَحْمَلُوا لَهُوَ الصَّبُورُ
فَأَمَّا الْخَزْرَجِيُّ أَبُو حُبَابٍ فَقَالَ لَقَيْنُفَاعَ لَا تَسِيرُوا
وَبَدَّاتِ الْمَوَالِي مِنْ حَضِيرٍ أَسِيداً وَالِدَوَائِرُ قَدْ تَدُورُ
وَأَقْمَرَتِ الْبُورِيَّةُ مِنْ سَلَامٍ وَسَعْيَةٍ وَابْنُ أَخْطَبٍ فَهِيَ بُورُ
وَقَدْ كَانُوا بَيْنَهُمْ ثِقَالاً كَمَا تَقُلْتُ بِمَيْطَانَ الصُّخُورِ
فَإِنَّ يَهْلَكَ أَبُو حَكَمٍ سَلَامٌ فَلَا رَثَ السَّلَاحِ وَلَا دُثُورُ
وَكُلَّ الْكَاهِنِينَ وَكَانَ فِيهِمْ مَعَ الْإِثْنِ الْخَضَارِمَةُ الصُّمُورُ
وَجَدْنَا الْمَجْدَ قَدْ تَبَتُّوا عَلَيْهِ بِمَجْدٍ لَا تُغَيِّبُهُ الْبُدُورُ
أَفِيمُوا بِاسْرَاقَةِ الْأَوْسِ فِيهَا كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَخْزَاةِ عُورُ
تَرَكَتُمْ قِذْرَكُمْ لَا شَيْءَ فِيهَا وَقَدَّرَ الْقَوْمُ حَامِيَةً تَنْفُورُ

مقتل سلام بن أبي الحقيق

الخزرج يستأذنون في قتل ابن أبي الحقيق

قال ابن إسحاق : وأما انقضى شأن الخندق ، وأمر بني قُرَيْظَةَ ، وكان
سلام بن أبي الحقيق ، وهو أبو رافع فيمن حَزَبَ الْأَحْزَابَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم ، وكانت الأوسُ قبلُ أُحُدٍ قد قَتَلت كعبَ بنَ الأشرف ،
في عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريضه عليه ، استأذنت الخُزرجُ
رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في قتل سلام بن أبي الحقيق ، وهو بخيبر ،
فأذن لهم .

التنافس بين الأوس والخزرج في عمل الخير

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عبد
ابن كعب بن مالك ، قال : وكان مما صنع الله به لرسوله صلى الله عليه وسلم أن
هذين الحيين من الأنصار والأوس ، والخزرج ، كانا يتصاولان مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم تصاولَ الفحلين ، لاتصنع الأوسُ شيئاً عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم غملاً إلا قالت الخزرج : والله لاتذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي الإسلام . قال : فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها ؛ وإذا
فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك .

ولما أصابت الأوسُ كعبَ بن الأشرف في عداوته لرسول الله صلى الله
عليه وسلم قالت الخزرجُ : والله لاتذهبون بها فضلاً علينا أبداً ؛ قال :
فتذاكروا : مَنْ رجلٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العداوة كابن الأشرف ؟
فذكروا ابن أبي الحقيق ، وهو بخيبر ؛ فاستأذنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قتله ، فأذن لهم .

قصة الذين أخرجوا لقتل ابن أبي الحقيق

فخرج إليه من الخزرج من بنى سلمة خمسة نفر : عبد الله بن عتيك ،
ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة الحارث بن ربیع ،
وخزاعي بن أسود ، حليف لهم من أسلم . فخرجوا وأمر عليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عتيك ، ونهاهم عن أن يقتلوا وإيذاً أو امرأة .
فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر ، أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلاً ، فلم يدعوا
بيتاً في الدار إلا أغلقوه على أهلها . قال : وكان في عليّة له إليها عجة قال :
فأسندوا فيها حتى قاموا على بابه ، فاستأذنوا عليه ، فخرجت إليهم امرأته ،
فقلت : من أنتم ؟ قالوا : ناس من العرب نلتبس الميرة . قالت : ذاكم صاحبكم ،
فادخلوا عليه ، قال : فلما دخلنا عليه ، أغلقنا علينا وعليها الحجرة ، تخوفنا
أن تكون دونه حجاباً ثم تحول بيننا وبينه ، قالت : فصاحت امرأته ، فنوته .
بنا وابتدرناه ، وهو على فراشه بأسيافنا ، فوالله ما يدلنا عليه في سواد الليل
إلا بياضه كأنه قبطيّة ملقاة . قال : ولما صاحبت بنا امرأته ، جعل الرجل مفاً
يرفع عليها سيفه ، ثم يذكر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسكت يده ،
ولولا ذلك لفرغنا منها بديل . قال : فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبد الله
ابن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه ، وهو يقول : قطني قطني : أي
حسبي حسبي . قال : وخرجنا ، وكان عبد الله بن عتيك رجلاً سيء البصر ،
قال : فوقع من الدرجة فوثبت يده وثناً شديداً - ويقال : رجه ، فيما قال
ابن هشام - وسحلتاه حتى نأتى به منيراً من عيونهم ، فدخل فيه . قال :

فأوقدوا النيران ، واشتدوا في كل وجه يطلبوننا ، قال : حتى إذا يسوا رجعو إلى صاحبهم ، فاكتنفوه وهو يقضي بينهم . قال : قتلنا : كيف لنا بأن نعلم بأن عدو الله قد مات ؟ قال : فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم ، فانطلق حتى دخل في الناس . قال : فوجدت أسراته ورجال يهود حوله وفي يدها المضباح تنظر في وجهه ، وتحدثهم وتقول : أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ، ثم أكذبت نفسي وقلت : أئى ابن عتيك بهذه البلاد ؟ ثم أقبات عليه تنظر في وجهه ثم قالت : فاظ وإله يهود ، فما سمعت من كلمة كانت ألد إلى نفسي منها . قال : ثم جاءنا الخبر فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بقتل عدو الله ، واختلفنا عنده في قتله ، كلنا يدعيه . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هاتوا أسيافكم ، قال : فجئناه بها ، فنظر إليها ، فقال لسيف عبد الله بن أنيس : هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعام .

شعر حسان في قتل ابن الأشرف وابن أبي الحقيق

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت وهو يذكر قتل كعب بن الأشرف ، وقتل سلام بن أبي الحقيق :

لله دُرٌّ عَصَابِيَّةٌ لَا قِيَمَهُمْ	يَا بْنَ الْحَقِيقِ وَأَنْتَ يَا بْنَ الْأَشْرَفِ
يَسْرُونَ بِالْبَيْضِ الْخِفَافِ إِيَّاكُمْ	مَرَحًا كَأَسَدٍ فِي عَرِينٍ مُعْرِفٍ
حَتَّى أَتَوْكُمْ فِي مَحَلِّ بِلَادِكُمْ	فَسَقَوْكُمْ حَقْنًا بَيْضَ دُفَفٍ
مُسْتَبْصِرِينَ لِنُفْرِ دِينِ تَبِيهِمْ	مُسْتَصْفِرِينَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُجْجِفٍ

قال ابن هشام : قوله : « دُفَف » ، عن غير ابن إسحاق .

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

عمرو وصحبه عند النجاشي

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي ، عن حبيب بن أبي أوس الثقفي ، قال : حدثني عمرو بن العاص من فيه ، قال : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جئت رجلاً من قريش ، كانوا يرون رأيي ، ويسمعون مني ، فقلت لهم : تعلمون والله أنني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً ، وإنني قد رأيت أمراً ، فما ترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال : رأيت أن نلتحق بالنجاشي فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كننا عند النجاشي ، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدى محمد ؛ وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خير ، قالوا : إن هذا الرأي . قلت : فاجمعوا لنا ما تهديه له ، وكان أحب ما يهدهى إليه من أرضنا الأدم . فجمعنا له أدماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه .

فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه . قال : فدخل ، ثم خرج من عنده . قال : فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية الضمري ، لو قد دخلت على النجاشي وسألته إياه فأعطانيه ، فضربت عنقه ، فإذا فعلت

ذلك رأيت فُريش أنى قد أجزأت عنها حين قتلت رسولَ محمد . قال : فدخلت
عني فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحباً بصديقي ، أهديتَ إلى من
بلادك شيئاً ؟ قال : قلت : نعم ، أيها الملك ، قد أهديت إليك آدمًا كثيرًا ؛
قال : ثم قرَّبته إليهِ ، فأعجبه واشتهاه ، ثم قلت له : أيها الملك ، إني قد رأيتُ
رجلاً خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطينيه لأقتله ، فإنه
قد أصاب من أشرافنا وخيارنا ، قال : ففضب ، ثم مدَّ يده فضرب بها أنفه
ضربة ظننت أنه قد كسره ، فلو انشَقَّت لي الأرضُ لدخلتُ فيها قِرْقاً منه ؛
ثم قلت له : أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تسكره هذا ما سألتكهِ ؛ قال :
أستأني أن أعطيك رسولَ رجلٍ يأتيه الناموسُ الأكبر الذي كان يأتي موسى
المتقله ! قال : قالت : أيها الملك ، أكذاك هو ؟ قال : ويحك يا عمرو أطيني واتَّبِعْهُ ،
فإنه والله لعلَى الحقِّ ، وليظَهِّرَنَّ على مَنْ خالفه ، كما ظهر موسى على فرعون
وجُنوده ؛ قال : قلت : أمتبابعني له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبسط يده ،
فببابعته : على الإسلام ، ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه ،
وكتمتُ أصحابي إسلامي .

اجتماع عمرو مع خالد في الطريق

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم ، فلقيتُ خالدَ
ابن الوليد ، وذلك قبيل الفتح ، وهو مُقبل من مكة ، فقلت : أين يا أبا سليمان ؟
قال : والله لقد استقام الميسمُ ، وإن الرجل لنبي ، أذهبُ والله فأسلم ، فحتى

متى ؛ قال : قلت : والله ماجئتُ إلا لأسلم . قال : فقدِمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدّم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوتُ ، فقلت : يا رسول الله ، إني أبايعك على أن يُعَفَّرَ لى ما تقدّم من ذنبى ، ولا أذكر ما تأخر ؛ قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا عمرو ، بايع ، فإن الإسلامَ يُحِبُّ ما كان قبله ، وإن الهجرةَ تُحِبُّ ما كان قبها ؛ قل : فبايعته ، ثم انصرفت ..

قال ابن هشام : ويقال : فإن الإسلامَ يَحْتُمُّ ما كان قبله ، وإن الهجرةَ تَحْتُمُّ ما كان قبلها .

إسلام ابن طلحة

قال ابن إسحاق ، وحدثني من لا أتهم : أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهم ، حين أسلما .

شعر ابن الزبيري في إسلام ابن طلحة وخالد

قال ابن إسحاق : فقال ابن الزبيري السهمي :

أُنشِدُ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ حَلَفْنَا وَمُنَاقَى نِعَالِ الْقَوْمِ عِنْدَ الْمُقْبَلِ
وَمَا عَقَدَ الْآبَاءُ مِنْ كُلِّ حَلْفِهِ وَمَا خَالِدٌ مِنْ مِثْلِهَا بِمُحَلِّلِ
أُمِفْتَاحِ بَيْتٍ غَيْرِ بَيْتِكَ تَبْتَغِي وَمَا يُبْتَغَى مِنْ مَجْدِ بَيْتِ مُؤَتَّلِ
فَلَا نَأْمَنَنَّ خَالِدًا بَعْدَ هَذِهِ وَعُثْمَانُ جَاءَ بِالْأُهِمِ الْمُعْضَلِ
وكان فتح بنى قريظة في ذى القعدة وصدر ذى الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون .

غزوة بني لحيان

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق الملقب قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ذا الحجة والحرم وصفرأ وشهر ربيع ، وخرج في جمادى الأولى على رأس سبعة أشهر من فتح قريظة . إلى بني إحيان يطلب بأصحاب الرجيع : خبيب بن عدي وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشام ، ليصيب من القوم غرة .

نخرج من المدينة صلى الله عليه وسلم ، واستكمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فسلك على غراب ، جبل بفاحية المدينة على طريقه إلى الشام ، ثم على تحيص ، ثم على البتراء ، ثم صفق ذات اليسار ، فخرج على بين ، ثم على صخيبرات الأيام ، ثم استقام به الطريق على الحجة من طريق مكة ، فأغذ السير شرباً ، حتى نزل على غران ، وهي منازل بني إحيان ، وغران وادي بين آمتع وعُصفان ، إلى بلد يقال له : ساية ، فوجدتم قد حذروا وتمنعوا عن رموس الجبال . فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخطاه من غيبتهم ما أراد ، قال : لو أنا هبطنا عُصفان لرأى أهل مكة أننا قد جئنا مكة ، فخرج في مثنى راكب من أصحابه حتى نزل عُصفان ، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغنا كراع الغميم ، ثم كر وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً .

فـسـكـن جـابـر بن عـبـد الله يـقـول : سـمـعـتُ رـسـولَ الله صلى الله عليه وسلم يـقـول .
حـيـن وـجـه راجعاً : آيـيـون تـائـيـبـون إـن شاء الله لربنا حامدون ، أعوذ بالله من
وَعُثَاءِ السَّفَرِ ، وَكَآبَةِ الْمُتَقَابِ ، وَسُوءِ الْمُنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ .

والحديث في غزوة بني لحيان ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن
أبي بكر ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ؛ فقال كعب بن مالك في غزوة
بني لحيان .

نَوَّانَ بَنِي لِحْيَانَ كَانُوا تَنَظَّرُوا لَقُوا عَصَبًا فِي دَارِهِمْ ذَاتَ مَصْدَقٍ
لَقُوا مِرْعَانًا يَمْلَأُ السَّرْبَ رَوْعُهُ أَمَامَ طَحُونٍ كَالْمَجْرَةِ فَيَنَاقِ
وَالْكُتْمُ كَانُوا وَابَرًا تَنَبَّعَتْ شِعَابُ حِجَازٍ غَيْرِ ذِي مُتَنَبِّعٍ

فصل في أشعار يوم الخندق

سمر ضرار

ذكر فيها شعر ضرار بن الخطاب :

على الأبطال واليـتـبِ الحـصـيـنا

اليـتـبُ : التـرسـة ، وقيل : الدرع ، وقيل : بيضات ودروع^(١) كانت

تـتـخـذُ من جلود الإبل ، ويشهد لهذا قول حبيب :

(١) ترسة جمع ترس وكل ما سبق من أدوات الحرب من أول الترسة .

هذه الأسمنة والمآذى^(١) قد كثرت فلا الصياصي لها قدّر ولا اليلب

أى لا حاجة بعد وجود الدروع المآذية إلى اليلب ، وبعد الأسمنة إلى الصياصي ، وهى القرون ، وكانت أسمنتهم منها فى الجاهلية^(٢) . قال الشاعر :

يُهْزِهُرُ صَعْدَةٌ جَرْدَاءُ فِيهَا نَقِيعُ النَّسَمِ أَوْ قَرْنُ مَحِيقُ

شعر كعب :

وذكر فى شعر كعب :

فَكُنْتُمْ تَحْتَهَا مُتَكَمِّمِينَ

متفعلين من السكَمِ وهو العَمى ، والأظهر فى الأكمه أنه الذى يولى أعى ، وقد قيل فيه : إنه الذى لا يُبهر بالليل شيئاً ، ذكر هذا القول البخارى فى التفسير .

من شعر حماد مول أسماء الله :

وفيه قوله :

وَجُنُودِ رَبِّكَ سَيِّدِ الْأَرْبابِ

فيه شاهدان زعم أن السَّيِّدَ من أسماء الله ، وقد كره أكثر

(١) السلاح كله من الحديد .

(٢) فى اللسان : وربما كانت تتركب فى الرماح مكان الاسنة .

والعلماء أن يقال في الدعاء : يَا سَيِّدِي ، وأجازه بعضهم ، واحتج بحديث ليس
إِسْنَادُهُ بِالْقَوِيٍّ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا سَيِّدُ ، فَقَالَ :
السَّيِّدُ اللَّهُ .

وأما مذهبُ القاضِي في مثل هذا من الأسماء التي يُراد بها المدحُ والتعظيمُ
فقد كَرِهَ اللَّهُ بِهِ جَائِزَةً مَالَمْ يَرِدْ نَهْيٌ عَنْهُ ، أَوْ يُجْمِعُ الْأُمَّةُ عَلَى تَرْكِ الدَّعَاءِ بِهِ ،
كَأَجْمَعُوا أَلَّا يُسَمَّى بِفَقِيهِهِ ، وَلَا عَاقِلٍ وَلَا سَخِيٍّ ، وَإِنْ كَانَ فِي ذَلِكَ مَدْحٌ .

قال المؤلف : والذي أقول في السيد : إنه اسمٌ يُعْتَبَرُ بِالإِضَافَةِ ، لِأَنَّهُ فِي أَصْلِ
الْوَضْعِ بَعْضُ مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ . تقول : فلان سَيِّدُ قَيْسٍ ، إِذَا كَانَ وَاحِدًا مِنْهُمْ ،
وَلَا يُقَالُ : فِي قَيْسٍ هُوَ سَيِّدُ تَيْمٍ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ وَاحِدًا مِنْهُمْ ، فَكَذَلِكَ لَا يُقَالُ
فِي اللَّهِ تَعَالَى هُوَ سَيِّدُ النَّاسِ ، وَلَا سَيِّدُ الْمَلَائِكَةِ ، وَإِنَّمَا يُقَالُ : رَبُّهُمْ فَإِذَا
قِيلَ : سَيِّدُ الْأَرْبَابِ ، وَسَيِّدُ الْكَرَمَاءِ ، جَازٍ ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ أَكْرَمُ الْكَرَمَاءِ ،
وَأَعْظَمُ الْأَرْبَابِ ، ثُمَّ يُشْتَقُّ لَهُ مِنْ اسْمِ الرَّبِّ فِي وَصْفٍ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَلَا يُوصَفُ
بِالشُّوْدَدِ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ بِاسْمٍ لَهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَقَدْ جَاءَ فِي شِعْرِ حَسَّانَ الَّذِي
يَرْثِي بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

يَا إِذَا الْجَلَالَ وَذَا الْعِلَا وَالشُّوْدَدِ

يُصِفُ الرَّبَّ ، وَلَكِنْ لَا تَقُومُ الْحُجَّةُ فِي إِطْلَاقِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ إِلَّا أَنْ يُسَمَّعَهَا
الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَا يُفَكِّرُهَا ، كَمَا سَمِعَ شِعْرَ كَعْبٍ ، فَلَمْ يُفَكِّرْهُ ، وَإِنَّمَا

بوصف على الوجه الذى قدمناه ، وعلى المعنى الذى بيناه ^(١) .

من شعر كعب :

وقول كعب :

بَيْضَاءَ مُشْرِفَةِ الذَّرَى وَمَعَاظِنَا

(١) هذا كلام له وزنه العظيم . ومن أبدع وأجاد فى هذا الإمام ابن القيم فى بدائع الفوائد فما قرأ ما كتبه فى ص ١٦٤ - ١٦٥ بدائع الفوائد . وما قاله : اختلاف النظائر فى الأسماء التى تطلق على الله وعلى العباد . كالحى والسميع والبصير والعليم والتدبر والملك ونحوها . فقالت طائفة من المتكلمين : هى حقيقة فى العبد مجاز فى الرب . وهذا قول غلاة الجهمية وهو أخبث الأقوال ، وأشدّها فسادا .

والثالث مقابله : وهو أنها حقيقة فى الرب مجاز فى العبد ، وهو قول أبى المعبس الفاشى . .

والثالث : أنها حقيقة فيهما ، وهذا قول أهل السنة وهو الصواب ، واختلاف الحقيقتين فيهما لا يخرجهما عن كونها حقيقة فيهما ، والرب تعالى منها ما يليق بجلاله ، ولا يعيد منها ما يليق به ، ص ١٦٤ . ثم يقول : وله من كل صفة كمال أحسن اسم وأكملها وأتمه معنى وأبعده وأزهره عن شائبة عيب أو نقص ، فله من صفة الإدراكات : العليم الخبير دون العاقل الفقيه ، والسميع والبصير دون السامع والبصير والناظر ، ومن صفات الإحسان : البر الرحيم الودود دون الرفيق والشانوق ونحوهما ، وكذلك العلى العظيم دون الرفيع الشريف ، وكذلك الكريم دون السخى . والخالق البارئ المصور دون الفاعل الصانع المشكل . والغفور العفو دون الصفوح السائر . وكذلك سائر أسمائه تعالى يجرى على نفسه منها أكملها وأحسنها . وما لا يقوم غيره مقامه . فتأمل ذلك . فأسمائه أحسن الأسماء . كما أن صفاته أكمل الصفات . فلا تعدل عماسمى به نفسه إلى غيره . كما لا تتجاوز ما وصف به نفسه . ووصفه به رسوله إلى ما وصفه به المبطلون والمعاظنون ، أنظر صفحتى ١٦٤ ، ١٦٨ من المصدر المذكور .

يعنى : الأظلام ، وقوله : معاطنا يعنى : مفاتيح السمخات عند الماء شبيهة
بمعاطن الإبل ، وهى مبادر كرها عند الماء .

وقوله : حُمَّ الجذوع ، وصفها بالحمة ، وهى السواد ، لأنها تضرب إلى
السواد ، من الخضرة والنعمة ، وشبه ما يجتمع منها بالخب ، فقال :
غزيرة الأحلاب .

وقوله : كاللوب ، اللوب : جمع لوبة ، واللأب : جمع لابة وهى الحرمة ، يقال
ما بين لابتين مثل فلان ، ولا يقال ذلك فى كل بلد ، فقد قال شبيب بن
شبيب لرجل نسبه إلى التصحيف فى حديث السقط . إنه يضل محبة ظناً على
باب الجنة ، فقال له : شبيب : بالظاء منقوطة ، فقال الرجل : أخضت ، إنما
هو بالطاء . قال الراجز :

إني إذا^(١) استنشدت لا أحننطى ولا أحب كثرة التملطى

فقال له شبيب : أأنشدتني وما بين لابتين أفصح منى ، فقال له الرجل :
وهذه لحنة أخرى ، أو للبصرة لا ابتان ؟ ! إنما اللابتان للمدينة والكوفة .

(١) فى اللسان غير منسوب : أنشدت ومجنطى . بالهمز وتركه : المتعذب
المستبطى ، لثى . وقيل : هو الممتنع امتناع طلبه لا امتناع إباء . والنهاية لابن الأثير .
وفى اللسان أن الحرمة أعظم من اللوبة . ويرى سيبويه أن اللوب جمع لابة مثل
قارة وقور . ومثلها ساج وسوح .

وقوله : يُبَدِّلُ جَهْمًا وَحَنِيئًا ، أى : الكثير منها ، والمُنْتَابُ : الزَّوَارُ مُتَعَمِّلٌ
من تَابَ يَنْتُوبُ إِذَا أَلَمَ .

وقوله : وَنَزَائِعًا مِثْلَ السَّرَاجِ ، يعنى : الخيل العربية ، التى تَزِرَعَتْ
من الأعداء .

وقوله : مِثْلَ السَّرَاجِ بالجيم ، كذا وقع فى الأصل ، أى كل واحد منها
كَالسَّرَاجِ ، ووقع فى الحاشية بالخاء ، وفسره فقال : جمع سِرْحَانٍ ، وهو
الذَّبُّ ، وهذا الجمع إنما جاز على تقدير حذف الزائدتين من الاسم وهى الألف
والنون ، ولو جمعه على لفظه ، لقال : سَرَاحِين .

وقوله : وَجِزَّةَ الْمُقْضَابِ الْمُقْضَابُ : زُرْعَةٌ ، وَجِزَّتُهَا مَا يُجَزُّ مِنْهَا لِلْخَيْلِ -
وقوله عرى الشَّوْرى منها ، يعنى القوائم . والنَّحْضُ : اللحم . والآراب : المقاصِلُ ،
واحدهما إَرَبٌ ، وفى الحديث أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ آرَابٍ .

وقوله : قوداً ، أى طوال الأعناقِ ، والفُراه : السُّكَّابُ الضَّارِيَّةُ ، وفى
الحديث : إِنْ قَيْسًا ضَرَّاهُ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ ، أى أَشَدَّهُ الضَّرَّارَةَ . والسُّكَّابُ :
جمع كَالِبٍ ، وهو صاحب السُّكَّابِ ، الذى يصيدها .

وقوله : عُنْبُسُ اللَّقَاءِ : جمع عَبُوسٍ .

وقوله : دُخَسَ البَضِيعُ . البَضِيعُ : اللَّحْمُ المُسْتَطِيلُ ، والدَّخِيسُ من اللحم :-

الكثير .

وقوله : خَفِيفَةُ الْأَقْصَابِ ، يعنى : جَمْعُ قُصْبٍ وهو المِعى

الجزَارَ قَصَابًا ، وقوله يَعْدُونَ بِالزَّغْفِ ، أى : بالدروع .
وقوله : شَكَّه : حَلَقَهُ وَنَسَجَهُ ، وقوله :

وَبِمُتْرَصَاتٍ فِي الثَّقَافِ صِيَابٍ
الْمُتْرَصَاتُ : الْمُحْكَمَةُ ، يعنى الرماح الْمُتَقَفَّةُ .

وقوله : نَزَعَ الصَّيَا قُلُوبَهَا ، أى : جَسَّأَهَا وَخُسُونَةَ دَرُثِهَا ، يقال
عَلِبَ اللَّحْمُ إِذَا لَمْ يَكُنْ رَخِيصًا ، وَعَلِبَ ^(١) النَّبَاتُ إِذَا جَسَأَ .
وقوله : بَمَارِنٍ مُتَقَارِبٍ . الْمَارِنُ : اللَّيْنُ ، وَوَقِيعَتُهُ : صَقْلُهُ ، وَخَبَابُ :
اسْمُ صَيْقَلٍ .

وقوله : وَأَغْرَأَ أَزْرَقَ ، يعنى الرمح ، وَطُخِيَةِ الظُّلُمَاءِ ، أى : شِدَّتِهَا ،
وَطُخَاهُ الْقَلْبُ : ظُلُمَتُهُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي السَّقَرِ جَلِي : إِنَّهُ يَذْهَبُ
بِطُخَاءِ الْقَلْبِ .

وقول كعب :

جاءت سَخِيْفَةٌ كَى تُغَالِبَ رَبَّهَا

كان هذا الاسمُ مما سُمِّيَتْ بِهِ قُرَيْشٌ قَدِيمًا ، ذَكَرُوا أَنَّ قُصِيْبًا كَانَ إِذَا

(١) هى فى نسخ أخرى بالغين وقد فسرهما أبو ذر بقوله : عليها : خشونتها
وما علا عليها من الصدأ . وليس فى اللسان ما قال . وإنما فيه مادة علب
ومعناها كما قال السهيلي .

ذُبِحَتْ ذَبِيحَةً أَوْ نُحِرَتْ نَحِيرَةً بِكَكَّةٍ آتَى بِعَجْزِهَا ، فَصَنَعَ مِنْهُ خَزِيرَةً ، وَهُوَ
لَحْمٌ يُطَبِّخُ بَيْرٌ فَيُطْعَمُهُ النَّاسُ ، فَسَمِيَتْ قُرَيْشٌ بِهَا سَخِينَةً . وَقِيلَ : إِنْ الْعَرَبُ
كَانُوا إِذَا أُسْتَنْتُوا أَكَلُوا الْعِذِينَ ، وَهُوَ الْوَبَرُ وَالْدَّمُ ، وَتَأْكُلُ قُرَيْشُ
الْخَزِيرَةَ وَالْفَسَّةَ ^(١) فَتَفَسَّتْ هَاهُمْ ذَلِكَ فَلَعَبُوهُمْ : سَخِينَةً ، وَلَمْ تَكُنْ قُرَيْشُ
تَكْرَهُ هَذَا اللَّقَبَ ، وَلَوْ كَرِهَتْهُ مَا اسْتَجَازَ كَبُّ أَنْ يَذْكُرَهُ ، وَرَسُولُ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْهُمْ ، وَاتْرَكَهُ أَدَبًا مَعَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إِذَا كَانَ
قُرَشِيًّا ، وَاقْدِ اسْتَشْدَّ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ مَا قَالَهُ الْهُوَازِيُّ فِي قُرَيْشٍ :

بِاشْدَدِّ مَا شَدَدْنَا غَيْرَ كَاذِبَةٍ عَلَى سَخِينَةٍ لَوْلَا الْإِيلُ وَالْحُرْمُ ^(٢)

فَقَالَ : مَا زَادَ هَذَا عَلَى أَنْ اسْتَنْتَنِي ، وَلَمْ يَكْرَهُ سَمَاعَ الْقَلْبِ بِسَخِينَةٍ ،
فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ هَذَا الْقَلْبَ لَمْ يَكُنْ مَكْرُوهًا عِنْدَهُمْ ، وَلَا كَانَ فِيهِ تَغْيِيرٌ لَهُمْ
بشئٍ يَكْرَهُ .

شعر آخر لاسكعب :

وَفِي شَعْرِ كَعْبٍ أَيْضًا : مَنْ سَرَّهُ ضَرْبُ يُمَعْنِي بِعَضْدِ الْمَعْمَعَةِ : صَوْتُ
النَّارِ فِيمَا عَظُمَ وَكَثُفَ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَالْقَضَبَاءِ وَنَحْوِهَا ، وَالْكَتَاخِبَةُ صَوْتُهَا

(١) الفسنة . الكتلة من التمر .

(٢) قاله خدّاش بن زهير العامري بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة
ابن عامر بن صهصعة العامري ، شهد حنيناً مع المشركين ، وله في ذلك شعر منه
هذا البيت . الإصابة رقم ٢٣٢٣ ، وقيل : قالها في حرب الفجار كما في الأغانى
أنظر ص ١٨ و ١٩ و ٢٠ البيان والتبيين لجاجظ .

فَمَا دَقَّ كَالْمَرَّاجِ وَنَحْوَهُ ، وَالْقَطْمَطَةُ : صَوْتُ الْعَالِيَانِ ، وَكَذَلِكَ الْفَرْغَةُ
وَالْجُمُجَةُ صَوْتُ الرِّحَى ، وَالذَّرْدَابَةُ صَوْتُ الطَّبَلِ .

وَقَوْلُهُ : الْأَبَاءُ ، هُوَ الْقَصَبُ وَاحِدَتَهَا أَبَاءَةٌ ، وَالْهَمْزَةُ الْآخِرَةُ فِيهَا بَدَلٌ مِنْ
يَاءٍ ، قَالَ ابْنُ جَنَى ، لِأَنَّهُ عِنْدَهُ مِنَ الْأَبَايَةِ ، كَأَنَّ الْقَصَبَ يَأْبَى عَلَى مَنْ أَرَادَهُ يَمْضَغُ
أَوْ نَحْوَهُ ، وَيَشْهَدُ لِمَا قَالَ ابْنُ جَنَى قَوْلُ الشَّاعِرِ [بَشَرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ] :
يَرَاهُ النَّاسُ أَخْضَرَ مِنْ بَعِيدٍ وَتَمْنَعُهُ الْمَرَارَةُ وَالْإِبَاءَةُ ^(١)

وَقَوْلُهُ : فَلَيَأْتِ مَأْسَدَةٌ ، هِيَ الْأَرْضُ الْكَثِيرَةُ الْأَسَدِ ، وَكَذَلِكَ الْمَسِيخَةُ
الْأَرْضُ الْكَثِيرَةُ السَّيِّئِ ، وَبِجُوزِ أَنْ يَكُونَ مَأْسَدَةٌ جَمْعُ أَسَدٍ كَمَا قَالُوا مَسِيخَةٌ
وَمَعَايِجَةٌ ، حَتَّى سَبَّوْهُ بِشَيْخَةٍ وَمَشْيُوحَاءَ ، وَمَعَايِجَةٌ وَمَشْيُوحَاءَ ، وَأَلْفَيْتُ أَيْضاً
فِي النَّبَاتِ مَسْلُومَاءَ ^(٢) لِمَجَاعَةِ السَّلَمِ وَمَشْيُوحَاءَ ^(٣) لِلشَّيْخِ بِالْحَاءِ ، الْمُهْمَلَةِ ، الْكَثِيرِ .

(١) الْبَيْتُ لِبَشَرِ بْنِ أَبِي خَازِمٍ ، وَقَدْ زِدْتَ الْاِمَامَ فِي الْأَصْلِ مِنَ اللِّسَانِ
بِالْاِمَامِ وَسَمَطُ الْاَلِ . وَقَبْلُ الْبَيْتِ :

فِيَا عَجَباً نَجِبَتْ لَالُ لَامٍ فَلَيْسَ لَهُمْ إِذَا عَقَدُوا وَفَاءً
سَأَفَنُفِ نَحْوَهُمْ بِمَشْنَعَاتٍ لَهَا مِنْ بَعْدِ هَلِكِهِمْ بَقَاءُ
فَانْتَكَمَ وَمَدَحُكُمُ بِجِيرَاءٍ أَبَا لُجَاءٍ كَمَا امْتَدَحَ الْاَلَاءُ
يَرَاهُ النَّاسُ أَخْضَرَ مِنْ بَعِيدٍ وَتَمْنَعُهُ الْمَرَارَةُ وَالْإِبَاءُ

وَالْاَلَاءُ شَيْخٌ حَسَنُ الْمَنْظَرِ مِنَ الْمَطْعَمِ . انْظُرْ ص ٢٢ ٢٣ الْاِمَامِ ط ٢ ،
ص ٦٦٥ سَطِ الْاَلِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ مَسْلُومَاءُ . وَفِي اللِّسَانِ : أَرْضُ مَسْلُومَاءَ كَثِيرَةُ السَّلَمِ .
(٣) فِي اللِّسَانِ : الْمَشْيُوحَاءُ : الْأَرْضُ الَّتِي تَنْبِتُ الشَّيْخَ يَقْصُرُ وَيَمْدُ ، وَقَالَ
أَبُو حَنِيفَةَ : إِذَا كَثُرَ نَبَاتُهُ يَمْدُكَانُ قَبْلُ : هَذِهِ الْمَشْيُوحَاءُ .

وقوله تَسْنُ سَيُوقَهَا ، بنصب الفاء ، وهو الأصح عند القاضي أبي الوليد ،
ورقع في الأصلح عند أبي بحر : تَسْنُ سَيُوقَهَا بالرفع ، ومعنى الرواية الأولى :
تَسْنُ أُمِّي : تَصْقِلُ ، ومعنى الرواية الثانية أُمِّي : تَسْنُ لِلْأَبْطَالِ ، ولن بعدها من
من الرجال سَنَّةَ الْجُرْأَةِ وَالْإِقْدَامِ .

وقوله في وصف الدَّرْعِ :

جَدَلَاءَ يَحْفِزُهَا نِجَادُ مُهَنْدٍ

جَدَلَاءَ من الجَدَلِ ، وهو قُوَّةُ التَّقَلُّبِ ، ومنه الأَجْدَلُ لِلصَّغِيرِ ، وفي هذا
البيت دليلٌ على قوة امتناع الصرف في أَجْدَلِ ، وأنه من باب أَفْعَلَ الذي
مُؤَنَّثُهُ فَعْلَاءَ ، وَمَنْ صَرَفَهُ شَبَّهَ بِأَرْنَبٍ وَأَفْكَالٍ ، وهو أَضْمَفُ الْوَجْهَيْنِ ،
وإن كانوا قد قالوا في جمعه : أَجَادِلَ مثل أَرَانِبٍ فقد قالوا أيضاً الْأَجَارِعَ
وَالْأَبَاطِحَ في جمع أَجْرَعَ وَأَبْطَحَ ، ولكنهم لَا يَصْرِفُونَهُمَا مِنْ حَيْثُ قَالُوا
فِي الْمُؤَنَّثِ بَطْطَاءَ وَجَرَّعَاءَ ، وكذلك القول في أَبْرَقَ وَبَرَّعَاءَ .

وقوله : يَحْفِزُهَا نِجَادُ مُهَنْدٍ ، كقول [أبي قيس] ابن الأَسْلَتِ في وصف
الدَّرْعِ :

أَحْفِزُهَا عَنِّي بِذِي رَوْنَقٍ أَبْيَضَ مِثْلِ الْمَلِيحِ قَطَاعٍ
وذلك أن الدَّرْعَ إِذَا طَالَتْ فَضُولُهَا حَفَزُوهَا ، أَيْ شَمَرُوهَا قَرَبُوهَا
بِنِجَادِ السَّيْفِ .

وقوله : تَلَكُمُ مَعَ النُّقُوى تَسْكُونُ لِبَاسَنَا

من أجود الكلام : وَأَمْلِحِ الْإِنْفَاتِ ، لِأَنَّهُ قَوْلٌ انْتَزَعَهُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ

تعالى : ﴿ وَإِلَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ الأعراف : ٢٦ . وقال الشاعر :

إِنِّي كَأَنِّي أَرَى مَنْ لَا وِفَاءَ لَهُ وَلَا أَمَانَةَ وَسَطَ الْقَوْمِ عُرْيَانًا

وموضع الإجابة والإحسان من قول كعب أنه جعل لباس الذرع تبعًا
لباس التقوى ، لأن حرف مع تعطي في الكلام أن ما بعده هو المتبعوع ،
ونس بتابع ، وقد احتج الصديق على الأنصار يوم السقيفة بأن قال لهم أنتم
الذين آمنوا ، ونحن الصادقون ، وإنما أمركم الله أن تكونوا معنا فقال :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ، وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ التوبة : ١١٩ .
والصادقون هم المهاجرون . قال الله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ ﴾ إلى قوله
﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ الحشر : ٨ .

مكم بد وما بعدها :

وقوله بَلَّةُ الْأَكْفُ ، بحفض الأكف هو الوجه ، وقد روى بالنصب ، لأنه
مفعول ، أي : دع الأكف ، فهذا كما تقول : رُوَيْدَ زَيْدٍ ، ورُوَيْدَ زَيْدٍ .
بلا تنوين مع النصب ، وبَلَّةُ كلمة بمعنى دَعُ ، وهي من المصادر المضافة إلى ما بعدها .
وهي عندي من لفظ البله والتبالة ، وهو من الغفلة ، لأن من غفل عن الشيء
تركه ، ولم يسأل عنه ، وكذلك قوله : بَلَّةُ الْأَكْفُ ، أي لا تسأل عن الأكف
إذا كانت الجاهل ضاحية مقطعة ، وفي الحديث : يقول الله تعالى : (أعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، بَلَّةُ ما أطلعهم عليه .

وقوله : بِفَخْمَةٍ مَلُومَةٍ ، أي : كَتِيبَةٍ مجموعة . وقوله : كَفَصْدِ رَأْسِ

المشرق ، الصحيح فيه : مارواه ابن هشام عن أبي زيد : كراس قُدسِ
المشرق ، لأن قُدسَ جبل معروف من ناحية المشرق .
وقوله :

عند الحياج أسود طلل ملثق

الطلل معروف ، والثلث ما يكون عن الطل من زاقٍ وطين ، والأسود
أجوع ما تكون وأجزاً في ذلك الحين .

قصيدة كعب الغنوية :

وقوله في الغنوية :

أضاميم من قيس بن عيلان أضفقت

واحد الأضاميم : إضامة ، وهو كل شيء مجتمع يقال : إضامة من الناس
وإضامة من كتب .

قيس عبله وقيس كبة :

وقوله : من قيس بن عيلان ، هو المشهور عند أهل النسب ، وبعضهم
يقول : إن قيساً هو عيلان لا ابنه ، قال : وعرف قيس بن عيلان
بقرس ، كان له يسمى : عيلاناً ، كما عرف قيس كبة من بجيلة بقرس اسمه :
كبة ، وكان هو وقيس عيلان متجاورين ، فكان إذا ذكر أحدهم
وقيل أى القيسين هو ، قيل قيس عيلان أو قيس كبة ، وقيل : إن عيلان

اسم كلب ، كان له ، وقيل : عَيْلَانُ اسمُ جَبَلٍ وُلِدَ عنده ، وقيل اسمُ غلامٍ
أَمْضَر كان حَضَنَهُ ، وقيل كان جَوَاداً أَتْلَفَ مَالَهُ فَأَدْرَكَته عَيْلَةً فَسَمَى
عَيْلَان ، ومما يُحْتَجُّ به للقول الآخر قولُ رُوْبَةِ :

وَقَيْسَ عَيْلَانَ وَمِنْ تَقْيَسَا^(١)

سَمِعَ كَلْبٌ فِي الْخَمْرِ :

وقوله في الدالية : وما بَيْنَ الْعَرِيضِ إِلَى الصَّمَادِ الْعَرِيضُ : موضع ، والْتِمَادُ :
جمع صَمَدٍ ، وَهُوَ مَا غَاظَ مِنَ الْأَرْضِ .

وقوله : نَوَاضِحُ فِي الْحُرُوبِ . يعنى : حَدَائِقُ تَحُلِي تُسَمَّى بِالنَّضِجِ . وأراد

(١) قال ابن برى : الرجز للمعراج ، وليس لرؤية ، وصواب لإنشائه :
وقيس بالنصب ، لأن قبله : وإن دعوت من تميم أروساً . وجواب إن في
البيت الثالث : تقاعس العربينا فاقعنسا .

أقول : ولم أجد الرجز في ديوان رؤية . ولم ينسبه ابن قتيبة إلى أحد في
أدب السكاتب . وقال عن صيغة تفعلت إنها تأتي بمعنى إدخالك نفسك في أمر حتى
تضاف إليه ، أو تصير من أهله مثل تقيست . ومعناه - كما يقول الجواليقي في
شرح أدب السكاتب : تقيس : أدخل نفسه في القيسيين ، وانقصب إليهم . وقد
سبق الكلام عن قيس ، واسمه الناسى بن مضر ، وكان الناسى متلافا ، وكان إذا
نفذ ما عنده أتى أخاه الياس ، فيناصفه ماله أحيانا ، ويواسيه أحيانا . فلما طال
ذلك عليه ، وأتاه كما كان بآتيه ، قال له الياس : غابت عليك العيلة ، فأنت
عيلان . فسمى لذلك عيلان . ويقول الجواليقي : وليس في الأسماء عيلان بيمين
غير معجزة غيره .

بالْخَوْصِ آباراً ، وإنما جعل البئر خَوْصاً لأنَّ العَيْنَ الْخَوْصَاءُ هِيَ الْغَائِرَةُ ،
وجمعها خُوصٌ ، فعيونُ الماءِ في الآبارِ كذلك غائِرَةٌ .

وأنشد أبو عبيد في وصف الإبل :

نَحْيَسَةُ بُرْدَلًا كَأَنَّ عِيُونَهَا
عيونُ الرِّكَايَا أَنْكَرَتْهَا الْمَوَاسِحُ ^(١)

وقوله : يَزْخَرُ الْمُرَارُ فِيهَا . الْمُرَارُ : اسمُ نهر .

وقوله :

كَأَنَّ الْغَابَ وَالْبَرْدَى فِيهَا أَجَشُّ إِذَا تَبَقَّعَ لِلْحَصَادِ

يريد : صوتَ حَنِينِ الرِّيحِ ، كصوتِ الْأَجَشِّ ، وهو الْأَيْحُ ، وقد يوصف
النباتُ أيضاً بِالْمُنَّةِ مِنْ أَجْلِ حَنِينِ الرِّيحِ فِيهِ ، فيقال : رَوْضَةٌ غَنَاءُ ، وقد
قيل : إنما ذلك مِنْ أَجْلِ صوتِ الذُّبَابِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ ، قاله أبو حنيفة .

وقوله : تَبَقَّعَ لِلْحَصَادِ ، أَيْ : صارت فِيهِ بُقَعٌ بَيَضٌ مِنَ الْيَبْسِ ، يقال
لِلزَّرْعِ إِذَا صارَ كَذَلِكَ : ارْقَاطٌ ، واسْحَامٌ واسْحَارٌ ^(٢) ، وإذا أَخَذَ السَّبِيلَ الْحَبَّ
قِيلَ : الْحُمُ وَأُسْفَى مِنَ السَّفَى ، وَأَشْعَّ مِنَ الشَّعاعِ بفتح الشين وكسرهما ، وهو
السَّفَى ، ويقالُ أُسْبِلَ الزَّرْعُ مِنَ السَّبِيلِ ، كما يقالُ : بَعِيرٌ حَظَلٌ وأَحْظَلُ الْمَسْكَنُ
مَنْ أَحْظَلَ ، وهى لغةُ أَهْلِ الْحِجَازِ ، وبنو تميم يقولون : سَبِلَ ، وأما هُذَانُ

(١) سبق البيت ، وفي الأصل : أَنْكَرَتْهَا . والصواب ما أثبتته . ولرؤية :

على حميريات كأن عيونها عيون الركايا أنكرتها المواتح

(٢) اسْحَامٌ واسْحَارٌ ليستا في اللسان والقاموس .

فَيَسْمُونَ الشُّذْبُلَ سُبُولاً ، والواحدة سَبُوءَةٌ ^(١) فقياس أعتهم أن يقال أَسْبِيلٌ ،
وإنما فُخِّرَتْ لأنصارُ في هذا الشعر والذي قبله بِخُلِّهَا وَأَطَامِهَا ، إشارة إلى
عِزِّهَا وَمَنْعَتِهَا ، وأنها لم تُغْلَبْ على بلادها على قديم الدهر ، كما أُجْلِيَتْ أَكْثَرُ
الأطاريبِ عن محالها ، وأزعجها الخوفُ عن مواطنها ، وهذا المعنى أراد الحسن
في قوله :

أَوْلَادُ جَفْنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ
لأن إقامتهم حول قبور آبائهم وأجدادهم دليلٌ على مَنَعَتِهِمْ ، والأ
مُغْلَبَ فَمِ عَلَى مَا تَخَيَّرُوهُ مِنْ بَقَاعِ الْأَرْضِ ، وآثَرُوهُ عِنْدَ ارْتِيَادِهِمْ .
وقوله :

أَثَرُ نَاسِكَةٍ الْأَنْبَاطِ فِيهَا
النَّاسِكَةُ : النخْل المصطفًى ، أَيْ حَرَّتْهَا وَغَرَسَتْهَا ، كما تفعل الأنباطُ
في أمصارها لا تخاف عليها كَيْدَ كَائِدٍ ، وإيادها أراد النبيُّ صلى الله عليه وسلم
بقوله : خير المال سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ . والنَّاسِكَةُ أَيضاً : السَّنَةُ ، وهي الحديدة التي
يَشَقُّ بِهَا الْقَدَّانُ ^(٢) الْأَرْضَ ، ويقال لها أَيضاً : الْعَمَانُ ، وهو تفسير الْأَسْمَعِيِّ ،
وفسره أَبُو عُبَيْدٍ عَلَى الْمَعْنَى الْآخَرِ ، وَأَنَّهَا النَّخْلُ ، ويقال أَيضاً أُبْيَيْتُ الْأَرْضَ
فِي مَعْنَى أُثِيرْتُ ، قاله أَبُو حَنِيفَةَ ، وَيُرْوَى فِي الْحَاسَةِ :

(١) أنظر مادة سبل في اللسان ففيها تفصيل .
(٢) القدان : الثور أو الثوران يقرن للمحرت بينهما ، ولا يقال الثور واحد
قدان ، أو هو الثورين .

هَلُمَّ إِلَيْهَا قَدْ أُبِيدَتْ زُرُوعُهَا

أُتِي أُثِيرَتْ . وفي الغريب المصنف :

رَمَقُ بَنِي شِغَارَةَ أَنْ يَقُولُوا لِصَخْرٍ الْغَى مَاذَا تَسْتَقْبِثُ^(١)
وَعَطَطَ أَبُو عُبَيْدٍ [الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ] لَجَعَلِ تَسْتَقْبِثُ مِنْ كَبِيدَةٍ^(٢)
الْبَيْتِ ، وَهُوَ تَرَابُهَا ، وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَقَالَ تَسْتَقْبِثُ بَنُونَ قَبْلَ الْبَاءِ .

وقوله : جَلَمَاتٍ وَادٍ

أَجَلَمَاتٍ مِنَ الْوَادِي مَا كَشَفَتْ عَنْهُ الشُّيُولُ الشَّعْرَاءُ فَجَبَزَتْهُ ، وَهُوَ مِنَ
الْجَنَدِ وَهُوَ الْخِيسَارُ الشَّعْرُ عَنْ مُقَدِّمِ الرَّأْسِ .

وقوله : صَمْرَاءُ أَجْرَادٍ ، وَهِيَ الْخَيْفَانَةُ مِنْهَا ، وَهِيَ الَّتِي أَلْقَتْ سُرُّهَا ،
أَيَ كَيْفِهَا ، وَهِيَ أَخْفُ طَيْرَانًا ، وَالسُّكُفَانُ^(٣) مِنَ الْجَرَادِ أَكْبَرُ مِنَ الْخَيْفَانِ ،

(١) الْبَيْتُ فِي اللِّسَانِ : لَحْنٌ وَشِعَارَةٌ وَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى أَبِي الْمَثَلَمِ الْهَذَلِيِّ ،
وَقَدْ عَرَّاهُ أَبُو عُبَيْدَةَ سَهْوًا إِلَى صَخْرٍ الْغَى . وَقَدْ عَلَنَ ابْنُ سَيِّدَةَ فِي خُطْبَةٍ كِتَابَهُ
مِمَّا قَصَبَ بِهِ الْوَضْعَ مِنْ أَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ فِي اسْتِشْهَادِهِ بِقَوْلِ الْهَذَلِيِّ
الْمَذْكُورِ عَلَى النَّبِيَّةِ الَّتِي هِيَ كُنَاسَةُ الْبَشَرِ ، فَقَالَ : هِيَ مِنَ الْإِرْوَى مِنَ النِّعَامِ
الْأَرِيدِ ، وَأَبْنُ سَهِيلٍ مِنَ الْفَرَقْدِ . لِأَنَّ النَّبِيَّةَ مِنْ نَبْثٍ أَمَا تَسْتَقْبِثُ فَمِنْ بَوْتِ
أَوْ بَيْتٍ . انْظُرْ مَادَّةَ بَوْتٍ وَبَيْتٍ وَنَبْثٍ فِي اللِّسَانِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ بِالْتَّاءِ الْمَفْتُوحَةِ وَهُوَ خَطَأٌ .

(٣) فِي الْأَصْلِ كُفْتَانٌ وَهِيَ كُفْتَانٌ بِالْتَّاءِ لَا بِالشَّاءِ وَهُوَ الْجَرَادُ يَمُدُّ الْغَوَافِ ،
وَقِيلَ هُوَ كُفْتَانٌ إِذَا بَدَأَ حُجْمَ أَجْنَحَتِهِ وَرَأَيْتَ مَوْضِعَهُ شَاخِصًا وَإِنْ مَسَسَتْهُ
وَجَدْتَ حُجْمَهُ ، وَاحِدَتُهُ : كُفْتَانَةٌ ، وَقِيلَ وَاحِدُهُ : كَانَفٌ ، وَالْآخِي كَانَفَةٌ . =

وأول أمر الجراد دُودٌ ويقال له : الغمص^(١) يلقبه بحرُ اليمَن ، وله علامةٌ قبل خروجه ، وهو برّاق يلمع من ذلك البحر سبع عشرة مرةً ، فيعلمون بخروج الجراد ، فانه أبو حنيفة .

وقوله : غير مُعْتَلِثٍ لِرُؤَادٍ

الرؤاد الْمُعْتَلِثُ : هو الذي لا يدري من أى عودٍ هو ، وأصل الاعتلاثِ الاختلاطُ : يقال عَكَثْتُ الطعامَ إذا خلطت حِنْطَةً بِشَعِيرٍ ، والعَلَانَةُ : الرَّؤْدُ الذى لا بُورِي نَاراً .

مقتل ابن أبى الحقيق

ذكر فيه النفر الخمسة الذين قتلوه ، وسماهم ، وذكر فيهم ابن غفبة أسعد ابن حَرَام ، ولا يُعْرَفُ أحدٌ ذكره غيره .

قطني وقمر ونوره الوقاية :

وذكر في الحديث : قَتْنِي قُتْنِي ، قال معناه : حَسْبِي حَسْبِي .

= وقال أبو منصور : سماعي من العرب في الكتفان من الجراد التي ظهرت أجنحتها ولما تفر بعد . والخيافانة : الجراد إذا صارت فيها خطوط مختلفة بياض وصفرة والجمع : خيفان ، وقال اللحياني : الخيفان : جراد اختلفت فيه الألوان والجراد حينئذ أطير ما يكون ، وقيل الجراد قبل أن تستوى أجنحته .
(١) لم أجده لافي اللسان ولا في القاموس ، ولا في معجم ابن فارس . وفي الإنصاح — وهو مختصر المخصص لابن سيدة — السروة : الجراد أول ما يكون ، والدبا : أكبر من السروة وذلك إذا تحرك قبل أن تنبت أجنحته . الواحدة : دباه . السلقة : الجراد التي ألقت بيضها الخ .

قال المؤلف : وهذه الكلمة أصح من القَطْ ، وهو القطع ، ثم خُفِّفَتْ وأُجْرِيتْ بحَرْي الحرف ، وكذلك قَدْ بمعنى قَطْ هي أيضاً من القَدْ ، وهو القَطْعُ طُولاً ، والقَطْ بالطاء هو القطع عَرْضاً ، يقال : إن علياً - رحمه الله - كان إذا استعمل الفارس قَدَهُ ، وإذا استعرضه قَصَّهُ ، ولما كان الشيء الكافي الذي لا يحتاج معه إلى غيره يدعو إلى قَطْع الطَّائِبِ ، وترك المزيد جعلوا قَدْ وقَطْ تُشِيرُ بهذا المعنى ، فإذا ذكرت نفسك قلت : قَدِي وقَطِي ، كما تقول : حَسْبِي ، وإن شئت أَلَحَقْتَ نوناً ، فقلت : قَدْنِي ، وذلك من أجل سكون آخرها فكِرِهُوا تحريكه من أجل الياء ، كما كرهوا تحريك آخر الفعل ، فقلوا ضَرَبَنِي ، وكذلك كرهوا تحريك آخر ليت فقلوا لَيْتَنِي ، وقد يقولون : لَيْتِي وهو قائل ، وقالوا لَعَنِي وَاَلَيْ ، وقلوا من : لَدُنِّي فدخلوها على الياء المحذوفة بالظرف كما أدخلوها على الياء المحذوفة بَيْنَ وَعَنْ ، فعلوا هذا وقايةً لأواخر هذه الكلم من الخفض وخصوا النون بهذا لأنها إذا كانت تنويناً في آخر الاسم ، أدت بامتناع الإضافة ، وكذلك في هذه الواو التي تسميها تُشِيرُ بامتناعها من الخفض ، وتُشِيرُ في الفعل والحروف بامتناعها من الإضافة أيضاً ، لأن الحرف لا يُضَافُ ، وكذلك الفعل مع أن النون من علامات الإضافة في فعلنا ، وفعلنا في ضمير المفعول ، فأما قَدْ وقَطْ فإيمان ، وكذلك لَدُنْ ، وليكن كرهوا تحريك أو آخرها لشبهها بالحروف . فإن قيل : فما موضعُ نون من قَدْ وقَطْ ؟ قلنا : موضعها خفضٌ بالإضافة ، كما هي في لَدُنِّي . فإن قلت : كيف تسكون ضمير المفعول والمنصوب في ضَرَبَنِي وإِيْتَنِي ، ثم تقول إنها في موضع خفض ؟ قلنا : الضمير في الحقيقة هي الياء وحدها في الخفض والنصب .

كما أن السكاف والماء كذلك ، وقد قالوا : مَنَى وعَنَى ، وهو ضمير خَنْصٍ ،
وفيه النونُ ، وقالوا البقي والعلَى ، وهو ضميرُ نَصَبٍ وليس فيه نونٌ فإن قيل :
فما موضع الاسم من الإعراب إذا قلت : قَطِي وقَدِي ؟ قلنا : إعرابهما كإعراب
عَسِي مُبْتَدَأ وخبرُهُ محذوفٌ ، وإنما لزم حذفُ خبرِهِ لما دخله من معنى
الأمر ، ومن هذا الباب قول جَهَنَّمَ أَعَاذَنَا اللهُ مِنْهَا : قَطِي وعِزَّتِكَ قَحِي .
ويروي : قَطِي ، وذلك بعد قولها : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ، فإذا وضعت فيها
القدمُ ، وزَوَى بعضها إلى بعضٍ ، قالت : قَطِي^(١) . وقد جمع الشاعر بين
الْقَاتِنِ ، فقال :

قَدَنِي من نَصْرِ الْحَبِيبِينَ قَدِي^(٢)

(١) في حديث صحيح : لا تزال جهنم يلقى فيها . وتقول هل من مزيد ،
حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض ، فتقول : قط ، قط ،
هَؤُوتُكَ وَكَرْمُكَ ، ولا يزال في الجنة فضل حتى يذشى الله لها خلقها ، فيسكنهم
أفضل الجنة ، متفق عليه بين البخاري ومسلم . وفي حديث آخر متفق عليه بينهم .
« فلما النار ، فلا تمتلئ » حتى يضع الله رجله تقول : قط قط قط ، وثبتت صحة
تدريس نفوس علينا الإيمان بمقتضاه ، الإيمان الذي يقتبس نور الهدى من قوته
سبحانه : (ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير) فله جل شأنه ما يخبر به
عن نفسه ، وما يخبر به عنه رسوله صلى الله عليه وسلم دون تمثيل أو تشبيه
أو تأويل أو تعطيل .

(٢) الرجز من شواهد سيبويه في الكتاب ، وقد أنشده ص ٣٨٧ > ١
تحت : « باب علامة إضمار المنصوب المتكلم والمجرور المتكلم ، البيت عنده :
قَدَنِي من نصر الحبيبين قَدِي ليس الإمام بالشحيح المنحد =

فهذا ما في قَطّ التي هي بمعنى حَسْبِي ، فأما قَطُّ البنية على الأتم ، فهي ظَرْفٌ ماضٍ ، وهي تقال بالتخفيف والتثقل ، وهي من القَطِّ أيضاً الذي بمعنى القطع ، وفي مقابلاتها في المستقبل : عَوْضٌ ما فعلته قَطُّ ، ولا أفعله . عَوْضٌ ^(١) مثل قَبْلُ وبعْدُ .

== وأراد بالخببيين : عبد الله بن الزبير وكنيته أبو خبيب ، ومصعباً أخاه وغلبه عليه لشهرته ، ويروى الخبيبيين على الجمع يريد أبا خبيب وشيعته . والرجز لم ينسبه سيبويه ، وهو لحيد بن مالك بن ربيع الارقط يعرض بابن الزبير ويمدح الحجاج . وقد الثانية تأكيد لقذف مبنى على الكسر في عمل رفع مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل باء المتكلم ، وهي مضاف إليه . وقد روى أبو علي القالي رجزه هكذا :

ليس الأمير بالشحيح الملهد ولا بوبر بالحجاز مقرد
إن ير يوماً بالفضاء بسطير أو يتحجر فالحجر شر محكد
حروى البكرى في السمط قبلهما :

قلت لمنسى ، وهي عجلت تعمدى لا نوم حتى تحسرى وتلهدى
أو تردى حوض أبي محمد ليس الأمير . . . الخ
وقد أورد اللسان الشطرة الأولى في مادة غير منسوبة وفي مادة لحيد إلى حميد
وقال ابن ثور . أنظر ص ١٧ ط ٢ الامالى لقالي وسمط اللآلى للبكرى
ص ٩٤٩ ، ص ٤٧٤ ، ص ٢١ شرح شواهد ابن عقيل للشيخ عبد المتعم الجرجاوى
وشرح الشواهد أيضاً للشيخ فطمة العدوى ص ١٠١ ط ١ شرح ابن عقيل بشرح
الشيخ عبي الدين .

(١) يقول ابن هشام في معنى اليبب ، عوض ظرف لاستغراق المستقبل مثل
أبداً ، إلا أنه مختص بالثني ، وهو معرب إن أضيف كقولهم : لا أفعله عوض
الماتضين ، مبنى إن لم يضاف ، وبنائوه إما على الأتم كقبيل ، أو على الكسر
ككأمس ، أو على الفتح كآين ، وسمى الزمان عوضاً ، لأنه كلما مضى جزء منه =
(م ٢٥ — الروض الأتف ج ٦)

إسلام عمرو بن العاصي وخالد بن الوليد

رحمة الله عليهما^(١)

روينا من طريق أبي بكر الخطيب بإسنادٍ يرفعه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : يقدم عليكم الأيمة رجلٌ حكيم ، فقدم عمرو بن العاصي مهاجراً ، ذكر فيه اجتماعه مع خالد في الطريق وقول خالد له : والله لقد استقام الميسم . من رواه الميسمُ بالياء ، فهي العلامة ، أي قد تبين الأمر واستقامت الدلالة ، ومن رواه المنسمُ بفتح الميم وبالنون ، فعناه : استقام الطريق ووجبت الهجرة ، والمنسمُ مقدّم خفّ البعير ، وكنتي به عن الطريق للتوجه به فيه .

وذكر الزبير بن عمار هذا ، وزاد فيه : أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة صَحِبَهُمَا في تلك الطريق ، فلما قدِموا على النبي صلى الله عليه وسلم ، قال عمرو : وكنت أسنّ منهما ، فأردت أن أكيدهما ، فَقَدَّمْتُهُمَا قَبْلَ اللَّيْلَةِ ، فبايعا ، واشترطا أن يُغْفَرَ مِنْ ذَنْبِهِمَا ما تقدّم ، فأضمرت في نفسي أن يُبايَعَ على أن يغفر الله من ذنبي ما تقدّم وما تأخر ، فلما بايعتُ ذكرتُ ما تقدّم من ذنبي وأنسيتُ أن أقول وما تأخر .

= عوضه جزء آخر ، تقول : عوض لا أفارقك ، كما تقول : قط ما فارقتك . ولا أقول : عوض ما فارقتك ولا : قط لا أفارقك .

(١) يقول ابن كثيره كان إسلامهم بعد الحديبية ، وذلك أن خالد بن الوليد كان يومئذ في خيل المشركين ص ١٤٢ ح ٤ البداية والنهاية .

ما قار الضمري للنجاشي :

وذكر فيه قدوم عمرو بن أمية الضمري على النجاشي بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان في الكتاب ما تكلم به عمرو بن أمية ، فإنه لما قدم عليه قال له : يا أضحمة إن على القول وعليك الاستماع إنك كأتك في الرقة علينا مناً ، وكأنا بالثقة بك منك لأننا لم نظن بك خيراً قط إلا لنلناه ، ولم نخفك على شيء قط إلا أمناء ، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك ألا يحيل بيننا وبينك شاهد لا يرد ، وقاض لا يجور ، وفي ذلك وقع الحز وإصابة المفصل ، وإلأفأت في هذا النبي الأُمِّي كاليهود في عيسى ابن مريم ، وقد فرق النبي عليه السلام رسله إلى الناس فرجأك لما لم يرجهم له ، وأمينك على ما خافهم عليه لخبر سائف وأجر ينتظر ، فقال النجاشي : أشهد بالله أنه النبي الأُمِّي الذي ينتظره أهل الكتاب ، وأن إشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل ، وإن العيان له ليس بأشقى من الخبر عنه ، ولكن أغواني من الحبش قليل فأنظرني حتى أكتب الأعران وألئن القلوب ، وسذكر فيما بعد - إن شاء الله - ما قالته أرسال النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى الملوك ، وما ردت عليها .

الرسل إلى الملوك :

فإن دحية كان رسوله إلى قيصر ، وخارجة بن حذافة كان رسوله إلى كسرى ، وشجاع بن وهب إلى جبلة بن الأيهم الفسائي ، وسليط بن عمرو إلى هوزة بن عبي الحنفي صاحب اليمامة ، والعلاء بن الحنظري إلى المنذر

ابن سَوى [مَلِكِ الْبَحْرَيْنِ] وَالْمُهَاجِرِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ كَلَّالٍ، وَعَمْرَوِ بْنِ الْعَاصِي إِلَى الْجُلَنْدِيِّ^(١) صَاحِبِ عُمانَ، وَحَاطِبِ بْنِ أَبِي بِلْتَعَةَ إِلَى الْمُتَوَقِّسِ صَاحِبِ مِصْرَ، وَعَمْرَوِ بْنِ أُمَيَّةَ إِلَى النُّجَاشِيِّ كَمَا تَقْدُمُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كَلَامٌ قَالَهُ، وَشِعْرٌ نَظَّمَهُ سَنَدُ كَرِهَ بَعْدَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

المصهرية :

فَعَلَّ : وَمَا وَقَعَ فِي أَشْعَارِ السَّيْرِ مِنْ ذِكْرِ الْمَصْهَرِيَّةِ مِنَ الرِّمَاحِ ، فَمنسوبة إِلَى تَمِيمٍ وَكَانَ صَنِيعًا فِيمَا زَعَمُوا يَصْنَعُ الرِّمَاحَ ، وَكَانَتْ امْرَأَتُهُ رُذَيْفَةً تَبِيعَهَا ، فَقِيلَ لِلرِّمَاحِ : الرُّذَيْفِيَّةُ لِذَلِكَ ، وَأَمَّا الْمَاسِيخِيُّ مِنَ الْقَيْسِ فَمنسوبةٌ إِلَى مَاسِيخَةَ ، وَاسْمُهُ نُبَيْشَةُ بْنُ الْحَارِثِ أَحَدُ بَنِي نَضْرَ بْنِ الْأَزْدِ ، وَقَالَ الْجَعْدِيُّ :

يَعْدِسُ نَمَطُفُ أَعْنَاقَهَا كَمَا عَطَفَ الْمَاسِيخِيُّ الْقِيَانَا

وَقَدْ تَنَسَّبَ الْقَيْسِيُّ أَيْضًا إِلَى زَارَةِ وَهِيَ امْرَأَةُ مَاسِيخَةَ . قَالَ صَخْرُ الْغَنِيِّ :

تَمَحَّجَةٍ مِنْ قَيْسِيٍّ زَارَةَ تَحْجَرَاءَ هَتُوفٍ عِدَادُهَا غَرْدُ^(٢)

مِنْ كِتَابِ الْغَبَاتِ لِلدَّيْلَمِيِّ ، وَالْبَزْزِيَّةُ مَنْسوبةٌ إِلَى عُيَيْنِ الطَّعْمَانِ ،

وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِبَزْنَ^(٣) بْنِ هَازِي ، وَالْمَازِيَّةُ مَنْسوبةٌ إِلَى مَازِي بْنِ بَافِثَ

(١) فِي الْقَامُوسِ : جَلَنْدَاهُ بَعْضُ أَرْلِهَ . وَفَتْحَ ثَانِيَهُ عِدَدُودَةٍ وَبَعْضُ ثَانِيَهُ

مَقْصُورَةٌ اسْمُ مَلِكِ عُمانَ ، وَرَمَّ الْجَوْهَرِيُّ قَفْصَهُ مَعَ فَتْحِ ثَانِيَهُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ زَارَةُ وَهِيَ خَطَأٌ ، وَالْعِدَادُ : صَوْتُ الْقَوْسِ .

(٣) قَالَ ابْنُ جَنَى : ذَوِي بَزْنَ غَيْرُ مَعْرُوفٍ ، أَصْلُهُ . بِرَأْنِ بَدَائِلِ قَوْلِهِمْ : =

ابن نُوح ، قاله العالبي ، وزعم أن أول من عمل السيوف جم وهو رابع
ملوك الأرض .

غزوة بني لحيمان

ليس فيها ما يُشْكِل ، وفيها من شعر حسان ^(١) .

لَقُوا سَرَعَانًا يَمْلَأُ السَّرْبَ رَوْعُهُ

سَرَعَانُ الدَّاسِ : سُبَّاقُهُمْ ، وَالسَّرْبُ : الدَّالُ الرَّاعِي ، كَأَنَّهُ يَجْمَعُ سَارِبٍ ،
ويقال : هو آمن في سَرْبِهِ إِذَا لَمْ يُدْعَرْ ، وَلَا خَافَ عَلَى مَالِهِ مِنَ الْفَارَةِ ، وَمَنْ
قَالَ فِي سَرْبِهِ بِكَسْرِ السَّيْنِ ، فَهُوَ مَثَلٌ ، لِأَنَّ السَّرْبَ هُوَ الْأَطْيَعُ مِنَ الْوَحْشِ
وَالطَّيْرِ ، فَمَعْنَى : آمِنٌ فِي سَرْبِهِ ، أَيْ لَمْ يُدْعَرْ هُوَ نَفْسُهُ وَلَا دُعِيرُ أَهْلِهِ ، وَلِهَذَا
الْمَعْنَى أَشَارَ مَنْ قَالَ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ : مَعْنَى فِي سَرْبِهِ أَيْ فِي نَفْسِهِ لَمْ يَرِدْ أَنَّ النَّفْسَ
يُقَالُ لَهَا : سَرْبٌ وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّهُ لَمْ يُدْعَرْ هُوَ وَلَا مَنْ مَعَهُ . لَا كَالْآخِرِ الَّذِي
تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، وَقِيلَ فِيهِ آمِنٌ فِي سَرْبِهِ بِنَفْسِهِ ، فَسَكَانُ الْوَاحِدِ آمِنٌ فِي مَالِهِ ،
وَالْآخِرُ آمِنٌ فِي نَفْسِهِ ، وَيُقَالُ : فِي سَرْبِهِ ، أَيْ : فِي طَرِيقِهِ أَيْضًا ^(٢) .
وقوله :

أَمَامَ طَحُونٍ كَالْمَجْرَّةِ فَيَلْقَى

= رمح يزاني وأزاني ، وقالوا أيضاً : أي في ووزنه عيفي ، وقالوا آزني ووزنه عافلي .
وسميت يوزنة لأن أول من عملت له ذونون .

(١) هو سهو من السهيل فالشعر الكعب بن مالك .

(٢) أنظر مادة سرب في اللسان .

يعنى : كتيبة ، جطها كالمجرة للمعان الشيوف والأسنة فيها كالنجوم
حوال المجرة ، لأن النجوم - وأكثر ما تكون - حولها ، وقد قيل : إن
المجرة نفسها نجوم صغار متلاصقة ، فبياض المجرة من بياض تلك النجوم ،
وقد روى في حديث منقطع : أن المجرة التي في السماء هي من أعاب حبة
تحت العرش^(١) ، وفي حديث معاذ بن جبل أن النبي - صلى الله عليه وسلم -
حين بعثه إلى اليمن قال له : إنك ستقدم على قوم يسألونك عن أمجرة ، فقل
لهم : هي من عرق الأنفى التي تحت العرش ، احسن إسناد هذا الحديث ضعيف
عند أهل النقل لا يبرج عليه ، ذكره العقيلي ، وعن علي أنها شرج السماء الذي
تنشق منه ، وأما قول المُنَجِّج بن غير الإسلاميين في معنى المجرّة ، فذكر لهم
القاضي في المنتقى الكبير نحواً من عشرة أفعال وأكثر ، منها ما يجوز
بالعقل ، ومنها ما هو شبه التهذيان ، والله أعلم .

ويجوز أن يكون قوله كالمجرة ، أى أثر هذه الكتيبة الطحون كآثر
المجرة تفسر ما مرّت عليه ، وتكُنّسه . والفيلق : فيعل من الفلق وهي
الداهية ، كأنها تفلق القلوب ، وهي الفلقة^(٢) أيضاً . قال ابن أحر :

(١) هذا الحديث ومثله يبين لنا مدى احتدام شهوة الكذب على رسول
الله صلى الله عليه وسلم في نفوس الوضّاعين ومدى الجهالة التي تردى فيها الكثير
من المسلمين إذ يهش بينهم مثل هذا الافتراء حتى يكتب في كتب !!

(٢) الذى فى اللسان الفلق والفليق والفليقة والفلقة والفيلق والفلاق كله :
الداهية والأمر العجيب .

غزوة ذى قرد

ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلم يُقيم بها إلا ليالي ثلاث ، حتى أغار عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر القراري ، في خيل من عطفان على لقاح لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالفاة ، وفيها رجل من بني غفار وامرأة له ، فقتلوا الرجل ، واحتملوا المرأة في اللقاح .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ، وممن لا أنهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، كل قد حدث في غزوة ذى قرد بعض الحديث : أنه كان أول من نذر بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأشلمي ، غدا يريد الفاة متوشحاً قوسه ونبله ، ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده ، حتى إذا علا نذية الواداع نظر إلى بعض خيولهم ، فاشرف في ناحية سلع ، ثم عرخ : واصباحاه ، ثم خرج يشتد في آثار القوم ،

قد طرقت بيكرها أم طبق فدبروه خبراً عنهم العنق

ف قيل : وما ذاك ؟ قال :

موت الإمام فلقة من الفلق^(١)

(١) قاله لما نعى إليه المنصور ، ورواية الشطرة الثانية في اللسان مكذبا : فذمروها وهمة . ويقال للدواهي بنات طبق ، ويروى أن أصلها الحية أي أنها استدارت حتى صارت ، مثل الطبق .

وكان مثل السبع حتى لحق بالقوم ، فجعل يردُّهم بالنبل ، ويقول إذا رمى : خذها وأنا ابن الأكوع ، اليوم يوم الرضّع ، فإذا وُجِّهَت الخيلُ نحوه نطلقها هارباً ، ثم عارضهم ، فإذا أمكنه الرمي رمى ، ثم قال : خذها وأنا ابن الأكوع . اليوم يوم الرضّع ، قال . فيقول قائلهم : أويكعنا هو أوّل النهار .

تسابق الفرسان إلى الرسول صلى الله عليه وسلم

قال : وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صياحُ ابن الأكوع ، فصرخ بالمدينة : الفرع الفرع ، فترامت الخيولُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان أوّل من انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفرسان : المقداد بن عمرو ، وهو الذي يُقال له : المقداد بن الأسود ، حليف بني زُهرة . ثم كان أوّل فارس وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد المقداد من الأنصار ، عباد بن بشر بن وقش بن زُغبة بن زُغوراء ، أحد بني عبد الأشهل ، وسفد ابن زيد ، أحد بني كعب بن عبد الأشهل ، وأُسَيد بن ظُهَيْر ، أخو بني حارثة . ابن الحارث ، يُشكُّ فيه ، وعُكاشة بن محصن ، أخو بني أسد بن خزيمة ، ومحرز بن نخلة ، أخو بني أسد بن خزيمة ، وأبو قتادة الحارث بن ربيعة ، أخو بني سلمة ، وأبو عيَّاش ، وهو عُبَيد بن زيد بن الصَّامت ، أخو بني زُرَيق . فلما اجتمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عليهم سعد بن زيد فيما بلغني ، ثم قال : اخرج في طلب القوم ، حتى ألحقك في الناس .

نصيحة الرسول لأبي عيَّاش

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيما بلغني عن رجال من بني

زُرَيْق ، لأَبِي عِيَّاش : يَا أَبَا عِيَّاش ، لَوْ أُعْطِيتَ هَذَا الْفَرَسَ رَجُلًا ، هُوَ أَفْرَسُ مِنْكَ فَلَحَقَ بِالْقَوْمِ ؟ قَالَ أَبُو عِيَّاش : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَا أَفْرَسُ النَّاسِ ، ثُمَّ ضَرَبْتُ الْفَرَسَ ، فَوَاللَّهِ مَا جَرَى بِي خَمْسِينَ ذِرَاعًا حَتَّى طَرَحَنِي ، فَعَجِبْتُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : لَوْ أُعْطِيتَهُ أَفْرَسَ مِنْكَ ، وَأَنَا أَقُولُ : أَنَا أَفْرَسُ النَّاسِ ، فَرَعَمَ رَجَالٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُعْطِيَ فَرَسَ أَبِي عِيَّاشٍ مُعَاذِينَ مَاعِصٍ ، أَوْ عَائِذَ بْنَ مَاعِصٍ بَنِي قَيْسِ بْنِ خَلْدَةَ ، وَكَانَ ثَامِنًا ، وَبَعْضُ النَّاسِ يَعِدُّ سَلَمَةَ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْأَكُوْعِ أَحَدَ الثَّمَانِيَةِ ، وَيَطْرَحُ أَسِيدَ ابْنِ ظُهَيْرٍ ، أَخَا بَنِي حَارِثَةَ ، وَاللَّهِ أَعْلَمُ أَيْ ذَلِكَ كَانَ . وَلَمْ يَكُنْ سَلَمَةُ يَوْمَئِذٍ ، فَارِسًا ، وَقَدْ كَانَ أَوَّلَ مَنْ حَلَقَ بِالْقَوْمِ عَلَى رِجْلَيْهِ . فَخَرَجَ الْفَرَسَانِ فِي طَلَبِ الْقَوْمِ حَتَّى تَلَا حَقْوًا .

مقتل محرز بن نضلة

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : لَخَدَثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ : أَنَّ أَوَّلَ فَارِسٍ حَلَقَ بِالْقَوْمِ مُحْرِزُ بْنُ نَضَلَةَ ، أَخُو بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ - وَكَانَ يُقَالُ لِمُحْرِزٍ : الْأَخْرَمُ بِهِ ، وَيُقَالُ لَهُ قُمَيْرٌ - وَأَنَّ الْفَزَعَ لَمَّا كَانَ جَالِ فَرَسٍ لِمُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ فِي الْخَائِطِ ، حِينَ سَمِعَ صَاهِلَةَ الْخَيْلِ ، وَكَانَ فَرَسًا صَدِيمًا جَامًّا ، فَقَالَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، حِينَ رَأَيْنَ الْفَرَسَ يَجُولُ فِي الْخَائِطِ يَمْجِدُّ نَحْلَ هُوَ مَرْبُوطٌ فِيهِ - يَا قُمَيْرُ ، هَلْ لَكَ فِي أَنْ تَرْكَبَ هَذَا الْفَرَسَ ؟ فَإِنَّهُ كَمَا تَرَى ، ثُمَّ تَنَاقَضَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِالْمُسْلِمِينَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَأَعْطَيْتُهُ إِيَّاهُ . فَخَرَجَ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ بَدَأَ الْخَيْلَ بِجَمَامِهِ ، حَتَّى أَدْرَكَ الْقَوْمَ ، فَوُتِفَ لَهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ، ثُمَّ قَالَ :

قَفُّوا يامعشر بنى اللَّسَكِيَّةِ حتى يابحى بكم مَنْ وَرَاءَكُمْ من المهاجرين والأنصار . قال : وحل عليه رجلٌ منهم فقتله ، وجال الفرس ، فلم يقدر عايه حتى وقف على آريو من بنى عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، فلم يُقتل من المسلمين غيره .

قال ابن هشام : وقُتِلَ يومئذ من المسلمين مع مُحْرَزٍ ، وَقَاصُ بْنُ مُجَزَّزٍ الْمَذَلِجِيُّ ، فيما ذكر غير واحد من أهل العلم .

أسماء أفراس المسلمين

قال ابن إسحاق : وكان اسم فرس محمود : ذَا اللَّمَّةِ .

قال ابن هشام : وكان اسم فرس سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ : لَاحِقٌ ، واسم فرس الْقِدَادِ بَغَزَجَةٌ ، ويقال : سَمِجَةٌ ، واسم فرس عُسْكَاثَةَ بْنِ مِحْصَنٍ : ذُو اللَّمَّةِ ؛ واسم فرس أَبِي قَتَادَةَ : حَزْوَةٌ ، وفرس عَبَّادِ بْنِ بَشَرَ : كَمَاعٌ ، وفرس أُسَيْدِ بْنِ ظُهَيْرٍ : مَسْنُونٌ ، وفرس أَبِي هَيَّاشٍ : جُلُوةٌ .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعضُ من لا أتهم عن عبد الله بن كَثْبٍ بن مالك : أنْ مُجَزَّزاً إِنَّمَا كَانَ عَلَى فَرَسٍ لِمُسْكَاثَةَ بْنِ مِحْصَنٍ ، يقال له : الْجَنَاحُ ، ففُتِلَ مُجَزَّزٌ وَاسْتَلْبِثَ الْجَنَاحُ .

قتلى المشركين

ولما تلاحت الخيل قتل أبو قتادة الحارث بن رَبِيعٍ ، أخو بني سَلَمَةَ ، حَبِيبُ بْنُ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ ، وَغَشَّاهُ بُرْدُهُ ، ثُمَّ لَحِقَ بِالنَّاسِ .

وَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمُسْلِمِينَ .

استعمال ابن أم مكتوم على المدينة

قال ابن هِشَامٍ : واستعمل على المدينة ابن أم مَكْتُوم .

قال ابن إسحاق : فإذا حَبِيبٌ مُسَجَّى بُزْدِ أَبِي قَتَادَةَ ، فاستزج للناس وقالوا : قُتِلَ أَبُو قَتَادَةَ ؛ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ليس بأبي قَتَادَةَ ، ولكنه قَتِيلَ لَأَبِي قَتَادَةَ ، وَضَعَ عَلَيْهِ بُرْدَهُ ، لَتَعْرِفُوا أَنَّهُ صَاحِبُهُ .

وَأَدْرَكَ عُسْكَاشَةَ بْنَ مُحْصَنٍ أَوْ بَارَأَ وَابْنَهُ عَمْرُو بْنُ أَوْ بَارَ ، وَهَما عَلَى بَعِيرٍ وَاحِدٍ ، فَانْتَظَمَهُمَا بِالرُّمَحِ ، فَقَتَلَهُمَا جَمِيعًا ، وَاسْتَقْنَقُوا بِمَضَى الْأَفْجَاحِ ، وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَ بِالْجَبِيلِ مِنْ ذِي قَرْدٍ ، وَتَلَا حَقٌّ بِهِ النَّاسُ ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ ، وَأَقَامَ عَلَيْهِ يَوْمًا وَلَيْلَةً ؛ وَقَالَ لَهُ سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ سَرَّحْتَنِي فِي مِائَةِ رَجُلٍ لَاسْتَقْنَقْتُ بِغَيَّةِ السَّرْحِ ، وَأَخَذْتُ بِأَعْنَاقِ الْقَوْمِ ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَا بُلْفُزِي : إِنَّهُمْ الْآنَ لَيُغَبِّقُونَ فِي غَطَفَانَ .

تقسيم الفئ بين المسلمين

فَقَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَصْحَابِهِ فِي كُلِّ مِائَةِ رَجُلٍ جَزُورًا ، وَأَقَامُوا عَلَيْهَا ، ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِلًا حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ .

امراة الغفارى وما نذرت مع الرسول

واقبت امراة الغفارى على ناقة من ابل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى قدمت عليه فأخبرته الخبر ، فلما فرغت ، قالت : يا رسول الله ، إني قد نذرت لله أن أنحرها إن نجاني الله عليها ؛ قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : بئس ما جزيتها أن حلك الله عليها ونجأك بها ثم تنحرينها ! إنه لا نذر في معصية الله ولا فيما لا يملكين ، إنما هي ناقة من ابل ، فارجعي إلى أهلِكَ على بركة الله .

والحديث عن امراة الغفارى وما قالت ، وما قل لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن أبى الزبير المسمى ، عن الحسن بن أبى الحسن البصرى .

شعر حسان فى ذى قرد

وكان مما قيل من الشعر فى يوم ذى قرد قولُ حسان بن ثابت :

لولا الذى لاقت ومسّ نُسورها	بجنوب ساية أمس فى التَّقَوادِ
لأقنينكم بمن كلّ مدجج	حامى الحقيقة ماجد الأجداد
وأسرّ أولاد اللقيط	سنم غداة فوارس النمداد
كنن ثمانية وكانوا جحفا	لبيا فشكوا بالرماح بداد
كنا من القوم الذين يؤنهم	ويقدمون عنان كل جواد
كلا ورب الرافعات إلى مئ	يقطعن عرض تحارم الأطواد

حتى مُبِيلِ الْخَلِيلِ فِي عَرَصَاتِكُمْ وَتَوْبِ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَوْلَادِ
 رَهْوَاً بِكُلِّ مُتَمَلِّصٍ وَطِمْسَرَةٍ فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ عَطْفَنَ رَوَادِي
 أَفْنَى دَوَابِرِهَا وَلَا حَ مَتُونَهَا يَوْمَ تُقَادُ بِهِ وَيَوْمَ طَرَادِ
 فَسَكْدَاكَ إِنَّ جِيَادَنَا مَلْبُونَةٌ وَالْحَرْبُ مُشْعَلَةٌ بِرِيحِ غَوَادِ
 وَشُيُوفِنَا بِيضُ الْخِلْدَانِ تَجْتَلِي جَنَّ الْحَدِيدِ وَهَامَّةَ الْمُرْتَادِ
 أَخَذَ الْإِلَهِ عَلَيْهِمُ الْكَرَامَةَ وَلِعِزَّةَ الرَّحْمَنِ بِالْأَسْدَادِ
 كَانُوا بَدَارِ نَاعِمِينَ فَبَدَّلُوا أَيَّامَ ذِي قَرْدٍ وَجُوءَ عِبَادِ

غضب سعد على حسان ومحاولة حسان استرضاءه

قال ابن هشام : فلما قالها حسان غضب عليه سعد بن زيد ، وحلف أن
 لا يكلمه أبداً ، قال : انطأق إلى خيلى وفوارسى فجعلها للمقداد ! فاعتذر إليه
 حسان وقال : والله ما ذاك أردت ، واسكن الروى وافق اسم المقداد ، وقال
 ألياناً يرضى بها سعداً :

إذا أردتم الأشدَّ الجُلْدَا أو ذا غَنَاءٍ فَعَلَيْكُمْ سَعْدَا
 سعد بن زيد لا يهدد هدا
 فلم يقبل منه سعد ولم يُغن شيئاً .

شعر آخر لحسان في يوم ذى قرد

وقد حسان بن ثابت في يوم ذى قرد :

أُظِنَ عُيُنُهُ إِذْ زَارَهَا بَانَ سَوْفَ يَهْدِمُ فِيهَا نُصُورُهَا
فَأَكْذِبَتْ مَا كُنْتَ صَدَّقْتَهُ وَقُلْتُمْ سَنَقُومُ أَمْرًا كَبِيرًا
فَعَفَّتَ الْمَدِينَةُ إِذْ زُرَّتْهَا وَأَنْتَ لِلْأَسَدِ فِيهَا زَنْبِيرًا
فَوَلَّوْا سِرَاعًا كَثْرَةَ النَّعَامِ وَلَمْ يَكْشِفُوا عَنْ مُلِطَّةٍ حَصِيرًا
أَمِيرٌ عَلَيْهِمَا رَسُولُ الْمَلِكِ أَحْبَبَ بِذَلِكَ إِلَيْنَا أَمِيرًا
رَسُولُهُ نَصَدَّقُ مَا جَاءَهُ وَيَتْلُو كِتَابًا مُضِيئًا مُنِيرًا

شعر كعب في يوم ذي قرد

وقال كعب بن مالك في يوم ذي قرد للفوارس :

أَتَحَسِبُ أَوْلَادُ اللَّعِيطَةِ أَنَّنَا عَلَى الْخَيْلِ لَسْنَا مِثْلَهُمْ فِي الْفَوَارِسِ
وَأَنَا أَنَا لَأَنْزَى الْقَتْلِ سُبَّةً وَلَا نَنْشَى عِنْدَ الرَّحْمَاحِ الدَّعَاسِ
وَأَنَا لَنَقْرَى الضَّيْفَ مِنْ قَمْعِ الذُّرَا وَنَضْرِبُ رَأْسَ الْأَبْلَغِ الْقَشَاشِ
نَرُدُّ كُمَاةَ الْمُعَلَمِينَ إِذَا انْبَخَوْا بِضَرْبِ يُسَلَّى نَخْوَةِ الْمُتَعَايِسِ
بِكُلِّ فِتْنَى حَامِي الْحَقِيقَةِ مَا جَسِدِ كَرِيمٍ كَسِرَ حَانَ الْفَضَاءِ مُخَاسِ
يَذُودُونَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ وَتِلَادِهِمْ بِدَيْغٍ تَقْدَّ الْهَامَ تَحْتَ الْقَوَائِسِ
فَسَائِلُ بَنِي بَذْرِ إِذَا مَا لَقِيَهُمْ بِمَا قَعَلَ الْإِخْوَانُ يَوْمَ السَّمَاوِسِ
إِذَا مَا خَرَجْتُمْ فَاصْدُقُوا مَنْ تَقِيمُ وَلَا تَكْتُمُوا أَخْبَارَكُمْ فِي الْجَالِسِ
وَقُولُوا زَلَلْنَا عَنْ مَخَالِبِ خَادِرٍ بِهِ وَحَرٌّ فِي الصَّدْرِ مَا لَمْ يَنْتَارِسِ

قال ابن هشام : أنشدني بيته : « وإنا لنقرى الضيف » أبو زيد .

شعر شداد لعينة

قال ابن إسحاق : وقال شداد بن عارض الجشمي ، في يوم ذي قرد :
لعينة بن حصن ، وكان عينة بن حصن يسكني بأبي مالك :

فهلَا كَرَرْتَ أبا مالك وَخَيْلُكَ مُذِيرَةٌ مُتَقَالٌ
ذَكَرْتَ الْإِبَابَ إِلَى عَشَجَرٍ وَهَيْهَاتَ قَدْ بَعُدَ الْمُتَقَالُ
وَطَمَمْتَ نَفْسَكَ ذَا مَنَعَةٍ مَسَحَ الْقَضَاءُ إِذَا يُرْسَلُ
إِذَا قَبَضَتْهُ إِلَيْكَ الشَّمَا لُ جَاشَ كُلُّ اضْطَرَمَّ الرِّجَالِ
فَلَمَّا عَرَفْتُمْ عِبَادَ الْإِلَهِ لَمْ يَنْظُرِ الْآخِرَ الْأَوَّلُ
عَرَفْتُمْ فَوَارِسَ قَدْ عَوْدُوا طِرَادَ الْكَمَاءِ إِذَا أَسْمَلُوا
إِذَا طَرَدُوا الْخَيْلَ تَشَقَّى بِهِمْ فَضَاحًا وَإِنْ يُطْرَدُوا يَنْزِلُوا
فَيَقْتَضِمُوا فِي سَوَاءِ الْمَقَامِ بِالْبَيْضِ أَخْلَصَهَا الصَّبِيحُ

غزوة بني المصطلق

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بمضرب
جهادي الآخرة ورجباً ثم غزا بني المصطلق من خزاعة ، في شعبان سنة ست .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا ذرٍّ الغفاري ؛ ويقال : نَمِيْلَةً
ابن عبد الله الليثي .

سبب الغزوة

قال ابن إسحاق : خدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر .
ومحمد بن يحيى بن حبان ، كلٌّ قد خدثنى بعض حديث بنى المصطلق ، قالوا :
بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بنى المصطلق يجتمعون له ، وقائدهم
الحارث بن أبي ضرار أبو جؤرية بنت الحارث ، زوج رسول الله صلى الله
عليه وسلم ؛ فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم خرج إليهم ، حتى لقيهم
على ماء لهم يقال له : المرَيْسِيع ، من ناحية قُدَيْد إلى الساحل ، فبزاحف الناس
واقفتموا ، فهزَمَ اللهُ بنى المصطلق ، وقتل من قُتل منهم ، ونَفَلَ رسول الله
صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، فأقامهم عليه .

مقتل ابن صبابه خطأ

وقد أصيب رجلٌ من المسلمين من بنى كَلْب بن عَوْف بن عامر بن لَيْث
ابن بكر ، يقال له : هشام بن صُبابَة ، أصابه رجل من الأنصار من رَهْط عبادة
ابن الصامت ، وهو يرى أنه من العدو ، فقتله خطأ .

فتنة

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك الماء ، وردت واردة الناس
ومع عمر بن الخطاب أجيرٌ له من بنى غِفَارٍ ، يقال له . جَهْجَاه بن مَسْعُود يقود
فرسه ، فازدحم جَهْجَاه وسِنَانُ بن وَبَر الجهنى ، حليف بنى عَوْف بن الخزرج
على الماء ، فاقتتلا ، فصَرَخ الجهنى : يامعشر الأنصار ، وصَرَخ جَهْجَاه :

يومئذ المهاجرين ؛ فغضب عبدُ الله بن أبي بن سلُول ، وعنده رَهْطٌ من قومه فيهم : زيد بن أرقم ، غلامٌ حَدَثٌ ، فقال : أَوَقَدْ فعلوها ، قد نافرنا وكأثرونا في بلادنا ، والله ما أعدنا وجلايب قريش إلا كما قال الأول : سَمَنَ كَذِبُكَ يَا كُنَّاكَ ، أما والله آتَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الدِّينَةِ لِيُخْرِجَنَ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذْلَ . ثم أَقْبَلَ عَنِ مَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ ، فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتهم بلادكم ، وقاسمتهم أموالكم ، أما والله لو أمسكنهم عنهم ما بأيديكم لتحتولوا إلى غير داركم . فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمضى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه ، فأخبره الخبر ، وعنده عمرُ بن الخطَّاب ، فقال : مُرْ بِهِ عَبَادَ بْنَ بَشِيرٍ فليقتله ؛ فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فكيفَ يا عُمَرُ إذا تحدَّثَ الناسُ أنَ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ ! لا وليَ لَكَنْ أَذُنَ بِالرَّحِيلِ ، وذلك في ساعة لم يكن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها ، فارتحل الناسُ .

حول فتنة ابن أبي ونفاقه

وقد مضى عبد الله بن أبي بن سلُول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه ، خلف بالله : ما قلت ما قال ، ولا تكلمت به . . . وكان في قومه شريفاً عظيماً . فقال مَنْ حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار من أصحابه : يا رسول الله ، عسى أن يكون الغلامُ قد أُوْهِمَ في حديثه ، ولم يحفظ ما قال الرجل ، حَدَّثَا عَلَى ابْنِ أَبِي بِنِ سَلُولَ ، وَدَفَعَا عَنْهُ .

قال ابن إسحاق: فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار، أتته أسيد بن حضير فحيّاه بتحيةة النبوة وسلم عليه، ثم قال: يا نبي الله، والله لقد رُحّت في ساعه مُفكّرة، ما كنت تروح في مثلها، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟ قال: وأى صاحب يارسول الله؟ قال: عبد الله بن أبيّ، قال: وما قال؟ قال: زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، قال: فأنت يارسول الله والله تُخْرِجُه منها إن شئت، هو والله الذليلُ وأنت العزيزُ؛ ثم قال: يارسول الله، أرفق به فوالله لقد جاءنا الله بك، وإن قومه لينظّمون له الخرز ليتوّجوه، فإنه أبرى أذك قد استلبته مُلُكا.

ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياماً، وإنما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشفّل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس، من حديث عبد الله بن أبيّ.

ثم راح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس، وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فَوَيْقُ النَّمِيعِ؛ يقال له: بقعاء. فلما راح رسول الله صلى الله عليه وسلم هيّت على الناس ريحٌ شديدة آذتهم وتخوّفوها؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تخافوها، فإنما هيّت لموت عظيم من عطاء الكفّار. فلما قدموا المدينة وجدوا رِفاعَةَ بنَ زيد بنِ العَبَّاسِ، وأحد بني قَيْمَقَاز، وكان

عظيماً من عضاء يهود ، وكثيراً للمنافقين ، مات في ذلك اليوم .

ما نزل في ابن أبيّ من القرآن

ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في ابن أبيّ ومن كان على مثل أمره ، فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن زيد بن أرقم ، ثم قال : هذا الذي أوفى الله بأذنه . وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبيّ الذي كان من أمر أبيه .

موقف عبد الله من أبيه

قال ابن إسحاق : خدّني عاصم بن عمر بن قتادة : أن عبد الله أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبيّ فيما بلغك عنه ، فإن كنت لا بدّ فاعلا فمُرني به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبرّ بوالده مني ، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبيّ يمشي في الناس ، فأقتله فأقتل (رجلاً) مؤمناً بكافر ، فأدخل النار ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل تترقّ به ، وتحسن صحبته ما بقي معنا .

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يُعاتبونه ويأخذونه ويُعذّبونه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب ، حين بلغه ذلك من شأنهم : كيف ترى يا عمر ؟ أما والله لو قتلتني يوم قلت لي أقتله ،

لَا زَعِدْتُ لَهُ أَنْفٌ ، لَوْ أَسْرَتْهَا الْيَوْمَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلْتُهُ ؛ قَالَ : قَالَ عُمَرُ : قَدْ وَاللَّهِ
عَلِمْتُ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَمَ بَرَكَاتٍ مِنْ أَمْرِي .

قدوم مقيس مسلماً وشعره

قال ابن إسحاق : وَقَدِمَ مِقْيَسُ بْنُ صُبَّابَةَ مِنْ مَكَّةَ مُسْلِماً ، فِيمَا يُظْهَرُ ،
فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، جِئْتُكَ مُسْلِماً ، وَجِئْتُكَ أَطْلُبُ دِيَّةَ أَخِي ، قُتِلَ خَطَاً .
فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدِيَةِ أَخِيهِ هِشَامِ بْنِ صُبَّابَةَ ؛ فَأَقَامَ عِنْدَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ كَثِيرٍ ، ثُمَّ عَادَ عَلَى قَاتِلِ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ،
ثُمَّ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ مُرْتَدّاً ؛ فَقَالَ فِي شَعْرِ يَقُولُهُ :

شَفَى النَّفْسَ أَنْ قَدِمْتَ بِالْقَاعِ مُسْنِداً	تَضَرَّجُ ثَوْبِيهِ دِمَاءُ الْأَخَادِعِ
وَكُنْتُ مُمُومُ النَّفْسِ مِنْ قَبْلِ قَتْلِهِ	تَلِمَ فَتَحْمِيْنِي وَطَاءَ الْمَضَاجِعِ
حَمَلْتُ بِهِ وَتَرَى وَأَدْرَكْتُ ثَوَارِي	وَكُنْتُ إِلَى الْأَوْتَانِ أَوَّلَ رَاجِعِ
فَأَرْتُ بِهِ فَنَهَرًا وَحَمَلْتُ عَقْلَهُ	سَرَّاءَ بَنِي النَّجَّارِ أَرْبَابَ فَارِعِ

وَقَالَ مِقْيَسُ بْنُ صُبَّابَةَ أَيْضاً :

جَلَلْتُهُ ضَرْبَةً بَاءَتْ لَهَا وَشَلُّ	مِنْ نَاقِعِ الْجَوْفِ يَعْلُوهُ وَيَنْصَرُّ
فَقُلْتُ وَالْمَوْتُ تَغْشَاهُ أَسِرَّتُهُ	لَا تَأْمَنَنَّ بَنِي بَكْرٍ إِذَا ظَلِمُوا

شعار المسلمين

قال ابن هشام : وكان شعار المسلمين يوم بنى المصطلق : يا منصور ،
أُمِتْ أُمِتْ .

قتلى بنى المصطلق

قال ابن إسحاق : وأُصِيبَ من بنى المصطلق يومئذ ناسٌ ، وقُتِلَ على
ابن أبي طالب منهم رجلان ، ماسكاً وابنه ، وقُتِلَ عبدُ الرحمن بن عوف رجلاً
من مُؤرسانهم ، يقال له : أحمر ، أو أخيمر .

أمر جويرية بنت الحارث

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصاب منهم سبياً كثيراً ، فشا
قَسْمُهُ في المسلمين ؛ وكان فيمن أُصِيبَ يومئذ من السَّبايا جُويرية بنت الحارث
ابن أبي خُزار ، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ،
عن عائشة ، قالت : لما قَسَمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سبايا بنى المصطلق ،
وقعت جُويرية بنت الحارث في السَّهم لثابت بن قيس بن الشَّاس ، أو لابن
عمِّ له ، فكانت به على نفسها ، وكانت امرأة حُلوةً مُلآحةً ، لا يراها أحدٌ إلا
أخذت بنفسه ، فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تَسْتَعِينُهُ في كتابتها . قالت
عائشة : فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حُجْرَتِي فكُفِّرْتَهَا ، وعَرَفْتُ

أنه سيري منها صلى الله عليه وسلم مارأيت، فدخلت عليه، فقالت: يا رسول الله، أنا جُويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، سيد قوم، وقد أصابني من البلاء، ما لم يخف عليك، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشَّاس، أو لابن عمه، فكاتبته على نفسي فحيتك أستعينك على كتابتي، قال: فهل لك في خير من ذلك؟ قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: أفضى عنك كتابتك وأزواجك؟ قالت: نعم يا رسول الله، قال: قد فعلت.

قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جُويرية ابنة الحارث بن أبي ضرار، فقال الناس: أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأرسلوا ما بأيديهم، قالت: فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها.

قال ابن هشام: ويقال: لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المصطلق ومعه جُويرية بنت الحارث، وكان بذات الجيش، دفع جُويرية إلى رجل من الأنصار وديعة، وأمره بالاحتفاظ بها، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فأقبل أبوها الحارث بن أبي ضرار بفداء ابنته، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء، فرغب في بيعين منها، ففيعيهما في شعب من شعاب العقيق، ثم أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: يا محمد، أصبتم ابنتي، وهذا فداؤها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق، في شعب كذا وكذا؟ فقال الحارث: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت محمد رسول الله. فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله،

فَأَسْلَمَ الْحَارِثُ ، وَأَسْلَمَ مَعَهُ ابْنَانُ لَهُ ، وَنَاسٌ مِنْ قَوْمِهِ ، وَأُرْسِلَ إِلَى الْبُمَيْرِينَ ،
فَجَاءَ بِهِمَا ، فَدَفَعَ الْإِبِلَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَدُقِّعَتْ إِلَيْهِ ابْنَتُهُ
جَوْزَيْيَةُ ، فَاسْلَمَتْ ، وَحُسِّنَ إِسْلَامُهَا ، فَنَظَّمَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
إِلَى أَبِيهَا ، فَزَوَّجَهُ إِيَّاهَا ، وَأَصْدَقَهَا أَرْبَعًا مِائَةَ دِرْهَمٍ .

مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي حَقِّ الْوَلِيدِ بْنِ عَقْبَةَ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ إِسْلَامِهِمُ الْوَلِيدَ بْنَ عَقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَلَمَّا سَمِعُوا بِهِ رَكِبُوا
إِلَيْهِ . فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ هَابَهُمْ ، فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَهُ
أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ هَمُّوا بِقَتْلِهِ ، وَمَنْعُوهُ مَا قَبِلَهُمْ مِنْ صَدَقَتِهِمْ ، فَأَكْثَرَ الْمُسْلِمُونَ
فِي ذِكْرِ غَزْوِهِمْ ، حَتَّى هَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ يَغْزُوهُمْ ، فَبَيْنَا هُمْ عَلَى
ذَلِكَ قَدِمَ وَفَدَّهُمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ
سَمِعْنَا بِرِسْوَالِكَ حِينَ بَعَثْتَهُ إِلَيْنَا ، فَخَرَجْنَا إِلَيْهِ لِنُكْرِمَهُ ، وَنُؤَدِّيَ إِلَيْهِ مَا قَبِلْنَا
مِنَ الصَّدَقَةِ ، فَانْتَشَرْنَا رَاجِعًا ، فَلَمَّا نَاوَلْنَا أَنْهَ زَعَمَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّا
خَرَجْنَا إِلَيْهِ لِنُقَاتِلَهُ ، وَوَاللَّهِ مَا جِئْنَا لَذَلِكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ وَفِيهِمْ : ﴿ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ بِبَيِّنَاتٍ فَعَبَّيُّوهُنَّ أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ ،
فَتُصِيبُوهَا عَلَى مَا قَعَلْتُمْ نَادِمِينَ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ نُوِيْطِيْكُمْ
فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ . (الْحَجَرَاتُ ٦ - ٨) .

وَقَدْ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سَفَرِهِ ذَلِكَ ، كَمَا حَدَّثَنِي مِنْ

لا أنهم عن الزهري ، عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ، حتى إذا كان قريباً من المدينة ، وكانت معه عائشة في سفره ذلك ، قال فيها أهل الإفك ما قالوا .

خبر الإفك في غزوة بنى المصطلق

سنة ست

قال ابن إسحاق : حدثنا الزهري ، عن علقمة بن وقاص ، وعن سعيد ابن جبير ، وعن عروة بن الزبير ، وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، قال : كل قد حدثني بعض هذا الحديث ، وبعض القوم كان أوعى له من بعض ، وقد جمعت لك الذي حدثني القوم .

الهادي في السفر مع الزوجات

قال محمد بن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عن عائشة ، وعبد الله بن أبي بكر ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة ، عن نفسها ، حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا ، فكان قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعاً يحدث بعضهم ما لم يحدث صاحبه ، وكل كان عنها ثقة ، فكانهم حدث عنها ما سمع ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرأ أقرع بين نسائه ، فأيتهم خرج سهمها خرج بها معه ، فلما كنت ليلة بنى المصطلق أقرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سهمي عليهن معه ، فخرج بي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حديث الإفك

قالت : وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن الخلق لم يهجنن اللحم فينقلن
وكنن إذا رُحِّل لي بعيرى جلست في هودجى ، ثم يأتى القوم الذين يُرَحَّلون
لي ويحملوننى ، فيأخذون بأسفل الهودج ، فيرفعونه ، فيضعونه على ظهر البعير ،
فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير ، فينطلقون به . قالت : فلما فرغ
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، وجَّه قافلاً حتى إذا كان قريباً
من المدينة نزل منزلاً ، فبات به بعض الليل ، ثم أذن فى الناس بالرحيل ،
فارتحل الناس ، وخرجت لبعض حاجتى ، وفى عنق عُنْد لي ، فيه جَزَع ظفار ،
فلما فرغت انسل من عنق ولا أذرى ، فلما رجعت إلى الرَّحْل ذهبتُ التمسهُ
فى عنق ، فلم أجده ، وقد أخذ الناس فى الرحيل ، فرجعت إلى مكافى الذى
ذهبت إليه ، فالتسته حتى وجدته ، وجاء القوم خلافاً ، الذين كانوا يُرَحَّلون
لى البعير ، وقد فرغوا من راحلته ، فأخذوا الهودج ، وهم يظنون أنى فيه
كما كنت أصنع ، فاحتملوه ، فشدوه على البعير ، ولم يشكوا أنى فيه ،
ثم أخذوا برأس البعير ، فانطلقوا به ، فرجعت إلى العسكر وما فيه من داع
ولا محجب ، قد انطلق الناس .

قالت : فتلففت بجلبابى ، ثم اضطجعت فى مكافى ، وعرفت أن لو قد
افتقدت لرجع إلى . قالت : فوالله إني كمضطجعة إذ مرَّ بى صفوان بن
المُعَظَّل السامى ، وقد كان تحلف عن العسكر لبعض حاجته ، فلم يبت معى

الناس ، فرأى سَوَادِي ، فأقبل حتى وقف على ، وقد كان يرانى .
يُضْرَبُ عَلَيْنَا الْخِجَابُ ، فَمَا رَأَى قَالَ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، طَعِنَهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! وَأَنَا مُتَلَفِّعَةٌ فِي ثِيَابِي ، قَالَ : مَا خَلَقَكَ يَرْحَمُكَ
اللَّهُ ؟ قَالَتْ : فَمَا كَلَّمْتَهُ ، ثُمَّ قَرَّبَ الْبَعِيرَ ، فَقَالَ : ارْكَبِي ، وَاسْتَأْخِرْ عَنِّي .
قَالَتْ : فَرَكِبْتُ ، وَأَخَذَ بِرَأْسِ الْبَعِيرِ ، فَانْطَلَقَ سَرِيعاً ، يَطْلُبُ النَّاسَ ، فَوَاللَّهِ
مَا أَدْرَكْنَا النَّاسَ ، وَمَا افْتَقَدْتُ حَتَّى أَصْبَحْتُ ، وَنَزَلَ النَّاسَ ، فَلَمَّا اطْمَأَنَّنَا
طَلَعَ الرَّجُلُ يَقُودُنِي ، فَقَالَ أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا ، فَارْتَعَجَ الْعَسْكَرُ ، وَوَاللَّهِ
مَا أَعْلَمُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ .

ثُمَّ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ، فَلَمْ أَلْبِثْ أَنْ اسْتَشْكَيْتُ شَكْوَى شَدِيدَةً ، وَلَا يَبْلُغُنِي
مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ ، وَقَدْ انْتَهَى الْحَدِيثُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِلَى
أَبَوَيَّ لَا يَذْكُرُونَ لِي مِنْهُ قَلِيلاً وَلَا كَثِيراً ، إِلَّا أَنِّي قَدْ أَنْكَرْتُ مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْضَ لُطْفِهِ بِي ، كُنْتُ إِذَا اسْتَشْكَيْتُ رَجِمَنِي ،
وَاطَّافَ بِي ، فَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ بِي فِي شَكْوَايَ تِلْكَ ، فَأَنْكَرْتُ ذَلِكَ مِنْهُ ، كَانَ
إِذَا دَخَلَ عَلَى وَعِنْدِي أُمِّي تُمُرَّضُنِي - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَهِيَ أُمُّ رُوْمَانَ ، وَاسْمُهَا
زَيْنَبُ بِنْتُ عَبْدِ دُهَّانٍ ، أَحَدُ بَنِي فِرَاسِ بْنِ غَنَمٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ -
قَالَ : كَيْفَ تَبْكُكُمْ ، لَا يَزِيدُ عَلَيَّ ذَلِكَ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : قَالَتْ : حَتَّى وَجَدْتُ فِي نَفْسِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
حِينَ رَأَيْتُ مَا رَأَيْتُ مِنْ جَفَائِهِ لِي : لَوْ أَذْنْتُ لِي ، فَانْتَقَلْتُ إِلَى أُمِّي ، فَمَرَّضَنِي ؟
قَالَ : لَا عَلَيْكَ . قَالَتْ : فَانْتَقَلْتُ إِلَى أُمِّي ، وَلَا عَلَّمْ لِي شَيْءٌ مِمَّا كَانَ ، حَتَّى

تَمَتَّ من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة ، وكنا قوماً عرباً ، لا نتخذ في بيوتنا هذه الكُفَّ التي تتخذها الأعاجم ، نعافها ونسكرها ، إنما كنا نذهب في فُسح المدينة ، وإنما كانت النساء يخرجن كل ليلة في حوائجهن ، فخرجتُ ليلةً لبعض حاجتي ومعى أم مسطح بنت أبي رُهم بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت أمها بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ، خالة أبي بكر الصديق رضى عنه ؛ قالت : فوالله إنها لتمشى معى إذ عثرت في مرطها ، ففعلت : آعس مسطح ! ومسطح لَقَبَّ واسمهُ : عَوْف ؛ قالت : قلت : بشس تَعْمُرُ الله ما قاتِ لرجل من المهاجرين قد شهد بدرًا ، قالت : أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر ؟ قالت : قات : وما الخبر ؟ فأخبرتني بالذى كان من قول أهل الإفك ، قالت : قلت : أو قد كان هذا ؟ قالت : نعم والله فقد كان . قالت : فوالله ما قدرت على أن أقضى حاجتى ، ورجعت ، فوالله ما زلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سيصعد كبدى ؛ قالت : وقلت لأُمى : يغفر الله لك ، فحدثت الناس بما تحدثوا به ، ولا تذكرين لى من ذلك شيئًا ! قالت : أى بُليَّة ، خَفَضَ عليك الشأن ، فوالله لقلما كانت امرأة حسناء ، عند رجل يحبها ، لها ضرائر ، إلا كَثُرْنَ وكَثُرَ الناس عليها .

قالت : وقد قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في الناس يخطبهم ولا أعلمُ بذلك ، فحَمِدَ الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، ما بَالُ رجال يُؤذونى في أهلى ، ويقولون عليهم غيرَ الحقِّ ، والله ما علمت منهم إلا خيرًا ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيرًا ، وما يدخل بيتًا من بيوتى إلا وهو معى .

قالت: وكان كُذِبَ ذلك عند عبد الله بن أبي بن سلُولٍ في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح وحنمة بنت جحش ، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تسكن من نسائه امرأة تُناصيني في المنزلة عنده غيرها ، فأما زينب فعصمها الله تعالى بدينها فلم تقل إلا خيراً وأما حنمة بنت جحش ، فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تُضادني لأختها ، فشقيت بذلك .

فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة ، قال أسيد بن حضير : يارسول الله ، إن يكونوا من الأوس نكفكمهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج ، فمُرنا بأمرك ، فوالله إنهم لأهل أن تُضرب أعناقهم ، قالت : فقام سعد بن عُبادة ، وكان قبل ذلك يُرى رجلاً صالحاً ، فقال : كذبت تعمّر الله ، لا تضرب أعناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا ، فقال أسيد : كذبت تعمّر الله ، ولكنتك مُنافق مُجادل عن المُناققين ، قالت : وتساور الناس ، حتى كاد يكون بين هذين الحَيَيْن من الأوس والخزرج شرٌّ . ونزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل على .

(قالت) فدعا عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وأسامة بن زيد فاستشارهما ، فأما أسامة فأثنى على خيراً وقاله ، ثم قال : يارسول الله ، أهلك ولا نعلم منهم إلا خيراً ، وهذا الكذب والباطل ، وأما عليّ فإنه قال يارسول الله إن النساء لكثير ، وإنك لقادر على أن تستخلف ، وسَل الجارية ، فإنها .

ستصدقك . فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بَرِيرَةَ لِيَسْأَلَهَا ، قالت : فقام إليها عليّ بن أبي طالب ، فَضَرَبَهَا ضَرْبًا شَدِيدًا ، ويقول : اصدُقِي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فتقول : والله ما أعلم إلا خيراً ، وما كنت أعيب على عائشة شيئاً ، إلا أني كنت أعجبن عجيني ، فأمرها أن تحفظه ، فتنام عنه فتأتي الشاة فتأكله .

القرآن وبراءة عائشة

قالت : ثم دخل عليّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وعندي أبوأي ، وعندي امرأة من الأنصار ، وأنا أبكي ، وهي تبكي معي ، فجلس ، حَمِدَ الله وأثنى عليه ، ثم قال يا عائشة ، إنه قد كان ما قد بلغك من قول الناس ، فاتقِ الله ، وإن كنت قد قارفتِ سوءاً ، مما يقول الناس فتُوبِي إلى الله ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده ، قالت : فوالله ما هو إلا أن قال لي ذلك ، فَقَلَصَ دُمْعِي ، حتى ما أحسنَ منه شيئاً ، وانتظرتُ أَبَوَيَّْ أن يُجِيبَا عني رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يتكَلَّمَا . قالت : وایم الله لأنا كنت أحقرُ في نفسي ، وأصغرُ شأنًا من أن يُنزلَ الله في قرآنا يُقرأ به في المساجد ، ويُصلَّى به ، ولكني قد كنت أرجو أن يرى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في نومه شيئاً يكذب به الله عني ، لما يعلم من براءتي ، أو يُخبر خبراً ، فأما قرآن ينزل في ، فوالله لَنفسي كانت أحقرُ عندي من ذلك . قالت : فلما لم أر أَبَوَيَّْ يتكَلَّمَان ، قالت : قالت لهما : ألا تجيبان رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : فقالا : والله ما ندرى بماذا نُجِيبُهُ ، قالت : والله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر

في تلك الأيام ، قالت : فلما أن استعجماً على ، استعبرت فبكيت ، ثم قلت :
والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً . والله إني لأعلم أن أقررت بما يقول
الناس ، والله يعلم أني منه بريئة ، لأقولن ما لم يكن ، وإن أنا أنكرت
ما يقولون لأنصّدقوني . قالت : ثم التمت اسم يعقوب فما أذكره ، فقالت :
ولكن سأقول كما قال أبو يوسف : ﴿ قَصِيرٌ جَمِيلٌ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى
مَا تَصِفُونَ ﴾ . قالت : فوالله ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى
تغشاه من الله ما كان يتغشاه ، فسجى بثوبه ووَضعت له وسادةً من آدم
تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت ، فوالله ما فرغت
ولا باليت ، قد عرفت أني بريئة ، وأن الله عز وجل غير ظالم ، وأما
أبو أي ، فوالذي نفس عائشة بيده ، ما سُرّي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى ظننتُ لنخرجن أنفسهن ، فرقا من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس ،
قالت : ثم سُرّي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نجاس ، وإنه كَيْفَ حَدَّثُ
منه مثل الجمان في يوم شاتٍ ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ، ويقول : أبشري .
يا عائشة ، فقد أنزل الله براءتك ، قالت : قلت : بحمد الله ، ثم خرج إلى الناس ،
خطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك ، ثم أمر بيسطج بن
أُمّانة ، وحنان بن ثابت ، وحنمة بنت جحش ، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة ،
فصروا حدّهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار عن بعض رجال بني
المجّار : أن أبا أيوب خالد بن زيد ، قالت له امرأته أم أيوب : يا أبا أيوب ،

أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي عَائِشَةَ ؟ قَالَ : بَلَى ، وَذَلِكَ الْكَذِبُ ، أَكُنْتُ بِأُمِّ أَيُّوبَ فَاعْلَمِي ؟ قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ مَا كُنْتُ لَأَفْعَلُهُ ؟ قَالَ : فَعَائِشَةُ وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنْكَ .

قَالَتْ : فَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ بِذِكْرِ مَنْ قَالَ مِنْ أَهْلِ الْفَاحِشَةِ مَا قَالَ مِنْ أَهْلِ الْإِفْكَ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ، لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ ، بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، لِيَكُلَّ امْرِئٌ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِنْمِ ، وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ، وَذَلِكَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ قَالُوا مَا قَالُوا .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ : وَذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي وَأَصْحَابُهُ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ، وَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ قَبْلَ هَذَا . ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ تَوَلَّوْا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ : أَيْ فَقَالُوا كَمَا قَالَ أَبُو أَيُّوبَ وَصَاحِبَتُهُ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ ، وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ، وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ .

فَمَا نَزَلَ هَذَا فِي عَائِشَةَ ، وَفِيمَنْ قَالَ لَهَا مَا قَالَ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ ، وَكَانَ يَنْفَقُ عَلَى مِسْطَحٍ أَقْرَابَتِهِ وَحَاجَتِهِ : وَاللَّهِ لَا أَنْفَقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا ، وَلَا أَنْفَعُهُ يَنْفَعُ أَبَدًا . بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ ، وَأَدْخَلَ عَلَيْنَا ، قَالَتْ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى .

وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلِيَعْمَلُوا ، وَلِيَصْنَعُوا ، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ
يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : يقال : كَبِرَ وكَبِرَ في الرواية ، وأما في القرآن فَكَبِرَ
بالكسر .

قال ابن هشام : (ولا يَأْتَلُ أولو الفضل منكم) ولا يَأَلُ أولو الفضل منكم .
قال امرؤ القيس بن حُجْر السكندى :

أَلَا رَبَّ خَضَمَ فَيْكَ أَلْوَى رَدَدَتْهُ نَصِيحَ عَلَى تَعَذَّالِهِ غَيْرُ مَوْتَلٍ

وهذا البيت في قصيدة له ، ويقال : (وَلَا يَأْتَلِي أولو الفضل) : ولا يَحَافِ
أولو الفضل ، وهو قول الحسن بن أبي الحسن البصري ، فيما بلغنا عنه .

وفي كتاب الله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ﴾ وهو من الألفية ،
والألفية : اليمين . قال حسان بن ثابت :

أَكَيْتُ مَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ مُجْتَهِدًا مِنِّي أَلِيَّةَ بَرٍّ غَيْرِ إِفْنَادٍ

وهذا البيت في أبيات له ، سأذكرها إن شاء الله في موضعها . فعنى : أن
يؤتوا في هذا للذهب : أن لا يؤتوا ، وفي كتاب الله عز وجل : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ
لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ يريد : أن لا تضلوا ، ﴿ وَيُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى
الْأَرْضِ ﴾ يريد أن لا تقع على الأرض ، وقال ابن مفرغ الحيمري :

لَا دَعَرْتُ السَّوَامَ فِي وَضَحِ الصُّبْحِ مُعِيرًا وَلَا دُعَيْتُ يَزِيدًا
يَوْمَ أُعْطِيَ خِيفَةَ الْمَوْتِ ضَيْمًا وَالْمَنَافَا يَرْصُدُنِي أَنْ أَحِيدًا

بريد : أن لا أحيد ، وهذان البيتان في أبيات له .

قال ابن إسحاق : قالت : فقال أبو بكر : بلى والله ، إني لأحب أن يفتر
الله لي ، فرجع إلى مسطح فَنَقَمَهُ التي كان يُنْفِقُ عليه ، وقال : والله لا أنزعها
منه أبداً .

ابن المعطل يهيم بقتل حسان

قال ابن إسحاق : ثم إن صفوان بن المعطل اعترض حسان بن ثابت
بالسيف ، حين بلغه ما كان يقول فيه ، وقد كان حسان قال شعراً مع ذلك
يعرض بابن المعطل فيه وعن أسلم من العرب من مضر ، فقال :

أَمْسَى الْجَلَالِيْبُ قَدْ عَزَّ وَأَوْقَدَ كُتُورًا	وَابْنُ الْفُرَيْفَةِ أَمْسَى بَيْضَةُ الْبَلَدِ
قَدْ نَكَلْتُ أُمَّهُ مَنْ كُنْتُ صَاحِبَهُ	أَوْ كَانَ مُنْشِبًا فِي بُرْنِ الْأَسَدِ
سَالِقَتِيلِ الَّذِي أَعْدُو فَآخُذُهُ	مِنْ دِيَةِ فِيهِ يُمَاطُهَا وَلَا قَوْدِ
«الْبَحْرُ حِينَ تَهَبَ الرِّيحُ شَامِيَةً	فَيَنْطَلِ وَيَرْمِي الْمُبَرَ بِالزَّبَدِ
يَوْمًا بَاغَبَ مِنِّي حِينَ تُنْصِرُنِي	مِلْقَظًا فَرِي كَفَرِي الْعَارِضِ الْبَرْدِ
أَمَّا قَرِيشٌ فَإِنِّي لَأَنْ أَسْلِمَهُمْ	حَتَّى يُنْبِئُوا مِنَ الْغِيَّاتِ لَارْشَدِ
وَيَتَرَكُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى بِمَعْرِ لَهْ	وَيَسْجُدُوا كُلَّهُمْ لِلوَاحِدِ الصَّمَدِ

وَيَشْهَدُوا أَنَّ مَا قَالَ الرَّسُولُ لَمْ
فَاعْتَرَضَهُ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعْطَلِّ ، فَضْرِبَهُ بِالسَّيْفِ ، ثُمَّ قَالَ : كَمَا حَدَّثَنِي
يَعْقُوبُ بْنُ عَتَبَةَ :

تَنَاقَى ذُبَابُ السَّيْفِ عَنِّي فَإِنِّي غُلَامٌ إِذَا هُوَ جِئْتُ لَسْتُ بِشَاعِرٍ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ التَّمِيمِيُّ : أَنَّ ثَابِتَ
ابْنَ قَيْسِ بْنِ الشَّامِ وَتَبَّ عَلَى صَفْوَانَ بْنِ الْمُعْطَلِّ ، حِينَ ضَرَبَ حَسَّانَ ،
فَجَمَعَ بِيَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ بِحَبْلِ ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِ إِلَى دَارِ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ ،
فَلَقِيَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالَ : أَمَّا أُعْجِبُكَ ضَرَبَ حَسَّانَ بِالسَّيْفِ !
وَاللَّهِ مَا أَرَاهُ إِلَّا قَدْ قَتَلَهُ ، قَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ : هَلْ عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَيْءٍ مِمَّا صَنَعْتَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، قَالَ : أَقَدْ احْتَرَأْتَ ،
أَطْلَقَ الرَّجُلَ ، فَأَطْلَقَهُ ، ثُمَّ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ
لَهُ ، فَدَعَا حَسَّانَ وَصَفْوَانَ بْنِ الْمُعْطَلِّ ، فَقَالَ ابْنُ الْمُعْطَلِّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَذَانِي
وَهَجَانِي ، فَاحْتَمَانِي الْغَضَبُ ، فَضَرَبْتَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِحَسَّانَ : أَحْسَنَ يَا حَسَّانَ ، أَتَشَوَّهْتَ عَلَى قَوْمِي أَنْ هَدَاهُمُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ ، ثُمَّ قَالَ :
أَحْسَنَ يَا حَسَّانَ فِي الَّذِي أَصَابَكَ ، قَالَ : هِيَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ : أَبَدَ أَنْ هَدَاكُمْ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَعْطَاهُ عَوْضًا مِنْهَا بَيْرَحَاءَ ، وَهِيَ قَصْرُ بَنِي حُدَيْلَةَ الْيَوْمَ بِالْمَدِينَةِ ، وَكَانَتْ

مالاً لأبي طامحة بن سهل تصدق بها على آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان في خربة ، وأعطاه سيرين ، أمة قبطية ، فولدت له عبد الرحمن بن حسان ، قالت : وكانت عائشة تقول : لقد سئل عن ابن الأطل ، فوجدوه رجلاً حصوراً ، ما يأتي النساء ، ثم قُتل بعد ذلك شهيداً .

قال حسان بن ثابت بعد — ذكر من الذي كان قال في شأن عائشة رضي الله عنها :

حَسَّانُ رَزَانٌ مَا تَزَنَ بَرِّيَّةٌ	وَتُصْبِحُ غَرَّتِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ
عَقِيلَةٌ حَيٌّ مِنْ لُؤَيٍّ بَنِ غَالِبٍ	كِرَامِ الْمَسَاعِي تَجْدُمُ غَيْرُ زَانِلِ
مُهَذَّبَةٌ فَدُ طَيِّبَ اللَّهِ خِيَمَهَا	وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلِ
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُ	فَلَا رَفَعْتُ سَوْطِي إِلَى أَنَاوِلِ
وَكَيْفَ وَوُدِّي مَا حَيَّتْ وَنُصْرَتِي	لَا لِرَسُولِ اللَّهِ زَيْنِ الْمُحَافِلِ
لَهُ رَدَبٌ عَالٍ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ	تَقَاصَرُ عَنْهُ سَوْرَةُ الْمُتَطَوِّلِ
فَإِنَّ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلَاظِلٍ	وَلَكِنَّهُ قَوْلُ امْرِئٍ بِي مَاحِلِ

قال ابن هشام : بيته : « عقيلة حي » والذي بعده ، وبيته : « له رنب عال » عن أبي زيد الأنصاري .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة : أن امرأة مدحت بنت حسان بن ثابت عند عائشة ، فقالت :

حَصَّانَ رَزَّانٍ مَا تُزْنَ بِرَبِيَّةٍ وَتُصْبِحُ غَرْنَى مِنْ لُحُومِ النَّوَافِلِ
فَقَالَتْ عَائِشَةُ : لَكِنْ أَبُوهَا .

شعر في هجاء حسان ومسطح

قال ابن إسحاق : وقال قائل من المسلمين في ضرب حسان وأصحابه
في فريقتهم على عائشة - قال ابن هشام : في ضرب حسان وصاحبيه :

لَقَدْ ذَاقَ حَسَّانُ الَّذِي كَانَ أَهْلَهُ وَخَمْنُهُ إِذْ قَالُوا هَجِيرًا وَمُسْطَحُ
تَمَاطَوْا بِرَجْمِ الْغَيْبِ زَوْجَ نَبِيِّهِمْ وَسَخَطُهُ ذِي الْقَرْشِ الْكَرِيمِ فَأَتْرَحُوا
وَأَذَوْا رَسُولَ اللَّهِ فِيهَا مُجَلَّلًا تَحَاذَى تَنْبَقِي عُمُوهَا وَفَضَحُوا
وَصَبَّتْ عَلَيْهِمْ مُخَصَّدَاتُ كَأَنَّهَا شَايِبُ قَطَرٍ مِنْ ذُرِّ الْمُزْنِ تَسْفَحُ

غزوة ذى قرد

ويقال فيه : قُرْدٌ بضم تين هكذا أَلَيْتُهُ مُقَيِّدًا عَنْ أَبِي عَلِيٍّ ، وَالْقَرْدُ
فِي اللُّغَةِ الصَّوْفُ الرَّدِيُّ ، يُقَالُ فِي مِثْلِ : عَثَرْتُ عَلَى الْغَزْلِ بِأَخْرَةٍ فَلَمْ تَدَعْ
بِنَجْدٍ قَرْدَةً (١) .

أَسْمَاءُ أَفْرَاسِ الْمَلْحَمِينَ :

وذكر ابن إسحاق في هذه الغزوة أسماء خيل جماعة ممن حضرها ،

(١) مثل لمن ترك الحاجة ممكنة ، وطلبها فائنة ، وأصله أن تترك المرأة
الغزل ، وهي تجد ما تنزله ، حتى إذا فاتها تبتعت القرد في القمامات .

فذكر بغير جنة فرس المقدار ، والبغز جنة : شدة جرمي في مخالفة كانه منحوت
من بفتح إذا شق ، وعز ، أى : غاب . وأما سبحة فنسبح إذا علا علواً
في اتساع ، ومنه : سبحان الله ، وسبحات الله : عظمتُهُ وعلوهُ ، لأن الناظر
المسكر في [الله] سبحانه يسبح في بحرٍ لاساحل له ، وقد ذكرنا في معنى هذه
الكلمة حقائق ودقائق أسرارٍ في شرح : سبحان الله ويحمده . وأما حزوة ،
فن حزوت الطير إذا زجرتها ، أو من حزوت الشيء إذا أظهرته .
قال الشاعر :

تَرَى الْأَمْعَزَ الْحَزُوَّ فِيهِ كَأَنَّهُ مِنَ الْحَرِّ وَاسْتَقْبَالَهِ الشَّمْسُ مِسْطَحٌ ^(١)
وَجَلَوَةٌ مِنْ جَلَوْتُ السَّيْفَ ، وَجَلَوْتُ الْقُرُوسَ ، كَأَنَّهُ تَجَلَّوُ الْغَمَّ عَنْ
قَلْبِ صَاحِبِهَا . وَمَسْنُونٌ مِنْ سَفَنَتُ الْحَدِيدَةِ إِذَا صَقَلْتُهَا .

سلمة بن الأكوع :

وذكر سلمة بن الأكوع ، واسم الأكوع : سنان ، وخبر سلمة
في ذلك اليوم أطول مما ذكره ابن إسحاق ، وأعجب ، فإنه استلب وحده
في ذلك اليوم من التمدد وهو راجلٌ قبل أن تالحق به الخيل ثلاثين برودةً
وثلاثين درقةً ، وقتل منهم بالليل كثيراً ، فكأما هربوا أدركمهم ، وكأما

(١) المسطح : حصير يسف من خوص الدوم ، والبيت لقيم بن مقبل وروايته
في اللسان مكذا :

إذا الامعز الحزو أجن كانه من الحر في حد الظهيرة مسطح
والامعز : أرض صلبة .

راموه أفلت منهم ، وشهرة حديثه تُغنى عن سبرده ، فإنه في كتب الحديث المشهورة^(١) ، وقيل إن سلامة هذا هو الذي كُلمه الذئب ، وقيل : إن الذي كُلمه الذئب هو أهبان بن صبيح^(٢) وهو حديث مشهور .

شرح اليوم بوم الرضع :

وقوله : اليوم يوم الرضع ، يريد يوم اللثام ، أى يوم جنبهم ، وفي قولهم : نقيم راضع أقوال ، ذكرها ابن الأنباري . قيل : الراضع هو الذي رَضَعَ الأوم في ثدي أمه أى : غدى به ، وقيل هو الذى يَرْضَع ما بين أسنانه يستكثر من الجشع بذلك . وشاهد هذا القول قول امرأة من العرب تَدُم رجلاً : إنه لا كلة مُكَلَّةٌ يأكل من جشعه خيلته ، أى : ما يَخْلَلُ بين أسنانه . قال ابن قتبية : ولم أسمع في الجشع ، والحرص أبلغ من هذا ، ومن قولهم : هو يُنِير السكالب من مَرَايضها ، أى ياتمس تحتها عظماً يَقَرُّقُهُ ، وقيل في اللثام الراضع غير ما ذكرناه مما هو معروف عند الناس ومذكور في كتبهم .

(١) ورد في حديث رواه البخاري ومسلم وفحلمات أرميم بالبلي ، وكنت رامياً . وأقول : أنا ابن الأكوع واليوم بوم الرضع وأرجح حتى استنفذت اللقاح منهم ، واستلبت ثلاثين برة ، وللقاح الإبل الحوامل ذوات الألبان ، وقد رواه الإمام أحمد . طرلاً وفيه : ثم لم أزل أرميم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رجلاً وأكثر من ثلاثين برة يستخون منها ، وسلة هو ابن عمرو بن الأكوع وهرم بن يافع الرسول تحت الشجرة على الموت . مات وسنه أربع وسبعون سنة .

(٢) وقيل اسمه : أهبان ، أو . وهبان . ولقد علم سليمان النبي منطق الطير ، فهل سلم أحد غيره منطق السبع والوحش ؟

وقوله : اليومَ يَوْمُ الرُّضْغِ بالرفعِ فيهما ، وبنصب الأول ، ورفع الثاني ، حكى سَيِّدِيَّوْنَهُ : اليومَ يَوْمُكَ ، على أن تجعل اليومَ ظرفاً في موضع خبرٍ للثاني ، لأن ظروف الزمان يخبر بها عن زمانٍ مثلها إذا كان الظرفُ بِنَسْبٍ ، ولا يضيق على الثاني ، مثل أن تقول : الساعةَ يَوْمُكَ ، وقد قيل في قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّيْذَنُ يَوْمٍ عَسِيرٍ ﴾ المذكر ٩٠ أن يَوْمَ مَيْذَنُ ظرفٌ ليومٍ عسيرٍ ، وذلك أن ظروف الزمانِ أحداثٌ ، وليست بُحْثٌ فلا يَمْتَنِعُ فيها مثلُ هذا ، كما لا يمتنعُ في سائر الأحداثِ .

وقوله عليه السلام لأِفْغَارِيَّةَ ، واسمها إيلي ، ويقال هي امرأة أبي ذرٍّ حين أخبرته أنها نذرت إن الله أنجأها ، عليها أن تنحره ، قال : فقتبتم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال : بئس ما جزيتها أن تحلك الله عليها ونجاءها ، ثم تنحرَ بها إنه لا نذَرَ في مَعْصِيَةِ الله ، ولا في مالِ أَمْثَلِكَيْنِ ، فيه حُجَّةٌ للشافعي ، ومن قال بقوله : إن ما أحرزه العدو من مالٍ إنه لهم بلائٌ قبل القسمِ وبعده ، لأنه لا يخرجُه من مِلْكِهِ حَوْزُ العدوِّ له ، وقال : لك : هو أولى به قبل القسمِ وصاحبُه بمد القسمِ أولى به بالثمن ، وفيه قولان آخران لأهل العراق .

مول النذر والطلاق والنفق :

وقوله عليه السلام : إله لا نذَرَ في مَعْصِيَةِ الله ، ولا فيما لا يملك . وقوله عليه السلام : لا نذَرَ لأحدٍ فيما لا يملك ، ولا طلاقَ لأحدٍ منكم ولا نفقَ لأحدٍ منكم .

لأحد فيما لا يملك، حديث مَرَوِيٌّ من طريق عبد الله بن عمرو، ومن طريق أبي هريرة ولكنه لم يخرج في الصحيحين لعل في أسانيده، وقد قال بهنا الحديث أن لا طلاق قبل الملك جماعة من الصحابة وفقهاء التابعين وفقهاء الأمصار، وسواء عندهم عين امرأة، أو لم يُعَيَّن، وإليه مال البخاري رحمه الله، ورواه ابن كنانة عن مالك، وابن وهب، واحتج ابن عباس في هذه المسألة بقوله تعالى ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾ الأحزاب : ٤٩ قال : فإذا لا طلاق إلا بعد نكاح، وقال شريك القاضي : النكاح دَعْدُ والطلاق حَلٌّ، فلا يكون الحَلُّ إلا بعد التقد.

من شرح شعر مائة أعضاء الخيل :

وذكر شعر حسان :

لولا الذي لاقت ومَسَّ نُسُورُهَا

يعنى : الخيل، والنسر كالنواة في باطن الحافر، وفي القرس عشرون عَصَواً، كل عضو منها يُسَمَّى باسم طائر، فمنها النسر، والنعامَةُ والحامَةُ والسَّامَةُ والسَّمدانة وهي الحمامَةُ والقَطَاةُ الذُّبَابُ والبُصْفُورُ والغراب والضُرَدُ والصَّقْرُ والحَرْبُ والناهِضُ، وهو قَوْحٌ^(١) العُقابِ والخُطَّابُ، ذكرها ونسبها الأصمعي^(٢)، وروى فيها شعراً لأبي حَزْرَةَ جرير، وهو :

(١) في الأصل : فرج .

(٢) انظر ص ١٩٣ من ذيل الامالى والنوادر لالة الى ط ٢ فتم أكثر مما ذكر =

وَأَقْبَّ كَالسَّرْحَانِ تَمَّ لَهُ مَا بَيْنَ هَامَتِهِ إِلَى الذَّنْشِرِ
 رَحِبَتْ نَعَامَتُهُ وَوُقُوقُ قَرْحُوسِهِ وَتَمَكَّنَ الشَّرْدَانِ فِي النَّحْرِ
 وَأَنَافَ بِالْمُصْفُورِ فِي سَعْفٍ هَامٍ أَشَمَّ مُوْتَقٍ الْجَنْدِرِ
 وَازْدَانَ بِالذَّبْيَكَيْنِ صَلَاحَهُ وَنَبَتْ دَجَاجَتُهُ عَنِ الصَّدْرِ
 وَالنَّاهِضَانِ أَمِيرًا جَذْبًا زُهَاً فَكَأَنَّمَا مُعْمَا عَلَى كَسْرِ
 مُسْحَنِيهِ الْجَنْبَيْنِ مُلْتَقِمٍ مَا بَيْنَ شَيْمَتِهِ إِلَى الْغُرِّ
 وَصَفَتْ سُمَانَاهُ وَحَافِرُهُ وَأَدِيمُهُ وَمُنَابِتُ الشَّعْرِ (١)
 وَسَمَا الْغُرَابُ لَمَوْقِعِيهِ مَعَا فَأَبِينَ بَيْنَهُمَا عَلَى قَدْرِ
 وَاسْتَنَّ دُونَ قَبِيحِهِ خُطَافُهُ وَنَاتٍ سَمَامَتُهُ (٢) عَلَى الصَّقْرِ
 وَتَقَدَّمَتْ عَنْهُ الْقَطَاةُ لَهُ فَتَأَتْ بِمَوْقِعِهَا عَنِ الْحُرِّ (٣)
 وَسَمَا عَلَى نَفْوِيهِ دُونَ حِدَاتِهِ خَرَبَانٍ بَيْنَهُمَا مَدَى الشَّبْرِ
 بَدَعُ الرِّضِيمِ إِذَا جَرَى فَلَقَا بَتَوَائِمٍ كَتَمَوَائِمٍ سُمُرٍ

== السهيل . ويذكرون أن الرشيد قال للأصمعي : قيل إن في الفرس عشرين اسماً
 من أسماء الطير ، فقال : نعم ، وأشدّه شعراً جامعاً لها من قول جرير ، غامر له
 بعشرة آلاف درهم .

(١) في الأصل . وأديمه والشعر

(٢) في الأصل : سمانته

(٣) في الأصل : فبات

رُكِّنَ فِي تَحْضِ الشَّوَى سَبْطٍ كَفَتِ الْوُثُوبُ مُشَدِّدِ الْأَسْرِ^(١)

براد وفجار :

وقوله : فَشَكُّوا بِالرَّمَا حِ بَدَادٍ . بَدَادٍ مِنَ التَّبَدُّدِ ، وهو التفرُّقُ ، وهو
في موضع نصب غير أنه مَبْنِيٌّ وَنَصْبُهُ كَانَتْصَابُ الْمَصْدَرِ ، إِذَا فُلَتْ : مَشَيْتُ
الْقَهْقَرَى ، وَقَعَدْتَ الْقَرْفُصَاءَ ، وَكَأَنَّهُ قَالَ : طَعْنُوا الطُّغْنَةَ الَّتِي يُقَالُ لَهَا
بَدَادٍ ، وَبَدَادٍ مِثْلُ فَجَارٍ مِنْ قَوْلِهِ : احْتَمَلْتُ فَجَارٍ^(٢) جَعَلُوهُ اسْمًا عَلَمًا
لِلْمَصْدَرِ ، كَمَا قَالُوا : فَحَمَلْتُ بَرَّةً ، فَجَعَلَ بَرَّةً عَلَمًا لِلْبَرِّ ، وَسِرُّ هَذِهِ الْعِلْمِيَّةِ
فِي هَذَا الْمَوْطَنِ أَنَّهُمْ أَرَادُوا الْفِعْلَ الْأَتَمَّ الَّذِي يُسَمَّى بِاسْمِ ذَلِكَ الْفِعْلِ حَقِيقَةً ،
فَقَدْ يَقُولُ الْإِنْسَانُ بَرَّةً فَلَانٌّ وَفَجَرَ أَيْ قَارَبَ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ ، أَوْ فَعَلَ مِنْهُ
بَعْضَهُ ، فَإِذَا قَالَ : فَعَلْتُ بَرَّةً ، فَإِنَّمَا يَرِيدُ الْبَرَّ الَّذِي يُسَمَّى بِرًّا عَلَى الْحَقِيقَةِ ،
فَجَاءَ بِالْأَسْمِ الْعَلَمِ الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ مُسَمَّاهُ حَقِيقَةً ، إِذْ لَا يَتَصَوَّرُ هَذَا الضَّرْبُ
مِنَ الْجَازِ فِي الْأَعْلَامِ ، وَكَذَلِكَ إِذَا أَرَادَ الْفَجُورَ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَأَرَادَ رَفَعَ
الْجَازِ سَمَاءً ، فَجَزَّ تَحْقِيقًا لِمَعْنَى ، أَيْ : مِثْلُ هَذِهِ الْفِعْلَةِ يَنْبَغِي أَنْ تُسَمَّى بِاسْمِ
الْفَجُورِ حَقِيقَةً ، وَكَذَلِكَ قَالُوا فِي النَّدَاءِ : يَا فَسَاقِ وَيَا مُسْقُفُ فُجَاءُوا بِالصِّيَّةِ
الْمَعْرُوفَةِ الْعِلْمِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ مَعَ النَّدَاءِ خَاصَّةً ، أَيْ : إِنْ هَذَا الْأَسْمُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ

(١) انظر الفصيحة وشرحها وقصة الاصمعي مع الرشيد في نهاية الأرب
ص ٢٣ نسيم العاشر وانظر أيضا العقد القرئيد لابن عبدربه ١ ص ٦١ ط بولاق
رس ٩١ ص ٢ سمط اللال للبكري .

(٢) يعنى قول النابغة :

لَنَا أَقْدَمْنَا خَطَيْنَا يَنْتَسَا فَحَمَلْتُ بَرَّةً ، وَاحْتَمَلْتُ فَجَارَ

اسمه الذي يُدعى به، إذ الاسمُ العلمُ ألزِمَ اسْمَاهُ من اسمٍ مُشتَقٍّ من فعلٍ فَعَلَهُ ، لأنَّ الفعلَ لا يَثْبُتُ ، والاسمُ العلمُ يَثْبُتُ ، فهذا هو مَعْرَاضُ في هذه الأسماء التي هي على صِيغِ الأَعْلَامِ في هذه المواطنِ ، فتأملها ، وقد بسطنا هذا الغرضَ بَسْطًا شافيًا في أسرار ما يَنْصَرِفُ ، وما لا يَنْصَرِفُ ، فَلْتَنْظُرْ هُنَاكَ ، فَمَنْ رَى مِرًّا بَنَاهَا على الكسر مع ما يتصل بمعانيها إن شاء الله ، وأَلْقَيْتُ في حاشية الشيخ رحمه الله على قوله : فَشُكُّوا بِالرَّمَّاحِ وَشُلُّوا^(١) باللام الرواية الصحيحة ، وحقيقة المعنى ، ووقع في الأصلين : فَشُكُّوا بالكاف كما في هذا الأصل . إلى هاهنا انتهى كلام الشيخ ، والشَّلُّ باللام : الطَّرْدُ ، والشُّكُّ بالكاف : الطَّعْنُ كما قال :

شَكََّ الْفَرِيصَةَ بِالْيَدْرِ فَأَخَذَهَا^(٢) [شَكََّ الْمَبِيطِرَ إِذْ يَشْفِي مِنَ الْعَضْدِ]

عود إلى شرح شعر مساره :

وقوله : رَهْوًا أَى : مَشِيًّا بِسَكُونٍ ، ويقال لِمُسْتَنْزَعِ الْمَاءِ أَيْضًا رَهْوٌ وَالرَّهْوُ اسْمَاءُ الْكُرِّ كَيْ ، وَالرَّهْوُ الْمِرَاةُ الْوَاسِعَةُ .

(١) أنظر مادة بدد وفجر وفسق في اللسان . وشلوا هي رواية للسان . وضبط لجبا بضم اللام والجيم .

(٢) البيت للناطقة وتامه : شَكََّ الْمَبِيطِرَ إِذْ يَشْفِي مِنَ الْعَضْدِ . والمدرى والمدرأة شيء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المانط . والفريصة : لمة عن نفض الكعب في وسط الحنب عند منبض القلب .

وقوله : روادى ، أى تَرَدَّى بِفُرْسَانِهَا ، أى : تسرع^(١) .

قصيدة أخرى لحسان :

وقول حسان فى خيل عُمَيْيَّة :

قَوَّلُوا سِرَاعًا كَشَدَّ النَّعْمَا لم يَكْشِفُوا عَنْ مُلَاطٍ حَصِيرَا

أى : لم يَقْنَمُوا بِعِيرًا ، ولا كَشَفُوا عَنْهُ حَصِيرًا ، يعنى : بالحصير ما يَكْتَنَفُ به حَوْلَ الإِبِلِ من عِيدَانِ الحَظِيرَةِ ، وَالْمُلَاطُ من قولهم : لَطَّتِ النَّاقَةُ ، وَأَلَطَّتْ بِذَنبِهَا إِذَا ادْخَلَتْهُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا^(٢) .

غزوة بنى المصطلق

وهم بَنُو جَذِيمَةَ بْنِ كَعْبٍ من خُرَاعَةَ ، فَجَذِيمَةُ هُوَ الْمُصْطَلِقُ وهو مُتَّعِلٌ من الصَّلَاقِ ، وهو رَفَعُ الصَّوْتِ^(٣) .

وذكر المُرْسِيعِ ، وهو ماءُ نَخْرَاعَةَ ، وهو من قولهم : رَسَمْتُ بَيْنَ الرجلِ : إِذَا دَخَلَتْ من فَسَادٍ .

(١) يقول الحشنى : ومن رَوَا بِكسر الراء . فهو من المشى الرويد ، وهو الذى فيه فتور ص ٣٣١

(٢) يقول أبو ذر : الماط بالطاء المهملة اللاصق بالأرض هنا . والحصير : وجه الأرض هنا ص ٣٣٢

(٣) يقول ابن دريد فى الاشتقاق : سُمِيَ الْمُصْطَلِقُ لحسن صوته كأنه مُتَّعِلٌ من الصَّلَاقِ ، والصَّلَاقُ شدة الصوت وحدته ، ص ٤٧٦ وقد ضبط الورقانى جذيمة بضم الجيم وفتح الدال . والقاموس يضبطها بالضبطين .

وذكر سنان بن زبرة^(١) وقال غيره : هو سنان بن تميم من جهينة بن
سود بن أسلم حليف الأنصار .

حزبهم دعوى الجاهلية :

وذكر أنه نادى : يا للأنصار ، ونادى جهنجاه الغفاري يا للماجرين ،
ولم يذكر ما قال النبي صلى الله عليه وسلم حين سمعهما ، وفي الصحيح^(٢) أنه
عليه السلام حين سمعهما منهما ، قال : دعوها فإنها مذبذبة ، يعني : إنها كلمة
خبيثة ، لأنها من دعوى الجاهلية ، وجعل الله المؤمنين إخوة وحزباً واحداً ،
فإنما ينبغي أن تكون الدعوة يا للمؤمنين ، فمن دعا في الإسلام بدعوى الجاهلية
فيتوجه للمقهاء فيها ثلاثة أقوال : أحدها : أن يجلد من استجاب لها بالسلاح
خمس سوطاً اقتداءً بأبي موسى الأشعري في جلده النابغة الجعدي خمسين
سوطاً ، حين سمع : يا لعامر ، فأقبل يشتد بعصية له . والقول الثاني : إن فيها
الجلد دون العشرة لئلا يهيه عليه السلام أن يجلد أحد فوق العشرة إلا في حد ،
والقول الثالث : اجتهد الإمام في ذلك على حسب ما يراه من سد الذريعة
وإغلاق باب الشر ، إماماً بالوعيد ، وإماماً بالسجن ، وإماماً بالجلد .

فإن قيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُعاقب الرجلين حين دعوا بها
قلنا : قد قال : دعوها فإنها مذبذبة ، فقد أكد النهي ، فمن عاد إليها بعد هذا
النهي ، وبعد وصف النبي صلى الله عليه وسلم لها بالإنتان وجب أن يؤدب ،

(١) في السيرة : وبز

(٢) هو في صحيح البخاري .

حتى يشتم نَدَنَهَا ، كما فعل أبو موسى رحمه الله بالجَعْدِيِّ ، فلا معنى لَمَنَها .
إلا سوء العاقبة فيها والعقوبة عليها .

مهرجاء :

وأما جَهْجَاهُ فهو ابن مَسْعُودٍ ^(١) بن سَعْدِ بْنِ حَرَامٍ ، وهو الذى روى عن
النبي صلى الله عليه وسلم : المؤمن يأكل فى مِعَى واحدٍ ، والكافر يأكل
فى سَبْعَةِ أُمْعَاءَ ، وهو كان صاحب هذه القصة فيما روى ابن أبى شَيْبَةَ والبرار ،
وقد قيل أيضاً : إن الرجل الذى قال فيه عليه السلام هذه المقالة ، هو ثُمَامَةُ بْنُ
أُمِّالِ الْخَنْفِ ، ذكره ابن إسحاق ، وقيل : بل هو أبو كَسْرَةَ [جَمِيلُ بْنُ كَسْرَةَ] ^(٢)
الغفارى ، قاله أبو عبيد ، ومات جَهْجَاهُ هذا بعد قَتْلِ عُمَانَ رحمه الله ، أخذته
الْأَكَلَةُ فى ركبته فمات منها ، وكان قد كسر برُكْبَتِهِ عَصَا رَسُولِ اللَّهِ صلى الله
عليه وسلم - التى كان يخطُبُ بها ، وذلك أنه انتزعها من عُمَانَ حين أُخْرِجَ
من المسجد ، ومُنِعَ من الصلاة فيه ، فكان هو أحد المَعِينِينَ عايه ، حتى كسر
المصاعل على رُكْبَتِهِ ، فيما ذكرُوا ، فابْتُلِيَ بما ابْتُلَى به من الْأَكَلَةِ : نموذ بالله من
عُقُوبَتِهِ ، ونستجير به من الْأَهْوَاءِ الْمُضِلَّةِ ^(٣) .

موقف عبد الله الصحابى من أبيه المنافق ودولته :

وذكر مقالة عبد الله بن أبى ، وأن ابنه عبد الله بن عبد الله استأذن

(١) فى الإصابة : ابن سعيد ، وقيل : ابن قيس .

(٢) أنظر ترجمته فى الإصابة .

النبي صلى الله عليه وسلم في قتل أبيه من أجل تلك المقالة ، وفي هذا العلم العظيم والبرهان النير من أعلام النبوة ، فإن العرب كانت أشد خلق الله حميةً وتمصّباً ، فبلغ الإيمان منهم ونور اليقين من قلوبهم إلى أن يرغب الرجل منهم في قتل أبيه وولده ، تقرّباً إلى الله ، وتزلفاً إلى رسوله ، مع أن الرسول - عليه السلام - أبعد الناس نسباً منهم ، وما تأخر إسلام قومه وبنى عمه وسبق إلى الإيمان به الأبعد إلا لحكمة عظيمة ، إذ لو بادر أهله وأقربوه إلى الإيمان به ، لقليل : قوم أرادوا الفخر برجل منهم ، وتمصّبوا له ، فلما بادر إليه الأبعد ، وقاتلوا على حبه من كان منهم أو من غيرهم ، علم أن ذلك عن بصيرة صادقة وبقين قد تغلغل في قلوبهم ، ورهبة من الله أزلت صفة ، قد كانت سدّت^(١) في نفوسهم من أخلاق الجاهلية لا يستطيع إزالتها إلا الذي فطر الفطرة الأولى ، وهو القادر على ما يشاء ، وأما عبد الله بن عبد الله ، فكان من كتاب النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان اسمه حباب ، وبه كن يكتنى أبوه ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ، مات شهيداً باليامة . رضى الله عنه ، وروى الدارقطني مُسنّداً أن النبي - صلى الله عليه وسلم - مرّ على جماعة فيهم عبد الله بن أبيّ فسلم عليهم ، ثم ولى ، فقال عبد الله : لقد عتّا ابن أبي كبشة في هذه البلاد ، فسمها ابنه عبد الله ، فاستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في أن يأتيه برأس أبيه ، فقال : لا ، ولكن برّ أباك . وذكر ابن إسحاق في هذا الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم حين بلغته مقالة

عبد الله بن أبي : مَتَنَ النَّاسُ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ ، وَيُرْوَى مَشَى ، فَأَمَّا مَتَنٌ ، فَقَالَ
صَاحِبُ الْعَيْنِ : يَقَالُ : سَارُوا سَيْرًا مُمَاتِنًا ، أَيْ : بِمَعِيدَةٍ .

حول مرثئ جوبرية « مملوكة ومليح » :

فصل : وَذَكَرَ جُوزَيْرِيَّةَ بِنْتَ الْحَارِثِ ، وَوَقَّوعَهَا فِي السَّهْمِ لثَابِتِ بْنِ
قَيْسٍ ، أَوْ لِابْنِ عَمٍّ لَهُ ، ثُمَّ جَاءَتْ تَسْتَعِينُ فِي كِتَابَتِهَا ، قَالَتْ عَائِشَةُ : وَكَانَتْ
أَسْرَاءَ حُلُوةٍ مُلَاحَةٍ . الْمُلَاحُ أَبْلَغُ مِنَ الْمَلِيحِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ، وَكَذَلِكَ الْوَضَاءُ
أَبْلَغُ مِنَ الْوَضْيِ ، وَالْكِبَارُ كَذَلِكَ أَبْلَغُ مِنَ الْكَبِيرِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَوْصَفُ الْهَارِي
سُبْحَانَهُ بِهَذَا اللَّفْظِ ، فَيَقَالُ فِيهِ كِبَارٌ بِمَعْنَى كَبِيرٍ ، لِأَنَّهُ عَلَى بَنِيَّةِ الْجَمْعِ ، نَحْوُ
ضُرَّابٍ وَشَهَادٍ ، فَكَانَ لَفْظُ الْكَبِيرِ وَنَحْوُهُ أَبْعَدَ مِنَ الْإِشْتِرَاكِ ، وَأَدْلَى عَلَى
الْوَحْدَانِيَّةِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَأَمَّا مَعْنَى : الْمُلَاحَةُ ، فَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّهَا مِنَ الْمُلْحَةِ وَهِيَ الْبَيَاضُ ،
فَقَوْلُ الْعَرَبِ : عَيْنَبُ مُلَاحِيٍّ ^(١) وَالصَّحِيحُ فِي مَعْنَى الْمَلِيحِ ، أَنَّهُ مُسْتَعَارٌ مِنْ قَوْلِهِمْ :
طَعَامٌ مَلِيحٌ إِذَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْمِلْحِ بِقَدَرٍ مَا يُصْلِحُهُ ، وَلِذَلِكَ إِذَا بَانَعُوا فِي الْمَدْحِ
قَالُوا : مَلِيحٌ قَزِيحٌ ، فَمَلِيحٌ مَنْ مَلَحَتْ الْقِدَرُ ، وَقَزِيحٌ مَنْ قَزَحَتْهَا إِذَا
طَلَبْتَ نَسَكْتَهَا بِالْأَفْوَهِ ، وَهِيَ الْأَفْزَاحُ ، وَبِذَلِكَ عَلَى بُعْدِ هَذَا الْمَعْنَى مِنَ
الْبَيَاضِ قَوْلُهُمْ : فِي الْأَسْوَدِ : مَلِيحٌ ، وَفِي الْعَيْنِ إِذَا اشْتَدَّ سَوَادُهَا وَحُسْنُهَا
كَأَنَّهَا فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ﴾ طه : ٢٩ . أَنَّهَا

مَلَاَحَة في المِئين ، وقال الأَصْمَعِيُّ : الحُسْنُ في العَيْنَيْنِ ، والجَمالُ في الأنفِ ،
والمَلَاَحَة في القَمَرِ . وقالت امرأة خالد بن صفوان لبعليها : إناك لَجَمِيلٌ
يا أبا صَفْوَانَ ، فقال : وكيف وليس عندى رِداءُ الجَمالِ ولا بُرْنَةُ
ولا عَمُودُهُ ؟ ثم قال : عَمُودُهُ الطُّولُ ، وأنا رَبْعَةٌ ، وبُرْنَتُهُ سَوادُ الشَّعرِ ،
وأنا أَشْمَطُ ، ورِداءُهِ البِياضُ ، وأنا آدَمُ ، ولكن قولى : إناك مَلِيحٌ ظَرِيفٌ .
فعلِمَها أن المَلَاَحَة قد تكون من صِفَةِ لَآدَمَ ، فهى إذا لَست من مَعنى
البِياضِ فى شَيْءٍ ، وإنما هى ضدُّ المَسَايَةِ .

غِيرة نساء النِّبى ، والنظر إلى المرأة :

وقول عائشة في جُؤَيْرِيَّة : فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حُجْرَتِي
فكُفِّرَتْها . فيه ما كان عليه أزواجُ النِّبى - صلى الله عليه وسلم - من الغِيرةِ
عليه ، والعلم بموقع الجَمالِ منه ، كما قد روى أنه - عليه السلام - أنه خَطَبَ
امرأةً فأرسلَ عائشةَ لتَنظُرَ إليها ، فلما رجعت إليه قالت : مارأيت طائلا ،
فقال : بلى لقد رأيت : خالاً في خَدِّها أَشْعَرَتْ منه كُلُّ شَعْرَةٍ في جَسَدِكَ .
وأما نظره عليه السلام لجُؤَيْرِيَّة حتى عَرَفَ من حُسْنِها ما عَرَفَ ، فإنما ذلك
لأنها كانت امرأةً مملوكةً ، ولو كانت حُرَّةً مملأعِينَةً منها ، لأنه لا يُكْرَهُ النَّظَرُ إلى
الإماء ، وجائز أن يكون نظرُ إليها ، لأنه نوى نِكَاحَها ، كما نظر إلى المرأة
التي قالت له : إني قد وَهَبْتُ نَفْسِي لك يا رسولَ الله ، فصَمَدٌ فيها للنظر
ثم صَوَّبَ ، ثم أنكَحَها من غيره ، وقد ثبت عنه عليه السلام الرُّخصةُ في النظر
إلى المرأة عند إرادَةِ نِكَاحِها ، وقال لِلْغِيرةِ حين شاوره في نِكَاحِ امرأةٍ :
(٢٨٢ - الروض الأثَر ج ٦)

لو نظرت إليها، فإن ذلك أحرى أن يؤدَمَ بينكما ، وقال مثل ذلك لمحمد بن مسleme حين أراد نكاح مُدَيِّتَةَ بنت الضحَّاك ، وقد أجازها مالك في إحدى الروايتين عنه ، ذكرها ابن أبي زَيْد . وفي مُسنَد البزار من طريق أبي بَكْرَةَ لاجرج أن ينظر الرجل إلى المرأة إذا أراد تزويجها ، وهي لا تشعُر . وفي تراجم البخاري : النظر إلى المرأة قبل التزويج ، وأورد في الباب قوله عليه السلام لعائشة أريتك في المنام يحى بك الملك في سَرَقَةٍ من حرير ، فكشفت عن وجهك ، فقال : هذه امرأتك ، فقلت : إن يكن من عند الله يُمضيه . وهذا استدلال حسن . وفي قوله : إن يكن من عند الله سؤال ، لأن رؤياه وحى ، فكيف يشك في أنها من عند الله .

والجواب : أنه لم يشك في صحة الرؤيا ، ولكن الرؤيا قد تكون على ظاهرها . وقد تكون لمن هو نظير المرء أو سميه ، فمن هاهنا تطرَّق الشك ما بين أن تكون على ظاهرها ، أو لها تأويل كذلك ، وسمعت شيخنا يقول في معنى هذا الحديث ، ولغيره فيه قول لا أرضاه ، فلا يخلو نظره عليه السلام إليها من أحد الأمرين ، أو يكون ذلك قبل أن يُضْرَبَ الحجاب ، وإلا فقد قال الله تعالى له : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يُمْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ وهو إمام المتقين وقُدْوَةُ الْوَرَعِينَ ^(١) صلى الله عليه وسلم .

(١) هذا هو الحق ، ولا يلتفت أبداً إلى سواء . والأستاذ المقاد فصل ممتاز عن زواج النبي صلى الله عليه وسلم تختار منه ما يأتي : لا حجة للمسلم على صدق محمد عليه السلام في رسالته أصدق من سيرته في زواجه ، وفي اختيار زوجاته ، وليس للنسوة من آية أشرف من آيتها في معيشة نبي الإسلام من مطلع حياته —

جويرية :

وأما جويرية فهي بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائد بن مالك
ابن جذيمة ، وجذيمة هو المصطلق من خزاعة ، كان أسماً برة ، فسماها

== إلى يوم وفاته . ما الذى يفعله الرجل الشهوان الفاسق في لذات الجسد إذا بلغ
من المسكنة والسلطان ما بلغه محمد بين قومه ؟
لم يكن عسيراً عليه أن يجمع إليه أجل بنات العرب ، وأفتن جوارى
الفرس والروم .

ولم يكن عسيراً عليه أن يوفر لنفسه ، ولأهله من الطعام والكساء والزينة
ما لم يتوفر أسيد من سادات الجزيرة في زمانه .
فهل فعل محمد ، ص ، ذلك بعد نجاحه ؟ هل فعل محمد ذلك في مطلع حياته ؟
كلام يفعله قط ، بل فعل نقيضه ، وكاد أن يفقد زوجاته لشكايتهن من شغل
العيش في داره .

ولم يحدث قط أن اختار زوجة واحدة ، لأنها مليحة أو وسيمة ، ولم بين
بمذراء قط إلا العذراء التي علم قومه جميعاً أنه اختارها ، لأنها بنت صديقه
وصفيه وخليفته من بعده أبي بكر الصديق رضى الله عنه . . . وما بنى - عليه
السلام - بواحدة من أمهات المسلمين ، لما وصفت به عنده من جمال ونساقه
ولأنما كانت صلة الرحم ، والاضن بها على المهانة هي الباءت الأكبر في نفسه
الشريفة على التفكير في الزواج منهن . . ثم يتحدث عن كل زوجة من أزواجه
صلى الله عليه وسلم ، ثم يقول : د والسيدة جويرية بنت الحارث سيد قومه
كانت بين السبايا في غزوة بنى المصطلق ، فأكرمها النبي - عليه السلام -
أن تذلل ذلة السباء ، فتزوجها ، وأعتقها ، وحسن المسلمين على إعناق سباياهم ،
فأسلموها جميعاً ، وحسن إسلامهم ، وخيرها أبوها بين العودة إليه ، والبقاء
عند رسول الله ، فاخترت البقاء في حرم رسول الله ، ص ١٩٠ وما بعدها
حقائق الإسلام ط ١

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جَوَيزِيَّةٌ^(١) ، وقد رُوِيَ مثل هذا في حديث مَيْمُونَةَ بنتِ الحارثِ . وكذلك زَيْنَب بنت جَحْشٍ ، كان اسمُها بَرَّةً أيضاً ، وزَيْنَب بنت أبي سَلَمَةَ ربيبته عليه السلام ، كان اسمُها بَرَّةً فسمَّاهُنَّ جُمع بغير ذلك الاسم ، توفيت جَوَيزِيَّةً في شهر ربيع الأول سنة سِتٍّ أو خمسٍ وخمسين من الهجرة ، وكانت قبل أن تُسَمَّى عند مُسَافِعِ بن صَفْوان الخَزَّاعِي .

حديث الإفك

فيه من الغريب قولُ عائشة : والناسُ يَوْمَئِذٍ لَمْ يَهَيِّجُونِ^(٢) اللحمَ فَيَنْقُلْنِ .

(١) في حديث رواه مسلم وأبو داود عن محمد بن عمرو بن عطاء أن زينب سألته : ما سميت بنتك ؟ فقال : سميتها : برة ، فقالت زينب : كان اسم جويرية برة ، فقهره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - باسم جويرية ، وفي حديث رواه أبو داود : نهى رسول الله أن يسمى بهذا الاسم ، فقال : لا تركوا أنفسكم ، والله أعلم بأهل البر منكم ،

(٢) في جميع النسخ المطبوعة : يهيجن أو يهيجهن . على حين ينقل المحققون السيرة في كل طبعة شرح الكلمة عن أبي ذر وعن الروض . وهي في الروض يهيجن أيضاً ، والسهيل يشرحها بقوله : التهيج : انتفاخ في الجسم ، أما أبو ذر فيقول : والتهيج كالورم في الجسد ، وفي الجمهرة : التهيج : انتفاخ الوجه وتقبضه . وما قاله أبو ذر هو الصواب ولعله خطأ من الناسخ في الروض ومن الطابع في السيرة ١١ وفي اللسان : هيج به بالياء تهيجاً فتهيج ، أى ورمه فتورم .. والتهيج : شبه الورم في الجسد . والكلمة عدة روايات : لم ينقلن اللحم ، أو لم ينقشن اللحم ، وفي رواية : لم يهبلن اللحم . وهبل اللحم وأهبله إذا أنقله وأصبح فلان مهبلأى كثير اللحم أو وازم الوجه ، وفلان مهبل أى مهيج ، كان به ورماً .

التَّهْيِيجُ: انتفاخٌ في الجسم قد يكون من سَمٍّ ، وقد يكون من آفة ، قال الأَصْمَعِيُّ
أو غيره : هَجَمْتُ هَلِيَّ حَيَّ من العرب بؤادٍ خصبٍ ، وإذا ألوانهم مُصَنَّرَةٌ
ووجوههم مُهَيَّجَةٌ ، فقلت لهم : ما بالكم ؟ وادبكم أخصبُ وادٍ ، وأنتم
لاتُشبهون المخاصب ، فقال لي شيخ منهم : إن بلدنا ليست له ربيعٌ ، يريد : أن
الجبال أحاطت به فلا تذهب الرياحُ وبآءه ولا رُمده .

صفوان بن المطلب :

وفيه ذكر صفوان بن المطلب بن ربيعة بن خزاعة بن محارب بن
مرة بن فالج بن ذكوان بن كغلبة بن بهثة بن سليم السلمي ، ثم الذكواني
يكنى أبا عمرو ، وكان يكون على ساقة المشرك يانقط ما يستقط من متاع
المسلمين ، حتى يأتيهم به ، ولذلك تختلف في هذا الحديث الذي قل فيه
أهلُ الإفك ما قالوا ، وقد روي في تخلفه سبب آخر ، وهو أنه كان ثقیل النّوم
لا يستيقظ حتى يرتمل الناس . ويشهد لصحة هذا حديث أبي داود أن امرأة
صفوان اشتكت به إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وذكرت أشياء منها أنه
لا يصلي الصبح ، فقال صفوان : يا رسول الله إني أمرؤ ثقيل الرأس لا أستيقظ
حتى تطلع الشمس ، فقال له النبي عليه السلام : فإذا استيقظت فصلّ
وقد ضعف البزار حديث أبي داود^(١) هذا في مسنده . وقيل صفوان

(١) يرويه أبو ذر في سننه والبزار وابن سعد وابن حبان والحاكم من
طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد . وقد قال البزار : هذا الحديث كلامه
منكر ، وأهل الأعمش أخذه من غير ثقة ، فدلسه فصار ظاهر سند الصّحة ،
وليس للحديث عندي أصل وقد رد الحافظ في الفتح على البزار ردّاً مطولاً فانظره
ص ٢٧٢ ط ٨ ١٣٤٨١ عبد الرحمن محمد .

ابن أُمِّهَ طَلَّ شهيداً في خلافة معاوية ، واندقت رِجْلُهُ يوم قُتِلَ ، فطاعن بها ،
وهي مُنْكَسرة ، حتى مات ، وذلك بالجزيرة بموضع له شِمَاط .

تفسير أسقطوا :

وفيه من غير رواية ابن إسحاق أنهم دَعَوْا الجارية ، فسألوها حتى أسقطوا
طابا به ، يريد : أفصحوا بالأمر ، ونَقَرُوا عنه ، يقال : ساقطته الحديثَ
مُسَاقَطةً وأسقطوا به ، في هذا المعنى قال أبو حَيَّةَ [التَّمِيمِيُّ] :

إِذَا هُنَّ سَاقَطْنَ الْحَدِيثَ كَأَنَّهُ سِقَاطُ حَصَا الْمَرْجَانِ مِنْ سِلَاقِ نَاطِلِمٍ^(١)

كذا فسرهُ أبو الحسن بن بطلال ، وفيما ذكر ابنُ إسحاق من رواية
الشَّيْبَانِيِّ عَنْهُ ، أَنَّهُمْ أَدَارُوا الْجَارِيَةَ عَلَى الْحَدِيثِ ، وَلَمْ يَصْرَحُوا بِهَا حَتَّى قَطَنَتْ
بِمَا أَرَادُوا ، فَقَالَتْ : مَا أَعْلَمُ عَلَيْهَا عَيْبًا ، الْحَدِيثُ . وَأَمَّا ضَرْبُ عِلْيٍّ لِلْجَارِيَةِ
وَهِيَ حُرَّةٌ ، وَلَمْ تَشْتَوْجِبْ ضَرْبًا ، وَلَا اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - فِي ضَرْبِهَا ، فَأَرَى مَعْنَاهُ أَنَّهُ أَغْلَظَ لَهَا بِالْقَوْلِ ، وَتَوَعَّدَهَا بِالضَّرْبِ ،
وَأَنَّهُمْ أَنْ تَكُونَ خَانَتَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ ، فَكَتَمَتْ مِنَ الْحَدِيثِ مَا لَا يَسْمَعُهَا
كَتْمُهُ مَعَ إِدْلَالِهِ ، وَأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ ، وَفِي غَيْرِ حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ

(١) البيت من قصيدة طوية ذكر منها القائل ثمانية أبيات منها هذا البيت
ورواية الشطر الأولى هكذا :

إِذَا هُنَّ سَاقَطْنَ الْأَحَادِيثَ لَفَتِي

كما ذكرها البكري في السمط وزاد فيها ، وبين روايته ورواية القائل
اختلاف يسير . ص ٢٨٠ ط ٢ ص ٢٨٠ ط ٢ ، ص ٩٢٥ سمط اللال .

عَاقَاتِ الْجَارِيَةِ : والله ما أعلم عليها إلا ما يعلم الصائغُ على الذَّهَبِ الأحمر .

بريرة :

وأما بَرِيرَةُ فهي مَوْلَاةُ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - التى اشترتها من بنى كاهلٍ فاعْتَقَتْهَا ، وخُبِرَتْ فى زَوْجِهَا ، وكان عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ جَحْشٍ . ههنا رواية أهل المدينة ، وفى رواية أهل العراق أنه كان حُرًّا ، وهى رواية الأسود بن يزيد عن عائشة ، والأولى رواية عُرْوَةَ والقاسم بن محمد عن عائشة ، وكذلك يقولون بتخيير الأُمّةِ إذا عَتَقَتْ ، وإن كان بملأها حُرًّا ، وقول أهل الحجاز على حسب روايتهم ، فلا يرون تخييرها ، إلا إذا كان زوجها عبدًا ، وعاشت بَرِيرَةُ حتى روى عنها الحديثَ بعضُ التابعين . قال عبدُ الملك بن مروان : كنت أجالس بَرِيرَةَ قبل أن أُلَيَّ هذا الأمرُ ، فتقول لى : يا أبا عبد الملك ، إن فىك خصالاً خَلِيقَةُ بهذا الأمرِ ، فإن وَلِيتَ هذا الأمرُ فَاتَّقِ اللهَ فى الدِّمَاءِ ، فإنى سمعت رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : إن الرجلَ لِيَجَالُ بينه وبين الجنة بعد أن يَنْظُرَ إليها بِحُجْمَةٍ دم أراقها مِنْ مُسْلِمٍ فى غير حقٍّ . والْبَرِيرَةُ واحدة البَرير وهو ثمر الأراك .

أُمُّ رُوْمَانَ :

وأما أُمُّ رُوْمَانَ ، وهى أُمُّ عَائِشَةَ فَقَدْ مر ذكرها فى هذا الحديث ، وهى زَيْنَبُ بنتُ عامرِ بنِ عُوَيْمِرِ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ بنِ دُهَّانٍ ، وهى من كِنَانَةَ ، واختُفِيتْ فى عُمُودِ نَسَبِهَا ، ولدت لأبى بكرٍ عائشةَ وعبدَ الرحمن ، وكانت قبل

أبى بكر عند عبد الله بن الحارث بن سَخْبَرَةَ ، فولدت له الطَّعْنِيلَ ، ونوفيت .
 أمُّ رومانَ سنةَ سِتٍّ من الهجرة ، ونزل النبي - صلى الله عليه وسلم - في قبرها .
 وقال « اللهم إنه لم يخف عليك ما لقيتُ أمُّ رومانَ فيك ، وفي رسولك » .
 وقال : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى امْرَأَةٍ مِنَ الْخَوَرِ الْعَيْنِ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى
 أمِّ رُومانَ »^(١) .

وهم للبخارى :

وروى البخارى حديثاً عن مَسْرُوقٍ ، وقال فيه : « سألت أمَّ رُومانَ .
 وهى أمُّ عائشةَ عما قيل فيها » وَمَسْرُوقٌ وَلِدٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -
 بلا خلافٍ ، فلم ير أمَّ رُومانَ قَطُّ^(٢) ، فقليل إنه وهم في الحديث ، وقيل : بل
 الحديث صحيح ، وهو مُقَدَّمٌ على ما ذكره أهل السيرة من موتها في حياة النبي صلى الله
 عليه وسلم ، وقد تكلم شيخنا أبو بكر - رحمه الله - على هذا الحديث ، واعتنى
 به لإشكاله ، فأوردَه من طُرُقٍ ، ففى بعضها : حدثنى أمُّ رومان ، وفى بعضها :
 عن مَسْرُوقٍ عن أمِّ رومانَ مُعْتَمِناً ، قال رحمه الله : وَالْعَمَلَةُ أَصَحُّ فيه ،
 وإذا كان الحديث مُعْتَمِناً كان محتملاً ، ولم يلزم فيه ما يلزم فى حَدَّثْنَا ،

(١) الاول رواه أبو عمر ، والآخر رواه ابن سعد . وانظر الإصابة .
 (٢) أنكر سماع مسروق من أم رومان جماعة من الحفاظ منهم الخطيب
 البغدادي ، وذلك لما ذكره أهل التواريخ أنها ماتت فى زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، قاله
 الخطيب : وقد كان مسروق يرسله ، فيقول : سئلت أم رومان ، ويسوقه ، فلعل
 بعضهم كتب سئلت بألف فاعتقد الراوى أنها سألت ، فظنه متصلاً

وفي سألت ، لأن للراوى أن يقول : عن فلان ، وإن لم يُذكرْهُ وهو كثير
في الحديث .

تناصبنى أو تناصبنى :

وقول عائشة : لم تكن امرأة تُناصِبُنِي في المنزلِ عندها غيرها ، هكذا
في الأصل تُناصِبُنِي^(١) ، والمعروف في الحديث : تُناصِبُنِي من المناصاة ،
وهي المساواة ، وأصله من الناصية .

شعر مساره في التعريض بابن العطل :

وذكر قول حسان :

أَمْسَى الْجَلَالِيْبُ قَدَعَزُوا وَقَدْ كَثُرُوا وَابْنُ الْفُرَيْجَةِ أَمْسَى بَيْضَةَ الْبَلَدِ

يعنى بالجلاليب الْفُرَبَاءَ ، وَبَيْضَةَ الْبَلَدِ ، يعنى : منفرداً ، وهى كلمة
يُتَكَلَّمُ بها فى المدح تارة وفى معنى الْقُلُّ أُخْرَى ، يقال : فلانٌ بَيْضَةُ الْبَلَدِ ،
أى : أنه واحدٌ فى قومه ، عظيمٌ فيهم ، وفلانٌ بَيْضَةُ الْبَلَدِ ، يريد : أنه ذليلٌ
ليس معه أحد .

وأما قوله :

قَدْ تَسَكَّلْتُ أُمَّهُ مَنْ كُنْتُ صَاحِبَهُ

فقد يجوز أن يكون قوله : مَنْ مَبْتَدَأُ ، وقد تَسَكَّلْتُ أُمَّهُ فى موضع الخبر

(١) لهاها كانت كذلك فى نسخته ، أما هى فى السيرة : تناصبنى بالياء لا بالباء .

المقدّم عليه ، ويجوز أن يكونَ مَنْ مفعولاً بشِكَلَتْ ، وأُضْمِرَ قبل
الذِّكْر مع اتصال الضمير بالفاعل ، فيكون مثل قوله :

جَزَى رَبُّهُ عَنِّي عَدَى بَن حَاتِمٍ

ومثل قوله :

أَبْقَى الْيَوْمَ نَجْدَهُ مُطْعِمًا

وقد تقدم القولُ فيه ^(١) .

وقوله : فَيَفْطُلُ ، يريد : النَجَرَ أَيْ ، يَهَيِّجُ وَيَهْتَلِمُ ، وأصل هذه
الكلمة من الْفَيْطَلَةِ ، وهى الظُّلَّة ، وأصلها يَفْطَالُ مثل يَسْوَأُ ، لكنه همز
الْأَلِف لثلا يجتمع سا كنان ، وإن كان اجتماعهما فى مثل هذا الموضع حَسَنًا
كقوله تبارك وتعالى ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ^(٢) ، ولكنهما فى الشعر لا يجتمعان
إلا فى عروض واحدة ، وهى الْمُتَقَارِب ، ومع هذا فقد قرأ أيوب بن
أبى تَمِيمَةَ [كيسان] السَّخْتِيَانِي وَلَا الضَّالِّينَ بهمزة مفتوحة ^(٣) وقرأ عمرو

(١) هو كما قال قد سبق القول فى هذا . والشطرة الأولى بقيتها : جزاء السكلاب
العاويبات ، وقد فعل . والبيت كما زعم ابن جنى وغيره للنابعة . وقيل لابی الاسود
الدبلى يهجو به عدى بن حاتم الطائى .

وأبقى مجده مطعما . هى من بيت شعر لحسان يرثى به جبير بن مطعم هو :
ولو أن مجدأ أخلد الدهر واحداً من الناس أبقى مجده الدهر مطعما
(٢) أصلها : الضالين فحذفت حركة اللام الأولى ، ثم أدغمت اللام فى اللام ،
فاجتمع سا كنان : مدة الألف واللام المدغمة .

(٣) وغير مدودة كأنه فر من التقاء الساكنين ، وهى لغة .

ابن عبيد : (إِنْ سَقَيْتَهُمْ وَلَا جَانَ)^(١) الرحمن : ٥٦ وأنشد الخطابي :

سَقَى مُطْفِئَاتِ الْمَحَلِّ سَكْبًا وَدِيمَةً عِظَامُ ابْنِ لَيْلَى حَيْثُ كَانَ رَمِيمُهَا
فَأَصْبَحَ مِنْهَا كُلُّ وَادٍ وَتَلْعَقَةٍ حَدَائِقَ خُضْرًا مُزْهِرًا عَمِيمُهَا

أنشد :

خَاطَمَهَا زَأْمَهَا أَنْ تَهْرَبَا^(٢)

فإن قيل : الهمزة في هذا كله مفتوحة ، وفي قوله يَقْطُلُ مَكْسُورة ،

(١) حكى أبو زيد قال : سمعت عمرو بن عبيد يقرأ (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ، ولا جان) فظننته قد لحن حتى سمعت من العرب دأبة ، وشأبة . قال أبو الفتح : وعلى هذه اللغة قول كثير :

إذا ما النوالى بالعيطا حارت

وانظر ص ٤٢٨ ٤٣ من شرح الشافية للرضي وص ١٠٥ ، وما بعدها ، ص ١٤٩ ١٥٠ وما بعدها شرح تصريف المازني لابن جني وقد أفاض ابن جني في الكلام على هذا في قراءة من قرأ ولا الضالين بهمز الألف في ص ٢٢ وما بعدها من كتابه المختص .

(٢) استعار بعض الرجاز الخطام في الحشرات ، فقال :

يا عجباً لقد رأيت عجبا حمار قبان يسوق أرنبا
عاقلا خاطمها أن تذهب فقالت : أردفني ، فقال

أراد : لا تذهب ، أو مخافة أن تذهب . ورواه ابن جني كما روى السهيلي : خاطمها زأما أن تذهب . أراد : زأما . وزعمت البعير : خطمتها ، ويقول اللسان إنه حرك الهمزة ضرورة لا اجتماع الساكنين كما جاء في الشعر : اسودت بمعنى : اسودت . انظر مادة خطم وزعم في اللسان . وزأما في الأصل : رامها .

وكذلك في الحديث الصحيح : أسود مُرَبَّدٌ في رواية .

قلنا : إنما كسرت الهمزة في مُزْهَرٍ ومُرَبَّدٍ وَيَفْطُلُ ، بعد أن فُتِحَتْ في الماضي ، ف قيل : اغْطَالَ ، وأزْهَارٌ ، فصار على وزن اطمأن ، ف جاء اسمُ الفاعل والمستقبلُ على ذلك القياسِ مكسوراً كما يُكْسَرُ في مُطْمَئِنٍّ ..
تفسير العجيب :

وقول ثابت لعبد الله بن رَوَاحَةَ : أَمَا أُعْجِبُكَ ضَرْبَ حَسَّانٍ بِالسِّيفِ ، معناه : أما جعلك تعجب ، تقول : عَجِبْتُ مِنَ الشَّيْءِ ، وَأَعْجَبَنِي الشَّيْءُ ، إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْعَجَبُ مِنْ مَكْرُوهٍ أَوْ مَحْبُوبٍ ، وهو عقد الناس بمعنى سَرَّني لا غير ، وفي الحديث ، وكلام العربِ شواهدٌ كثيرةٌ على هذا المعنى منها في الكامل فَلَا أُعْجِبُنِي أَنْ أُعْجِبَهُ بِكَاهِ أَبِيهِ ، وفي حديثٍ ذكره عن عبد الرحمن بن حسان ^(١) ، وكذلك أنشد :

(١) في اللسان : ذكر أبو زيد خارجة بن زيد أن حسان بن ثابت أنشد قوله :

انظر خليلي يظن جلق هل تؤنس دون البلقاء من أحد
نبكي حسان بذكر ما كان فيه من صحة البصر والشباب بعد ما كف بصره ،
وكان ابنه عبد الرحمن حاضراً ، فسر بيكاه أبيه ، قال خارجة : يقول : أعجبت
من سروره بيكاه أبيه . قال ومثله قوله :

فقلت لي ابن قيس ذا وبعض الشيء يعجبها
وفي مكان آخر من نفس المادة أنشد اللسان لابن قيس الرقيات :

رأت في الرأس من شبيبة لست أغيبها

فقلت لي : ابن قيس ذا وبعض الشيء يعجبها

أي يكسبها التعجب ، أو تعجب منه وأراد : أبي قيس فترك الألف الأولى ..

الَاهُزَّتْ بِنَا قَرْشِيَّةٌ يَهْتَرُ مَنْكِبُهَا
تقول لى : ابن قيس ذا وبعض الثيب يُفَجِّبُهَا
وقال كعب بن زهير :

لو كنت أعجب من شئ لأعجبني سفي الفتي، وهو تحبوه القدر^(١) له
وقوله عليه السلام : أُنشَوْتُ عَلَى قَوْمي أَنْ هَدَامَ اللهُ ، معناه : أَفْبَحَتْ
ذلك من فعلهم حين سَمَّيَهُم بِالْجَلَابِيبِ من أجل هَجَرَتِهِمْ إِلَى اللهِ
بوالى رسوله ؟

يبرحاء :

وقوله : فَأَعْطَاهُ عَوْضًا مِنْهَا بَيْرَحَاءَ ، وذكر بعضهم أن هذه البئر سُمِّيت
بَيْرَحَاءَ بِزَجْرِ الْإِبِلِ عَنْهَا ، وذلك أَنَّ الْإِبِلَ يُقَالُ لَهَا إِذَا زَجِرَتْ عَنِ الْمَاءِ ،
وَقَدْ رَوَيْتُ حَاحَا ، وهكذا كَانَ الْأَصِيلُ يَفْقِدُهُ بَرَفْعَ الرَّاءِ إِذَا كَانَ الْاسْمُ
مَرْفُوعًا ، وبالد ، وغير الْأَصِيلُ يقول : بَيْرَحَاءَ بِالْفَتْحِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَبِالْقَصْرِ

(١) وبعده :

يسمى الفتي لأمور ليس يدركها فالنفس واحدة ، والهم منتشر
والمرء - ما عاش - محدود له أمل لانتهى العين حتى يقبى الأثر
أنظر الاستيعاب لابن عبد البر والإصابة لابن حجر . وقال ابن عبد البر :
كان كعب شاعراً مجوداً كثير الشعر مقدماً في طبقة هو وأخوه بجير ، وكعب
أشعرهما ، وأبوه زهير فوقيهما

يجعله اسماً واحداً ، وقد حكى عن بعضهم فيه بغيرحاء بفتح الباء مع النصب ،
وفى الصحيح أن أبا طاححة دَفَعَ بِيْرَحَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -
وجعلها صَدَقَةً ، فأمره النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يجعلها في الأقربين ،
فقسمها بين أبيٍّ وحَسَّانَ ، وفسر البخارى وأبو داود القَرَابَةَ التى بين أبى طاححة
وبينهما قالوا : فأما حسانُ فهو ابن المنذر بن ثابت بن حَرَامٍ ، وأبو طاححة هو
زَيْد بن سَهْل بن حَرَامٍ ^(١) ، فهذه قرابةٌ قَرِيبَةٌ ، وأما أبى ، فيجتمع معه في
الأب السادس ، وهو عمرو بن مالك بن النَجَّارِ ، وقد كان أبى غَنِيًّا ، فكيف
ترك مَنْ هو أقربُ منه ، وخصَّه ؟

والوجهُ في ذلك أن أبا كان ابن عمَّةِ أبى طَلْحَةَ ، وهى صهيبة بنت
الْأَسْوَدِ بن حرام ، وهو معروف عند أهل النسب ، فمن أجل ذلك النسب
خَصَّه بها ، لا من أجل النسب الذى ذكرناه فإنه بعيد ، وإِذَا قَالَ له النبي
صلى الله عليه وسلم : اجعلها في الأقربين .

مول نزادة عائشة :

وفى المسند من حديث عائشة أنه لما أنزل اللهُ يراءتها قام إليها أبو بكر ،
فقبل رأسها ، فقالت له : هَلَّا كُنْتَ عَذَرْتَنِي ، فقال : أَيْ سَمَاءُ تَظْلِمْنِي ، وأى

(١) فى الجمهرة لابن حزم : ابن سهل بن الاسود بن حرام ص ٢٢٧ قلل
الاسود سقط من النسخ ، وقد استوفى السهوى القول فى بريحاء فانظره
ص ١٣٣ ٢٠ وفاة الوفاء ، وانظر معاجم أسماء الاماكن كمعجم البكرى
وياقوت ومراصد الإطلاع .

أَرْضِي تُقَلِّنِي ، إِنْ قَلَّتْ بِمَالَا أَعْلَمُ ، وَكَانَ نَزُولُ بَرَاءَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -
بَعْدَ قُدُومِهِمُ الْمَدِينَةَ بِسَبْعٍ وَثَلَاثِينَ لَيْلَةً فِي قَوْلِ بَعْضِ الْمَفْسَرِينَ .

شعر مسامه في مَرَحِ عَائِشَةَ :

وقول حسان في عَائِشَةَ :

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا زَنَ بِرَبِيبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرْنِي مِنْ لُحُومِ النَّوَافِلِ

حَصَانٌ : فَعَالٌ يَفْتَحُ الْحَاءُ يَكْثُرُ فِي أَوْصَافِ الْمُؤَنَّثِ ، وَفِي الْأَعْلَامِ مِنْهَا ،
كَأَنَّهُمْ قَصَدُوا بِتَوَالِي الْفَتْحَاتِ مُشَابَهَةَ خِفَّةِ اللَّفْظِ لَخِفَّةِ الْمَعْنَى ، أَيْ الْمَسْمُونِ
بِهَذِهِ الصِّفَاتِ خَفِيفَ عَلَى النَّفْسِ ، وَحَصَانٌ مِنَ الْحِصْنِ وَالتَّحَصُّنِ ، وَهُوَ
الامْتِنَاعُ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ نَظَرِهِمْ إِلَيْهَا ، وَقَالَتْ جَارِيَةٌ مِنَ الْعَرَبِ لِأُمِّهَا :

يَا أُمُّتَا أَبْصُرِي رَاكِبٌ يَسِيرُ فِي مُسَحْفَرٍ لَاحِبٍ ^(١)
جَعَلْتُ أَحْيَى التُّرَابَ فِي وَجْهِهِ حُصْنًا وَأَحْيَى حَوْزَةَ النَّائِبِ ^(٢)

فَقَالَتْ لَهَا أُمُّهَا :

الْحُصْنُ أَذْنَى لَوْ تَابَيْتِيهِ مِنْ حَنْثِكَ التُّرْبَ عَلَى الرَّاكِبِ

ذَكَرَ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ السَّيرَاقِي فِي شَرْحِ آيَاتِ الْإِبْصَاحِ

(١) المسحفر : الممتد . واللاحب : الطريق الواسع المنقاد .

(٢) روايته في اللسان مكذبا :

فَعَلْتُ أَحْيَى التُّرَابَ فِي وَجْهِهِ عَنِ وَأَحْيَى حَوْزَةَ النَّائِبِ

والرَّزَانُ وَالثَّقَالُ بمعنى واحد ، وهى القليلةُ الحركة .

وقوله : وَتُصَيِّحُ غَرَضِي مِنْ لُحُومِ الْفَوَاحِلِ ، أى خَمِيضَةَ الْبَطْنِ مِنْ لُحُومِ النَّاسِ ، أى اغْتِيَابِهِمْ وَضَرْبَ الْفَرَسِ مَثَلًا ، وهو عدم الطَّعْمِ وَخُلُوعُ الْجُوفِ ، وفى التَّنْزِيلِ : ﴿ أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ الحجرات : ١٢ ضرب المثل لِأَخْذِهِ فِي الْعِرْضِ بِأَكْلِ اللَّحْمِ ، لِأَنَّهُ لَحْمٌ سَدَّرَ عَلَى الْعَظْمِ ، وَالشَّامُ أَخِيهِ كَأَنَّهُ يَفْشِرُ وَيَكْشِفُ مَا عَلَيْهِ مِنْ سِدْرٍ .

وقال : مَيْتًا ، لِأَنَّهُ الْمَيْتَ لَا يُحْسِ ، وَكَذَلِكَ الْغَائِبُ لَا يَسْمَعُ مَا يَقُولُ فِيهِ الْمُقْتَابُ ، نَمَ هُوَ فِي التَّحْرِيمِ كَأَكْلِ لَحْمِ الْمَيْتِ .

وقوله : مِنْ لُحُومِ الْفَوَاحِلِ ، يريد : التَّعَانِفَ الْغَافِلَةَ قُلُوبُهُنَّ عَنِ الشَّرِّ ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْذَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ النور : ٢٣ جَعَلَهُنَّ غَافِلَاتٍ ، لِأَنَّ الَّذِي رُمِيَ بِهِ مِنَ الشَّرِّ لَمْ يَهْتَمُّ بِهِ قَطُّ وَلَا خَطَرَ عَلَى قُلُوبُهُنَّ ، فَهُنَّ فِي غَفْلَةٍ عَنْهُ ، وَهَذَا أَبَاحَ مَا يَكُونُ مِنَ الْوَصْفِ بِالْمُغَافِ .

وقوله :

لَهُ رَتَبٌ عَالٍ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ

الرَّتَبُ : مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ وَعَلَا ، وَالرَّتَبُ أَيْضًا : قُوَّةٌ فِي الشَّيْءِ وَغِلْظٌ فِيهِ ، وَالسُّورَةُ رُتْبَةٌ رَفِيعَةٌ مِنَ الشَّرَفِ مَأْخُوذَةٌ اللَّفْظِ مِنْ سُورِ الْبَنَاءِ .

وقوله : فَإِنَّ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلَايِطٍ ، أى : بِبَلَّاسِقٍ ، يَقَالُ : مَا يَلِيظُ

اذلك بفلان ، أى : ما يصدق به ، ومنه سُمي الرَّبَّاءُ : لِإِطَاعَا ، لَأَنَّهُ أُلْصِقُ بِالْبَيْعِ ،
وَلَيْسَ بِبَيْعٍ . وفى الكتاب الذى كَتَبَ لثَقِيفَ : وما كان من دِينٍ لَيْسَ فِيهِ
رَهْنٌ ، فَإِنَّهُ لِيَأْطَا مُبْرَأً مِنْ اللَّهِ . وَسَيَأْتِي حَدِيثُهُ مَفْسُراً إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وقوله فى الشعر :

فَلَا رَفَعْتَ سَوْطِي إِلَى أَنَامِلِي

دَعَا عَلَى نَفْسِهِ ، وَفِيهِ تَهْدِيقٌ لِمَنْ قَالَ : إِنْ حَسَّانُ لَمْ يُجْلَدْ فِى الْإِفْكِ ،
وَلَا خَاضَ فِيهِ ، وَأَنْشَدُوا الْبَيْتَ الَّذِى ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ :
أَقْدَ ذَاقَ حَسَّانُ الَّذِى كَانَ أَهْلَهُ

على خلاف هذا اللفظ :

أَقْدَ ذَاقَ عَبْدُ اللَّهِ مَا كَانَ أَهْلَهُ وَحَمْنَهُ إِذْ قَالُوا : هَجِرَ أَوْ مِسْطَحُ

ما نزل فى من أصحاب الإفك :

وذكر ما أنزل الله تعالى فى أصحاب الإفك وقوله تعالى : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ
بِالْسَّلَاطَةِ ﴾ النور : ١٥ وكانت عائشة - رضى الله عنها - تَقْرُؤُهَا : إِذْ تَلَقَّوْنَهُ
بِالْسَّلَاطَةِ مِنْ الْوَلَاتِ ، وَهُوَ اسْتِمْرَارُ اللِّسَانِ بِالْكَذِبِ . وَأَمَّا إِقَامَةُ الْحَدِّ
عَلَيْهِمْ فَنَبِيهِ التَّنْوِيَّةُ بَيْنَ أَفْضَلِ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - وَأَدْنَى
النَّاسِ دَرَجَةً فِى الْإِيمَانِ ، لَا يُزَادُ الْقَازِفُ عَلَى الثَّمَانِينَ ، وَإِنْ شَتَمَ خَيْرُ
النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْهَا ، فَإِنْ قَذَفَ قَازِفٌ
الْيَوْمَ إِحْدَى أَمْهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ سِوَى عَائِشَةَ ، فَيَتَوَجَّهَ فِيهِ لِلْفَقْهَاءِ قَوْلَانِ :
أَحَدُهُمَا : أَنْ يُجْلَدَ ثَمَانِينَ كَمَا يَقْتَضِيهِ عَمُومُ التَّنْزِيلِ ، وَكَأَمْعِلِ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم -
(م ٢٩ - الروض الأتف - ج ٦)

عليه وسلم - بالذين قَذَفُوا أَهْلَهُ قَبْلَ نَزُولِ الْفَرَّانِ بِرَأْسِهَا ، وَأَمَّا بَعْدَ نَزُولِ الْفَرَّانِ بِرَأْسِهَا فَيُقْتَلُ قَاذِفُهَا قَتْلًا كُفْرًا ، وَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِ ، وَلَا يُورَثُ . لِأَنَّهُ كَذَّبَ اللَّهَ تَعَالَى .

وَالْقَوْلُ الثَّانِي فِي قَاذِفِ أُمَمَاتِ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - أَنْ يُقْتَلَ أَيْضًا ، وَبِهِ كَانَ يَأْخُذُ شَيْخُنَا - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - وَيَحْتَجُّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ الْأَحْزَابُ : ٥٧ الْآيَةُ ، وَإِذَا قَذَفَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَدْ سَبَّهَ . فَمَنْ أَعْظَمَ الْإِذَايَةَ ، أَنْ يُقَالَ عَنِ الرَّجُلِ : قَرْنَانٌ ^(١) وَإِذَا سُبَّ نَبِيٌّ بِمَثَلِ هَذَا فَهُوَ كُفْرٌ صُرَّاحٌ وَقَدْ قَالَ الْمَفْسُورُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (فَيَخَانَنَاهُمَا) أَيْ : خَانَتَا فِي الطَّاعَةِ لَهَا ، وَالْإِيمَانِ ، وَمَا بَغَتْ امْرَأَةٌ نَبِيًّا قَطُّ ، أَيْ : مَا زَنْتُ .

إِهْرَاءُ سِيرِينَ إِلَى مَسَامِهِ :

وَذَكَرَ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَعْطَى حَسَّانَ جَارِيَتَهُ بِضَرْبِ صَفْوَانَ بْنِ الْمُعْطَّلِ لَهُ ، وَهَذِهِ الْجَارِيَةُ اسْمُهَا سِيرِينَ بِنْتُ شَمْعُونِ أُخْتُ مَارِيَةَ مُرِّيَّةَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهِيَ أُمُّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ الشَّاعِرِ ، وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَفْخَرُ بِأَنَّهُ ابْنُ خَالَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

(١) الْقَرْنَانُ هُوَ الَّذِي يَشَارِكُ فِي امْرَأَتِهِ كَأَنَّهُ يَقْرُنُ بِهِ غَيْرُهُ أَوْ هُوَ نَعْتُهُ سَوَاءٌ فِي الرَّجُلِ أَوْ فِي الْمَرْأَةِ . قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : هَذَا مِنْ كَلَامِ الْحَاضِرَةِ ، وَلَمْ أَرِ الْجَوَادِي لَفْظُوا بِهِ وَلَا مَرْفُوعَهُ .

وقد روت سيرين هذه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً قالت : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم خفلاً في قبر إبراهيم ابنه فأصلحه ، وقال : أن الله يحب من العبد إذا عمل عملاً أن يتصلحه^(١).

(١) أخرج البخارى ومسلم حديث قصة الإفك في صحيحهما من حديث الزهرى : وفي روايتهما أن أمها قالت لما عقب تبشير الرسول د ص ، أمائشة ببراءتها . د قومي إليه ، فقلت : والله لا أقوم إليه ، ولا أحد إلا الله عز وجل هو الذى أنزل براءتى . وفي رواية للبخارى قالت : د لا والله ، لا أقوم إليه ، ولا أحده ، ولا أحدهما ، ولكن أحده الله الذى أنزل براءتى ، لقد سمعتموه ، فما أنكرتموه ، ولا غيرتموه ، ويقول ابن كثير عن الذى تولى كبره : د قيل : المراد به حسان ، وهو قول غريب ، ولولا أنه وقع في صحيح البخارى ما قد يدل على إيراد ذلك لما كان لإيراده كبير فائدة ، فإنه من الصحابة الذين لهم فضائل ومناقب ومآثر ، وأحسن مآثره أنه كان يذب عن رسول الله د ص ، بشعره ، وهو الذى قال له رسول الله د ص : ما جهم ، وجبريل معك ،

هذا وفي رواية للبخارى أن الرسول د ص : لبث شهراً لا يوحى إليه في شأن عائشة ، وعند ابن حزم أن المدة كانت خمسين يوماً أو أزيد ، ويجمع بأنها المدة التى كانت بين قدومهم المدينة ونزول القرآن في قصة الإفك ، وأما التقييد بالشهر فهو المدة التى أولها لإتيان عائشة بيت أبويها حين بلغها الخبر .

ويقول الزهخشري : لم يقع في القرآن من التغليظ في معصية ما وقع في قصة الإفك بأوجز عبارة ، وأشبعها ، لاشتماله على الوعيد الشديد والعقاب البالغ ، والزجر العنيف ، واستعظام القول في ذلك واستشناعه بطريق مختلفة ، وأساليب متقنة ، كل واحد منها كاف في بابه ، بل ما وقع منها من وعيد عبدة الاوثان إلا بما هو دون ذلك ، وما ذلك إلا لإظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وانظر للقول في العصبة الذين جاءوا بالإفك في ص ٢٧٣ ٨ ط عبد الرحمن محمد فتح البارى . هذا وقد زاد الحاكم في شعر حسان اللامى بيتين من غير رواية ابن اسحاق

أمر الحديبية في آخر سنة ست ، وذكر بيعة الرضوان
والصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبين سهيل بن عمرو

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة شهر رمضان
وشوالاً ، وخرج في ذى القعدة معتمراً ، لا يريد حرباً .
قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نُمَيْلَةُ بن عبد الله اللثمي .

قال ابن إسحاق : واستنفر العربَ ومن حوله من أهل البوادي من
الأعراب ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قُرَيْشٍ الذي صنعوا ، أن يمرضوا له بحرب
أو يصدّوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثير من الأعراب ، وخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب ،
وساق معه الهدى ، وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه ، وليعلم الناس أنه
إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عروة بن
الزبير عن مسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه قالاً : خرج

.

== حيلة خير الخلق ديناً ومنصباً نبي الهدى والمكرمات الفواضل
رأيتك ولبيغفرلك الله حرة من المحصلات غير ذات الفوائض
وقد روي من طريق صالح بن كيسان عن الزهري . قال عروة : كانت عائشة
تمكّره أن يسب عندها حسان وتقول : إنه الذي قال
فإن أبي ووالده وعرضي لعرض عند منكم وقاه

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عامُ الْحَدَيْبِيَّةِ يريدُ زيارةَ البيتِ ، لا يريدُ قتالا ،
وساقَ معه الهَدْيَ سَبْعِينَ بَدَنَةً ، وكانَ الناسُ سبعِ مائة رجل ، فكانت
كلَّ بَدَنَةٍ عَشْرَةَ نَفَرٍ .

وكانَ جابرُ بنُ عبدِ الله ، فيما بلغني ، يقولُ : كنَّا أصحابَ الْحَدَيْبِيَّةِ أَرْبَعِ
عَشْرَةَ مائة .

قالَ الزَّهْرِيُّ : وخرجَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حتَّى إذا كانَ
بِعُسْفَانَ لَقِيَهِ بَشْرُ بْنُ سُفْيَانَ الْكَلْبِيُّ - قالَ ابنُ هشامٍ : ويقالُ بُشَيْرٌ - فقالَ :
يا رسولَ الله هذه قُرَيْشٌ ، قد سَمِعْتُ بِمَسِيرِكَ ، فخرجوا معهم العُودُ الطَّافِيلُ ،
قد كَبَسُوا جُلُودَ الذَّمُورِ ، وقد تَزَلَّوْا بَذَى طُوى ، يُعَاهِدُونَ اللهَ لا تَدْخُلُهَا عَلَيْهِمْ
أَبْدًا ، وهذا خالدُ بنُ الوليدِ في خَيْلِهِمْ قد قَدَّمُوها إلى كُرَاعِ الْغَمِيمِ ، قالَ :
فقالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : يَا وَبَّحَ قُرَيْشُ ! لقد أَكَلْتَهُمُ الْحَرْبُ ،
ماذا عَلَيْهِمْ لو خَلَّوْا بَيْنِي وَبَيْنَ سَائِرِ الْعَرَبِ ، فإنَّهم أَصَابُونِي كانَ الَّذِي أَرَادُوا ،
وإنَّ أَظْهَرَ نِيَّ اللهِ عَلَيْهِمْ دَخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَافِرِينَ ، وإنَّهم لَمْ يَفْعَلُوا قَاتَلُوا وَبِهِمْ
قُوَّةٌ ، فإِن تَظُنَّ قُرَيْشُ ، فوالله لا أَزالُ أَجَاهِدُ على الَّذِي بَعَثَنِي اللهُ بِهِ حتَّى
يُظْهَرَ اللهُ أو تَنْفَرُ هذه السَّالْفَةُ .

الرسول صلى الله عليه وسلم يسلك طريقاً غير طريق قريش

ثم قال : مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بنا على طَرِيقٍ غير طَرِيقِهِمُ الَّتِي هُمْ بِهَا ؟

قالَ ابنُ إِسْحاقَ : فحدثني عبدُ اللهِ بنُ أَبِي بَكْرٍ : أن رجلاً من أسلم قال :

أنا يرسل الله ، قال : فسلك بهم طريقاً وُغراً أُجْرَل بين شِهاب ، فلما خرجوا منه ، وقد شقّ ذلك على المسلمين وأُفْضُوا إلى أرض سهلة عند مُنْقَطَعِ الوادى ؛ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للناس : قُولُوا : نَسْتَغْفِرُ اللهَ وَنَتُوبُ إِيَّاهُ ؛ فَعَمِلُوا ذَلِكَ ، فقال : واللهِ إِنْهَا لِلْحِطَّةِ الَّتِي عُرِضَتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ . فلم يَقُولوها .

قال ابنُ شهاب : فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين بين ظَهْرَيِ الْخُمْسِ ، في طريقٍ يُخْرِجُهُ عَلَى تَنْبِيَةِ الْمَرَارِ مَهْبِطِ الْحُدَيْبِيَّةِ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ ؛ قال : فسلك الجيشُ ذلك الطريقَ ، فلما رَأَتْ خَيْلُ قُرَيْشٍ قَتَرَةَ الْجَيْشِ قَدْ خَالَفُوا عَنْ طَرِيقِهِمْ ، رَجَعُوا رَاكِضِينَ إِلَى قُرَيْشٍ ، وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حتّى إِذَا سَلَكَ ، في تَنْبِيَةِ الْمَرَارِ بَرَكْتَ نَاقَتُهُ ، فقالت الناس : خَلَّتِ النَّاقَةُ ، قال : مَا خَلَّتْ وَمَا هُوَ لَهَا بِخُلُقٍ ، وَاسْكُنْ حَبْسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ عَنْ مَكَّةَ . لَا تَدْعُونِي قُرَيْشُ الْيَوْمَ إِلَى خُطَّةٍ يَسْأَلُونَنِي فِيهَا صَلَاةَ الرَّحْمَنِ إِلَّا أُعْطِيَهُمْ إِيَّاهَا . ثم قال للناس : انزِلُوا ، قيل له : يا رسول الله : ما بالوادي مَلَأَ نَزْلَ عَلَيْهِ ، فَأَخْرَجَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ، فَأَعْطَاهُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَنَزَلَ بِهِ فِي قَلْبِ مَنْ تِلْكَ الْقُلُوبُ . ففَرَزَهُ فِي جَوْفِهِ ، فَجَاشَ بِالرَّوَاهِ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسَ عَنْهُ بَعْطَانِ .

قال ابنُ إسحاق : فحدثني بعضُ أهل العلم عن رجال من أسلم : أن الذي نَزَلَ فِي الْقَالِبِ بِسَهْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاجِيَةُ بْنُ جُنْدَبِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَغْتَرِ بْنِ دَارِمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ وَائِلَةَ بْنِ سَهْمِ بْنِ مَازِنِ بْنِ سَلَامَانَ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ أَفْصَى

ابن أبي حارثة ، وهو سائقُ بُدْنِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : أفعى بن حارثة .

قال ابن إسحاق : وقد زعم لي بعضُ أهل العلم : أن البراء بن عازبٍ كان يقول : أنا الذي نزلت بِسَمِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فالله أعلمُ بِأَيِّ ذَلِكَ كَانَ .

وقد أنشدت أسلم أبياتا من شعر قالها ناجيةٌ ، قد ظننا أنه هو الذي نزل بالسهم ، فزعمت أسلم أن جاريةً من الأنصار أقبلت بدلوها ، وناجيةٌ في القليب يَمِيجُ على الناس ، فقالت :

يَأَيُّهَا الْمَأْمُوحُ دَلَوِي دُونَكَ إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَمْحَدُونَكَ
يُثْنُونَ خَيْرًا وَيُمَجِّدُونَكَ

قال ابن هشام : ويروى :

إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَمْدَحُونَكَ

قال ابن إسحاق : فقال ناجية ، وهو في القليب يَمِيجُ على الناس :

تَدَعَيْتُ جَارِيَةً يَمَانِيَةً أَتَى أَنَا الْمَأْمُوحُ وَاسِي نَاجِيَةً
وَوَطَعَنِي ذَاتُ رَشَاشٍ وَاهِيَةً طَمَعْتُهَا عِنْدَ صُدُورِ الْعَادِيَةِ

فقال الزهري في حديثه : فلما اطمأن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أَنَاهُ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءِ الْخَزَاعِيِّ ، في رجال من خُزَاعَةَ ، فكَلَّمُوهُ وسألوه : ما الذ

جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يُريد حرباً ، وإنما جاء زائراً للبيت ، وممظماً لحرمته ، ثم قال لهم نحواً مما قال لبشر بن سُفْيَان ، فَرَجَعُوا إِلَى قُرَيْش فَقَالُوا : يامعشر قريش ، إنكم تَمُجِّلُونَ عَلَى مُحَمَّد ، إن محمداً لم يأت لقتال ، وإنما جاء زائراً هذا البيت ، قاتهموم وجبهموم وقالوا : وإن كان جاء ولا يريد قتالاً ، فوالله لا يدخلها علينا عتوة أبداً ، ولا تحدثُ بذلك عنا العرب .

قال الزهري : وكانت خُزَاعَةُ عَيْبَةَ نُصَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مُسْلِمًا وَمُشْرِكًا ، لَا يُخْفُونَ عَنْهُ شَيْئًا كَانَ بِمَكَّةَ .

قال : ثم بعثوا إليه مِكَرَزُ بْنُ حَفْصِ بْنِ الْأَخِيْفِ ، أَخَا بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقْبِلًا قَالَ : هَذَا رَجُلٌ غَادِرٌ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَلَّمَهُ ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوًا مِمَّا قَالَ لِبُدَيْلٍ وَأَصْحَابِهِ ، فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثم بعثوا إليه الْحَلِيسُ بْنُ عُلْقَمَةَ أَوْ ابْنَ زَبَّانٍ ، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدَ الْأَحَابِيْشِ ، وَهُوَ أَحَدُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنَافَةَ بْنِ كِنَانَةَ ؛ فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنْ هَذَا مِنْ قَوْمٍ يَتَأَلَّهُونَ ، فابعثوا الهدى في وجهه حتى يرام ، ففعلوا رأى الهدى يسيل عليه من عُرْضِ الْوَادِي فِي قَلَائِدِهِ ، وَقَدْ أَكَلَ أَوْبَارَهُ مِنْ طَوْلِ الْحَبِيسِ عَنْ حَبْلِهِ ، رَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعِظَامًا لِمَا رَأَى ، فَقَالَ لَهُمْ ذَلِكَ . قَالَ : فَقَالُوا لَهُ : اجلس ، فَإِنَّمَا أَنْتَ أَغْرَابِي لَا عِلْمَ لَكَ .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن الحليس غضب عند ذلك وقال : يامعشر قريش ، والله ما على هذا حالناكم ، ولا على هذا عاقدناكم . أبصده من بيت الله من جاء معظماً له ! والذي نفس الحليس بيده ، لتخلن بين محمد وبين ما جاء له ، أو لأنقرن بالأحايش نفرة رجل واحد . قال : فقالوا له : مه ، كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

قال الزهري في حديثه : ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - عروة بن مسعود الثقفي ، فقال : يامعشر قريش ، إني قد رأيت ما يلقي منكم من بعثتموه إلى محمد إذ جاءكم من التعنيف وسوء الظن ، وقد عرقت أنكم والله وإني ولد - وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس - وقد سمعت بأبي نابتكم ، فجمعت من أطاعني من قومي ، ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسي ، قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم . فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس بين يديه ، ثم قال : يا محمد ، أجمعت أو شاب الناس ، ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها بهم ، إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل . قد ليسوا جلود الثمور ، يهاهدون الله لا تدخلها عليهم عتوة أبداً وإني لله ، لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً . قال : وأبو بكر الصديق خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد ، فقال : أمصص بظفر اللات ، أمحن تنكشف عنه ؟ قال : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أبي قحافة ، قال : أما والله لولا يدك كانت لك عندي لكافأنتك بها ، ولكن هذه بها ، قال : ثم جعل يتناول لحيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه قال : والمغيرة بن شعبة واقف على

رَأْسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيدِ . قَالَ : فَجَعَلَ يَقْرَعُ يَدَهُ إِذَا تَنَاوَلَ لِحْيَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَقُولُ : اكَفُفْ يَدَكَ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ لَا تَصِلَ إِلَيْكَ ، قَالَ : فَيَقُولُ عُرْوَةُ : وَنَحَكَ ! مَا أَفْظَكَ وَأَغْلَظَكَ ! قَالَ : فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ : مَنْ هَذَا يَا مُحَمَّدٌ ؟ قَالَ : هَذَا ابْنُ أَخِيكَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ ، قَالَ : أَيُّ غُدْرٍ ، وَهَلْ غَسَلْتَ سَوْنَةَكَ إِلَّا بِالْأَمْسِ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : أَرَادَ عُرْوَةُ بِقَوْلِهِ هَذَا أَنَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ قَبْلَ إِسْلَامِهِ قَتَلَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي مَالِكٍ ، مِنْ ثَقِيفٍ ، فَتَهَايَجَ الْحَيَّانُ مِنْ ثَقِيفٍ : بَنُو مَالِكٍ رَهَطَ الْمُتَوَلِّينَ ، وَالْأَحْلَافَ رَهَطَ الْمُغِيرَةِ ، فَوَدَّى عُرْوَةُ الْمُتَوَلِّينَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ دِيَّةً ، وَأَصْلَحَ ذَلِكَ الْأَمْرَ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : قَالَ الزُّهْرِيُّ : فَسَكَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَحْوِ مِمَّا سَكَّاهُ بِهِ أَصْحَابُهُ ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ يُرِيدُ حَرْبًا .

فَقَامَ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ رَأَى مَا يَصْنَعُ بِهِ أَصْحَابُهُ ، لَا يَتَوَضَّأُ إِلَّا ابْتَدَرُوا وَضُوهُ ، وَلَا يَنْبِضُ بُصَاقًا إِلَّا ابْتَدَرُوهُ . وَلَا يَسْتَقِطُ مِنْ شَعْرَةٍ شَيْءٌ إِلَّا أُخِذَ . فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ كَيْسَرِي فِي مُلْكِي ، وَقِيصَرِي فِي مُلْكِي . وَالنَّجَاشِيُّ فِي مُلْكِهِ . وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ فِي قَوْمٍ قَطَّ مِثْلَ مُحَمَّدٍ فِي أَصْحَابِهِ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ قَوْمًا لَا يُسْلِمُونَ لَشَيْءٍ أَبَدًا ، فَارْتَوُوا رَأْيَكُمْ .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعضُ أهل العالم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خِرَاشَ بنَ أُمَيَّةَ أَخْزاعِي ، فَبَعَثَهُ إِلَى قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ ، وَحَمَلَهُ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ النَّعْلَبُ ، لِيُبَلِّغَ أَشْرَافَهُمْ عَنْهُ مَا جَاءَ لَهُ ، فَعَقَرُوا بِهِ جِلَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَرَادُوا قَتْلَهُ ، فَمَنَعَتْهُ الْأَحَابِيْشُ ، نَحَلُوا سَبِيلَهُ ، حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعضُ من لا أَنَّهُمْ عَنْ عَكْرِمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّ قُرَيْشًا كَانُوا يَبْعَثُونَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ أَوْ خَمْسِينَ رَجُلًا ، وَأَمْرُهُمْ أَنْ يُطِيفُوا بِمَسْكَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِيُصِيبُوا لَهُمْ مِنْ أَصْحَابِهِ أَحَدًا ، فَأَخَذُوا أَخْذًا ، فَأَتَى بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَعَقَا عَنْهُمْ ، وَخَلَّى سَبِيلَهُمْ ، وَقَدْ كَانُوا رَمَوْا فِي عَسْكَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحِجَارَةِ وَالنَّبْلِ .

ثم دعا عمر بن الخطاب ليعثه إلى مكة ، فَيُبَلِّغُ عَنْهُ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مَا جَاءَ لَهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي أَخَافُ قُرَيْشًا عَلَى نَفْسِي ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ مِنْ بَنِي عَدُوِّ بْنِ كَعْبٍ أَحَدٌ يَمْنَعُنِي ، وَقَدْ عَرَفْتُ قُرَيْشَ عَدَاوَتِي إِيَّاهَا ، وَغِلَظَتِي عَلَيْهَا ، وَلَكِنِّي أَدُلُّكَ عَلَى رَجُلٍ أَعَزَّ بِهَا مِنِّي ، عُمَانُ بْنُ عَفَّانَ . فدعا رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُمَانَ بْنَ عَفَّانَ ، فَبَعَثَهُ إِلَى أَبِي سَفْيَانَ وَأَشْرَافِ قُرَيْشٍ ، يُخَبِّرُهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِحَرْبٍ ، وَإِنَّمَا جَاءَ زَائِرًا لِهَذَا الْبَيْتِ ، وَمَعْظَمًا خُرْمَتَهُ .

قال ابن إسحاق : فخرج عثمانُ إلى مكة ، فَلَقِيَهُ أَبَانُ بْنُ سَعِيدٍ بْنِ الْعَاصِ

حين دخل مكة ، أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعُظماء قريش ، فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أرسله به ؛ فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف ؛ فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم . واحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان بن عفان قد قُتل .

بيعة الرضوان

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال حين بلغه أن عثمان قد قُتل : لا نبرح حتى نفاجر القوم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة . فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت ، وكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على أن لا نفر .

فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها ، إلا الجعد بن قيس ، أخو بني سامة ، فكان جابر بن عبد الله يقول : والله لسكاني أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته . قد ضبا إليها ، يستتر بها من الناس . ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل .

قال ابن هشام : فذكر وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشَّعْبِيِّ : أن
أَوَّلَ مَنْ بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان أبو سنان الأسدي .

قال ابن هشام : وحدثني من أثق به عن حدثه بإسناد له ، عن ابن
أبي مُثَنَّى عن ابن أبي عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع لعثمان ،
فَضْرَبَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْآخَرَى .

أمر الهدنة

قال ابن إسحاق : قال الزهري : ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو ، أخا بني
علمر بن لوئى ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا له : أنت محمد
فصاحبه ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا علمه هذا ، فوالله لا نحدث
العربُ عنا أنه دخلها علينا عَنَوَةً أبداً . فأتاه سهيل بن عمرو ؛ فلما رآه
رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً ، قال : قد أراد القومُ الصلحَ حين بعثوا
هذا الرجل . فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم
فأطال الكلام ، وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح .

فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب ، وثب عمر بن الخطاب ، فأتى
أبا بكر ، فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ؟ قال : بلى : قال أولسنا بالمسلمين ؟
قال : بلى ؛ قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ؛ قال : فعلامُ الدَّيْنِيَّةِ
في ديننا ؟ قال أبو بكر : يا عمر ، الزم غرزَه : فإني أشهد أنه رسول الله ؛ قل
عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله ؛ ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

يا رسول الله أأنت برسول الله؟ قال : بلى ، قال : أو أسأنا بالمسلمين ؟ قال :
بلى ، قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال : فعلام نُعطى الدِّينِيَّةُ
في ديننا ؟ قال : أنا عبدُ الله ورسوله ، لن أخالف أمره ، وإن يُضَيِّعَنِي ! قال :
فكان عمر يقول : ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق ، من الذي صنعتُ
يومئذٍ ! مخافةً كلامي الذي تسكَّمت به ، حتى رجوتُ أن يكون خيراً .

على يكتب شروط الصلح

قال : ثم دعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىَّ بن أبي طالب رضوان
الله عليه ، فقال : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال : فقال سُهَيْلُ :
لا أعرف هذا ، ولكن اكتب باسمك اللهم ، فقال رسولُ الله صلى الله
عليه وسلم : اكتب باسمك اللهم ، فسكتها ، ثم قال : اكتب : هذا
ما صالح عليه محمد رسولُ الله سُهَيْلُ بن عمرو ، قال : فقال سُهَيْلُ : لو شهدت أنك
رسولُ الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، قال : فقال
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله
سُهَيْلُ بن عمرو ، اصطلاحاً على وضع الحرب عن الناس عشرَ سنين يأمن
فيهنَّ الناسُ ، ويكفُّ بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قُرَيْشٍ
بغير إذن وليِّه ردَّه عليهم ، ومن جاء قريشاً بمن مع محمد لم يردَّوه عليه ،
وإن بيننا عيَّة مكفوفة ، وأنه لا إسلال ولا إغلال ، وأنه من أحبَّ أن
يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحبَّ أن يدخل في عقد
قُرَيْشٍ وعهدهم دخل فيه .

خزاعة في عهد محمد، وبنو بكر في عهد قريش

فتوأبنت خُزاعة قتالوا : نحن في عَقْدِ محمد وعَهْدِهِ ، وتوأبنت بنو بكر ، قتالوا : نحن في عَقْدِ قُريش وعَهْدِهِمْ ، وَأَنْتَ تَرْجِعُ عَنَّا عَمَلَك هَذَا ، فَلَا تَدْخُلْ عَلَيْنَا مَكَّةَ ، وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ عَامَ قَابِلٍ ، خَرَجْنَا عَنْكَ فَدَخَلْنَاهَا بِأَحْبَابِكَ ، فَأَقْتَبَ . ثَلَاثًا ، مَعَكَ سِلَاحُ الرَّكَبِ ، السُّيُوفُ فِي الْقُرْبِ ، لَا نَدْخُلُهَا بِغَيْرِهَا .

جندل بن سهيل

فبينما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتابَ هو وسُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو ، إِذْ جَاءَ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرِو يَرْسُفُ فِي الْحَدِيدِ ، قَدْ انْفَلَتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجُوا وَهُمْ لَا يَشْكُونُ فِي الْفَتْحِ ، لَرُؤْيَا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا رَأَوْا مَا رَأَوْا مِنَ الصَّلَاحِ وَالرَّجْوَعِ ، وَمَا تَحْمِلُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفْسِهِ دَخَلَ عَلَى النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ أَمْرٌ عَظِيمٌ ، حَتَّى كَادُوا يَهْلِكُونَ . فَلَمَّا رَأَى سُهَيْلُ بْنُ جَنْدَلٍ قَامَ إِلَيْهِ فَضْرَبَ وَجْهَهُ ، وَأَخَذَ بِتَلْبِيئِهِ ؛ ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ؛ قَدْ لَاجَتِ الْقَضِيَّةُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيكَ هَذَا ؛ قَالَ : صَدَقْتَ ، فَجَعَلَ يَفْتَرُهُ بِتَلْبِيئِهِ ، وَيَجْرِيهِ لِيَرُدَّهُ إِلَى قُرَيْشٍ ، وَجَعَلَ أَبُو جَنْدَلٍ يَنْصُرُخُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، أُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ يَفْتَنُونِي فِي دِينِي ؟ فزَادَ ذَلِكَ النَّاسَ إِلَى مَا بِهِمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا أَبَا جَنْدَلٍ ؛ اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَكَ وَلِبنِ مَعْلِكٍ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ قَرَجًا وَتَخْرَجًا ، إِنَّا قَدْ عَمَدْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ صُلْحًا ، وَأَعْطَيْنَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَعْطَوْنَا عَهْدَ اللَّهِ ،

«وإنَّا لَا نَعْدِرُ بِهِمْ» ؛ قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يَمْشِي إلى جنبه ، ويقول : اصبر يا أبا جندل ، فإنما هم المشركون وإنما دَمُ أحدهم دم كلب . قال : ويُذَنِّي قائم السَّيف منه . قال : يقول عمر : رجوتُ أن يأخذ السَّيفَ فيضرب به أباة ، قال : فضَنَّ الرجلُ بأبيه ، ونفذت القضية .

الذين شهدوا على الصلح

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب أشهد على الصلح سوجالا من المسلمين ورجالا من المشركين : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقاص ، ومجود بن مسلمة ، ومكرز بن حفص ، وهو يومئذ مشرك ، وعلي بن أبي طالب وكتب ، وكان هو كاتب الصحيفة .

الإحلال

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطرباً في الحِلِّ ، وكان يُصَلِّي في الحرم ، فلما فرغ من الصلح قدم إلى هَذِيه فنجره ، ثم جلس فخلق رأسه ، وكان الذي حلقه ، فيما بلغني ، في ذلك اليوم خراش بن أمية بن الفضل الخزاعي ، فلما رأى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نحر بوحلق تواتبوا يَنْحَرُونَ وَيَحْلِقُونَ .

المحلّقون والمقصرون

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن

عبّاس ، قال : خلق رجال يوم الحديبية ، وقصّر آخرون . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يَرْحَمُ اللهُ المَخْلُقِينَ ، قالوا : والمُقَصَّرِينَ يارسول الله ؟ قال : يرحم الله المَخْلُقِينَ ، قالوا : والمُقَصَّرِينَ يارسول الله ؟ قال : يرحم الله المَخْلُقِينَ ، قالوا : والمُقَصَّرِينَ يارسول الله ؟ قال : والمُقَصَّرِينَ ، فقالوا : يارسول الله : فلم : ظهرت الترجيم للمخلفين دون المقصرين ؟ قال : لم يشكوا .

وقال عبد الله بن أبي نجيح : حدثني مجاهد ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدى عام الحديبية في هداياه جلالاً لبي جهل ، في رأسه بُرّة من فضة ، يفيظ بذلك المشركين .

نزول سورة الفتح

قال الزهري في حديثه : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهه ذلك قافلاً ، حتى إذا كان بين مكة والمدينة ، نزلت سورة الفتح : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا . لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ، وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝ ﴾ .

ذكر البيعة

ثم كانت القصة فيه وفي أصحابه ، حتى انتهى إلى ذكر البيعة ، فقال جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ، فَمَن نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ ، فَمِئْوَتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ ﴾ .

ذكر من تخلف

ثم ذكر من تخلف عنه من الأعراب ، ثم قال : حين استفرغتم للخروج معه فأبطئوا عليه : ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا ﴾ . ثم القصة عن خبرهم ، حتى انتهى إلى قوله : ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِنَأْخُذُهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ﴾ ، يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ، قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا ، كَذَابِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ ثم القصة عن خبرهم وما عرض عليهم من جهاد القوم أولى البأس الشديد .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : فارس . قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ، عن الزهري أنه قال : أولو البأس الشديد : حنيفة مع الكذاب .

ثم قال تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ، فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ، وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا * وَمَغَائِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَائِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ ، وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ * وَلَتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ .

ذكر كف الرسول عن القتال

ثم ذكر محبسه وكفّه إياه عن القتال ، بعد الظفر منه بهم ، يعنى النفر
الذين أصاب منهم وكفّهم عنه ، ثم قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ
عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ
اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَنكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ الْحَاجَّةُ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : المكوف : المحبوس ، قال أعشى بن قيس بن ثعلبة :

وَكَانَ السَّمُوطُ عَكَفَهُ السُّلُوكُ بِعُطْفَى جَيْدَاءِ أُمِّ غَزَالٍ
وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ
أَنْ تَطَّؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ ، والمعرة : الفرع ، أى أن
تصيبوا منهم (معرة) بغير علم فتخرجوا ديتته ، فإما إثم فلم يخش عليهم .

قال ابن هشام : بلغنى عن مجاهد أنه قال : نزلت هذه الآية في الوليد بن
الوليد بن المغيرة ، وسَلَمَةُ بن هشام ، وعِيَّاش بن أبى ربيعة ، وأبى جندل بن
سُهَيْل . وأشباهم .

قال ابن إسحاق : ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ إِذْ جَمَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ ، حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴿١﴾ بِعَنِي سَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو حِينَ حَجَّى أَنْ يَكْتُبَ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ
سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ،
وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ : أَيْ التَّوْحِيدَ ، شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ
الْمَسْجِدَ الْكَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ، فَعَلِمَ
مَا لَمْ تَعْلَمُوا ﴾ : أَيْ لَرُؤْيَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي رَأَى ، أَنَّهُ
سَيَدْخُلُ مَكَّةَ آمِنًا لَا يَخَافُ ؛ يَقُولُ : مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ ، وَمُقَصِّرِينَ مَعَهُ
لَا تَخَافُونَ ، فَعَلِمَ مِنْ ذَلِكَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا ، فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ،
صَلَحَ الْحَدِيثُ .

يَقُولُ الزُّهْرِيُّ : فَمَا فَتَحَ فِي الْإِسْلَامِ فَتَحَ قَبْلَهُ كَانَ أَعْظَمَ مِنْهُ ، إِنَّمَا كَانَ
الْقِتَالُ حَيْثُ التَّقَى النَّاسُ ؛ فَلَمَّا كَانَتِ الْهُدَنَةُ ، وَوُضِعَتِ الْحَرْبُ ، وَآمَنَ النَّاسُ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَالتَّقَوُّ ، فَتَفَاوَضُوا فِي الْحَدِيثِ وَالْمُنَازَعَةِ ، فَلَمْ يَكَلِّمْ أَحَدٌ
بِالْإِسْلَامِ يَغْلُ شَيْئًا إِلَّا دَخَلَ فِيهِ ، وَلَقَدْ دَخَلَ فِي تَيْلُوكَ السَّائِمِينَ مِثْلُ مَنْ
كَانَ فِي الْإِسْلَامِ قَبْلَ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرُ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَالِدُ الدَّلِيلِ عَلَى قَوْلِ الزُّهْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَى الْحُدَيْبِيَّةِ فِي أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ ، فِي قَوْلِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ،
ثُمَّ خَرَجَ عَامَ فَتْحِ مَكَّةَ بَعْدَ ذَلِكَ بِسَنَتَيْنِ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ .

ما جرى عليه أمر قوم من المستضعفين بعد الصلح

مجيء أبي بصير إلى المدينة وطلب قریش له

قال ابن إسحاق : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه أبو بصير عتبة بن أسيد بن جارية ، وكان ممن حبس بمكة ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب فيه أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب التثقي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعثا رجلا من بني لؤي ، ومعه مولى لهم ، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب الأزهر والأخنس ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء التوم ما قد علمت ، ولا يصلح لنا في دينه الفدر ، وإن الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين قرجا ومخرجا ، فانطلق إلى قومك ، قال : يا رسول الله ، أتردني إلى المشركين يفتنوني في ديني ؟ قال : يا أبا بصير ، انطلق ، فإن الله تعالى سيجعل لك ولن معك من المستضعفين قرجا ومخرجا .

قتل أبي بصير للعاصري، ومقالة الرسول في ذلك

فانطلق معهما ، حتى إذا كان بذي الحليفة ، جالس إلى جدار ، وجلس معه صاحبا ، فقال أبو بصير : أصارتم سيفك هذا يا أخا بني عاصر ؟ فقال : نعم ؛ قال : أنظر إليه ؟ قال : انظر ، إن شئت . قال : فاستلّه أبو بصير ، ثم دلاه به حتى قتله ، وخرج المولى سريعا حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو

جالس في المسجد ، فلما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم طالعا ، قال : إن هذا الرجل قد رأى قَزَعًا ، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ويحك ! مالك ؟ قال : قَتَلَ صاحبُكم صاحبي . فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير مُتَوَشِّعًا بالسَّيْفِ ، حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، وَفَتْ ذِمَّتُكَ ، وأَدَى الله عنكَ ، أَسَلَمْتَنِي بيد القوم وقد امتنعتُ بدينى أن أُقْتَنَ فيه ، أَوْ يُعْبَثَ بى . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل أمه مَحَشٌ حَرْبٌ لو كان معه رجال !

أبو بصير وزملاؤه في العيص

ثم خرج أبو بصير حتى نزل العيص ، من ناحية ذى المروة ، على ساحل البحر ، بطريق قُرَيْشٍ التي كانوا يأخذون عابها إلى الشام ، وبلغ المسلمون الذين كانوا احتبسوا بمكة قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بصير : « وَيْلُ أُمِّهِ مَحَشٌ حَرْبٌ لو كان معه رجال ! » ، فخرجوا إلى أبى بصير بالعيص ، فاجتمع إليه منهم قريب من سبعمائة رجلا ، وكانوا قد ضيقوا على قُرَيْشٍ ، لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تَمُرُّ بهم غيرٌ إلا اقتطعوها ، حتى كتبت قُرَيْشٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأل بأرحامها إلا آوام ، فلا حاجة لهم بهم . فأوام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا عليه المدينة .

قال ابن هشام : فلما بلغ سُمَيْلُ بْنُ عَمْرِو قَتْلُ أبى بصير صاحبهم

العامري ، أسند ظهره إلى الكعبة ، ثم قال : والله لا أؤخر ظهري عن الكعبة
حتى يؤدى هذا الرجل ، فقال أبو سفيان بن حرب : والله إن هذا لمو السفة ،
والله لا يؤدى ثلاثاً . فقال في ذلك موهب بن رباح أبو أنيس ، حليف
بني زهرة :

قال ابن هشام : أبو أنيس أشعري .

شعر موهب في ودي أبي بصير

أَتَانِي عَنْ سُهَيْلِ ذَرِيَّةٍ قَوْلٍ	فَأَيْقَظُنِي وَمَا بِي مِنْ رُقَادٍ
فَإِنْ تَكُنِ الْعِتَابَ تَرِيدُ مِنِّي	فَمَا تَبْنِي فَمَا بَكَ مِنْ بَعَادٍ
أَتُوْعِدُنِي وَعَبْدَ مَنَافَ حَوْلِي	بِمَخْزُومٍ أَلْهَمَا مِنْ تُعَادِي
فَإِنْ تَغْمِزُ قَنَاتِي لَا يَجِدُنِي	ضَعِيفُ الْعُودِ فِي الْكُرْبِ الشَّدَادِ
أَسَامِي الْأَكْرَمِينَ أَبَا بَقْوَمِي	إِذَا وَطِئَ الضَّعِيفُ بِهِمْ أَرَادِي
لَهُمْ مَقَمُوا الظَّوَاهِرَ غَيْرَ شَكٍّ	إِلَى حَيْثُ الْبَوَاطِينُ فَالْعَوَادِي
بِكُلِّ طَيْرَةٍ وَبِكُلِّ نَهْدٍ	سَوَاهِمَ قَدْ طُوِينِ مِنَ الطَّرَادِ
لَهُمْ بِالْخَلِيفِ قَدْ عَلِمْتَ مَعْدَ	رِوَاقِ الْمَجْدِ رُفْعَ بِالْعِمَادِ

ابن الزبيري يرد على موهب

فأجابه عبد الله بن الزبيري ، فقال :

وَأَمْسَى مَوْهَبٌ كَحِمَارِ سَوَاءٍ أَجَازَ بَيْلَدَةٍ فِيهَا يُنَادِي

فَإِنَّ الْعَبْدَ مِثْلَكَ لَا يُنَاوِي سُهَيْلًا ضَلَّ سَعْيِكَ مِنْ تُعَادَى
فَأَقْصِرْ يَا بَنَ قَيْنِ السُّوءِ عَنْهُ وَعَدَّ عَنِ الْمَقَالَةِ فِي الْبِلَادِ
وَلَا تَذْكُرْ عِتَابَ أَبِي يَزِيدٍ فِيهِمَا الْبُحُورُ مِنَ النَّادِ

أمر المهاجرات بعد الهدنة

الرسول صلى الله عليه وسلم يأبى رد أم كلثوم

(قال ابن إسحاق) : وهاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
أم كلثوم بنت عتبة بن أبي مَعِيْطٍ فِي تِلْكَ الْمَدَّةِ ، فُخِرَجَ أَخَوَاهَا عُمَارَةُ وَالْوَلِيدُ
ابْنَا عُتْبَةَ ، حَتَّى قَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلَانِهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا
عَلَيْهِمَا بِالْعَهْدِ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ فِي الْحُدُوبِ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، أَيْ اللَّهُ ذَلِكَ ...

حول آية المهاجرات المؤمنات

قال ابن إسحاق : فحدثني الزُّهْرِيُّ ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، قَالَ : دَخَلْتُ
عَلَيْهِ وَهُوَ يَكْتُبُ كِتَابًا إِلَى ابْنِ أَبِي هَنِيْدَةَ ، صَاحِبِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ،
وَكُتِبَ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ
الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ، فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ
مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ، لَأَهُنَّ حِلٌّ لَهُمْ ، وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ،
وَاتُوهُمْ مَا نَفَقُوا ، وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَفْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ ، وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ۝ .

— قال ابن هشام : واحدة العِصم : عِصْمَةٌ ، وهى الحبل والسَّبَب . قال .
أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

إلى المرء قيس نُطيلُ الشرى ونأخذ من كلِّ حَيٍّ عِصم
وهذا البيت فى قصيدة له .

﴿ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ ، وَلَيْسَ أَلْوَا مَا أَنْفَقُوا ، ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ بِحُكْمِكُمْ
بَيْنَكُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

قال : فكتب إليه عروة بن الزبير : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان صالح قريشاً يوم الحديبية على أن يردّ عليهم من جاء بغير إذن وإيئه ،
فله هاجر النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الإسلام أبى الله أن
يردّذن إلى المشركين إذا هن امتحن بمحنة الإسلام ، فعرفوا أنهن إنما
جئن رغبة فى الإسلام ، وأمر بردّ صدقاتهن إليهم إن احتبسن عنهم ، إن
هم ردوا على المسلمين صداق من حبسوا عنهم من نساءهم ، ذلكم حكم الله
يحكم بينكم ، والله عليم حكيم . فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم
النساء وردّ الرجال ، وسأل الذى أمره الله به أن يسأل من صدقات نساء من
من حبسوا منهن ، وأن يردوا عليهم مثل الذى يردّون عليهم ، إن هم فعلوا ،
ولولا الذى حكم الله به من هذا الحكم لردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم
النساء كما ردّ الرجال ، ولولا الهدنة والعهد الذى كان بينه وبين قريش يوم
الحديبية لأمسك النساء ، ولم يردّ لهن صداقاً ، وكذلك كان يصنع بمن جاءه
من المسلمات قبل العهد .

قال ابن إسحاق : وسألت الزُّهري عن هذه الآية ، وقول الله عز وجل فيها : ﴿ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَمَا يَقْبَلُكُمْ ، فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْزَلَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ فقال : يقول : إن فات أحدكم منكم أهله إلى الكفار ، ولم تأتكم امرأة تأخذون بها مثل الذي يأخذون منكم ، فعوضوهم من قِيٍّ إن أصبتموه ، فلما نزلت هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مِنْ أَجْرَاتٍ ﴾ ... إلى قول الله عز وجل : ﴿ وَلَا تُنْسِكُوا بِمِصْرَ الْكَافِرِ ﴾ ، كان من طائفة عمر بن الخطاب ، طلق امرأته قُرَيْبَةَ بنت أبي أُمَيَّة بن المغيرة ، فتزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان وهما على شركهما بمكة ، وأم كلثوم بنت جَرْوَل أم عبيد الله بن عمر الخُزاعية ، فتزوجها أبو جهنم بن حذيفة بن غانم ، رجل من قومه ، وهما على شركهما .

بشري فتح مكة وتعجيل بعض المسلمين

قال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة : أن بعض من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لما قدم المدينة : ألم تقل يا رسول الله إنك تدخل مكة آمناً ؟ قال : بلى ، أفقلت لكم من عامي هذا قالوا : لا ، قال : فهو كما قال لي جبريل عليه السلام .

غزوة الحديبية

يقال فيها : الحُدَيْبِيَّةُ بالتخفيف ، وهو الأعراف عند أهل العربية . قال الخطابي : أهل الحديث يقولون : الحُدَيْبِيَّةُ بالتشديد ، والجَمْرَانَةُ كذلك ، وأهل العربية يقولونها : بالتخفيف ، وقال البكري : أهل العراق يشددون الراء والياء في الجَمْرَانَةِ والحُدَيْبِيَّةِ ، وأهل الحجاز يخففون ، وقال أبو جعفر النحاس : سألت كل من لقيته ممن أتى بمله عن الحُدَيْبِيَّةِ ، فلم يختلفوا على أنها بالتخفيف (١) .

المبقات والإشعار :

فصل : وذكر خروج النبي - صلى الله عليه وسلم - مُقْتَمِرًا إلى مكة ، ولم يذكر في حديثه : من أين أحرم ، وفي الصحيح من رواية الزُّهْرِيِّ أنه أحرم من ذى الحُلَيْفَةِ ، وهو خلاف ما يروى عن عليٍّ رحمه الله من قوله : إن تمام للعمرة أن تُحْرَمَ بها من دَوْرَةِ أَهْلِكَ ، وهذا من قول عليٍّ مُتَاوَلٌ فيمن كان منزله من وراء المبقات ، فهو الذي يُحْرَم من دَوْرَةِ أَهْلِهِ ، كما يُحْرَمُ أَهْلُ مكة من مكة في الحج .

وفيه : أنه أَشَمَرُ الْهَدْيِ ، وهو خلاف قول النَّخَعِيِّ وأهل الكوفة في قولهم إن الإشعارَ منسوخٌ بنهيه عن المَثَلَةِ ، ويقال لهم : إن

(١) وأهل الحديث يكسرون العين وأهل الأدب يخففون الراء .

النهي عن المثلثة كان بإثر غزوة أحد ، فلا يكون الناسخ متقدماً على المنسوخ :

منه شرح حديث الحريية :

وفيه أنهم مرؤوا بطريق أجرد ، ومعناه : كثير الحجارة ^(١) ، والجرد : الخجر .
وفيه أنه بمث عينا له من خزاعة إلى مكة ، فدل على أنه يجوز للرجل أن
يسافر وحده ، إذا مسّت الحاجة إلى ذلك ، أو كان في ذلك صلاح للمسلمين .

وفي البخاري والنسوي أن عيّنه الذي أرسل جاءه بغير الأخطاط ،
والأخطاط : جمع شطّة ، وهو السنام ، قال الراجز ^(٢) :

شطّا رميت فوقه بشطّا

وشطّ الوادي : أيضاً جائبه ، وبعضهم يقول فيه الأخطاط بالطاء المعجمة ،
واسم عينه ذلك بشر بن سفيان بن عمرو بن عُمير الخزاعي ^(٣) ، وهو الذي .

(١) في السيرة أجرد . والجرد : بالتحريك : الحجارة أو مع الشجر أو المسكان .
الصلب الغليظ ، والجرد من الأرض مالا ينبت ، والفضاء لا نبت فيه وهذا
الإسم للفضاء ، ومن هذا يتبين أن السهيل وضع للجرد معنى الجرد ، أو لعله
خطأ من الناسخ ، إذ جعل اللام دالا .

(٢) الرجز لأبي النجم ، وهو الفضل بن قدامة بن عبيد الله عجلي من بني عجل .
ابن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، والرجز هكذا .

علقت خوداً من بنات الزط ذات جهاز مضطط ماط
كان تحت درعها المنعط شطا رميت فوقه بشطط .

لم ينز في الرفع ولم ينحط

(٣) أو عويمر الخزاعي .

بنيته رسول الله صلى الله عليه وسلم مع بُدَيْلِ بْنِ أُمِّ أَصْرَمَ^(١) وهو بُدَيْلُ
ابن سَلَمَةَ^(٢) إِلَى خِزَاعَةِ يَسْتَنْفِرُهُمْ إِلَى قِتَالِ أَهْلِ مَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ .

وفيه أن قريشاً خرجت ومعها الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ . الْعُوذُ : جمع عَائِذٍ ، وهي
الفاقة التي معها ولدها ، يُرِيدُ أَنَّهُمْ خَرَجُوا بِذَوَاتِ الْأَلْبَانِ مِنَ الْإِبِلِ ،
لِيَتَزَوَّدُوا الْأَبْنَاءَ ، وَلَا يَرْجِعُوا ، حَتَّى يُبَاجِرُوا مُحَدَّأً وَأَصْحَابَهُ فِي زَعْمِهِمْ ، وَإِنَّمَا
قِيلَ لِلنَّاقَةِ : عَائِذٌ ، وَإِنْ كَانَ الْوَلَدُ هُوَ الَّذِي يَمُودُ بِهَا ، لِأَنَّهَا عَاطَفٌ عَلَيْهِ ،
كَأَنَّهَا قَالَتْ : نَجَارَةٌ رَاجِمَةٌ ، وَإِنْ كَانَتْ مَرْبُوحًا فِيهَا ، لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى نَامِيَةٍ
بِوَزَائِكَةٍ ، وَكَذَلِكَ عَيْشَةٌ رَاضِيَةٌ لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى صَالِحَةٍ ، وَمِنْ نَحْوِ هَذَا قَوْلُهُ :
وَالْتَهْدَى مَمْكُوفًا فِي الْفَتْحِ : ٢٥ وَإِنْ كَانَ عَاكِفًا ، لِأَنَّهُ مَحْبُوسٌ فِي الْمَعْنَى ،
فَتَحْوِيلُ وَزْنِهِ فِي اللَّفْظِ إِلَى وَزْنِ مَا هُوَ فِي مَعْنَاهُ ، كَمَا قَالُوا فِي الْمَرْأَةِ : تَهْرَاقُ
الدَّمَاءَ ، وَقِيَاسُهُ : تَهْرِيقُ الدَّمَاءِ ، وَلَكِنَّهُ فِي مَعْنَى : تُسْتَحَاضُ ، فَحَوِيلُ
إِلَى وَزْنِ مَا لَمْ يُسَمَّ فَعَلُهُ وَبَقِيَتِ الدَّمَاءُ مَنْصُوبَةٌ عَلَى الْمَفْعُولِ كَمَا كَانَتْ^(٣) .

(١) فِي الْأَصْلِ : أَصْرَمُ .

(٢) فِي الْقَامُوسِ : بِدِيلُ بْنُ مَيْسِرَةَ بْنِ أُمِّ أَصْرَمَ ، وَبَدِيلُ بْنُ سَلَمَةَ . وَفِي
الِاشْتِقَاقِ : بِدِيلُ بْنُ أُمِّ أَصْرَمَ .

(٣) قَدْ يَكُونُ مَنْصُوبًا عَلَى التَّيْيِيزِ ، وَإِنْ كَانَ مَعْرُوفًا ، وَلَهُ نِظَائِرٌ ، أَوْ يَكُونُ
قَدْ أَجْرَى تَهْرَاقَ بَحْرَى : لِنَفْسِ الْمَرْأَةِ غِلَامًا ، وَتَنَجَّ الْفَرْسُ مَهْرًا ، وَيَجُوزُ رَفْعُ
الدَّمِ عَلَى تَقْدِيرِ : تَهْرَاقَ دِمَاؤَهَا ، وَتَكُونُ الْأَلْفُ وَالْإِلَامُ بَدَلًا مِنَ الْإِضَافَةِ
كَقَوْلِهِ تَعَالَى : (أَوْ يَعْضُو الَّذِي يَبِيدُهُ عَقْدَةُ النَّكَاحِ) أَيْ عَقْدَةُ نِكَاحِهِ أَوْ نِكَاحِهَا
. . . الْلسَانُ مَادَّةُ هَرَقَ . . .

وقوله في بئر الحُدَيْدِيَّة : إِنَّمَا يُتَبَرِّضُ مَاؤُهَا تَبَرِّضًا مِنَ الْبَرِّضِ ، وهو الماء الذي يَقْطُرُ قَلِيلًا قَلِيلًا ، والبارِضُ من النبات الذي كأنه يَقْطُرُ من الرُّمَى والنَّعْمَةِ . قال الشاعر :

رَعَى بَارِضَ الْبَهْمِيِّ بِحِمَاوُ بُسْرَةٍ وَصَمْعَاءَ حَتَّى آتَفَقَتْ نِصَالُهَا ^(١)

يقال لكل شيء في أوله : بُسْرَةٌ حتى للشمس عند طلوعها ، وصَمْعَاءُ : مُتَّجِدَةٌ قد شَوَّكَتْ ، قاله أبو حنيفة .

وذكر أن رجلاً من أسلم سلك بهم طريقاً وُغْرًا أُجْرَلَ يقال : إن ذلك الرجل هو نَاجِيَّةُ الْأَسْلَمِيِّ ، وهو سائقُ بُدْنِهِ ، وهو نَاجِيَّةُ بن جُنْدَبٍ ، ويقال فيه ابنُ عُمَيْرٍ ، وكان اسمه : ذَكْوَانٌ ، فسماه النبي صلى الله عليه وسلم : نَاجِيَّةً حين نجا من كفار قريش ، وعاش إلى زمن معاوية ، وأما صاحبُ بُدْنِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم المذكور في حديث آخر في المَوْطَأِ وغيره ، فاسمه : ذُوئُبُ بن حَلْحَلَةَ بن عمرو بن كُثَيْبِ بن أَضْرَمَ بن عبدِ اللَّهِ بن قُمَيْرِ بن حُبَيْشَةَ بن سُلُولِ بن كَعْبِ بن عمرو بن رَبِيعَةَ ، وهو سَلْحَى بنُ

(١) البيت في اللسان وروايته : رعت . وفي الأصل : حِمَا وآلَفَتْ والتصويب من اللسان . وآتَفَتْ : جعلتها تشتكى — أنوفها يسفاها . و يروى حتى أنصَلَتْها . والبهمي : نبات تحبه الغنم حباً شديداً مادام أخضر . قال الأزهري : البهمي أول ما يبدو منها البارِضُ ، فإذا تحرك قليلاً فهو جسيم ، فإذا أرتفع وتم قبل أن يتفقا ، فهو الصمعاء . والبسرة : الغنص من البهمي ، انظر اللسان في مادة يسره . وصمغ ، وبهم .

حَارِثَةُ جَدُّ خُرَاعَةَ ، وَذُوئَيْبٌ هَذَا هُوَ وَالِدُ قَبِيصَةَ بْنِ ذُوئَيْبٍ الْقَاضِي صَاحِبِ
عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَعَاشٌ ذُوئَيْبٌ إِلَى خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ أَيْضًا .

وَذَكَرَ فِي نَسَبِ أُسْلَمَ بْنِ أَفْصَى بْنِ أَبِي حَارِثَةَ ، وَهُوَ وَهْمٌ ، وَقَدْ أَصْلَحَهُ
ابْنُ هِشَامٍ ، فَقَالَ : هُوَ حَارِثَةُ يَعْنِي ابْنَ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ .
ابْنُ حَارِثَةَ الْفِطْرِيفِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَازِنِ بْنِ الْأَسَدِ ،
وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ابْنُ إِسْحَاقَ لَمْ يَهْمُ فِيهِ ، وَلَسَكُنْهُ نَسَبُهُ إِلَى أَبِي حَارِثَةَ بْنِ
عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ ، وَهُوَ عَمُّ حَارِثَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، وَحَارِثَةُ هُوَ أَبُو الْأَوْسِ
وَالْخَزْرَجِ ^(١) .

وَذَكَرَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَا تَدْعُونِي قَرِيشَ الْيَوْمَ إِلَى خُطَّةٍ ، الْحَدِيثُ ،
وَفِي غَيْرِ رِوَايَةٍ ابْنُ إِسْحَاقَ عَنِ الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ،
لَا تَدْعُونِي قَرِيشَ ، وَلَمْ يَقُلْ فِي الْحَدِيثِ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَقَدْ تَكَلَّمُوا فِي ذَلِكَ
فَقِيلَ : إِنَّمَا أُسْقِطَ الْإِسْتِثْنَاءُ ، لِأَنَّهُ أَمْرٌ وَاجِبٌ كَانَ قَدْ أُمِرَ بِهِ ، أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ
فِي الْحَدِيثِ : إِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ لَنْ أَخَالَفَ أَمْرَهُ ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي ^(٢) ،
وَقِيلَ إِنْ إِسْقَاطَ الْإِسْتِثْنَاءِ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الرَّاوِي إِمَّا نَسِيَهُ وَإِمَّا لَمْ يَحْفَظْهُ .
وَفِي الْحَدِيثِ : أَوْ تَنْفَرِدُ هَذِهِ السَّالِفَةُ . السَّالِفَةُ : صَفْحَةُ الْمُتَقِي ، وَانْفِرَادُهَا .

(١) هَذَا لِأَنَّ حَارِثَةَ وَلَدَ رِبِيعَةَ ، وَوَلَدَ رِبِيعَةَ عَمْرًا ، وَهُوَ أَبُو خُرَاعَةَ .
(٢) رَأَى غَيْرَ جَيِّدٍ ، لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ فِي هَذِهِ اللَّقِصَةِ : (لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ
الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ) مَعَ تَحْقِيقِ وَقُوعِ ذَلِكَ تَعْلِيلًا وَإِرْشَادًا ، مِنْ فَتْحِ
الْبَارِي . . .

عبارة عن القتل أو الذبح ، وفي الرجز الذي أنشده :

يَا أَيُّهَا السَّامِخُ دَلَوِي دُونَكَ

لو قال دُونَكَ دَلَوِي لكان الدَّلَوِي موضع نصبٍ على الإغراء ، فلما قدَّمها على دُونَكَ ، لم يَجُزْ نصبها بدونك ، ولكنه بفعلٍ آخر ، كأنه قال : املأ دَلَوِي ، فقله : دُونَكَ أَمْرٌ بعد أَمْرٍ .

وفيه قوله صلى الله عليه وسلم : فِي الْخَلَيْسِ : إن هذا من قوم يُتَأَلَّهُونَ ، أَيْ : يُعَظَّمُونَ أَمْرَ الْإِلَهِ ، ومنه قول رؤبة :

سَبَّحَنَ ، وَاسْتَرْجَعَنَ مِنْ تَأَلَّهِ (١)

أَيْ : مِنْ تَنَسَّكَ وَتَعَظَّمَ لَكَ سُبْحَانَهُ .

وصف الجمع بالفررد :

وقول عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ لِقُرَيْشٍ : قَدْ عَرَفْتُمْ أَنْكُمْ وَالِدٌ : أَيْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ كَالْوَالِدِ ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ : أَنْتُمْ حَتَّى قَدْ وَلَدْتَنِي ، لِأَنَّهُ كَانَ لِسُبَيْمَةَ (٢) بِنْتِ عَبْدِ شَمْسٍ (٣) ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ فِي الْجَمَاعَةِ : هُمْ لِي صَدِيقٌ وَعَدُوٌّ . وَفِي

(١) القصيدة في ديوان رؤبة والبيت هكذا :

لله در الغانيات المده سبحن واسترجعن من تألهي

(٢) في الأصل : سفيمة ، وهو خطأ .

(٣) وعبد شمس هو ابن عبد مناف بن قصي .

التنزيل : ﴿ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ النساء : ٦٩ فيُفَرِّدُ لِأَنَّهُ صِفَةٌ لِّفَرِيقٍ وَحِزْبٍ وَتَقْبِيحُ أَنْ تَقُولَ : قَوْمُكَ ضَاحِكٌ أَوْ بَاكٍ ، وَإِنَّمَا يَحْسُنُ هَذَا إِذَا وَصَفْتَ بِصَدِيقٍ وَرَفِيقٍ وَعَدُوٍّ لِأَنَّهَا صِفَةٌ تَصْلُحُ لِلْفَرِيقِ وَالْحِزْبِ ، لِأَنَّ الدَّاءَ وَالصَّدَاقَةَ صِفَتَانِ مُتَضَادَّتَانِ ، فَإِذَا كَانَ عَلَى أَحَدِهِمَا الْفَرِيقُ الْوَاحِدُ ، كَانَ الْآخَرُ عَلَى ضِدِّهَا ، وَكَانَتْ قُلُوبُ أَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ فِي تِلْكَ الصِّفَةِ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ فِي عُرْفِ الْعَادَةِ ، فَحَسُنَ الْإِفْرَادُ ، وَلاَ يَزِمُ مِثْلُ هَذَا فِي الْقِيَامِ وَالْقُعُودِ وَنَحْوِهِ ، حَتَّى يَقَالَ : هُمْ قَاءٌ — ذُوٌّ أَوْ قَائِمٌ كَمَا يَقَالُ : هُمْ صَدِيقٌ لَمَّا قَدِمْنَا مِنْ الْإِتِّفَاقِ وَالْإِخْتِلَافِ . وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ غافر : ٦٧ ، بِلَفْظِ الْإِفْرَادِ ، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ : ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ ﴾ النور : ٥٩ فَالْأَحْسَنُ فِي حَكْمِ الْبَلَاغَةِ أَنْ يُعَبَّرَ عَنِ الْأَطْفَالِ الرُّضْعِ بِالطِّفْلِ فِي الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ ، لِأَنَّهُمْ مَعَ حِدَّتِهِمْ الْوِلَادَةَ كَالْجِنْسِ الَّذِي يَقَعُ عَلَى الْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ ، أَلَا تَرَى أَنَّ بَدْءَ الْخَلْقِ طِينٌ ، ثُمَّ مِثٌّ ، وَالتَّعْيُّ جِنْسٌ لَا يَتَمَيَّزُ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ ، فَلِذَلِكَ لَا يُجْمَعُ ، وَكَذَلِكَ الطِّينُ ، ثُمَّ يَكُونُ الْخَلْقُ عَدَمًا ، وَهُوَ الدَّمُ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ جِنْسًا ، ثُمَّ يُخْرِجُهُمُ اللَّهُ طِفْلًا ، أَيْ : جِنْسًا تَالِيًا لِلْعَلَقِ وَالتَّعْيِ لَا يَكَادُ يَتَمَيَّزُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ إِلَّا عِنْدَ آبَائِهِمْ ، فَإِذَا كَبُرُوا وَخَالَطُوا النَّاسَ ، وَعَرَفَ النَّاسُ صُورَهُمْ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ فَصَارُوا كَالرِّجَالِ وَالْفَتَيَانِ ، قَبِيلَ فِيهِمْ : حِينَئِذٍ أَطْفَالٌ ، كَمَا يَقَالُ : رِجَالٌ وَفَتَيَانٌ ، وَلَا يُفْتَرَضُ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ بِالْأَجْنَةِ أَنَّهُمْ مُغَيَّبُونَ فِي الْبُطُونِ ، فَلَمْ يَكُونُوا كَالْجِنْسِ الظَّاهِرِ لِلْعَيُونِ كَالسَّاءِ وَالطِّينِ وَالْعَلَقِ ، وَإِنَّمَا جُمِعَ الْجَنِينُ عَلَى أَجْنَةٍ ، وَحَسُنَ ذَلِكَ فِيهِ ، لِأَنَّهُ تَبِعَ لِلطِّينِ الَّذِي هُوَ فِيهِ ، وَيَقْوَى هَذَا الْفَرَضُ الَّذِي صَدَدْنَا إِلَيْهِ فِي الطِّفْلِ (٣١٤ — الرُّوضُ الْأَتَقُ ج ٦)

قول رجل من بني بجاعة لعمَرَ بن عبد العزيز ، وقد سأله : هل بقي من كهول بني بجاعة أحد ؟ قال : نعم ، وشكبير كثير ، فانظر كيف قال : الكهول وجمع ، وقال في الصغار : شكبير كما تقول : حشيش ، ونبات ، فنفرد ، لأنه جنس واحد ، والطفل في معنى الشكبير ماداموا رضعاً ، حتى يَتَمَيَّزُوا بالأسماء والصور عند الناس ، فهذا حكمُ البلاغة ، ومساقُ الفصاحة فافهمه .

وأما قول عُرْوَةَ : جمعت أو شاب الناس ، يربد : أخلاطاً ، وكذلك الأوباشُ .

وقوله في حديث المغيرة : أما المالُ فلست منه ^(١) في شيء . فيه من الفقه أن أموال المشركين حرامٌ إذا أمْنوك وأمنتهم ، وإنما يحلُّ بالمُعَارَبةِ والمُعَالَبةِ لا عند طمأنينتهم إليك وأمنتهم منك ، فإن ذلك هو الغدرُ ،

(١) كان المغيرة قبل إسلامه صاحب قوماً في الجاهلية ثلاثة عشر من ثقيف من بنى مالك لما خرجوا للمقوقس بمصر بهدايا ، فأحسن إليهم ، وأعطاهم ، ونصر بالمغيرة ، لأنه ليس من القوم ، بل من أحلافهم ، فغار منهم ولم يواسه أحد منهم ، فلما كان ببعض الطريق شربوا الخمر ، وناموا ، فوثب المغيرة ، فقتلهم كلهم ، وأخذ أموالهم ، ثم جاء إلى المدينة ، فأسلم فقال أبو بكر : ما فعل المالكيون الذين كانوا معك ؟ قال : قتلهم ، وجمعت بأسلاهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليحسن ، أو ليرى رأيه فيها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما الإسلام — بالنصب على المفعولية — فأقبر ، وأما المال فلست منه في شيء . المواهب ص ١٩١ ٢٠٠ ، ورواية البخاري وسلم . صاحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ، ثم جاء فأسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما الإسلام فأقبل ، وأما المال فلست منه في شيء .

وفي هذا المعنى آثار قد مضى بعضها ، وسيأتى بعضها في غزوة خيبر وغيرها .
وفيه : أنهم كانوا يتدلسكون بنخامة النبي - صلى الله عليه وسلم إذا تنخم .
وفي ذلك دليل على طهارة النخامة خلافاً للنخعي ، وما يروى في ذلك عن
سلمان الفارسي . وحديث : إذا تنخم أحدكم في الصلاة أبين في الحجة ، لأن
حديث السيرة يَحْمِلُ الخصوصَ بالنبي صلى الله عليه وسلم ^(١) .

مول المصاحفة :

فصل : وذكر مُصَاحَّةَ النبي - صلى الله عليه وسلم - لقريش وشراطيهم أن
لا يأتيه منهم أحدٌ ممن هو على دينه إلا رده عليهم ، وفي هذا الحديث مصاحفة

(١) لا يعتبر عمل الصحابة هنا هدياً يهتدى به أو أسوة يقتدى بها ، أو عملاً يمكن
أن يضاف إلى الإسلام كشعيرة أو سنة ، فإنه عمل إن صح الحديث مرتطفاً بما عمل
من أجله ، لا يتعمده ، ولا يَحْسَبُ قَائِداً . بدليل أن أحداً من الصحابة لم
يفعله بعد ذلك ، وهي لمحة رقيقة من لمحات صاحب الفتح أن يقول : « ولعل
الصحابة فعلوا ذلك بحضرة عروة » ، بالفراغ في ذلك إشارة إلى الرد على ما حشبه
من فرارهم ، فكأنهم قالوا بلسان الحال : من نحبه هذه المحبة . ونعظمه هذا
التمظيم ، كيف يظن به أن نفر عنه ونسلمه لعمرو ، بل هم أشد اعتباراً به بدينه
ونصره من هذه القبائل التي تراعى بعضها بمجرد إرحم ، ص ١٩٢ ، المواهب ،
ولعل من دلس الفهم وقذارته أن تنصور في الإسلام أنه بمجرد عشر هذا أو يفتح
له باباً يدخل منه إلى شريعته ، أو يحث الناس على التذلل بنخامة شيوخهم كما
يفترون !! هذا وقد روى عن أبي هريرة وأبي سعيد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
رأى نخامة في جدار المسجد فتناول حصاة . فحتمها . وقال إذا تنخم أحدكم فلا
يتنخم من قبل وجهه ، ولا عن يمينه ، وليبصق عن يساره ، أو تحت قدمه اليسرى
« متفق عليه » ، وفي رواية للبخاري : فيدفعها .

المشركين على غير مال يؤخذ منهم ، وذلك جائز إذا كان بالمسلمين ضئف ، وقد تقدم مصالحهم على مال يقطعونه في غزوة الخندق ، واختلاف : هل يجوز صلحهم إلى أكثر من عشر سنين ؟ فقال بعضهم : يجوز ذلك إذا رآه الإمام ، وقالت طائفة : لا يتجاوز في صلحهم إلى أكثر من عشر سنين ، وحجهم أن حظر الصلح هو الأصل بدليل آية القتال ، وقد ورد التحديد بال عشر في حديث ابن إسحاق فحصلت الإباحة في هذا المقدار متحقة ، وبقيت الزيادة على الأصل وهو الحظر ، وفيه الصلح على أن يرّد المسلم إلى دار الكفر ، وهذا منسوخ عند أبي حنيفة بحديث سيرة خالد حين وجهه النبي - صلى الله عليه وسلم إلى خنعم ، وفيهم ناس من مسلمون فاعتصموا بالشجود فقتلهم خالد ، قودأهم النبي - صلى الله عليه وسلم - نصف الدية ، وقال : أنا بريء من مسلم بين مشركين ، وقال فقهاء الحجاز : هو جائز ، ولكن للخليفة الأكبر لا لمن دونه ، وفيه : نسخ السنة بالقرآن على أحد القوانين ، فإن هذا العهد كان يقتضي أن لا يأتيه مسلم إلا رده ، فنسخ الله تعالى ذلك في النساء خاصة ، فقال عز وجل : ﴿ إِنِ اعْلَمْتُمُوهُنَّ مَوْلِيَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ﴾ المتحفنة : ١٠ هذا على رواية عقيل بن خالد عن الزهري ، فإنه قال في الحديث : أن لا يأتيه أحد ، وأحد يتضمن الرجال والنساء ، والأحسن أن يقال في مثل هذا تخصيص عموم لا نسخ ، على أن بعض حذاق الأصوليين قد قال في العموم : إذا عمل بمقتضاه في عصر النبي - صلى الله عليه وسلم - واعتقد فيه العموم ، ثم ورد التخصيص فهو نسخ ، وهو قول حسن ، وفي رواية أخرى أن لا يأتيه رجل . فهذا اللفظ لا يتناول

النساء وقالت طائفة : إنما استَجَازَ النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - ردَّ المسامين إليهم في هذا الصلح لقوله عليه السلام : لا تَدْعُونِي قُرَيْشٌ إِلَى خُطَّةٍ يعظمون فيها الحَرَمَ إِلَّا أَجَبْتُهُمْ إِلَيْهَا ، وفي ردِّ المسلم إلى مكة عِمَارَةُ البيت ، وزيادة خَيْرٍ له في الصلاة بالمسجد الحرام والطواف بالبيت ، فكان هذا من تعظيم حُرْمَاتِ الله تعالى ، فعلى هذا القول يكون حُكْمًا مخصوصًا بمكة ، وبالنبي صلى الله عليه وسلم ، ويكون غير جائز لمن بعده كما قال العراقيون .

حكم المهاجرات :

فصل : وذكر قول الله سبحانه : ﴿ إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ ، فَامْتَحِنُوهُنَّ ﴾ المتعنة : ١ . هذا عند أهل العلم مخصوصٌ بنساء أهل العهد والصلح ، وكان الامتحان أن يَسْتَحْلِفَ المرأة المهاجرة أنها ما خرجت ناشزاً ولا هاجرت إِلَّا لله ولرسوله ^(١) ، فإذا حلفت لم تُرَدَّ ورُدَّ صداقها إلى بعلها ، وإن كانت من غير أهل العهد لم تُسْتَحْلَفَ ، ولم يُرَدَّ صداقها .

وفيه : أن النبي صلى الله عليه وسلم محاسمه ، وهو رسولُ الله ، وكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ، لأنه قولُ حَقِّ كَلِّه ، وظن بعض الناس أنه كتب بيده ، وفي البخارى أنه كتب ، وهو لا يُحْسِنُ الكتابة ، فتوهم أن الله تعالى أطلق يده بالكتابة في تلك الساعة خاصة ، وقال : هي آيةٌ ، فيقال له : كانت تكون آيةً لولا أنها مناقضة لآية أخرى ، وهو كونه أمياً لا يكتب ،

(١) أقوالاً تفسر ابن كثير للآية فقد روى غير هذا .

وبكونه أُمِّيًّا في أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ قامت الحجَّةُ ، وأُفْجِمَ الجاحِدُ ، وانْحَسَمَتِ الشُّبُهَةُ ، فكيف يُطْلَقُ اللهُ يَدَهُ ، لتَكُونَ آيَةٌ ؟ وإنما الآيةُ أن لا يَكْتُبَ والمعْجَزاتُ (١) بَسْتَجِيلُ أن يَدْفَعَ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وإنما معنى : كتب أى : أمر أن يُكْتُبَ (٢) وكان الكاتبُ في ذلك اليومَ عَلِيٌّ بنَ أَبِي طالب ، وقد كتب له عِدَّةٌ

(١) أذكر هنا بأن الله سبحانه سَمَّى ما أعطاه لرسوله آيات ، لا معجزات .
(٢) نص رواية البخارى والنسائى وأحمد ، فأخذ الكتاب ، وليس يحسن أن يكتب ، فكتب مكان رسول الله محمد بن عبد الله ، ولهذا يتبين لنا أن تأويل السهيلي غير جيد . ولأن هذه الرواية ، مخالفة لسلك الروايات الصحيحة أنكر بعض المأخرين على أبي موسى المدينى نسبتها لبخارى فقال : ليست فى البخارى ولا فى مسلم . وهو كما قال عن مسلم ، ولكنها ثابتة فى البخارى .

وقد تمسك بظاهر رواية البخارى أبو الوليد الباجى سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب المتوفى سنة ٤٧٤ هـ ، فزعم أن النبي « ص » كتب بعد أن لم يكن يحسن أن يكتب ، فشنع عليه علماء الأندلس ، وسمّوه بالزندقة ، وشنعوا عليه من على المنابر فى الجمع ، فجمعهم به الأمير ، فاستظهر الباجى بما كان يعرف من فنون القول والمجادلة ، وزعم أن رأيه غير مخالف للقرآن ، بل لأنه يؤخذ من مفهوم القرآن ، لأنه قيد نفى الكتابة عنه بما قبل ورود القرآن : (وما كنت أتلو من قبله من كتاب ، ولا تخط بيمينك إذا لارتاب المبطلون) وبعد أن تحققت أمنيته ، وتقررت بذلك معجزته وأمن الارتياب فى ذلك ، لا مانع من أن يعرف الكتابة بعد ذلك من غير تعليم ، فيكون معجزة أخرى وقد وافقه جماعة ، وأنكر عليه آخرون كثيرون . أنظر فتح البارى فى شرح الحديث والمواهب اللآلئ ص ١٩٦ وما بعدها ٢ . أقول : وما استنبطه الباجى مخالف لما تواتر ولروايات الصحيحة .

من أصحابه، منهم عبدُ الله بن الأَرْقَم ، وخالدُ بن سعيد ، وأخوه أبانُ ، وزَيْدُ ابن ثابت ، وعبدُ الله بن عبد الله بن أبي بن سَلُول ، وأبي بن كَنْب القاري ، وقد كتب له أيضاً في بعضِ الأوقاتِ أبو بكر وعمر وعُثمانُ رضي الله عنهم ، وكتب له كثيراً معاويةُ بن أبي سُفْيَانَ بعد عام الفتح ، وكتب له أيضاً الزَّيْنُ ابن العوام ، ومُعَيْقِبُ بن أبي فاطمة ، والمغيرةُ بن شُعْبَةَ ، وشُرَحْبِيلُ بن حَسَنَةَ ، وخالدُ بن الوليد ، وعمر بن العاصي ، وجهمُ بن الصلتِ ، وعبدُ الله ابن رَوَاحَةَ ، ومحمد بن مَسْلَمَةَ ، وعبدُ الله بن سعد بن أبي مَرْح ، وحَنْظَلَةُ الأَسِيدِيُّ ، وهو حَنْظَلَةُ بن الرَّايِم ، وفيه يقول الشاعر بعد موته :

إِن سَوَادَ الْعَيْنِ أَوْدَى بِهِ حُزْنٌ عَلَى حَنْظَلَةَ الْكَاتِبِ
وَالْعَلَاءِ بْنِ الْخَضَرَمِيِّ ، ذَكَرَهُمْ عُمرُ بن شُبَّةَ في كتابِ الْكُتُبِ له^(١) .

باسمك اللهم :

وأما قولُ سُهَيْلِ بن عمرو له : وَلَكِنْ اكْتُبْ : بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ ، فإنها كلمةٌ كانت قريشٌ تقولها ويقولهم لها سببٌ قد ذكروه في كتاب التعريف والإعلام ، وأول من قالها أُمَيَّةُ بن أبي الصلتِ ، ومنه تَعَلَّمُوهَا وتَعَلَّمَهَا هو من رَجُلٍ من الْجَنِّ في خَبَرٍ طَوِيلٍ ذكره الْمَسْعُودِي^(٢) وهو الخَبَرُ الَّذِي لُحِصَنَاهُ في الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ .

(١) ذكر ابن القيم في زاد المعاد منهم عامر بن فهيرة ، وثابت بن فليس ابن شماس .

(٢) يشير الدعشة أن يمدق الرجل الكثير مثل هذا الحرف الصغير ،

عبيّة مكفوفة :

فصل : وذكر في الكتاب : وَإِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ عِيبَةً مَكْفُوفَةً^(١)
أى : صُدُورُ مُنْطَوِيَةٍ عَلَى مَا فِيهَا لَا تُبْدَى عَدَاوَةً ، وَضَرْبَ الْعِيبَةِ مَثَلًا ،
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَكَادَتْ عِيَابُ الْوُدِّ مِنَّا وَرِثَهُمْ وَإِنْ قِيلَ أَبْنَاءُ الْعُمُومَةِ تَصْنَرُ

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْأَنْصَارُ كَرِشِي وَعَيْبَتِي^(٢) فَضَرَبَ الْعِيبَةَ
مَثَلًا لِمَوْضِعِ التَّرِّ ، وَمَا يُفْتَدُّ بِهِ مِنْ وَدَّهِمْ . وَالْكَرْشُ وَغَلَا يُصْنَعُ مِنْ كَرَشِ
الْبَعِيرِ ، يَجْعَلُ فِيهِ مَا يُطَبِّخُ مِنَ اللَّحْمِ ، يَقَالُ : مَا وَجَدْتُ لِهَذِهِ الْبَضْعَةِ فَأَكْرَشُ ،
أى : إِنَّ الْكَرْشَ قَدْ امْتَلَأَ ، فَلَمْ يَسْمَعْهَا فَهُوَ . وَيُضْرَبُ أَيْضًا هَذَا مَثَلًا^(٣) ،

(١) لَيْسَ فِي السَّيْرَةِ : وَبَيْنَكُمْ .

(٢) أَرَادَ دَسَّ ، أَنَّهُمْ بَطَانَتُهُ وَهُوَ ضَعْفُهُ وَأَمَانَتُهُ ، وَالَّذِينَ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِمْ
فِي أُمُورِهِ ، وَاسْتِعَارَ الْكَرْشَ وَالْعِيبَةَ لِدَلَالَةِ ، لِأَنَّ الْمُجْتَمِعَ يَجْمَعُ عِلْفَهُ فِي كَرَشِهِ ،
وَالرَّجُلُ يَضَعُ ثِيَابَهُ فِي عِيبَتِهِ . وَقِيلَ : أَرَادَ بِالْكَرْشِ : الْجَمَاعَةَ أَيْ : جَمَاعَتِي وَمُحَابَتِي ،
يَقُولُ : عَلَيْهِ كَرْشٌ ، أَيْ جَمَاعَةٌ وَانْتِهَاءُ لِابْنِ الْأَثِيرِ ، وَالحَدِيثُ فِي الْبُخَارِيِّ :
« أَوْسَعِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ ، فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي » ، وَقَدْ قَضَوْا الَّذِي عَلَيْهِمْ ، وَبَقِيَ
الَّذِي لَهُمْ فَأَقْبَلُوا مِنْ مَحَنِهِمْ ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مَسِيئَتِهِمْ .

(٣) أَيْ لَمْ أَجِدْ إِلَّا سَبِيلًا ، وَعَنِ اللَّحْيَانِ : لَوْ وَجَدْتُ إِلَّا بِهِ فَأَكْرَشُ ،
وَبَابُ كَرَشٍ ، وَإِنِّي فِي كَرَشٍ لِأَقِيَّتِهِ ، يَعْنِي قَدَرُ ذَلِكَ مِنَ السَّبِيلِ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُمْ
لَوْ وَجَدْتُ إِلَّا بِهِ : فَاسْبِيلٌ . وَأَصْلُ الْمَثَلِ أَنَّ رَجُلًا فَضَلَ شَاةً ، فَأَدْخَلَهَا فِي كَرَشَتِهَا .
لِيُطْبَخَهَا ، فَقِيلَ لَهُ : أَدْخِلِ الرَّأْسَ ، فَقَالَ : إِنْ وَجَدْتُ إِلَى ذَلِكَ فَأَكْرَشُ يَعْنِي :
إِنْ وَجَدْتُ إِلَّا بِهِ سَبِيلًا . وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ وَلَكِنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ هَذَا .

كما قال الحجاج : ما وَجَدْتُ إلى دَمِ فُلَانٍ فَاكْرَشٍ .

وقوله : ولا إغلال ، هي الخِيارَةُ ، يقل : فُلان مغل الأُصْبِيع ، أى خائن اليد . قال الشاعر :

حَدَّثْتُ نَفْسَكَ بِالْوَفَاءِ ، وَلَمْ تَكُنْ بِالْعَذْرِ خَائِنَةً مِثْلَ الْأُصْبِيعِ

والإِسْلَالُ : السرقة ، والْخُلَاسَةُ ونحوها ، وهي السلة . قالوا في النثر :
الْخُلَّةُ تدعو إلى السَّيِّئَةِ .

أبو جندل وصاحبه في القمَر :

فصل : وذكر خُرُوج أبي جندل يَرْسُف في الحديد . أبو جندل ، هو
العامي بن سُهَيْلٍ ، وأما أخوه عبد الله بن سهيل ، فكان قد فر يوم بدر
إلى المسلمين ، فلهق بهم ، وشهد بدرًا ، والمشاهد كلها ، وقتل يوم الْيَّامَةِ
شهيدًا ، وأما أبو جندل ، فاستشهد مع أبيه بالشام في خلافة عُمرَ ، وهو الذي
شَرِبَ القَمَرِ مُتَأَوِّلًا لقوله تَبَارَكَ وتعالى ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾ [إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، ثُمَّ
اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا ؛ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْحَسَنِينَ] المائدة : ٩٣
فجلده أبو عُبَيْدَةَ بأمر عُمرَ وجلد صاحبه ، وهو ضرار ، ثم إن أبا جندل
أشفق من الذَّنْبِ حتى قال : لقد هَلَكْتُ ، فبلغ ذلك عمرَ رضى الله عنه ،
فكتب إليه : إن الذي زَيْنَ لك الخطيئة هو الذي حَظَرَ عليك التَّوْبَةَ :

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾^(١) تنزيلُ الكتابِ من الله العزيزِ العليمِ . غافرُ الذَّنْبِ وقابلَ التَّوْبَ ﴿ الآية . وكان شربها معاً ضَرَارُ بن الخطاب ، وأبو الأَزْوَريِّ ، فلما أَسْرَعُوا أن يُجْلِدُوا ، قالوا : دعنا نَأْتِيَ الْمَدْوَّ ، فَإِنْ قُتِلْنَا فذاك ، وإِلَّا حَدَدْتُمُونَا ، فُقِتِلَ أَبُو الْأَزْوَريِّ ، وحُددَ الآخَران .

الدرية التي رفضها عمر :

فصل : وذكر قولُ مُعَمَّرَ - رضى الله عنه - فَعَلَّامٌ نُعْطَى الدِّينِيَّةَ فِي دِينِنَا ، هِيَ فَعِيلَةٌ مِنَ الدَّائِمَةِ ، وَأَصْلُهَا التَّهَزُّ ، وَفِي غَيْرِ رِوَايَةٍ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعُمَرَ : إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَغْصِيهِ ، وَهُوَ نَاصِرِي ، وَأَنَّهُ أَنَى أَبَا بَكْرٍ - رضى الله عنه - فَقَالَ لَهُ مِثْلُ مَا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فاجابوه أَبُو بَكْرٍ بِمِثْلِ مَا جَابَوْهُ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرْفًا بِحَرْفٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا عُمَرُ الزَّمْ غَرْزَهُ^(٢) ، فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، قَالَ عُمَرُ : وَمَا شَكَكْتُ مِنْذُ أَسَلَمْتُ إِلَّا تِلْكَ السَّاعَةَ ، وَفِي هَذَا أَنَّ الْمُؤْمِنَ قَدْ يَشْكُ ، ثُمَّ يُجَدِّدُ النَّظَرَ فِي دَلَائِلِ الْحَقِّ فَيَذْهَبُ شَكُّهُ ، وَقَدْ رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : هُوَ شَيْءٌ لَا يَسْلَمُ مِنْهُ أَحَدٌ ، ثُمَّ ذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَلَكِنْ لَيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي) وَلَوْلَا الْخُرُوجُ عَمَّا صَدَدْنَا إِلَيْهِ فِي هَذَا الْكِتَابِ

(١) تقرأ هكذا : حاميم ، وكل أخواتها

(٢) أى اعتلق به ، وأمسكه . واتبع قوله وفعله ولا تخالفه ، فاستعار له الغرز كالذى يمسك بركاب الراكب ويسير بسيره . والغرز هو ركاب كور الجلي ، وقيل : هو الكور مطلقاً مثل الركاب للصرح ، ويختصر عن النهاية ،

لذكرنا ما للعلماء في قول إبراهيم صلى الله عليه وسلم (ولكن لِيُظْمِنَ قَلْبِي) ، وذكرنا النُّسْكَةَ الْعُظْمَى في ذلك ، ولعلنا أن نلقى لها موضعاً ، فنذكرها . والشُّكُّ الذي ذكره مُعَمَّرُ بْنُ عَبَّاسٍ مالا يُبْصِرُ عليه صاحبه ، وإنما هو من باب الْوَسْوَسةِ التي قال فيها عليه السلام مُخْبِراً عن إبليس : الحمد لله الذي ردَّ كبدَه إلى الْوَسْوَسةِ .

موقف أم سلمة في الحربية :

وفي غير رواية ابن إسحاق من الصحيح أنه عليه السلام دخل على أم سلمة ، وشكا إليها ما أتى من الناس حين أمرهم أن يَخْلُقُوا وَيَنْجَرُوا ، فلم يَفْعَلُوا لما بهم من الْغَيْظِ ، فقالت : يا رسول الله اخرج إليهم ، فلا تسكاهم ، حتى يَخْلُقَ وَتَنْجَرَ ، فإنهم إذا رأوك قد فعلت ذلك ، لم يُخَالَفُوكَ . ففعل صلى الله عليه وسلم ، وفعل الناس ، وكان الذي حاق رأس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ذلك اليوم خِرَاشُ بْنُ أُمَيَّةَ [بن ربيعة بن الفضل بن منقذ بن عفيف بن كليب بن حُبْشِيَّةِ بْنِ سُلُولٍ] الْخِزَاعِيُّ [ثم السكلي] ^(١) وهو الذي كان بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ إلى مكة فعمروا بجملة ، وأرادوا قتله ، فحينئذ بعث إليهم عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ففى تَرْكِهِمْ لِلْبِدَارِ دليلٌ على أن الأمر ليس على الْقَوَرِ ، كما ذهب إليه بعض الْأَصُولِيِّينَ ، وفيه أنهم سَحَلُوا الْأَمْرَ على غير الْوُجُوبِ لِقَرِينَةٍ ، وهى أنهم رأوه لم يَخْلُقَ ولم يَنْجَرَ ،

ولم يقصر ، فلما رأوه قد فعل اعتقدوا وجوب الأمر وامتنلوه . وفيه أيضاً إباحة مشاورة النساء ، وذلك أن النهى عن مشاورتهن إنما هو عندهم في أمر الولاية خاصة ، كذلك قال أبو جعفر النحاس في شرح هذا الحديث .

المقصوره :

فصل : وذكر ابن إسحاق استغفار النبي - صلى الله عليه وسلم - للمُحَلِّقِينَ ثلاثاً وللمُقَصِّرِينَ مرةً واحدةً . ولم يكن المُقَصِّرُ يومئذٍ من أصحابه إلا رَجُلَيْنِ ، أحدهما عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، والآخر أَبُو قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ ، كذلك جاء في مُسْنَدِ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

أبو بصير :

وذكر حديثَ أَبِي بَصِيرٍ واختلاف في اسمه ، فقليل : عُبَيْدُ بْنُ أُسَيْدِ بْنِ جَارِيَّةَ ، وقيل عُتْبَةَ .

وذكر قول النبي - صلى الله عليه وسلم - له حين قَتَلَ أَحَدَ الرَّجُلَيْنِ : وَيْلُ أُمِّهِ مِحْشُ حَرْبٍ . وفي الصحيح : وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرُ حَرْبٍ ، يقال : حَشَشْتُ النَّارَ ، وَأَرَشْتُهَا ، وَأَذْكَيْتُهَا ، وَأَثْقَبْتُهَا وَسَعَرْتُهَا بمعنى واحد ، وَسُمِّيَ الْأَسْعَرُ الْجُنْفِيُّ أَسْعَرَ بِقَوْلِهِ :

فَلَا يَذْعُنِي قَوْمِي إِسْعَدِ بْنِ مَالِكٍ لَتِنٌ أَنَا لَمْ أَسْعِرْ عَلَيْهِمْ وَأَثْقَبَ
وكان اسمه مَرْدَدَ بْنَ مُحَرَّرَانَ^(١) ، ومالك في هذا البيت : هو مَذْحِجٌ ،

(١) في المؤلف للامدي ص ٨٠ ابن أبي حمران وكذلك في الاشتقاق ص ٤٠٨ =

وأما لحوق أبي بصير بسيف البحر ، ففي رواية معمر عن الزهري ، أنه كان يصلي بأصحابه هنالك ، حتى لحق بهم أبو جندل بن سهيل فقدموه ، لأنه قرشي ، فلم يزل أصحابه يكثرون ، حتى بلغوا ثلاثمائة ، وكان أبو بصير كثيراً ما يقول هنالك : الله العليُّ الأكبر ، من ينصر الله فسوف ينصر ، فلما جاءهم الفرج من الله تعالى ، وكلت قريش النبي عليه السلام أن يؤوبهم إليه لما ضيقوا عليهم ، ورد كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بصير في الموت ، يهود بنفسه ، فأعطى الكتاب فجعل يقرأه ويسرّبه ، حتى قبض والكتاب على صدره ، فبني عليه هناك مسجد ، يرحمه الله^(١).

عمرة :

وفي الحديث من غير السيرة أن المسلمين حين حلقوا في ذلك اليوم ، وهم بالحلّ قد منعوا أن يذخلوا الحرم جاءت الريح ، فاحتملت شعورهم حتى

== ولكنه في سمط البكري ص ٩٤ كما هنا ، والكل على أن كنيته : أبو حمران ، وهو شاعر جاهلي .

(١) لا ريب في أنه بنى بعد ذلك بكثير ، فليس من هدى الإسلام إقامة المساجد على القبور . فقد وصف الرسول ص - كما جاء في البخاري ومسلم - الذين يفعلون ذلك بأنهم شرار الخلق عند الله يوم القيامة ولعن الذين يتخذون قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد ، أما إقامة مسجد على كهف أهل الكهف فكان من عمل الذين غلبوا على الأمر ، أما الذين قالوا : ربهم أعلم بهم - وهذه كلمة الإيمان العظيم - فقالوا ابنوا عليهم بنياناً . أي سدوا عليهم باب الكهف .

أَلْقَتْهَا فِي الْحَرَمِ ، فَاسْتَبْشَرُوا بِقَبُولِ اللَّهِ عُمْرَتَهُمْ . ذَكَرَهُ أَبُو عُمَرَ .
وَالْعُمْرَةُ مُسْتَقَّةٌ مِنْ عِمَارَةِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَبُنِيَتْ عَلَى فُعْلَةٍ ، لِأَنَّهَا
فِي مَعْنَى قُرْبَةٍ وَوُصِّلَتْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَيْسَ قَوْلُ مَنْ قَالَ : إِنَّهَا الزِّيَارَةُ
فِي اللَّغَةِ بَيِّنٌ ، وَلَا فِي قَوْلِ الْأَعَشَى حُجَّةٌ لَهُمْ لِأَنَّهُ مُحْتَمَلُ التَّأْوِيلِ وَهُوَ قَوْلُهُ :
وَجَاسَتْ نَفْسُ لَمَّا جَاءَ فَلَهُمْ وَرَاكِبٌ جَاءَ مِنْ تَنْثِيلِ مُنْتَمِرٍ

قتل أبي بصير للسطر :

فصل : وما يُسألُ عنه في حديث أبي بصير قتله الرجل الكافر ، وهو
في العهد : أكان ذلك حرّاماً أم مُباحاً له ، وظاهرُ الحديث رفعُ الحرج عنه ،
لأن النبي ﷺ - صلى الله عليه وسلم - لم يَثْرِبْ ، بل مَدَحَهُ ، وَقَالَ : وَيَبُلُ أُمَّهُ
مِحْسُ حَرْبٍ . فَإِنْ قِيلَ : وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ جَائِزاً لَهُ ، وَقَدْ حَقَّنَ الصَّلَاحُ
الدَّمَاءَ ؟ قُلْنَا : إِنَّمَا ذَلِكَ فِي حَقِّ أَبِي بَصِيرٍ عَلَى الْخُصُوصِ ، لِأَنَّهُ دَافِعٌ عَنْ نَفْسِهِ
وَدِينِهِ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَإِنَّمَا لَمْ يُطَالَبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صلى الله
عليه وسلم - بِدِيَّةٍ ، لِأَنَّهُ أَوْلِيَاءُ الْمَقْتُولِ لَمْ يُطَالَبُوا ، وَإِنَّمَا لِأَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ اسْتَأْمَرُوا ،
وَإِنَّمَا لِأَنَّ اللَّهَ شَعَلَهُمْ عَنْ ذَلِكَ ، حَتَّى انْتَكَبَتْ الْعَهْدُ ، وَجَاءَ الْفَتْحُ .

فَإِنْ قِيلَ : فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَدِي مَنْ قُتِلَ خَطَأً مِنْ
أَهْلِ الصَّلَاحِ كَمَا وَدَى الْعَامِرِ بْنِ (١) وَغَيْرَهُمَا قُلْنَا : عَنْ هَذَا جَوَابَانِ ، أَحَدُهُمَا :

(١) هَذَا بِنَصِّ الْقُرْآنِ (وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ
إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤَمَّنَةٌ)

أن أبا بصيرٍ كان قد رده إلى المشركين ، فصار في حُكْمِهِمْ ، ولم يكن في فِئَةِ
المُسْلِمِينَ وَحِزِّهِمْ ، فيحكم عليه بما يحكم عليهم .

والجواب الثاني : أنه إن كان قَتَلَ عَمْدًا ، ولم يكن قَتَلَ خطأ ، كما كان
قَتَلَ العاصرين ، وقد قال عُمر بن الخطاب لَا تَعْقِلُ الْعَاقِلَةَ عَمْدًا وَلَا عَبْدًا
[وَلَا صُلْحًا وَلَا اعْتِرَافًا] ^(١)

من مواقف عمر في الحديثية :

فصل : وقولُ عُمرَ للنبيِّ - صلى الله عليه وسلم : أَلَمْ تَعِدْنَا أَنَا نَتَأْتِي
الْبَيْتَ ، ونطوفُ به ؟ فقال : نعم ، وذكر الحديث . كان النبيُّ - صلى الله عليه
وسلم - قد أَرى ذلك في مَنَامِهِ ، ورؤيا الأنبياء وَحْيٌ ، ثم أنزل الله تعالى :
(لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ) الآية الفتح : ٢٧ وَيُسْأَلُ عَنْ قَوْلِهِ :
إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ : ما فائدة هذا الاستثناء ، وهو خَبَرٌ واجبٌ ؟ وفي الجواب
أقول : أحدها : أنه راجعٌ إلى قوله : آمِنِينَ ، لا إلى نفس الدُّخُولِ ، وهذا
ضَعِيفٌ ، لأن الوعدَ بالأمانِ قد اندرَجَ في الوعدِ بالدخولِ .

(١) سبق الحديث عن العقل والعاقلة وهى العصبية والافارب من قبل الأب
الذين يعطون دية قتيل الخطأ . والمعنى أن كل جنابة عمد ، فإنها من مال الجاني
خاصة ، ولا يلزم العاقلة منها شيء ، وكذلك ما اصطلاحوا عليه من الجنابات
في الخطأ ، وكذلك إذا اعترف الجاني بالجنابة من غير بينة تقوم عليه ، وإن
ادعى أنها خطأ لا يقبل منه ، ولا يلزم بها العاقلة ، وأما العبد ، فهو أن يجنى حر
على عبد ، فليس على عاقلة الجاني شيء ، لأنما جنابته في ماله خاصة . أنظر مادة عقل
في النهاية لابن الأثير .

الثاني أنه وَعَدَ عَلَى الْجَلَّةِ ، والاستثناء راجع إلى التَّفْصِيلِ ، إذ لا يَذَرِي كلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ : هل يعيش إلى ذلك ، أم لا ، فرجع الشكُّ إلى هذا المعنى ، لا إلى الأمرِ الموعود به ، وقد قيل إنما هو تعليم للعباد أن يقولوا هذه الكلمة ، ويستعملونها في كل فعل مُسْتَقْبَلٍ أعنى : إن شاء الله ^(١) .

بيعة الشجرة وأول من بايع :

فصل : وذكر بَيْعَةَ الشَّجَرَةِ ، وسببها ، ولم يذكر أول من بايع ، وذكر الواقدي أن أول من بايع بَيْعَةَ الرضوان سِنَانُ بْنُ أَبِي سِنَانٍ الْأَسَدِيُّ وقال موسى ابن عُقْبَةَ : أول من بايع أَبُو سِنَانٍ ، واسمه : وَهْبُ بْنُ مِحْصَنٍ أَخِي عُسْكَاشَةَ ابن مِحْصَنٍ الْأَسَدِيِّ ، وقال الواقدي : كان أَبُو سِنَانٍ أَسَنَ مِنْ أَخِيهِ عُسْكَاشَةَ بَعَشْرَ ^(٢) سَنِينَ ، شَهِدَ بَدْرًا ، وَتُوُفِّيَ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ ، ويروى أنه حين قال

(١) يقول البيضاوي : هي تعليق للعدة بالمشيئة تعليلًا للعباد أو إشعاراً بأن بعضهم لا يدخل لموت أو غيبة أو حكاية لما قاله ملك الرويا ، أو النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه .

(٢) في رواية : بعشرين .

تعليق عام على الحديثية

الحديثية : بئر سمي المسكان بها ، وقيل شجرة سمي بها المسكان ، أو هي قرية ليست كبيرة بعضها في الحل وبعضها في الحرم ، وهي على تسعة أميال من مكة عدد أبطالها : في الصحيحين عن جابر أنهم كانوا خمسمائة وألفاً . وفيهما عن جابر نفسه أنهم كانوا أربعمائة وألفاً . ويقول ابن القيم : والقلب إلى هذا أميل . وفي الصحيحين أيضاً عن عبد الله بن أبي أنهم كانوا المئاة وألفاً .

المبايعة : كانت على ألا يفروا كما في الصحيحين .

أول من بايع : هو أبو سنان الأسدي ، وبايعه سبعة بن الاكوح ثلاث مرات =

للنبي صلى الله عليه وسلم ابسط يدك أبايعك ، قال : عَالَمٌ تُبَايَعُنِي ؟ قال : على ما في نفسك يا رسول الله ، وأما سِنَانُ ابْنُهُ ، فهو أيضاً بِذَرِيَّتِي ، مات سنة ثلاث وثلاثين ، وأما مَبَايَعُهُمْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة ، وكانوا ألفاً وأربعمائة في إحدى الروايتين عن جابر ، وألفاً وخمسمائة في الرواية الأخرى عنه ، فبايعوه في قول جابر على أن لا يَفِرُّوا . قال : ولم يبايعوه على الموت . وقال سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ : بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم على الموت ، قال :

== في أول الناس وأوسطهم وآخرهم من كلام عروة لقريش عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا تسكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يتحدثون إليه تعظيماً له ، وقد عرض عليكم خطة رشدة فاقبلوها ، الصحيحان . »
كلام عمر : في رواية الصحيحين أنه قال : « والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ ، وقالها بحقب مجيء أبي جندل ورفض سهيل بن عمر تركه ، وصرخة أبي جندل الحزينة ثم قوله ، وقد جئت مسلماً ، ألا ترون ما لقيت ، ويقول الراوي في الصحيحين : « وكان قد عذب في الله عذاباً شديداً ، وكان مما قاله عمر للنبي صلى الله عليه وسلم : « ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ فرد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم : « بئس ما ورد في السيرة ، فقال عمر : « أو لست كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال : بلى ، أفأخبرت أنك تأتية العام ؟ قلت — القائل عمر — لا ، قال : فانك آتية ومطوف به . »

مشورة أم سلمة : فعل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويقول الراوي في الصحيحين : « فلما رأى الناس ذلك قاموا فنجروا ، وجعل بعضهم يخلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضهم غماً ، ويقول ابن القيم : « وقد اعتذر عن تأخيرهم الامثال بأنهم كانوا يرجون الذسح ، فأخروا متأولين لذلك ، وهذا الاعتذار أولى أن يعتذر عنه ، وهو باطل ، فانه صلى الله عليه وسلم ، لو فهم منهم ذلك لم يشتد غضبه عليهم لتأخير أمره ، ويقول : مالي لا أغضب ، وأنا أمر بالامر ، فلا أتبع ، وإنما ==
(م ٣٢ — الروض الأنف ج ٦)

الترمذى : وكلا الحديثين صحيح ، لأن بعضهم بآبع على أن لا يفروا ، ولم يذكر الموت ، وبعضهم قال : أبابك على الموت .

== كان تأخيرهم من السعى المغفور لا المشكور ، وقد رضى الله عنهم ، وغفر لهم وأوجب لهم الجنة ، ص ٢١٦ - ٢١٧ زاد المعاد .

الماء فى الحديثية : فى الصحيح ، أن النبى « ص » ، توضأ ، ومج فى برء الحديثية من فه ، فجاشت بالماء ، كذلك قال البراء بن عازب وسلمة بن الأكوع فى الصحيحين .

وفى الصحيحين أيضاً فى حديث جابر « عطش الناس يوم الحديثية ، وبين يدى رسول الله « ص » ، ركوة يتوضأ منها ، فأقبل الناس نحوه ، فقال : مالكم ؟ قالوا : يا رسول الله ليس عندنا ماء نتوضأ منه ، ولا نشرب إلا ما فى ركوتك ، فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون ، فشربنا وتوضأنا ، وقد أخرج أحمد حديث جابر ، وفيه : فجاءه رجل بإداوة فيها شيء من ماء ليس فى القوم ماء غيره ، فصبه « ص » فى قدح ، ثم توضأ ، فأحسن الوضوء ، ثم انصرف ، وترك القدح ، فتزاحم الناس عليه ، فقال : على رسلكم فوضع كفه فى القدح ، ثم قال : أسبغوا الوضوء . قال : فلقدرأيت العيون . عيون الماء تخرج من بين أصابعه ، وفى حديث زيد بن خالد أنهم أصابهم مطر بالحديثية ، فلما صلى الصبح قال : أتدرون ماذا قال ربكم الليلة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : قال : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب ، هذا وقد استنبط الإمام ابن القيم من قصة الحديثية سنأ وثلاثين فائدة فقهية تشهد له بالبراعة والالمية ، كما استنبط منها عدة حكم ، فانظر كل هذا فى كتابه القيم « زاد المعاد » ص ٣١١ ط السنة المحمدية .

ذكر المسير إلى خيبر

في المحرم سنة سبع

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلي قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين رجع من الحديبية ، ذا الحجة وبعض المحرم ، وولى تلك الحجة المشركون ، ثم خرج في بئية المحرم إلى خيبر .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عتبة بن عبد الله السبيعي ، ودفع الراية إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكانت بيضاء .

ما قاله أبو جندل :

فصل : وما قاله أبو جندل بن سهيل أيام كونه مع أبي بصير
يسيف البحر :

أبلغ قريشا عن أبي جندل أنا بذى الزوة فأساحل
في معشر تخفق أيمانهم بالبيض فيها والقنا الذابل
يابزون أن تبقى لهم رقة من بعد إسلامهم الواصل
أو يجعل الله لهم مخرجا والحق لا يقبل بالباطل
فيسلم المرء بإسلامه أو يقتل المرء ولم ياتل

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التميمي عن أبي الهيثم ابن نصر بن دُهر الأسلمي أن أباه حدثه : أنه سمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم - يقول في مسيره إلى خيبر لعاصم بن الأكوع ، وهو عمّ سلمة بن عمرو ابن الأكوع ، وكان اسم الأكوع سنان : انزل يابن الأكوع ، فخذ لنا من من ههناك ، قال : فنزل يرتجز برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

والله لو لا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
إننا إذا قوم بغوا علينا وإنما أرادوا فتنة أبينا
فأنزلن سكينتنا علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحمك الله ؛ فقال عمر بن الخطاب : وجبت والله يا رسول الله ، لو أمتعتنا به ! فقتل يوم خيبر شهيداً ، وكان قتله ، فيما بلغني ، أن سيفه رجع عليه وهو يُقاتل ، فسكته كلما شديداً ، فمات منه ؛ فكان المسلمون قد شكروا فيه ، وقالوا : إنما قتله سلاحه ، حتى سأل ابن أخيه سلمة بن عمرو بن الأكوع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وأخبره بقول الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه لشهيدٌ ، وصلى عليه ، فصلى عليه المسلمون .

قال ابن إسحاق : حدثني من لا أتهم ، عن عطاء بن أبي مَرْوان الأسلمي ، عن أبيه ، عن أبي مُعْتَب بن عمرو : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشرف على خيبر قال لأصحابه ، وأنا فيهم : قفوا ، ثم قال : اللهم رب

السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أفلن ، ورب الشياطين وما أضللن ،
ورب الرياح وما أذرين ، فإننا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير
ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها ، أقدموا بسم الله .
قال : وكان يقولها عليه السلام لكل قرية دخلها .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن أنس بن مالك ، قال : كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا قوما لم يُغز عليهم حتى يُصبح ، فإن
سمع أذاناً أمسك ، وإن لم يسمع أذاناً أغار . فنزلنا خير ليلا ، فبات رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا أصبح لم يسمع أذاناً ، فركب وركبنا معه ،
فركبت خلف أبي طلحة ، وإن قدّمى لنمس قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، واستقبلنا بمئال خير غادين ، قد خرجوا بمساحيهم ومكاتيلهم ، فلما
رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والجيش ، قالوا : محمدٌ وأخيمسُ معه !
فأذبروا هرباً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ،
خربت خير ، إننا إذا نزلنا بساحة قوم ، فساء صباح المنذرين .

قال ابن إسحاق : حدثنا هارون عن محمد ، عن أنس بمثله .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من
المدينة إلى خير سلك على عَصْرِ فَبَنَى لَهَا فِيهَا مَسْجِدًا ، ثم على الصُّبْحَاء ، ثم أَقْبَلَ
رسول الله صلى الله عليه وسلم بِحَيْشِهِ ، حتى نزل بَوَادِرِ يَقَالُ لَهُ : الرَّجِيعُ ،
فنزل بينهم وبين عَطْفَانٍ ، لِيَحْجُولَ بَيْنَهُمْ وَيُبَيِّنَ أَنْ يُدَبِّدُوا أَهْلَ خَيْر ، وكانوا
لَهُمْ مُظَاهِرِينَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فبلغني أن غطفان لما سمعت بمَنَزِلِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من خيبر جمعوا له ثم خرجوا ليُظاهروا يَهُودَ عليه ، حتى إذا ساروا مَنَقَلَةً سمعوا خلفهم في أموالهم وأهلِيهم حسًّا ظَنُّوا أن القوم قد خالفوا إليهم ، فَرَجَعُوا على أعقابهم ، فأقاموا في أهلِيهم وأموالهم ، وخلَّوا بين رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وبين خيبر .

وتَدَنَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الأموال يأخذها مالا مالا ، ويفتتحها حِصْنًا حِصْنًا ، فكان أولُ حُصُونِهِم افتتح حِصْنَ ناعم ، وعنده قُتل عمود ابنِ مَسْلَمَةَ ، أُلْقِيَتْ عليه منه رَحَا فقتلته ، ثم القَمُوص ، حِصْنُ بَنِي أَبِي الْحَقِيقِ ، وأصاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منهم سَبَايا ، مِنْهُنَّ صَفِيَّةُ بِنْتُ حِيٍّ بْنِ أَخْطَبٍ ، وكانت عندَ كِنَانَةَ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ ، وبَدَنَتْ عَمَّ لَهَا ، فاصطفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صَفِيَّةَ لِنَفْسِهِ .

وكان دِخِيَّةُ بْنُ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ قد سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم صَفِيَّةَ ، فلما أصفها لِنَفْسِهِ أعطاه ابنتي عَمِّهَا ، وَفَشَتِ السَّبَايا مِنْ خَيْبَرٍ فِي الْمُسْلِمِينَ .

مانهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم في خيبر

وأكل المسلمون لحوم الحمر الأهلية من حمرها ، فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فَهَيَّ النَّاسَ عَنْ أُمُورِ سَبَايَاهُمْ .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبدُ الله بن عمرو بن ميمونة القزاري عن عبد الله

ابن أبي سَاطِط ، عن أبيه ، قال : أَنَا نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ
أَكْلِ لُحُومِ الْحُمْرِ الْإِنْسِيَّةِ ، وَالْقُدُورِ تَقُورُ بِهَا ، فَكَفَّأْنَاهَا عَلَى وَجُوهِهَا .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نَجِيح ، عن مَكْحُول : أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَاهُمْ يَوْمَئِذٍ عَنْ أَرْبَعٍ : عَنْ إِيثَانَ الْحَبَالَى مِنَ
السَّبَايَا ، وَعَنْ أَكْلِ الْحِمَارِ الْأَهْلَى ، وَعَنْ أَكْلِ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ ، وَعَنْ
بَيْعِ الْمَغَانِمِ حَتَّى تُنْقَسَمَ .

قال ابن إسحاق : وحدثني سَلَامٌ بْنُ كِرْزٍ كِرَّةً ، عن عمرو بن دينار ، عن
جابر بن عبد الله الأنصاري ، ولم يشهد جابر خَيْرٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ نَهَى النَّاسَ عَنْ أَكْلِ لُحُومِ الْحُمْرِ ، أَذِنَ لَهُمْ فِي أَكْلِ
لُحُومِ الْخَيْلِ .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي مرزوق مولى
نَجِيحٍ ، عن حنشل الصنعاني ، قال : غزونا مع رُوَيْفِعِ بْنِ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ
الْمَغْرِبِ ، فَافْتَتَحَ قَرْيَةً مِنْ قُرَى الْمَغْرِبِ يُقَالُ لَهَا جَرْبَةٌ ، فَقَامَ فِينَا خُطِيبًا ،
فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي لَا أَقُولُ فِيمَكُمْ إِلَّا مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُهُ فِينَا يَوْمَ خَيْرٍ ، قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ :
لَا يَحِلُّ لِمَرءٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْتَقِيَ مَآوُهُ زَرْعَ غَيْرِهِ ، يَعْنِي
إِيثَانَ الْحَبَالَى مِنَ السَّبَايَا ، وَلَا يَحِلُّ لِمَرءٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ
يُضَيِّبَ امْرَأَةً مِنَ السَّبَى حَتَّى يَسْتَبْرِئَهَا ، وَلَا يَحِلُّ لِمَرءٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الآخر أن يبيع مَنما حتى يُقسم ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن
يركب دابةً من فِء المسلمين حتى إذا أعجمها رَدَّها فيه ، ولا يحل لامرئ يؤمن
بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوباً من فِء المسلمين حتى إذا أخلقه رَدَّه فيه .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن عبد الله بن قُسيط ، أنه حدث عن
عُبادة بن الصامت ، قال : نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن
عن أن نبيع أو نبتاع ثبر الذهب بالذهب العَيْن ، وثبر الفضة بالورق
العَيْن ، وقال : ابتاعوا ثبر الذهب بالورق العَيْن ، وثبر الفضة بالذهب
العَيْن .

قال ابن إسحاق : ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتدنى الحصون
والأموال .

شأن بني سهم

حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدثه بعض أسلم : أن بني سهم من أسلم
أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : والله يا رسول الله لقد جهدنا
وما بأيدينا من شيء ؛ فلم يجردوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً
يُعطيهم إياه ؛ فقال : اللهم إني قد عرفت حالهم وأن كنت بهم قوة ، وأن
ليس بيدي شيء أعطيهم إياه ، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء ،
وأكثرها طعاماً وودكا ، ففقد الناس ، ففتح الله عز وجل حصن الصَّعب بن
مُعاذ ، وما يجيز حصن كان أكثر طعاماً وودكا منه .

مقتل مرحب اليهودي

قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ما افتتح ، وحاز من الأموال ما حاز ، انتموا إلى حصنهم الوطيج والسلام ، وكان آخر حصون أهل خيبر افتتاحاً ، فحاصروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة .

قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر : يا منصور ، أمت أمت .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل ، أخو بني حارثة ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرج مرحب اليهودي من حصنهم ، قد جمع سلاحه ، يرتجز وهو يقول :

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
أطعن أحياناً وحيناً أضرب إذا الأيوث أقبلت تحرب
إني حماي للحمي لا يقرب

وهو يقول : من يبارز ؟

فأجابه كعب بن مالك ، فقال :

قد علمت خيبر أني كعب مفرج الغمي جري صلب
إذ شبت الحرب نلتها الحرب معي حسام كالعقير عصب
نطوكم حتى يذل الصعب نعطى الجزاء أو ينوء النهب
بكف ماض ليس فيه عتب

قال ابن هشام : أنشدني أبو زيد الأنصاري :

قد عَلِمْتُ خَيْرُ أَنْي كَعْبُ وَأَنْتِي مَتَى تُشَبُّ الْحَرْبُ
ماضٍ على الْهَوَلِ جَرِي صُلْبُ مَعِيَ حُسَامُ كَالْعَمِيقِ عَضْبُ
بَكَفٍّ ماضٍ لَيْسَ فِيهِ عَثْبُ نَدُّكُمْ حَتَّى يَذِلَّ الصَّغْبُ

قال ابن هشام : ومَرَّحِب من خَمْر .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن سَهْل ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ لِهَذَا ؟ قال محمد بن مَسْلَمَةَ : أنا له يارسول الله ، أنا والله الموتور الثائر ، قُتِلَ أَخِي بِالْأَمْسِ ؛ فقال : فقم إليه ، اللهم أَعِزَّهُ عَلَيْهِ . قال : فلما دنا أحدهما من صاحبه ، دخلت بينهما شجرة عُمرية من شجر العُشْرِ فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه ، كَمَا لاذَ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه ما دونه منها ، حتى بَرَزَ كُلُّ واحدٍ منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرَّجُلِ الْقَائِمِ ، مافيها فَنَن ، ثم حملَ مَرَّحِبٌ على محمد بن مَسْلَمَةَ ، فضربه ، فانقأه بالذَّرْقَةِ ، فوقع سيفه فيها ، فعضَّتْ به فأمسكته ، وضربه محمد بن مَسْلَمَةَ حتى قتله .

مقتل ياسر أخى مرحب

قال ابن إسحاق : ثم خرج بعد مَرَّحِب أخوه ياسر ، وهو يقول : مَنْ

يبارز؟ فزعم هشام بن عروة أن الزبير بن العوام خرج إلى يأسر، فقالت أمه صفينة بنت عبد المطلب: يقتل ابني يارسول الله! قال: بل ابنتك يقتله إن شاء الله. فخرج الزبير فالتقى، فقتله الزبير.

قال ابن إسحاق: لخدثني هشام بن عروة: أن الزبير كان إذا قيل له: والله إن كان سيفك يومئذ لصارماً عَضْباً، قال: والله ما كان صارماً، ولكني أكرهته.

شأن عليٍّ يوم خيبر

قال ابن إسحاق: وحدثني بُريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي، عن أبيه سفيان، عن سلمة بن عمرو بن الأكوع، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه برابته، وكانت بيضاء، فيما قال ابن هشام، إلى بعض حصون خيبر، فقاتل، فرجع ولم يك فتح، وقد جهد؛ ثم بعث خالد بن الوليد، فقاتل، ثم رجع ولم يك فتح، وقد جهد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه، ليس بفرار. قال: يقول سلمة: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضوان الله عليه، وهو أرمد، فقتل في عينه، ثم قال: خذ هذه الراية، فامض بها حتى يفتح الله عليك.

قال: يقول سلمة: فخرج والله بها يأنح، يهزول هزولة، وإنا نلحفه ننبع أثره، حتى ركز رابته في رضم من حجارة تحت الحصن، فاطلع إليه

يهودى من رأس الحصن ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا على بن أبى طالب . قال
يقول اليهودى : علّوتم ، وما أنزل على موسى ، أو كما قال . قال : فأرجع حتى فتوح
الله على يديه .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن الحسن ، عن بعض أهله ، عن
أبى رافع ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : خرجنا مع على بن
أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم برايته ؛
فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم ، فصر به رجل من يهود ، فطاح رأسه
من يده ، فتناول على عليه السلام باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه ،
فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده حين فرغ ،
فلمقد رأيتنى فى نفر سبعة معى ، أنا ثامنهم ، نجهد على أن نقرب ذلك الباب ،
فما نلقاه .

أمر أبى اليسر

قال ابن إسحاق : وحدثنى بريدة بن سفيان الأسلمى ، عن بعض رجال
بنى سامة عن أبى اليسر كعب بن عمرو ، قال : والله إننا لمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بخير ذات عشيّة ، إذ أقبلت غنم لرجل من يهود تريد
حصنهم ، ونحن محاصروهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رجل
يطلع منا من هذه الغنم ؟ قال أبو اليسر : فقلت : أنا يا رسول الله ؛ قال : فافعل ،
قال : فخرجت أشدّ مثل الظلّيم ، فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

موليًّا قال : اللهم أمتعنا به ؛ قال : فأدركتُ الغمَّ وقد دخلتُ أولاهما الحصنَ ، فأخذتُ شاتين من أخراهما ، فاحتضنتهما تحت يديَّ ، ثم أقبلتُ بهما أشتدَّ ، كأنه ليس معي شيء ، حتى ألقيتُهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذبحوهما فأكلوهما ، فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هلاكًا ، فكان إذا حدث هذا الحديث بكى ، ثم قال : أمتعوا بي ، لعمرى ، حتى كنت من آخرهم هلاكًا .

صفية أم المؤمنين

قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم القموصَ ، حصنَ بني أبي الحقيق ، أني رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية بنت حيٍّ ابن أخطب ، وبأخرى معها ، فمرَّ بهما بلال ، وهو الذي جاء بهما على قتلى من قتلى يهود ، فلما رأتهم التي مع صفية صاحت ، وصكَّت وجهها وحثَّت الترابَ على رأسها ؛ فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أعزِّبوا عني هذه الشيطانةَ ، وأمر بصفية فخيرت خلفه ، وألقى عليها رداءه ، فمرف المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال ، فيما بلغني ، حين رأى بتلك اليهودية ما رأى : أنزعت منك الرحمة يا بلال ، حين تمرَّ بامرأتين على قتلى رجالهما ؟ وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكثانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، أن قرأ وقع في حجرها ، فعرضت رؤياها على زوجها ، فقال : ما هذا إلا أنك

تَمَنَيْنَ مَلِكَ الْحِجَازِ مُحَمَّدًا ، فَلَطَمَ وَجْهَهَا لَطْمَةً خَضِرَ عَيْنُهَا مِنْهَا . فَأَتَى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِهَا أَثَرُ مِنْهُ ، فَسَأَلَهَا مَا هُوَ ؟ فَأَخْبَرَتْهُ هَذَا الْخَبْرَ .

بقية أمر خيبر

وَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِئَانَةِ بْنِ الرَّبِيعِ ، وَكَانَ عَنْدهُ كَنْزُ بَنِي النَّضِيرِ ، فَسَأَلَهُ عَنْهُ ، فَجَعَلَ أَنْ يَكُونَ يَعْرِفُ مَكَانَهُ ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنِّي رَأَيْتُ كِئَانَةَ بَطَايِفِ هَذِهِ الْخَرْبَةِ كُلِّ غَدَاةٍ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِكِئَانَةَ : أَرَأَيْتَ إِنْ وَجَدْنَاهُ عِنْدَكَ ، أَتَقْتُلُكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْخَرْبَةِ فَخَفِرَتْ ، فَأَخْرَجَ مِنْهَا بَعْضَ كَنْزِهِمْ ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَمَّا بَقِيَ ، فَأَبَى أَنْ يُؤَدِّيه ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزَّيْبِرَ بْنَ الْعَوَّامِ ، فَقَالَ : عَذِّبْهُ حَتَّى تَسْتَأْصِلَ مَا عَنْدهُ ، فَكَانَ الزَّيْبِرُ يَقْدَحُ بِرَنْدٍ فِي صَدْرِهِ ، حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى نَفْسِهِ ، ثُمَّ دَفَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ ، فَضْرَبَ عَنْقَهُ بِأَخِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ .

صلح خيبر

وَحَاصِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَهْلَ خَيْبَرَ فِي حِصْنَتِهِمُ الْوَطِيحِ وَالسَّلَامِ ، حَتَّى إِذَا أَيقَنُوا بِالْهَلَاكَةِ ، سَأَلُوهُ أَنْ يُسَيِّرَهُمْ وَأَنْ يَحْمِقَ لَهُمْ دِمَاءَهُمْ ، فَفَعَلَ . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ حَازَ الْأَمْوَالَ كُلَّهَا : الشَّقَقُ .

وَنَظَاةَ الْكِتَابَةِ وَجَمِيعَ حَصُونِهِمْ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ ذَيْبِكَ الْحِصْنَيْنِ . فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ أَهْلُ فَدَكٍ قَدْ صَنَعُوا مَا صَنَعُوا ، بَعَثُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَهُ أَنْ يُسَيِّرَهُمْ ، وَأَنْ يَحْقِنَ دِمَاءَهُمْ ، وَيَخْلُوا لَهُ الْأَمْوَالُ ، فَفَعَلَ . وَكَانَ فِيهِمْ مَشَى بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ مُحْيِيصَةٌ ابْنُ مَسْعُودٍ أَخُو بَنِي حَارِثَةَ ، فَلَمَّا نَزَلَ أَهْلُ خَيْبَرَ عَلَى ذَلِكَ ، سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُعَامِلَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ عَلَى النِّصْفِ ، وَقَالُوا : نَحْنُ أَعْلَمُ بِهَا مِنْكُمْ ، وَأَعَزُّ لَهَا ؛ فَصَالَحَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى النِّصْفِ ، عَلَى أَنَا إِذَا شِئْنَا أَنْ نَخْرِجَكُمْ أَخْرَجْنَاكُمْ ؛ فَصَالَحَهُ أَهْلُ فَدَكٍ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ ، فَكَانَتْ خَيْبَرَ قَيْتًا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَتْ فَدَكٌ خَالِصَةً لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَجْلِبُوا عَلَيْهَا بِخَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ .

الشاة المسمومة

فَلَمَّا اطْمَأَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْدَتْ لَهُ زَيْنَبُ بِنْتُ الْحَارِثِ ، امْرَأَةُ سَلَامٍ بْنِ مِشْكَمٍ ، شَاةً مَصْلِيَّةً ، ، وَقَدْ سَأَلَتْ أَىْ عُضْوٍ مِنَ الشَاةِ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقِيلَ لَهَا : الذَّرَاعُ ، فَأَكْثَرَتْ فِيهَا مِنَ السَّمِّ ، ثُمَّ سَمَتْ سَائِرَ الشَاةِ ، ثُمَّ جَاءَتْ بِهَا ؛ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تَنَاوَلَ الذَّرَاعَ ، فَلَاكَ مِنْهَا مُضْمَةٌ ، فَلَمْ يُسِفْهَا ، وَمَعَهُ بَشَرٌ مِنَ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا كَمَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَأَمَّا بَشَرٌ فَأَسَاغَهَا ؛ وَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَقَطَهَا ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ هَذَا الْعَظْمَ يُخْبِرُنِي أَنَّهُ مَسْمُومٌ ، ثُمَّ دَعَا بِهَا ، فَاعْتَرَفَتْ ، فَقَالَ : مَا حَالَكَ عَلَى

ذلك ؟ قالت : بلغت من قُوِي ما لم يخف عليك ، فقلت : إن كان مَلِكًا
استرحتُ منه ، وإن كان نبيًّا فسيُخَبَّرُ ، قال : فتجاوزَ عنها رسولُ الله
صلى الله عليه وسلم ؛ وماتَ بِشَرٍّ من أَكَلَتِهِ التي أَكَلَ .

قال ابن إسحاق : وحدثني مروان بن عثمان بن أبي سميد بن المُعلَى ، قال :
كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد قال في مرضه الذي توفي فيه ، ودخلت
أُمُّ بَشْر بنت البراء بن معرور تموده : يا أُمَّ بَشْر ، إن هذا الْأَوَّانَ وجدتُ
فيه انقطاعَ أبهرى من الأَكَلَةِ التي أَكَلَت مع أخيك بِخَيْرٍ . قال : فإن كان
المسلمونَ يُبرِّونَ أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ماتَ شهيداً ، مع ما أكرمه
اللهُ به من النبوة .

رجوع الرسول إلى المدينة

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من خيبر
انصرف إلى وادي القُرى ، فحاصرَ أهلَه ليالي ، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة .

مقتل غلام للرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : فحدثني ثور بن زيد ، عن سالم ، مولى عبد الله بن مُطِيع ،
عن أبي هريرة ، قال : فلما انصرفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
خيبر إلى وادي القُرى نزلنا بها أصيلاً مع مَغربِ الشمس ، ومع رسول الله
صلى الله عليه وسلم غلام له أهداه له رِفَاعَةُ بن زيد الجُذَامِيُّ ، ثم الضَّيِّقِيُّ .

قال ابن هشام : جذام ، أخو ظم .

قال : فوالله إنه ليضع رَحْلَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه سَهْمٌ
غَرَبٌ فأصابه فقتله ، فقلنا : هنيئًا له الجنة ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه
وسلم : كلا ، والذي نفس محمد بيده ، إنَّ شملته الآن لتحترق عليه في النار ،
كان غَلَّها من فِءِ المسلمين يوم خيبر . قال : فسمها رجل من أصحاب
رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاه فقال : يا رسول الله ، أصبتُ شِرَاكَينِ
لِنَعْلَيْنِ لِي ، قال : فقال : يُقَدَّرُ لَكَ مثلهما من النار .

أمر ابن مغفل والجرب

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ، عن عبد الله بن مُغْفَلِ الْمُرَزِيِّ ،
قال : أصبتُ من فِءِ خَيبَرِ جِرَابٍ شَحْمٌ ، فاحتملته على عاتقي إلى رَحْلِي
وأصحابي . قال : فلقيني صاحبُ المغامم الذي جُمِلَ عليها ، فأخذ بناحيته
وقال : هَلُمَّ هذا نفسه بين المسلمين ، قال : قلت : لا والله لا أعطيكه ، قال :
لجعل يجابذني الجرب . قال : فرأنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصنع
ذلك . قال : فتمسَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا ، ثم قال لصاحب
المغامم : لا أبا لك ، خلَّ بينه وبينه . قال : فأرسله ، فانطلقتُ به إلى رَحْلِي
وأصحابي ، فأكلناه .

أبو أيوب يحرس الرسول صلى الله عليه وسلم

ليلة بنائه بصفية

قال ابن إسحاق : لما أغرس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بصفية ،
بختير أو ببعض الطريق ، وكانت التي بختلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ومسّطها وأصلحت من أمرها أمّ سليم بنت ملحان ، أمّ أنس بن مالك . فبات
بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في قبة له ، وبات أبو أيوب خالد بن زيد ،
أخو بني النَجَّار متوشّحاً سيفه ، يحرس رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ويُطيف
بالقبة ، حتى أصبح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى مكانه قال :
مالك يا أبا أيوب ؟ قال : يا رسول الله ، خفت عليك من هذه المرأة ، وكانت
امراً قد قتلت أباهاً وزوجها وقومها ، وكانت حديثاً عهد بكفر ، نخفها
عليك . فزعموا أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : اللهم احفظ
أبا أيوب كما بات يحفظني .

بلال يغلبه النوم وهو يرقب الفجر

قال ابن إسحاق : وحدثني الزُّهري ، عن سعيد بن المسيّب ، قال :
لما انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ، فكان ببعض الطريق ،
قال من آخر الليل : مَنْ رجل يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام ؟ قال بلال : أنا
يا رسول الله أحفظه عليك . فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ونزل الناس
فناموا ، وقام بلال يصلي ، فصلى ما شاء الله عز وجل أن يصلي . ثم استند إلى

بعيره، واستقبل الفجرَ يرمقه ، فغلبته عينه ، فنام ، فلم يوقظهم إلا مسُ الشمس ،
 وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أول أصحابه هب ، فقال : ماذا صنعت .
 بنا يا بلال ؟ قال : يا رسول الله ، أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك ، قال : صدقت .
 ثم اقتاد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعيره غير كثير ، ثم أناخ فتوضأ ،
 وتوضأ الناس ، ثم أمر بلالا فأقام الصلاة ، فصلى رسولُ الله صلى الله عليه
 وسلم بالناس ، فلما سلم أقبل على الناس فقال : « إذا تسيتم الصلاة فصلوها ،
 إذا ذكرتموها » ، فإن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ .

شعر ابن لقيم في فتح خيبر

قال ابن إسحاق : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى ، قد أعطى
 ابن لقيم العبسى ، حين افتتح خيبر ، ما بها من دجاجة أو داجن ، وكان فتح
 خيبر في صفر ، فقال ابن لقيم العبسى في خيبر :

رُمِيتْ نَطَاطُةٌ مِنَ الرَّسُولِ بِفَيْلَقٍ	شهباء ذاتِ مناكبٍ وفقارٍ
واستيقنت بالذلِّ لما شُيِّعَتْ	ورجال أسلمَ وسطها وغفار
صَبَحَتْ بَنِي عَمْرِو بْنِ زُرْعَةَ غُدُوَّةَ	والشَّقِّ أَظْلَمَ أَهْلُهُ بَنَاهُ
جَرَتْ بِأَبْطَحِهَا الذُّبُولُ فَلَمْ تَدْعَ	إِلَّا الدَّجَاجَ تَصِيحُ فِي الْأَمْحَارِ
وَلِكُلِّ حِصْنٍ شَاغِلٍ مِنْ خَيْلِهِمْ	مِنْ عَبْدٍ أَشْهَلَ أَوْ بَنَى الدَّجَارَ
وَمُهاجِرِينَ قَدْ أَعْلَهُوا سِمَاهُمْ	فَوْقَ التَّغَاثُرِ لَمْ يَنْوُوا لِفِرَارِ
وَأَقْدَ عَالِمَتْ لَيْثَانِ مُحَمَّدٍ	وَلَيْثُونِ بِهَا إِلَى أَضْفَارِ

فَرَّتْ يَهُودُ يَوْمَ ذَلِكَ فِي الْوَعْيِ تَحْتَ الْعَجَاجِ غَمَامٍ الْأَبْصَارِ
قال ابن هشام : فَرَّتْ : كَشَفَتْ ، كَمَا تُفَرِّ الدَّابَّةُ بِالْكَشْفِ عَنْ أَسْنَانِهَا ،
يريد كَشَفَتْ عَنْ جُفُونِ الْمُؤْمِنِينَ غَمَامَ الْأَبْصَارِ ، يريد الْأَنْصَارَ .

حديث المرأة الغفارية

قال ابن إسحاق : وشهد خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء
من نساء المسلمين ، فَرَضَخَ لهنَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من النَّيِّ ،
ولم يضرب لهنَّ بسهم .

قال ابن إسحاق : حدثني سليمان بن سُحَيْمٍ ، عن أُمَيَّةَ بن أبي الصلت ،
عن امرأة من بنى غِفَارٍ ، قَدَسَمَّاها لى ، قالت : أَتَيْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم
فِي نِشْوَةٍ مِنْ بَنِي غِفَارٍ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ مَعَكَ إِلَى
وَجْهِكَ هَذَا ، وَهُوَ يَسِيرُ إِلَى خَيْبَرَ ، فَنُفْدَاوِي الْجَرْحَى ، وَنُعِينِ الْمُسْلِمِينَ
بِمَا اسْتَطَعْنَا ، فَقَالَ : عَلَى بَرَكَاتِهِ اللَّهُ : قَالَتْ : نَخْرُجُ مَعَهُ ، وَكُنْتُ جَارِيَةً
حَدَّثَةً ، فَأَرَادَ فَنِي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَلَى حَقِيبَةٍ رَحْلِهِ . قَالَتْ :
فَوَاللَّهِ لَنَزَلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إِلَى الصُّبْحِ وَأَنَا خ ، وَنَزَلَتْ عَنْ حَقِيبَةٍ
رَحْلِهِ ، وَإِذَا بِهَا دَمٌ مِنِّي ، وَكَانَتْ أَوَّلَ حَيْضَةٍ حِضَّتُهَا ، قَالَتْ : فَتَقَبَّضْتُ
إِلَى الثَّاقَةِ وَاسْتَحْيَيْتُ ، فَلَمَّا رَأَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مَا بِي وَرَأَى
الدَّمَ ، قَالَ : مَا لَكَ ؟ لِمَ لَكَ نَفْسَتِ ، قَالَتْ : قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فَأَصْلَحِي مِنْ
نَفْسِكَ ، ثُمَّ خُذِي إِنْاءَ مِنْ مَاءٍ ، فَاطْرَحِي فِيهِ مِلْحًا ، ثُمَّ اغْسِلِي بِهِ مَا أَصَابَ
الْحَقِيبَةَ مِنَ الدَّمِ ، ثُمَّ هُوَ دِي لَمَرٍّ كَبِكَ .

قالت : فلما فتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خيبر ، رَضَخَ لنا من الفِءِ ، وأخذ هذه القِلادة التي تَرَيْنِ في عنقي فأعطانيها ، وعلَّقها بيده في عنقي ، فوالله لا تُفارقني أبداً .

قالت : فكانت في عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تُدفن معها . قالت : وكانت لا تَطْهَرُ من حيضة إلا جمعت في طَمْوَرها مِلْحاً ، وأوصت به أن يجعل في غُسلها حين ماتت .

شهداء خيبر

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد بخيبر من المسلمين ، من قُرَيْشٍ ثم من بني أمية بن عبد شمس ، ثم من حلفائهم : ربيعة بن أكرم بن سَخْبَرَةَ بن عمرو بن لُكَيْز بن عامر بن غَمَم بن دُودان بن أسد ، وَثَقِيف بن عمرو ، وَرِأَعة بن مَسْرُوح .

ومن بني أسد بن عبد العزى : عبد الله بن الهُبَيْب ، ويقال : ابن الهَيْب ، فيما قال ابن هشام ، ابن أَهْيَب بن سُحَيْم بن غَيْرَةَ ، من بني سعد بن ليث ، حليف لبني أسد ، وابن أختهم .

ومن الأنصار ثم من بني سلمة : بِشْر بن الْهَرَاء بن مَعْرُور ، مات من الشاة التي مِمَّ فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وَفَضِيل بن الصَّعْمان . رجلان .

ومن بني زُرَيْق : مسعود بن سَعْد بن قيس بن خَلْدَةَ بن عامر ابن زُرَيْق .

ومن الأوس ثم من بني عبد الأشهل : محمود بن مسلمة بن خالد بن عديّ
ابن مجذعة بن حارثة بن الحارث ، حليف لهم من بني حارثة .

ومن بني عمرو بن عوف : أبو ضيَّاح بن ثابت بن النعمان بن أمية بن
نمير القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف ، والحارث بن حاطب ؛ وعروة
ابن مرة بن سُرّاقة ، وأوس بن القائد ، وأنيف بن حبيب ، وثابت بن
أثالة ، وطلحة .

ومن بني غفار : عمار بن عتبة ، رمى بسهم .

ومن أسلم : عامر بن الأكوع ، والأسود الراعي ، وكان اسمه أسلم .

قال ابن هشام : الأسود الراعي من أهل خيبر .

ومن استشهد بخيبر فيما ذكر ابن شهاب الزهري ، من بني زهرة :
مسمود بن ربيعة ، حليف لهم من القارة .

ومن الأنصار بني عمرو بن عوف : أوس بن قتادة .

أمر الأسود الراعي في حديث خيبر

قال ابن إسحاق : وكان من حديث الأسود الراعي ، فيما بلغني : أنه أتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر لبعض حصون خيبر ، ومعه غنم له ،
كان فيها أجيراً لرجل من يهود ، فقال : يا رسول الله ، اعرض عليّ الإسلام ،
فأعرضه عليه ، فأسلم - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يَحْقِرُ أحداً أن

يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَام ، وَيَعْرِضُهُ عَلَيْهِ - فَلَمَّا أَسْلَمَ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي كُنْتُ أَجِيرًا لِصَاحِبِ هَذِهِ الْغَنَمِ ، وَهِيَ أَمَانَةٌ عِنْدِي ، فَكَيْفَ أَصْنَعُ بِهَا ؟ قَالَ : اضْرِبْ فِي وُجُوهِهَا فَإِنَّهَا سَتَرْجِعُ إِلَى رَبِّهَا - أَوْ كَمَا قَالَ - فَقَالَ الْأَسْوَدُ : فَأَخَذَ حَفْنَةً مِنَ الْحَصَى فَرَمَى بِهَا فِي وُجُوهِهَا ، وَقَالَ : ارْجِعِي إِلَى صَاحِبِكِ ، فَوَاللَّهِ لَا أَصْحَبُكَ أَبَدًا ، فَخَرَجَتْ مَجْتَمِعَةً كَأَنَّ سَائِقًا يَسُوقُهَا ، حَتَّى دَخَلَتْ الْحِصْنَ ، ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى ذَلِكَ الْحِصْنِ لِيُقَاتِلَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَصَابَهُ حَجَرٌ فَقَتَلَهُ ، وَمَا صَلَّى اللَّهُ صَلَاةً قَطٍّ ، فَأَتَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوُضِعَ خَلْفُهُ ، وَسُجِّيَ بِشِمْلَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهُ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لِمَ أَعْرَضْتَ عَنْهُ ؟ قَالَ : إِنْ مَعَهُ الْآنَ زَوْجَتِي مِنَ الْحُورِ الْعِينِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ أَنَّهُ ذَكَرَ لَهُ : أَنَّ الشَّهِيدَ إِذَا مَا أُصِيبَ تَدَلَّتْ (لَهُ) زَوْجَتَاهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، عَلَيْهِ تَنْفُضَانِ التُّرَابِ عَنْ وَجْهِهِ ، وَتَقُولَانِ : تَرَبَّ اللَّهُ وَجْهَ مَنْ تَرَبَّكَ ، وَقَتْلَ مَنْ قَتَلَكَ .

أَمْرُ الْحِجَّاجِ بْنِ عَلَاطِ السَّلْمِيِّ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَلَمَّا فَتَحَتْ خَيْبَرَ ، كَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الْحِجَّاجُ بْنُ عَلَاطِ السَّلْمِيِّ ثُمَّ الْبَهْزِيُّ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ لِي بِمَكَّةَ مَالًا عِنْدَ صَاحِبَتِي أُمِّ شَيْبَةَ بِنْتِ أَبِي طَلْحَةَ - وَكَانَتْ عِنْدَهُ ، لَهُ مِنْهَا مُعْرَضٌ بِنِ الْحِجَّاجِ وَمَالٌ مُتَفَرِّقٌ فِي تِجَارِ أَهْلِ مَكَّةَ ، فَأُذِنَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ،

فأذن له ، قال : إنه لابد لي يا رسول الله من أن أقول ، قال : قل . قال الحجاج :
فخرجتُ حتى إذا قدمت مكة وجدت بَنِيَّةَ البيضاء رجالا من قريش ينسمعون
الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغهم أنه
قد سار إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قَرْبَةُ الحجاز ، ريفاً وَمَنَعَةً ورجالا ، فهم
يتحسسون الأخبار ، ويسألون الركبان ، فلما رأوني قالوا : الحجاج بن علاط -
قال : ولم يكونوا علموا بإسلامي ، عنده والله الخبر - أخبرنا يا أبا محمد ، فإنه
قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر ، وهي بلد يهود وريف الحجاز ، قال :
قلت : قد بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسركم ، قال : فالتبطوا بجندي
ناقض يقولون : إليه يا حجاج ، قال : قلت : هُزِمَ هزيمة لم يسموا بمثلها قط ،
وقُتِل أصحابه قتلا لم تسموا بمثله قط ، وأسر محمد أسراً ، وقالوا : لا نقله حتى
تبعث به إلى أهل مكة ، فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم .
قال : فقاموا وصاحوا بمكة ، وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد إنما تنتظرون
أن يُقدم به عليكم ، فيقتل بين أظهركم . قال : قلت : أعيوني على جمع مالي
بمكة وعلى غرماي ، فإني أريد أن أقدم خيبر ، فأصيب من قتل محمد وأصحابه
قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك .

قال ابن هشام : ويقال : من فيء محمد .

قال ابن إسحاق : قال : فقاموا فجمعوا إلى مالي كَأَحْثُ جَمْعٍ سمعت به .
قال : وجئت صاحبتى فقلت ، مالي ، وقد كان لي عندها مال موضوع ،
لعلني ألحق بخيبر ، فأصيب من فُرص البيع قبل أن يسبقني التجار ، قال :
فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر ، وجاءه عني ، أقبل حتى وقف إلى

جَنَّبِي وَأَنَا فِي خِيَمَةٍ مِنْ خِيَامِ التَّجَارِ ، فَقَالَ : يَا حَجَّاجَ ، مَا هَذَا الْخَبْرُ الَّذِي
جَنَّبَتْ بِهِ ؟ قَالَ : فَقُلْتُ : وَهَلْ عِنْدَكَ حِفْظُ مَا وَضَعْتُ عِنْدَكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ :
قُلْتُ : فَاسْتَأْخِرْ عَنِّي حَتَّى أَلْقَاكَ عَلَى خِلَاءٍ ، فَإِنِّي فِي بَيْتِ مَالِي كَمَا تَرَى ، فَأَنْصَرِفُ
عَنِّي حَتَّى أَفْرُغَ . قَالَ : حَتَّى إِذَا فَرَغْتُ مِنْ جَمْعِ كُلِّ شَيْءٍ كَانَ لِي بِمَكَّةَ ، وَأُجْمَعُ
الْخُرُوجَ ، أَتَيْتُ الْعَبَّاسَ ، فَقُلْتُ : احْفَظْ عَلَيَّ حَدِيثِي . يَا أَبَا الْفَضْلِ ، فَإِنِّي أَخْشَى
الطَّلَبَ ثَلَاثًا ، ثُمَّ قُلْ مَا شِئْتُ ، قَالَ : أَفْعَلْ . قُلْتُ : فَإِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ تَرَكْتُ ابْنَ
أَخِيكَ عُرُوسًا عَلَى بِنْتِ مَلِكِهِمْ يَعْنِي صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيٍّ ، وَلَقَدْ افْتَتَحَ خَيْبِرَ
وَانْتَهَلَ مَا فِيهَا ، وَصَارَتْ لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : مَا تَقُولُ يَا حَجَّاجَ ؟ قَالَ : قُلْتُ :
إِنِّي وَاللَّهِ فَإِذَا كُنْتُمْ عَنِّي ، وَلَقَدْ أَسْلَمْتُ وَمَا جِئْتُ إِلَّا لِأَخْذِ مَالِي ، قَرَأًا مِنْ أَنْ
أُغْلِبَ عَلَيْهِ ، فَإِذَا مَضَتْ ثَلَاثٌ فَأُظْهِرُ أَمْرَكَ ، فَهُوَ وَاللَّهِ عَلَى مَا نَحِبُّ ، قَالَ :
حَتَّى إِذَا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثَ لَبَسَ الْعَبَّاسُ حِلَّةَ لَهُ ، وَتَحَلَّقَ ، وَأَخَذَ عَصَاهُ ، ثُمَّ
خَرَجَ حَتَّى أَتَى لِلْمَكْمَةِ ، فَطَافَ بِهَا ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا : يَا أَبَا الْفَضْلِ ، هَذَا وَاللَّهِ
التَّجَلُّدُ لِحَرِّ الْمَصِيبَةِ ، قَالَ : كَلَّا ، وَاللَّهِ الَّذِي حَقَّقْتُ بِهِ ، لَقَدْ افْتَتَحَ مُحَمَّدُ خَيْبَرَ
وَتَرَكْتُ عُرُوسًا عَلَى بِنْتِ مَلِكِهِمْ ، وَأَحْرَزْتُ أَمْوَالَهُمْ وَمَا فِيهَا فَأَصْبَحْتُ لَهُ
وَلِأَصْحَابِهِ ، قَالُوا : مَنْ جَاءَكَ بِهَذَا الْخَبْرِ ؟ قَالَ : الَّذِي جَاءَكُمْ بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ ،
وَأَمَّا دَخَلَ عَلَيْكُمْ مُسْلِمًا ، فَأَخَذَ مَالَهُ ، فَانْطَلَقَ لِيَأْتِيَ بِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ،
فَيَكُونُ مَعَهُ . قَالُوا : يَا لِعِبَادِ اللَّهِ ! انْفَلَتْ عِدْوَةُ اللَّهِ ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ عَلِمْنَا لَكَ أَنْ
لَنَا وَلَهُ شَأْنٌ ، قَالَ : وَلَمْ يَنْشَبُوا أَنْ جَاءَهُمُ الْخَبْرُ بِذَلِكَ .

شعر حسان عن خيبر

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر في يوم خيبر قول حسان
ابن ثابت :

بِئْسَمَا قَاتَلْتَ خَيْابَرِ عَمَّا جَمَعُوا مِنْ مَزَارِعٍ وَنَخِيلٍ
كَرِهُوا الْمَوْتَ فَاسْتَبِيحَ حِائِمُ وَأَقْرُوا فَلَ الْإِثْمِ الذَّلِيلِ
أَمِنَ الْمَوْتَ يَهْرَبُونَ فَإِنَّ السَّمَوْتَ مَوْتَ الْهَزَالِ غَيْرُ جَمِيلِ

حسان يعتذر عن أيمن

وقال حسان بن ثابت أيضاً ، وهو يعتذر أيمن بن أم أيمن بن عُبَيْد ،
وكان قد تخلف عن خيبر ، وهو من بني عوف بن الخزرج ، وكانت أمه أم
أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي أم أسامة بن زيد ، فكان
أخا أسامة لأمه :

عَلَى حِينٍ أَنْ قَالَتْ لِأَيْمَنَ أُمُّهُ جَبُنْتَ وَلَمْ تَشْهَدْ فَوَارِسَ خَيْبِرِ
وَأَيْمَنُ لَمْ يَجِبْ وَلَكِنْ مُهْرَهُ أَضَرَّ بِهِ شُرْبُ الْعَدِيدِ الْحُمْرِ
وَلَوْلَا الَّذِي قَدْ كَانَ مِنْ شَأْنِ مُهْرِهِ لَقَاتَلَ فِيهِمْ فَارِسًا غَيْرَ أَعْمَرَ
وَلَكِنَّهُ قَدْ صَدَّ فَعَلَ مُهْرَهُ وَمَا كَانَ مِنْهُ عِنْدَهُ غَيْرَ أُبْسَرِ

قال ابن هشام : أنشدني أبو زيد هذه الأبيات لسكعب بن مالك ،
وأنشدني :

ولكنه قد صدّه شأنُ مُهرِه وما كانَ لولا ذاكُم بمُقصرِ

شعر ناجية في يوم خير

قال ابن إسحاق: وقال ناجية بن جندب الأسلي:

يا لِعِبَادِ اللَّهِ فِيهِمْ يُرْغَبُ مَا هُوَ إِلَّا مَأْكَلٌ وَمَشْرَبٌ
وَجَنَّةٌ فِيهَا نَعِيمٌ مُعْجِبٌ

وقال ناجية بن جندب الأسلي أيضاً:

أَنَا لِمَنْ أَنْكَرَنِي ابْنُ جُنْدَبٍ يَارُبَّ قَرْنٍ فِي مَكْرَمِي أَنْكَبِ
طاحَ بِمَعْدِي أَنْسُرٌ وَتَغْلِبُ

قال ابن هشام: وأنشدني بعض الرواة للشعر قوله: « في مَكْرَمِي » ،
و« طاحَ بِمَعْدِي » .

شعر كعب في يوم خير

وقال كعب بن مالك في يوم خير ، فيما ذكر ابن هشام ، عن أبي زيد
الأنصاري :

وَنَحْنُ وَرَدْنَا خَيْرًا وَفُرُوضَهُ بِكُلِّ فِتْيَ عَارِي الْأَشَاجِعِ مَذُودِ
جَوَادٍ لَدَى الْمَآيَاتِ لَا وَاهِنِ الْهُوَى جَرَى عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ
عَظِيمِ رَمَادِ الْقِدْرِ فِي كُلِّ شَعْوَةٍ ضَرُوبٍ بِفَنَصْلِ الْمَشْرِفِ فِي الْمَهْدِ

يَرَى الْقَتْلَ مَذْحًا إِنْ أَصَابَ شَهَادَةً مِنْ اللَّهِ يَرْجُوهَا وَفَوْزًا بِأَحَدٍ
يَذُودُ وَيُخَمِّي عَنْ ذِمَارِ مُحَمَّدٍ وَيُدْفَعُ عَنْهُ بِاللِّسَانِ وَالْبَيْدِ
وَيَنْصُرُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ يَرِيهِ يَجُودُ بِنَفْسٍ دُونَ نَفْسِ مُحَمَّدٍ
يَصْدُقُ بِالْأَنْبَاءِ بِالْغَيْبِ مُخْلِصًا يَرِيدُ بِذَلِكَ الْفَوْزَ وَالْعِزَّ فِي غَدٍ

ذكر مقاسم خيبر وأموالها

قال ابن إسحاق : وكانت المقاسم على أموال خيبر ، على الشَّقِّ ونِطَاطِ
والكَتِيبَةِ، فكانت الشَّقُّ ونِطَاطُ في سُهْمَانِ الْمُسْلِمِينَ ، وكانت الْكَتِيبَةُ خُمْسَ
الله ، وسهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وسهم ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ،
وَطُعْمَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، وَطُعْمَ رِجَالٍ مَشَاوَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ
صلى الله عليه وسلم وبين أهل فَدَكٍ بِالصَّلَحِ ؛ مِنْهُمْ مُحَيِّصَةُ بْنُ مَسْعُودٍ ، أَعْطَاهُ
رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثَلَاثِينَ وَسَقًا مِنْ شَعِيرٍ ، وَثَلَاثِينَ وَسَقًا مِنْ تَمْرٍ ،
وَقُسِمَتْ خَيْبَرُ عَلَى أَهْلِ الْحُدَيْبِيَّةِ ، مَنْ شَهِدَ خَيْبَرَ ، وَمَنْ غَابَ عَنْهَا ، وَلَمْ يَغِبْ
عَنْهَا إِلَّا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَرَامٍ ، فَقَسَمَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله
عليه وسلم كَسَمَهُمْ مَنْ حَضَرَهَا ، وَكَانَ وَادِيَاها ، وَادِي الشَّرِيرَةِ ، وَوَادِي
خَاصٍ ، وَهَما اللَّذَانِ قُسِمَتَا عَلَيْهِمَا خَيْبَرُ ، وَكَانَتْ نِطَاطُ وَالشَّقُّ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ
سَهْمًا ، نِطَاطُ مِنْ ذَلِكَ خَمْسَةُ أَسْهُمٍ ، وَالشَّقُّ ثَلَاثَةَ عَشَرَ سَهْمًا ، وَقُسِمَتِ الشَّقُّ
وَنِطَاطُ عَلَى أَلْفِ سَهْمٍ ، وَثَمَانِيَةِ سَهْمٍ .

من قسمت عليهم خير

وكانت عِدَّةُ الذين قُسمت عليهم خير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف سهم وثمانمائة سهم ، برجالهم وخيلهم ، الرجال أربع عشرة مائة والخيل مائتا فارس ، فكان لكل فارس سهمان ، وفارسه سهم ، وكان لكل رجل سهم ؛ فكان لكل سهم رأسٌ جمع إليه مائة رجل ، فكانت ثمانية عشر سهماً بجمع .

قال ابن هشام : وفي يوم خير عَرَّبَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العربي من الخيل ، وهَجَّنَ المَجِين .

قال ابن إسحاق : فكان علي بن أبي طالب رأساً ، والزبير بن العوام ، وطائفة بن عبيد الله ومُحَمَّد بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعاصم بن عدي ، أخو بني العجلان ، وأُسَيْدُ بن حُضَيْر ، وسهم الحارث بن الخزرج ، وسهم ناعم ، وسهم بني بياضة ، وسهم بني عُبَيْد ، وسهم بني حرام من بني سلمة وعُبَيْد السَّهَام .

قال ابن هشام : وإنما قيل له عُبَيْد السَّهَام لما اشترى من السَّهَام يوم خير ، وهو عُبَيْدُ بن أَوْس ، أحدُ بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو ابن مالك بن الأوس .

قال ابن إسحاق : وسهم ساعدة ، وسهم غنار وأسلم ، وسهم النجار وسهم حارثة ، وسهم أَوْس . فكان أول سهم خرج من خير بنطاة سهم الزبير

ابن العوام ، وهو الخوُوع وتابعه الشَّرِيز ، ثم كان الثاني سهم بِيَاضَة ، ثم كان الثالث سهم أُسَيْد ، ثم كان الرابع سهم بنى الحارث بن الخزرج ، ثم كان الخامس سهم ناعم لبني عوف بن الخزرج ومُزَيْنَة ومُثْرَكَهُمْ ، وفيه قُتِلَ محمود بن مَسْلَمَة ، فهذه نَظَاة .

ثم هبطوا إلى الشَّقِّ ، فكان أول سهم خرج منه سهم عاصم بن عَدِي ، أخى بنى العَجْلَان ، ومعه كان سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم سهم عبد الرحمن بن عوف ، ثم سهم ساعدة ، ثم سهم النجَّار ، ثم سهم هَلِيَّ بن أبي طالب رضوان الله عليه ، ثم سهم طَلْحَة بن عُبَيْد الله ، ثم سهم غِفَار وأُسْلَم ، ثم سهم عمر بن الخطَّاب ، ثم سهم سَلَمَة بن عُبَيْد وبني حَرَام ، ثم سهم حارثة ، ثم سهم عُبَيْد السَّهَام ، ثم سهم أَوْس ، وهو سهم اللَفِيف ، جمعت إليه جُهَيْنَة ومن حضر خيبر من سائر العرب ، وكان حَذْوَهُ سَهْمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي كان أصابه في سهم عاصم بن عدى .

ثم قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم السَّكْتِيَّة ، وهى وادى خاص ، بين قرابته وبين نسائه ، وبين رجال المسلمين ونساء أعظام منها ، فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة ابنته مائتي وَسَقٍ ، ولعلي بن أبي طالب مائة وَسَقٍ ، ولأسامة بن زيد مائتي وَسَقٍ ، وخمسين وسَقًا من نَوَى ، وامائشة أم المؤمنين مائتي وَسَقٍ ، ولأبي بكر بن أبي قُحَافَة مائة وَسَقٍ ، ولعقيل بن أبي طالب مائة وَسَقٍ وأربعين وسَقًا ، ولبنى جعفر خمسين وسَقًا ، ولربيعة بن الحارث مائة وَسَقٍ ، وللصَّلْت بن مُحَرَّمَة وابنيه مائة وَسَقٍ ، وللصَّلْت منها

أربعون وَسَقًا ، ولأبي نَبِيقَةَ خمسين وَسَقًا ولرُكَّانَةَ بن عبد يزيد خمسين..
 وَسَقًا ، ولقَيْس بن نَحْرَمَةَ ثلاثين وَسَقًا ، ولأبي القاسم بن نَحْرَمَةَ أربعين.
 وَسَقًا ، ولبنات عُبَيْدَةَ بن الحارث وابنة الحَصِين بن الحارث مائة وَسَقٍ ، ولبنى
 عُبَيْد بن عبد يزيد ستين وَسَقًا ، ولابن أَوْس بن نَحْرَمَةَ ثلاثين وَسَقًا. وَلِسْطَح بن
 أُمَّانَةَ وابن إلياس خمسين وَسَقًا ، ولأُمَّ رُمَيْثَةَ أربعين وَسَقًا ، وَلُنُعَيْم بن هِنْد
 ثلاثين وَسَقًا ، وَلُبْحَيْمَةَ بنت الحارث ثلاثين وَسَقًا ، وَلُعْجَيْر بن عبد يزيد
 ثلاثين وَسَقًا ، ولأُمَّ الْحَكَم ثلاثين وَسَقًا ، وَلُجْمانَةَ بنت أبي طالب ثلاثين.
 وَسَقًا ، ولابن الأَزْقَم خمسين وَسَقًا ، ولعبد الرحمن بن أبي بكر أربعين وَسَقًا ،
 وَلُحْمَنَةَ بنت جَحْش ثلاثين وَسَقًا ، ولأُمَّ الزبير أربعين وَسَقًا ، وَلِضْبَاعَةَ بنت
 الزُّبَيْر أربعين وَسَقًا ، ولابن أبي خُنَيْس ثلاثين وَسَقًا ، ولأُمَّ طَالِب أربعين.
 وَسَقًا ، ولأبي بَصْرَةَ عشرين وَسَقًا ، وَلُنُعَيْلَةَ الْكَلْبِي خمسين وَسَقًا ،
 ولعبد الله بن وَهْب وابنتيه تسعين وَسَقًا ، لابنيه منها أربعين وَسَقًا ،
 ولأُمَّ حَبِيب بنت جَحْش ثلاثين وَسَقًا ، وَلَمْلَكُو بن عُبَيْدَةَ ثلاثين وَسَقًا ،
 ولنساؤه صلى الله عليه وسلم سبع مائة وَسَقٍ .

قال ابن هشام : قَمَحٌ وشَعِيرٌ وتمرٌ ونَوَى وغير ذلك ، قسمه على قدر
 حاجتهم وكانت الحاجة في بني عبد المطلب أكثر ، ولهذا أعطاهم أكثر .

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر ما أعطى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه من قح خير
قسم لمن مائة وسق وثمانين وسقاً ، ولفاطمة بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم خمسة وثمانين وسقاً ، ولأسامة بن زيد أربعين وسقاً ،
وللقداد بن الأسود خمسة عشر وسقاً ، ولأم رُمَيْثَةَ خمسة أوسق .
شهد عثمان بن عفان وعباس وكتب .

وصاة الرسول عند موته

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب الزهري ،
عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، قال : لم يوص رسول الله
صلى الله عليه وسلم عند موته إلا بثلاث ، أوصى للأنصار بحداد مائة وسق
من خير ، وللداريين بحداد مائة وسق من خير ، وللأسبانيين ، وللأشعريين
بحداد مائة وسق من خير ، وأوصى بتنفيذ بعث أسامة بن زيد بن حارثة ،
والأبتر بك بجزيرة العرب دينان .

أمر فذك في خير خير

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير
قذف الله الرعب في قلوب أهل فذك ، حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل
خير ، فبعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلحونه على النصف من فذك ،
فقدمت عليه رؤسُهم بخير ، أو بالطائف ، أو بعد ما قدم المدينة ، فقبل ذلك
منهم ، فكانت فذك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة ، لأنه لم يوجف
عليها بخيل ولا ركاب .

تسمية النضر الدارين

الذين أوصى لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير

وهم بنو الدار بن هاني بن حبيب بن ثمارة بن لحم ، الذين ساروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشام : تميم بن أوس وُثَيْم بن أَوْس أخوه ، ويزيد بن قيس ، وعرفة بن مالك ، سماء رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن .

قال ابن هشام : ويقال : عَزَّة بن مالك : وأخوه مُرَّان بن مالك .

قال ابن هشام : مَرْوان بن مالك .

قال ابن إسحاق : وفاكه بن ثُمَّان ، وجَبَلَة بن مالك ، وأبو هَند بن بَرٍّ ، وأخوه الطَّيِّب بن بَرٍّ ، سماء رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني عبد الله بن أبي بكر ، يبعث إلى أهل خَيْمِمْ عبد الله بن رَوَاحَة خارصاً بين المسلمين ويهود ، فيخْرِصُ عليهم ، فإذا قالوا : تعديت علينا ، قال : إن شئتم فلكم ، وإن شئتم فلنا ، فتقول يهود : بهذا قامت السماوات والأرض .

ولما خَرَصَ عليهم عبد الله بن رَوَاحَة عاماً واحداً ، ثم أصيب بمؤنة يرحمه الله ، فكان جبار بن صخر بن أمية بن حَنْسَاء ، أخو بني سَلَمَة ، هو الذي يَخْرِصُ عليهم بعد عبد الله بن رَوَاحَة .

فأقامت يهود على ذلك ، لا يرى بهم المسلمون بأساً في معاملتهم ، حتى عدّوا
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن سهل ، أخى بنى حارثة ،
فقتلوه ، فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثني الزهري عن سهل بن أبي حثمة ؛ وحدثني
أيضاً بشير بن يسار ، مولى بنى حارثة ، عن سهل بن أبي حثمة قال : أصيب
عبد الله بن سهل بجحير ، وكان خرج إليها في أصحاب له يمتار منها تمرأ ، فوجد
في عين قد كسرت عُنْقُهُ ، ثم طُرح فيها ؛ قال : فأخذوه ففَيَّبُوهُ ، ثم قَدِمُوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا له شأنه ، فتقدّم إليه أخوه
عبد الرحمن بن سهل ، ومعه ابنا عمّه حُوَيْصَةُ ومُحَيِّصَةُ ابنا مسود ، وكان
عبد الرحمن من أحدهم سنأ ، وكان صاحب الدم ، وكان ذا قَدَم في القوم ،
فلما تكلم قبل ابني عمّه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : السَّكْبَرُ السَّكْبَرُ .

قال ابن هشام : ويقال : كَبَرُ كَبَرٌ - فيما ذكر مالك بن أنس - فسكت ؛
فتكلم حُوَيْصَةُ ومُحَيِّصَةُ ، ثم تكلم هو بعد ، فذكروا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم قتل صاحبهم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائْتُمُّون قاتلكم ،
ثم تحلفون عليه خمسين يميناً فنُسَلِمَ إليكم ؟ قلوا : يا رسول الله ، ما كنا لنحلف
على ما لا نعلم ؛ قال : أفيحلفون بالله خمسين يميناً ماقتلوه ولا يعلمون له قاتلاً
ثم يبرءون من دمه ؟ قالوا : يا رسول الله ، ما كنا لنقبل أيمان يهود ، ما فهم
من الكفر أعظم من أن يحلفوا على إثم قال : فوداه رسول الله صلى الله عليه
وسلم من عنده مائة ناقة .

قال سهل : فوالله ما أنسى بَكْرَةَ منها حمراء ضربتني وأنا أحوزها .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن عبد الرحمن بن بُجَيْد بن قَيْظِيٍّ ، أخى بنى حارثة ، قال محمد بن إبراهيم : وإيم الله ، ما كان سهلاً بأكثر علماً منه ، ولكنّه كان أسنّ منه ؛ وإنه قال له : والله ما هكذا كان الشأن ! ولكن سهلاً أوّهم ، ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احلفوا على ما لا علم لکم به ولكنّه كتب إلى يهود خيبر حين كلمته الأنصار : إنه قد وُجِدَ قتيل بين أبيائكم قدّوه ، فـكتبوا إليه يحلفون بالله . ماقتلوه ، ولا يعلمون له قاتلا . فوداه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عنده .

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن شعيب مثل حديث عبد الرحمن بن بُجَيْد ، إلا أنه قال فى حديثه : دُوهُ أو ائذنوا بحرب . فـكتبوا يحلفون بالله . ماقتلوه ولا يعلمون له قاتلا ؛ فوداه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عنده .

عمر يجلى يهود خيبر

قال ابن إسحاق : وسألت ابن شهاب الزهري : كيف كان إعطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودَ خيبرَ نخلهم ، حين أعطاهم النخل على خُرْجها ، أبتَ ذلك لهم حتى قُبِضَ ، أم أعطاهم إياها للضرورة من غير ذلك ؟

فأخبرني ابنُ شهابٍ : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبرَ عَنَوَةً بعد القتال ، وكانت خيبرُ مما أفاء الله عزّ وجلّ على رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، خَمَسَهَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وَقَسَمَهَا بينَ المسلمين ، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تُعَمِّلُوها ، وتكون ثمارها بيننا وبينكم ، وأقرَّكم ما أقرَّكمُ الله ، فقبلوا ، فكانوا على ذلك يعملونها . وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبدَ الله بن رَوَاحَةَ ، فيقسم مَمَرَّها ، ويعدل عليهم في الخِطْبِ ، فله اتُوفِيَ اللهُ نَبِيَّه صلى الله عليه وسلم ، أقرَّها أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، بعد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بأيديهم ، على المُعامَلَةِ التي عاملهم عليها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى توفى ؛ ثم أقرَّها عمر رضى الله عنه صَدْرًا من إمارته . ثم بلغ عُمرُ أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال في وَجَعِهِ الذي قبضه الله فيه : لَا يَجْتَمِعَنَّ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَان ؛ فَفَحَصَ عُمرُ ذلك ، حتى بلغه الثَّبُتُ ، فأرسل إلى يهود ، فقال : إن الله عزَّ وجلَّ قد أذن في جَلَائِكُمْ ، قد باغى أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : لَا يَجْتَمِعَنَّ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَان فمن كان عنده عهدٌ من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من اليهود فليأتني به ، أنفذُه له ، ومن لم يكن عنده عهدٌ من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من اليهود ، فليتبجَّهز للجلاء ، فأجلى عُمرُ من لم يكن عنده عهد من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم منهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني نافع ، مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله ابن عمر قال : خرجت أنا والزُّبَيْرُ والمقدِّد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها ، فلما قَدِمْنَا تفرَّقْنَا في أموالنا ، قال : فعُدِّيَ عليَّ تحت الأيل ، وأنا

نأثم على فراثي ، ففدعت يدأي من مرفقي ، فلما أصبحت استصرخ على صاحبأي ، فأتياني فسألاني : من صنع هذا بك ؟ فقلت : لا أدري ؛ قال : فأصلحنا من يدأي ، ثم قدما بي على عمر رضى الله عنه ، فقال : هذا عمل يهود ، ثم قام في الناس خطيبا فقال : أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم إذا شئنا ، وقد عدوا على عبد الله ابن عمر ، ففدعوا يديه ، كما قد بغلكم ، مع عدوهم على الأنصارى قبله ، لأنشك أنهم أصحابه ، ليس لنا هناك عدو غيرهم ، فمن كان له مال بختير فليلق به ، فإني نخرج يهود ، فأخرجهم .

قسمة عمر لوادى القرى بين المسلمين

قال ابن إسحاق : فخذني عبد الله بن أبي بكر ، عن عبد الله بن مكنف ، أخى بنى حارثة ، قال : لما أخرج عمر يهود من خيبر ركب في المهاجرين والأنصار ، وخرج معه جبار بن صخر بن أمية بن خنساء ، أخو بنى سلمة ، وكان خارص أهل المدينة وحاسبهم - ويزيد بن ثابت ، وهما قسما خيبر بين أهلها ، على أصل جماعة الشُّهُمان ، التي كانت عليها .

وكان ما قسم عمر بن الخطاب من وادى القرى ؛ لعثمان بن عفان خطر ، ولعبد الرحمن بن عوف خطر ، ولعمر بن أبي سلمة خطر ، ولعاصم بن أبي ربيعة خطر ، ولعمر بن سُرَاقَة خطر ، ولأشيم خطر .

قال ابن هشام : ويقال : ولأسلم ولبنى جعفر خطر ، ولعميقب خطر ،

ولعبد الله بن الأرقم خَطَرٌ ، ولعبد الله وعُبيد الله خَطَرَانِ ، ولابن عبد الله ابن جَعَشٍ خَطَرٌ ، ولابن البُكَيْرِ خَطَرٌ ، ولُمُعْتَمِرُ خَطَرٌ ، ولزَيْدُ بن ثابت خَطَرٌ ، ولأُبَيُّ بن كَعْبٍ خَطَرٌ ، ولُمُعَاذُ بن عَفْرَاءٍ خَطَرٌ ، ولأُبَيُّ طَالِعةٌ وَحَسَنُ خَطَرٌ ، ولجَبَّارُ بن صَخْرٍ خَطَرٌ ، ولجَابِرُ بن عبد الله بن رثَابٍ خَطَرٌ ، ولَمَالِكُ ابن صَمْعَمَةَ وَجَابِرُ بن عبد الله بن عَمْرُو خَطَرٌ ، ولابن حُضَيْرٍ خَطَرٌ ، ولابن سَعْدُ بن مُعَاذٍ خَطَرٌ ، ولِسَلَامَةُ بن سَلَامَةَ خَطَرٌ ، ولعبد الرحمن بن ثابت وَأَبِي شَرِيكَ خَطَرٌ ، ولأُبَيُّ عَنَسُ بن جَبْرِ خَطَرٌ ، ولحُمْدُ بن مَسْلَمَةَ خَطَرٌ ، ولعُبَادَةُ بن طَارِقٍ خَطَرٌ .

قال ابن هشام : ويقال : لِقَتَادَةُ .

قال ابن إسحاق : ولجُبْرِ بن عَمِيكَ نِصْفُ خَطَرٍ ، ولابن الحارث بن قَيْسٍ نِصْفُ خَطَرٍ ، ولابن حَزَمَةَ والضحاكُ خَطَرٌ ، فهذا ما بلغنا من أمر خَيْبَرِ وِوَادِي الْقُرَى ومَقَامِهَا .

قال ابن هشام : الْخَطَرُ : النَّصِيبُ . يقال : أَخْطَرَ لِي فُلَانٌ خَطَرًا .

ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب من الحبشة

وحديث المهاجرين إلى الحبشة

قال ابن هشام : وذاكَ رُسُفَيَانُ بن عُيَيْنَةَ عن الأَجْلَحِ ، عن الشَّعْبِيِّ : أَنَّ جَعْفَرَ بن أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ

فَتَحَّ خَيْبَرُ ، فَقَبِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَالتَزَمَهُ وَقَالَ :
مَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أَنَا أَمْرٌ : بِفَتْحِ خَيْبَرٍ ، أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَرٍ ؟

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ مَنْ أَقَامَ بِأَرْضِ الْحَبِشَةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّجَاشِيِّ
عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمَرِيُّ ، فَخَلَمَهُمْ فِي سَفِينَتَيْنِ ، فَقَدِمَ بِهِمْ عَلَيْهِ ، وَهُوَ بِخَيْبَرٍ
بَعْدَ الْحَدِيدِيَّةِ .

مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ابْنُ عَبْدِ مَنَافٍ : جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، مَعَهُ
امْرَأَتُهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُثْمَانَ الْخَثَمِيَّةِ ، وَابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ ، وَكَانَتْ وَلَدَتْهُ
بِأَرْضِ الْحَبِشَةِ . قُتِلَ جَعْفَرُ بِمُؤَنَةِ مَنْ أَرْضِ الشَّامِ أَمِيرًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، رَجُلٌ .

وَمِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ ابْنُ عَبْدِ مَنَافٍ : خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ
ابْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ أُمَيَّةُ بِنْتُ خَلْفِ بْنِ أَسْعَدٍ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ :
وَيُقَالُ : هُمَيَّةُ بِنْتُ خَلْفٍ - وَابْنَاهُ سَعِيدُ بْنُ خَالِدٍ ، وَأُمُّهُ بِنْتُ خَالِدٍ ، وَلَدَتْهُمَا
بِأَرْضِ الْحَبِشَةِ . قُتِلَ خَالِدٌ بِمَرْجِ الصُّفْرِ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ بِأَرْضِ
الشَّامِ ؛ وَأَخُوهُ عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ صَفْوَانَ
ابْنِ أُمَيَّةَ بْنِ مُحَرَّرِ الْكِنَانِيِّ ، هَلَكَتْ بِأَرْضِ الْحَبِشَةِ . قُتِلَ عَمْرُو بِأَجْنَادِ بْنِ
مَنْ أَرْضِ الشَّامِ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَلِعَمْرُو بْنِ سَعِيدٍ يَقُولُ أَبُوهُ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ أَبُو أَحِيحَةَ :

أَلَا لَيْتَ شَعْرَى عَنْكَ يَا عَمْرُو سَائِلًا إِذَا شَبَّ وَاشْتَدَّتْ يَدَاهُ وَنُصِّحًا
أَتَتْرُكُ أَمْرَ الْقَوْمِ فِيهِ بَلَابِلٌ تَكْشِفُ غَيْظًا كَانَ فِي الصَّدْرِ مُوجِحًا

واعمرو وخالد يقول أخوها أبان بن سعيد بن العاص ، حين أسلما ،
وكان أبوم سعيد بن العاص هلك بالظَّرْبِيَّةَ ، من ناحية الطائف ، هلك في مال
له بها :

أَلَا لَيْتَ مَيْتًا بِالظَّرْبِيَّةِ شَاهِدُ لَمَّا يَفْتَرِي فِي الدِّينِ عَمْرُو وَخَالِدُ
أَطَاعَا بِنَا أَمْرَ الذَّسَاءِ فَأَصْبَحَا يُعِينَانِ مِنْ أَعْدَانِنَا مَنْ نُسْكَاهُ
فَأَجَابَهُ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ ، فَقَالَ :

أَخِي مَا أَخِي لَا شَاتِمٌ أَنَا عِرْضُهُ وَلَا هُوَ مِنْ سُوءِ الْمَقَالَةِ مُقْصِرٌ
يَقُولُ إِذَا اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ أُمُورُهُ أَلَا لَيْتَ مَيْتًا بِالظَّرْبِيَّةِ يُنْشَرُ
فَدَعَّ عَنْكَ مَيْتًا قَدْ مَشَى لِسَبِيلِهِ وَأَقْبَلَ عَلَى الْأَدْنَى الَّذِي هُوَ أَفْقَرُ

وَمُعَيِّقِيْبُ بْنُ أَبِي فَاطِمَةَ ، خَازِنُ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ عَلَى بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ .
وَكَانَ إِلَى آلِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ؛ وَأَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ .
حَلِيفُ آلِ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، أَرْبَعَةُ نَفَرٍ .

وَمِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ : الْأَسْوَدُ بْنُ نُوْفَلِ بْنِ خُوَيْلِدٍ .
رَجُلٌ .

وَمِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ : جَهْمُ بْنُ قَيْسِ بْنِ عَبْدِ شَرَحْبِيلٍ ، مَعَهُ

ابناء عمرو بن جهم وخزيمة بن جهم ، وكانت معه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود هلكت بأرض الحبشة ، وابناء لها . رجل .

ومن بنى زهرة بن كلاب : عامر بن أبي وقاص ، وعتبة بن مسعود ، حليف لهم من هذيل . رجلان .

ومن بنى تميم بن مرة بن كعب : الحارث بن خالد بن صخر ، وقد كانت معه امرأته ربيعة بنت الحارث بن جبيلة ، هلكت بأرض الحبشة . رجل .

ومن بنى مجح بن عمرو بن هصيص بن كعب : عثمان بن ربيعة بن أهبان . رجل .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب ، تخميمية بن الجزء ، حليف لهم من بنى زبيد ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ جملة على خمس المسلمين . رجل .

ومن بنى عدي بن كعب بن لؤي : مفعر بن عبد الله بن نضلة . رجل .

ومن بنى عامر بن لؤي بن غالب : أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ؛ ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس ، معه امرأته عمرة بنت السدي ابن وقدان بن عبد شمس . رجلان .

ومن بنى الحارث بن فهران بن مالك : الحارث بن عبد قيس بن لقيط . رجل . وقد كان مجل معهم في السفينتين نساء من نساء من هلك هنالك من المسلمين .

فهؤلاء الذين حمل النجاشي مع عمرو بن أمية الضمري في السفينتين ،
جميع من قديم في السفينتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة
عشر رجلاً .

وكان ممن هاجر إلى أرض الحبشة ، ولم يقدم إلا بعد بدر ، ولم يحمل
النجاشي في السفينتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن قدم بعد ذلك ،
ومن هلك بأرض الحبشة ، من مهاجرة الحبشة :

من بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف: عبيد الله بن جحش بن رثاب
الأسدي ، أسد خزيمية ، حليف بنى أمية بن عبد شمس ، معه امرأته
أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وابنته حبيبة بنت عبيد الله ، وبها كانت تُكنى
أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وكان اسمها رملة .

خرج مع المسلمين مهاجراً ، فلما قدم أرض الحبشة تنصر بها وفارق
الإسلام ، ومات هنالك نصرانياً ، خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على
امرأته من بعده أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، قال
خرج عبيد الله بن جحش مع المسلمين مسلماً ، فلما قدم أرض الحبشة تنصر ،
قال فكان إذا مر بالمسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
فتحننا وصا صاتم ، أى قد أبصرنا وأنتم تلمتمسون البصر ولم تبصروا بعد .
وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صاصاً قبل ذلك

فَضْرَبَ ذَلِكَ لَهُ وَلَهُمْ مِثْلًا : أَيْ أَنَا قَدْ فَتَحْنَا أَعْيُنَنَا فَأَبْصَرْنَا ، وَلَمْ تَفْتَحُوا
أَعْيُنَكُمْ فَتُبْصِرُوا ، وَأَنْتُمْ تَلْتَمِسُونَ ذَلِكَ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَيْسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدَ بْنِ خُزَيْمَةَ ، وَهُوَ
أَبُو أُمَيَّةَ بِنْتُ قَيْسٍ الَّتِي كَانَتْ مَعَ أُمِّ حَبِيبَةَ ؛ وَأَمْرَأَتُهُ بَرَكَةُ بِنْتُ يَسَارَ ،
مَوْلَاةٌ ، أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، كَانَتْ تَطْلُبُ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ ، وَأُمُّ حَبِيبَةَ
بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ ، فَخَرَجَا بِهِمَا مَعَهُمَا حِينَ هَاجَرَا إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ . رَجُلَانِ .

وَمِنْ بَنِي أَسَدَ بْنِ عَبْدِ الْمُزَيِّ بْنِ قُعَيْيَ : يَزِيدُ بْنُ زَمْعَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ
الْمُطَّلَبِ بْنِ أَسَدَ ، قُتِلَ يَوْمَ حُنَيْنٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهِيدًا ؛
وَعُمَرُو بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدَ ، هَلَكَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ . رَجُلَانِ .

وَمِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُعَيْيَ : أَبُو الرُّومِ بْنُ مُعْمِرِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ
عَبْدِ مَنْفٍ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ ؛ وَفِرَاسُ بْنُ النَّصْرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ بْنِ عُلْقَمَةَ
ابْنِ عَبْدِ مَنْفٍ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ . رَجُلَانِ .

وَمِنْ بَنِي زُهْرَةَ بْنِ كِلَابٍ بْنِ مُرَّةَ : الْمُطَّلَبُ بْنُ أَزْهَرَ بْنِ عَبْدِ عَوْفٍ
ابْنِ عَبْدِ (بْنِ) الْحَارِثِ بْنِ زُهْرَةَ ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي عَوْفٍ بْنِ ضُبَيْرَةَ
ابْنِ مُعَيْدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَهْمٍ ، هَلَكَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ ، وَلَدَتْ لَهُ هُنَاكَ عَبْدَ اللَّهِ
ابْنَ الْمُطَّلَبِ فَكَانَ يَقَالُ : إِنْ كَانَ يُؤَوَّلُ رَجُلٌ وَرِثَ أَبَاهُ فِي الْإِسْلَامِ رَجُلٌ .

وَمِنْ بَنِي تَيْمِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ : عَمْرُو بْنُ عَنَمَانَ بْنِ عَمْرُو بْنِ
كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ ، قُتِلَ بِالْقَادِمِيَّةِ مَعَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ . رَجُلٌ .

ومن بنى مخزوم بن يَظْظَةَ بن مُرَّة بن كعب : هَبَّار بن سُفْيَان بن عبد الأسد ، قُتِلَ بأَجْنَادٍ من أرض الشام ، في خلافة أَبِي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ؛ وأخوه عبد الله بن سُفْيَان ، قُتِلَ عام الْيَزْمُوك بالشَّام ، في خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، يَشْكُ فِيهِ أَقْتُلَ ثُمَّ أُمَ لَا ؛ وهشام بن أَبِي حُذَيْفَةَ بن الْمُغْفِرَةِ ، ثَلَاثَةَ نَفَرٍ .

ومن بنى جُمَح بن عمرو بن هُصَيْن بن كعب : حاطب بن الحارث بن مَعْمَر بن حَبِيب بن وَهَب بن حُذَافَةَ بن جُمَح ، وابناه محمد والحارث ، معه امرأته فاطمة بنت الْمُجَلَّل هَلَكَ حاطب هُنَالِكَ مُسْلِمًا ، فَقَدِمَتِ امْرَأَتُهُ وابناه ، وهى أمهم ، في إِحْدَى السَّفِينَتَيْنِ ؛ وأخوه حَطَّاب بن الحارث ، معه امرأته فُسَكِيَّة بنت يَسَار هَلَكَ هُنَالِكَ مُسْلِمًا ، فَقَدِمَتِ امْرَأَتُهُ فُسَكِيَّة في إِحْدَى السَّفِينَتَيْنِ ؛ وسُفْيَان بن مَعْمَر بن حَبِيب ، وابناه جُنَادَة وجابر ، وأمهم معا حَسَنَة ، وأخوها لأمهم شُرَحْبِيل بن حَسَنَة ؛ وهَلَكَ سُفْيَان وهَلَكَ ابناه جُنَادَة وجابر في خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . سِتَّة نَفَرٍ .

ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيْن بن كعب : عبد الله بن الحارث بن قَيْس بن عَدِيّ بن سعد بن سَهْم الشاعر ، هَلَكَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ ، وَقَيْس بن حُذَافَةَ بن قَيْس بن عَدِيّ بن سعد بن سَهْم ؛ وأبو قَيْس بن الحارث بن قَيْس بن عَدِيّ بن سعد بن سَهْم ، قُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ في خلافة أَبِي بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وعبد الله بن حُذَافَةَ بن قَيْس بن عَدِيّ بن سعد بن سَهْم ، وهو رَسُولُ (رَسُولِ) اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى كَسْرَى ، والحارث بن الحارث .

ابن قيس بن عديّ ، ومعمّر بن الحارث بن قيس بن عديّ ، وبشر بن الحارث
ابن قيس بن عديّ ، وأخ له من أمه ، من بني تميم ، يقال له سعيد بن عمرو ، قُتِلَ
بأجنادين في خلافة أبي بكر رضى الله عنه ، وسعيد بن الحارث بن قيس ،
قُتِلَ عام اليزموك في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، والسائب بن
الحارث بن قيس ، جُرح بالطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقُتِلَ
يوم فِجَل في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ويقال : قُتِلَ يوم خيبر ،
يُشَكُّ فيه ، وعمير بن رثاب بن حذيفة بن منبهش بن سعد بن مسهم ، قُتِلَ
بعين التمر مع خالد بن الوليد ، مُنْصَرَفُهُ مِنَ الْيَاسَةِ ، في خلافة أبي بكر
رضى الله عنه . أحد عشر رجلاً .

ومن بني عديّ بن كعب بن أؤمى : عروة بن عبد العزى بن حرثان بن
عوف بن عبيد بن عويج بن عديّ بن كعب ، هَلَكَ بأرض الحبشة ، وعديّ
ابن نضلة بن عبد العزى بن حرثان ، هَلَكَ بأرض الحبشة . رجلان .

وقد كان مع عديّ ابنه الثمان بن عديّ ، فَقَدِمَ النعمان مع من قَدِمَ من
المسلمين من أرض الحبشة ، فبقي حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب ، فاستعمله
على ميسان ، من أرض البصرة ، فقال أبياناً من شعر ، وهى :

ألا هل أئى الحسناء أن حليلها	بميسان يُسقى في زجاج وحَنَم
إذا شئت غنّيتي دهاقين قرية	ورقاصة تجذو على كل منسيم
فإن كنت ندماني قبلاً كبراسقني	ولا تسقني بالأصفر المتسلم
لعل أمير المؤمنين يسوؤه	تفادئنا في الجوسق المتهدم

فلما بلغت أبياته عمر ، قال : نعم والله ، إن ذلك ليسوءنى ، فمن أقيمه
فلْيُخبره أنى قد عَزَلْتَهُ ، وعَزَلَهُ . فلما قَدِمَ عليه اعتذر إليه وقال : والله
يا أمير المؤمنين ، ما صنعت شيئاً مما بانك أنى قلته قط ، ولست كنى كنت امراً
شاعراً ، وجدت فضلاً من قول ، فقلت فيما تقول الشعراء ، فقال له عمر : وإيمُ
الله ، لا نعملُ لى على عمل ما بقيتُ ، وقد قلتَ ما قلت .

ومن بنى عامر بن لؤمى بن غالب بن فِهر : سَلِيط بن عمرو بن عبد شمس
ابن هبذ ود بن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر ، وهو كان رسولَ رسولِ الله
صلى الله عليه وسلم إلى هَوْذَةَ بن على الخنفي باليمامة . رجل .

ومن بنى الحارث بن فهر بن مالك : عثمان بن عبد غنم بن زهير بن
أبى شداد ، وسعد بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن ظرب بن الحارث .
ابن فِهر ، وعياض بن زهير بن أبى شداد . ثلاثة نفر .

فجميع من تخلف عن بدر ، ولم يقدم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم
مكة ، ومن قَدِمَ بعد ذلك ، ومن لم يحمل النجاشى فى السفينتين ، أربعة
وثلاثون رجلاً .

وهذه تسمية جملة من هلك منهم ومن أبناهم بأرض الحبشة :

من بنى عبد شمس بن عبد مناف : عُبَيْد الله بن جَحْش بن رثاب ، حليف
بنى أمية ، مات بها أنصراً نياً .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : عمرو بن أمية بن الحارث .
ابن أسد .

ومن بنى مجمع : حاطب بن الحارث ، وأخوه حطاب بن الحارث .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب : عبد الله بن الحارث .
ابن قيس .

ومن بنى عدى بن كعب بن أوى : عروة بن عبد العزى بن حرثان .
ابن عوف ، وعدى بن نضلة . سبعة نفر .

ومن أبناؤهم ، من بنى تميم بن مرة : موسى بن الحارث بن خالد بن
صخر بن عامر . رجل .

مهاجرات الحبشة

وجميع من هاجر إلى أرض الحبشة من النساء ، من قدم منهن ومن هلك .
هناك ست عشرة امرأة ، سوى بناتهن اللاتي وُلدن هنالك ، من قدم منهن
ومن هلك هنالك ، ومن خرج به معهن حين خرجن .

من قريش ، من بنى هاشم : رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن بنى أمية : أم حبيبة بنت أبي سفيان ، معها ابنتها حبيبة ، خرجت
بها من مكة ، ورجعت بها معها .

ومن بنى مخزوم : أم سلمة بنت أبي أمية ، قدمت معها بزئب ابنتها
من أبي سلمة ولدتها هنالك .

ومن بنى تيم بن مرة : ربيعة بنت الحارث بن جُبيلة ، هــكت بالطريق ،
وبنتان لما كانت ولدتها هنالك عائشة بنت الحارث وزئب بنت الحارث
هــكن جميعاً ، وأخوهن موسى بن الحارث ، من ماء شربوه في الطريق ،
وقدمت بنت لها ولدتها هنالك ، فلم يبق من ولدها غيرها ، يقال لها فاطمة .
ومن بنى سهم بن عمرو : رَملة بنت أبي عوف بن ضُبيرة .

ومن بنى عدى بن كعب : ليلي بنت أبي حثمة بن غانم .

ومن بنى عامر بن لؤي : سودة بنت زَمعة بن قيس ، وسهلة بنت
سَهيل بن عمرو ، وابنة المجلّل ، وعمرة بنت السعدى بن وقدان ،
وأمّ كلثوم بنت سَهيل بن عمرو .

ومن غرائب العرب : أسماء بنت مخمس بن النُعمان الخثعمية ، وفاطمة
بنت صفوان بن أمية بن مُحَرّث الكِصفانية ، وفُكَيْهة بنت يسار ، وبركة بنت
يسار ، وحسنة ، أمّ شُرَحْبِيل بن حسنة .

وهذه تسمية من وُلد من أبائهم بأرض الحبشة .

ومن بنى هاشم : عبدُ الله بن جعفر بن أبي طالب .

ومن بنى عبد شمس : محمد بن أبي جُدَيْفة ، وسعيد بن خالد بن سعيد ،
وأختة أمة بنت خالد .

ومن بنى مخزوم : زينب بنت أبي سلمة بن الأسد .

ومن بنى زهرة : عبد الله بن المطلب بن أزر .

ومن بنى تميم : موسى بن الحارث بن خالد ، وأخواته عائشة بنت

الحارث ، وفاطمة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث .

الرجال منهم خمسة : عبد الله بن جعفر ، ومحمد بن أبي حذيفة ، وسعيد

ابن خالد ، وعبد الله بن المطلب ، وموسى بن الحارث .

ومن النساء خمس : أمة بنت خالد ، وزينب بنت أبي سلمة ، وعائشة

بوزينب وفاطمة ، بنات الحارث بن خالد بن صخر .

غزوة خيبر

ذكر البكري أن أرض خيبر سُمِّيت باسم رجلٍ من العماليق نزلها ،

وهو خيبر بن قانية بن مهليل^(١) ، وكذلك قال في الوطيح ، وهو من

حصونها أنه سُمِّي بالوطيح بن مازن ، رجلٍ من ثمود ولفظه مأخوذ من

من الوطح ، وهو ما تعلَّق بالأظافر ، وغالب الطير من الطين .

شرح هشة والحرابي :

وذكر ابن إسحاق قوله عليه السلام إمامة بن الأكوع : خذلنا من

(١) قاله في المعجم منسوباً إلى محمد بن سهل ، وفيه قايمة بدلاً من قانية .

(م ٣٥ = روض الأنف ٦٥)

هَنَاتِكَ . الَهَنَةُ : كناية عن كل شيء لا تعرف اسمه ، أو يعرفه ، فتَكْنِي عنه ،
وأصل الَهَنَةُ : هَنَته وهَنوة . قال الشاعر :

[أَرَى ابْنَ نَزَارٍ قَدْ جَمَعَانِي وَقَلْنِي] عَلَى هَنَوَاتٍ شَأْنَهَا مُتَتَابِعٌ

وفي البخاري : أن رجلاً قال لابن الأَ كْوَ ع : أَلَا تَنْزِلُ فَتُسَمِّعُنَا مِنْ
هُنَيْهَاتِكَ ، صَغَرَه بالهاء ، ولو صغره على لغة من قال هَنَوَاتٍ ، لقال هُنَيْهَاتِكَ ،
وإنما أراد - صلى الله عليه وسلم - أن يتحدثو بهم ، والإِ بِلُ تُسَمِّحُ بِالْخُدَاءِ ،
ولا يكون الخُدَاءُ إِلَّا بِشِغْرِ أَوْ رَجَزٍ ، وقد ذكرنا أول من سَنَّ خُدَاءَ الإِ بِلِ ،
وهو مُصَرُّ بْنُ نِزَارٍ ، والرجز شِغْرٌ ، وإن لم يكن قَرِيضًا ، وقد قيل ليس
بشعر ، وإنما هي أشطار أبيات ، وإنما الرَجَزُ الذي هو شِغْرٌ سُدَائِيُّ الأَجْزَاءِ ،
نحو مَقْصُورَةِ ابْنِ دُرَيْدٍ ^(١) أو رباعي الأجزاء نحو قول الشاعر :

يَا مِرْ يَا خَـ يَرْ أَخْ نَا زَعَتَ دَرَّ الْخَلَمَةَ

(١) من جيد شعر ابن دريد المقصورة التي يمدح بها الشاه ميكائيل وولديه
وهو الأمير أبو العباس إسماعيل بن عبد الله بن ميكائيل رئيس نيسابور ، أحاط
فيها بأكثر المقصورة : وأولها :

إِذَا تَرَى رَأْسِي حَاكِي لَوْنِهِ طَرَةً صَبِيحَ تَحْتَ أَذْيَالِ الدَّجَى

وقد اعتنى بشرحها كثير من المتقدمين والمتأخرين منهم العلامة أحمد بن خالويه .
ولكن أولها في المطبوعة :

بِاطْيِيَةِ أَشْبَهَ شَيْءٍ بِأَلْمَا تَرَعَى الْخَزَامَى بَيْنَ أَشْجَارِ النِّقَا
وهي أكثر من مائتين وخمسين بيتاً .

واحتج من قال في مشطور الرجز أنه ليس بِشعر أنه قد جرى على لسان النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان لا يجرى على لسانه الشعر ، وقد روى أنه أنشد هذا الرجز الذي قاله ابن الأكواع في هذا الحديث ، وقال أيضاً :
إِنَّمَا مُتَمَنِّدٌ وَإِنَّمَا مُنْشِئٌ :

هل أنت إلا إصْبَحَ دَمِيتِ وفي سَبِيلِ الله مَالِيتِ

وفي هذا الرجز من غير رواية ابن إسحاق مما وقع في البخاري وغيره :

فاغفر فداء لك ^(١) ما أبقينا

ويروى ما اقتفينا أي ^(٢) : ما تنبأنا من الخطايا ، من قَوْتُ الأثر ، واقتفيته . وفي التنزيل : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ ، وأما قوله : ما أبقينا ، أي : ما خلفنا مما اكتسبنا ، أو يكون معناه : ما أبقينا من الذنوب ، فلم تحقق التوبة منه كما ينبغي .

وقوله فداء لك قد قيل : إن الخطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم - أي : اغفر لنا تقصيرنا في حذك وطاعتك ، إذ لا يتصور أن يُقال لله تبارك وتعالى مثل هذا الكلام ، وذلك أن معنى قولهم : فداء لك أي : فداء لك أنفسنا وأهلونا ، وحذف الاسم المبتدأ لكثرته دَوْرَه في الكلام مع العلم به ، وإنما

(١) قد تكون فداء بمعنى فدية على أنها مبتدأ .

(٢) هذه رواية مسلم . البخاري في الأدب ، واللتباسي : ما بقينا ، وفي رواية ما اتقينا ، أي ما تركنا من الأثام . وما ظرفية .

يَقْدَى الْإِنْسَانُ بِنَفْسِهِ مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ الْفَنَاءُ .

استعمال الكلمة في غير موضعها :

وأقرب ما قيل فيه من الأقوال إلى الصواب أنها كلمة يترجم بها عن محبة وتمظيم ، فجاز أن يخاطب بها مَنْ لا يجوز في حقّه الفناء ، ولا يجوز عليه الفناء قصداً لإظهار المحبة والتمظيم ^(١) له ، وإن كان أصل الكلمة ما ذكرنا ، فَرُبُّ كلمة ترك أصلها ، واستعملت كالمثل في غير ما وضعت له أوّل ، كما جاءوا بلفظ القسم في غير موضع القسم ، إذا أرادوا تعجباً واستعظاماً لأمر ، كقوله عليه السلام في حديث الأعرابي من رواية إسماعيل بن جعفر . أفلح وأبيه إن صدق ، ومحال أن يقصد صلى الله عليه وسلم القسم بغير الله تبارك وتعالى ، لاسيّما برجل مات على الكفر ، وإنما هو تعجب من قول الأعرابي ، والمتعجب منه هو المستعظم ، ولفظ القسم في أصل وضعه لما يعظم ، فانتسب في اللفظ حتى قيل على ذا الوجه . وقال الشاعر :

فإن نك ليلى استودعتني أمانة فلا وأبي أعدائها لا أخونها

لم يرد أن يُقسم بأبي أعدائها ، ولكنه ضرب من التعجب ، وقد ذهب أكثر مشرّاح الحديث إلى النسخ في قوله أفلح وأبيه ، قالوا نسخته قوله عليه السلام : لا تخلفوا بأبائكم ، وهذا قول لا يصح ، لأنه لم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخلف قبل النسخ بغير الله ، ويُقسم بقوم كفّار ، وما أبعد هذا من شيمته صلى الله عليه وسلم . والله ما فعل هذا قط ^(٢) ، ولا كان

(١) هذا كلام محمد بن علي بن عمر التميمي المازري

(٢) هذا كلام ممتاز لأن القسم بغير الله كفر .

له بخلق . وقال قوم : رواية إسماعيل بن جعفر ، صَحَّحَهُ ، وإنما هو أفلح والله إن صدق . وهذا أيضاً مُتَكَرِّرٌ من القول ، واعتراض على الأثبات المدَّول فيما حفظوا^(١) ، وقد خرج مسلم في كتاب الزكاة قوله عليه السلام لرجل سأله : أى الصَّدَقَةِ أفضل ؟ فقال : وأبيك لأَنْبُئُكَ أو قال لأخْبِرَنَّكَ ، وذكر الحديث ، وخرج في كتاب البرِّ والصَّلة قوله لرجل سأله : مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِأَنْ أَبْرَهُ ، أو قال : أَصِلْهُ ؟ فقال : وأبيك لأَنْبُئُكَ ، صِلْ أُمَّكَ ، ثم أباك ثم أذنالك فأذنالك ، فقال في هذه الأحاديث كما ترى وأبيك ، فلم يأت إسماعيل ابن جعفر إذاً في روايته بِشَيْءٍ إِمْرٍ ، ولا بِقَوْلٍ بِدْعٍ ، وقد حل عليه في روايته رجلٌ من علماء بلادنا وعظماء مُحدِّثيها ، وغفل - عفا الله عنه - عن الحديثين اللذين تقدم ذكرهما ، وقد خرَّجهما مُسْلِمٌ بنُ الْحُجَّاج . وفي تراجم أبي داود في كتاب الأيمان في مصنفه ما يدل على أنه كان يذهب إلى قول من قال بالنسخ ، وأن القَسَمَ بِالْأَبَاءِ كان جائزاً ، والذي ذكرناه ليس من باب الحَلْفِ بِالْأَبَاءِ كما قدمنا ، ولا قال في الحديث : وأبى ، وإنما قال : وأبيه ، أو وأبيك بالإضافة إلى ضمير المخاطب أو الغائب ، وبهذا الشرط يخرج عن معنى الحَلْفِ إلى معنى التمجيب الذي ذكرناه^(٢) .

(١) ولم لا يكون الأمر أنه قد تعناه على النساخ حروف أبيه بحروف الله ؟ وليس في هذا أى طعن على المدول .

(٢) وأكثر هذا الرجز الذى جر كل هذا نسبه البخارى في الجهاد إلى عبد الله بن رواحة . ولكن هنا زيادات عما نسب إلى ابن رواحة . والبخارى في نسخة خبير رواية فيما اختلف هما روى ابن إسحاق هنا من هذا الرجز فراجعه

الإِسْنَادُ عَنْهُ عَطَاءُ بْنُ أَبِي مَرْوَانَ :

وذكر ابنُ إِسْحَاقَ حَدِيثَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أَشْرَفَ عَلَى خَيْبَرَ ، وَقَالَ :
فِي إِسْنَادِهِ عَنْ عَطَاءِ بْنِ [أَبِي] مَرْوَانَ ، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ ،
لَأَنَّ عَطَاءَ بْنَ أَبِي مَرْوَانَ الْأَسْلَمِيَّ مَعْرُوفٌ فِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِكَفَى أَبِي مُصْعَبٍ ، قَالَهُ
الْبُخَارِيُّ فِي التَّارِيخِ ، وَبَعْضُ مَنْ يَرْوِي السِّيْرَةَ يَقُولُ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ عَطَاءِ
ابْنِ أَبِي رَبَاعٍ ، عَنْ مَرْوَانَ الْأَسْلَمِيِّ وَالصَّحِيحُ مَا قَدَّمْنَاهُ .

المطائل :

فصل : و ذكر حديث أنسٍ حين استقبلتهمُ عمَّالُ خَيْبَرَ بِمَسَاحِيهِمْ
وَمَكَائِلِهِمْ الْمَسَكَايِلُ : جَمْعُ مَكْتَلٍ وَهِيَ الْقَفَّةُ الْعَظِيمَةُ ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِتَكْتُمِلَ
الشَّيْءُ فِيهَا ، وَهُوَ تِلَاصُقُ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ ، وَالْمَكَايِلَةُ مِنَ التَّمْرِ وَنَحْوِهِ فَصِيحَةٌ ،
وَإِنْ ابْتَدَأَتْهَا الْعَامَّةُ .

فربت مبير :

وقول النبي صلى الله عليه وسلم حين رآهم : اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ . فِيهِ
إِبَاحَةُ التَّفَاوُلِ وَقُوَّةٌ لِمَنْ اسْتَجَازَ الرَّجَزَ ، وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي ذَلِكَ قَوْلًا مُثْبِتًا ،
وَذَلِكَ أَنَّهُ رَأَى الْمَسَاحِيَّ وَالْمَسَايِلَ وَهِيَ مِنْ آلَةِ الْهَدْمِ وَالْحَفْرِ مَعَ أَنَّ لُغَةَ
الْمُسْتَحَاةِ مِنْ سَحَوَاتِ الْأَرْضِ إِذْ قَشَرْنَهَا ، فَذَلِكَ عَلَى خَرَابِ الْبَلَدَةِ الَّتِي
أَشْرَفَ عَلَيْهَا ^(١) ، وَفِي غَيْرِ رَوَايَةٍ ابْنُ هِشَامٍ قَالَ : حِينَ ذَكَرَ الْمَسَاحِيَّ : كَانُوا

(١) وَأَشْرَفَ مِنْ هَذَا مَا ذَكَرَهُ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ : وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَالَ :

خَرِبَتْ خَيْبَرُ بِطَرِيقِ الْوَحْيِ ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ : إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ
قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ، وَقَدْ اقْتَبَسَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كَلَامِهِ :

يُؤْتُونَ الْمَاءَ إِلَى زَرْعِهِمْ مَعْنَاهُ : يَسُقُونَ . وَالْأَتَى هِيَ الصَّافِيَةُ ^(١) .

الخميس :

وقولُ اليهود : مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ ، سَمِيَ الْجَيْشُ الْعَظِيمُ خَمِيسًا ، لِأَنَّهُ سَاقَةٌ وَمُقَدَّمَةٌ ، وَجَنَاحِينَ ^(٢) وَقَلْبَاءَ لِأَمِنْ أَجْلِ تَخْمِيسِ الْغَنِيمَةِ ، فَإِنَّ الْخُمْسَ مِنْ سُنَّةِ الْإِسْلَامِ ، وَقَدْ كَانَ الْجَيْشُ يُسَمَّى خَمِيسًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ . وَقَدْ ذَكَرْنَا الشَّاهِدَ عَلَى ذَلِكَ فِيمَا تَقَدَّمَ .

تربى الحصون :

وقوله : يَتَدَنَّيَ الْحَصُونُ ، أَيْ يَأْخُذُ الْأَدْنَى فَالْأَدْنَى .

مَكَّمْ أَكُلْ لَحُومَ الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ وَالْخَيْلِ :

وَذَكَرَ نَهْيَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ أَكْلِ لَحُومِ الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ ، وَحَدِيثُ جَابِرٍ أَنَّهُ نَهَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ أَكْلِ لَحُومِ الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ ، وَأَرْخَصَ لَهُمْ فِي لَحُومِ الْخَيْلِ ، أَمَّا الْحُمْرُ الْأَهْلِيَّةُ فَجُمُوعٌ عَلَى تَحْرِيمِهَا إِلَّا شَيْئًا يُرْوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَائِشَةَ ، وَطَائِفَةٍ مِنَ التَّابِعِينَ . وَحُجَّةٌ مِنْ أَبَاحِهَا قَوْلُهُ تَعَالَى :

(١) فِي اللِّسَانِ : الْآتَى بوزن غنى : النَّهْرُ يَسُوقُهُ الرَّجُلُ إِلَى أَرْضِهِ ، وَكُلُّ مَسِيلٍ سَهْلَتُهُ لِمَاءِ آتَى ، وَكُلُّ جَدُولٍ مَاءِ آتَى . وَآتَى لِلْمَاءِ — بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَتَشْدِيدِ التَّاءِ مَعَ فَتْحِ — وَجْهٌ لَهُ يَجْرَى .

(٢) وَكَانَا يُسَمَّيَانِ : الْيَمِينَةُ وَالْيَسِيرَةُ .

﴿ قل : لا أجد فيما أوحى إلىَّ مُحَرَّمًا على طَاعِمٍ ﴾ الآية وهى مَكِّيَّةٌ ،
وحديثُ النهى عن الحُمُرِ كان بَحْثِيهْرَ فهو المَبِينُ للآية ، والنَّاسِخُ الإِبَاحَةُ ^(١) ،
ومن حُجَّتِهِمْ أيضاً قوله ، صلى الله عليه وسلم لرجل استفتاه فى أكل الحمار

(١) عجيب والله أمر هؤلاء الذين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرم ما أحله الله . وقد أخرج البخارى عن عمرو بن دينار قال : د قلت لجابر بن زبد : يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الحمر الإلهية ، قال : قد كان يقول ذلك الحكم بن عمر الغفارى عندنا بالبصرة ، ولكن أبى ذلك البحر ابن عباس ، وقرأ : ﴿ قل لا أجد فيما أوحى إلىَّ مُحَرَّمًا ﴾ وفهم ابن عباس دقيق . ففى الآية حصر لا يأذن لشيء أن يطيف بقدره ، ولا أن يضاف إلى المحصور ، ومن يتدبر الآية بهذا الإيمان فى قلبه ، والتعديس لما يقول القرآن يجد فهم ابن عباس رضى الله عنه . أو يمكن أن نظن بالقرآن الكريم أن بيانه الحكيم القوى تمام حكمته ونهى قوته بهذه السهولة ؟ (قل : لا أجد فيما أوحى إلىَّ مُحَرَّمًا على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير ، فإنه رجس أو فسقاً ، أهل أغير الله به ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد ، فإن ربك غفور رحيم) الانعام : ١٤٥ . وقد ورد بعدها ما حرم الله على الذين هادوا . فتدبر للنهى السابق للفعل أجد ، ثم كلمة إلا ليقين أن الآية تؤكد بهذا البيان المحكم أن الله سبحانه لم يحرم شيئاً غير ما ورد فى الآية القرآنية . ثم إذا تبين بالدليل القطعى الذى تؤيده التجربة أو الواقع أن شيئاً ما يضر الناس تناوله ، فإنه يكون محرماً بنص آية أخرى حيث وصف الرسول صلى الله عليه وسلم فى سورة الاعراف بأن « يحمل الطيبات ويحرم الخبائث » فكل طيب حلال ، وكل خبيث حرام بهذا النص .

هذا ولا يصح تريد أن الحديث ينسخ القرآن ، وإلا بهتاه صلى الله عليه وسلم ، بأنه كان يقول على الله بعض الأفاويل . وأضرع إلى الله أن يفتح القلوب لكلمة الحق هذه ، فلا يرجعنا بسببها قوم لا نتمكن لهم إلا ما نتمكن للصفا والحب والخير .

الأهلي ، يقال في اسمه : غالب بن أبجر المُرَني : أطمع أهلك من سمين مالك^(١) ، وهو حديث ضعيف لا يعارض بمثله حديث النهي مع أنه مُحْتَمِلٌ لتأويلين ، أحدهما : أن يكون الرجلُ ممن أصابته مَسْغَبَةٌ شديدةٌ ، فأرخصَ له فيه ، أو يكون ذلك منسوخاً بالتحريم ، على أن بعضَ رُوَاةِ الحديث زاد فيه بياناً ، وهو قوله عليه السلام للرجل : إنما نهيت عن حوالى القَرْيَةِ أو جوالى^(٢) القرية على اختلافٍ في الرواية ، وأما حديثُ جابرٍ في إباحة لحوم الخيل ، فصحيح ويُعَضِّدُهُ حديثُ أسماءَ أنها قالت : ضَحَّيْنَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - بَفَرَسٍ^(٣) . وقال بإباحة لحوم الخيل الشافعي والليث وأبو يوسف وذهب مالك والأوزاعي إلى كراهة ذلك ، وقد رُوِيَ من طريق خالد بن الوليد أنه عليه السلام نهى عن أكلِ لُحُومِ الحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ والبغالِ والخيلِ ، وقد خرَّجَه أبو داود ، وحديث لإباحة أصبح غير أن مالكا رحمه الله نزعَ بآية من كتاب الله ، وهى أن الله جلَّ ذِكْرُهُ ذكر الأنعام ، فقال : ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ ثم ذكر الخيل والبغال والحمير فقال : ﴿ لَتَرْكَبُنَّهَا وَزِينَةً ﴾ وهذا انْتِزَاعٌ حَسَنٌ . ووجه الدليل من الآية أنه قال : ﴿ وَالْأَنْعَامَ

-
- (١) أخرجه أبو داود وفيه د أطمع أهلك من سمين حمرك ، ولست أدرى كيف يحرم الحمار الأهلي ، ويقال يحل أكل الحمار الوحشى ١٢
- (٢) هى جوال بفتح الجيم والوار وتمديد اللام جمع جالة مثل دواب وسوام وهوام جمع دابة وسامة وهامة . والجوال هى التى تأكل العذرة .
- (٣) عن أسماء بنت أبي بكر قالت : ذبحنا على عهد رسول الله ص فرساً ، ونحن بالمدينة ، فأكلناه ، متفق عليه .

خَلَقَهُمُ لِكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ ۖ النحل : ٥ فذكر الدَّفءَ والمنافع والأكل ، ثم أفرد الخيلَ والبغالَ والحِمْيرَ بالذكر ، ثم جاء بلامِ الْعِلَّةِ والنَّسَبِ ، فقال : لَتَرْكَبُوها ، أى لهذا سَخَّرَها لَكُمْ ، فوجب أن لا يَتَعَدَّى ما سُخِّرَتْ ^(١) له ، وأما نَهْيُهُ يومَ خَيْبَرَ عن لُحُومِ الْجِلَالَةِ وعن رُكُوبِها ^(٢) ، فهى التى تأكل الجِلالةَ وهو الرَّوْثُ والبَعَرُ ، وفى الشَّيْءِ لِلدَّارِ قُطْبَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَهَى عن أَكْلِ الْجِلَالَةِ ، حتَّى تُعْلَفَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وهذا نحوه مما رَوَى عنه عليه السلام أَنَّهُ كَانَ لَا يَأْكُلُ الدَّجَاجَ الْمُخَلَّاةَ ، حتَّى تُقْصَرَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . ذكره التَّهَرُوى .

الورق :

وذكر فى الحديث نَهْيُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن سَبْعِ الْفِضَّةِ بِالْفِضَّةِ ، وإِبَاحَةِ بَيْعِ الذَّهَبِ بِالْوَرِقِ ، فدل على أن الْوَرِقَ وَالْفِضَّةَ شَيْءٌ وَاحِدٌ ، وقد فرق بينهما أَبُو عُبَيْدٍ فى كتاب الأموال ، فقال : الرَّقَّةُ وَالْوَرِقُ مَا كَانَ سَكَّةً مَضْرُوبَةً ، فإن كَانَ حُلِيًّا أَوْ حَلِيَّةً ، أَوْ نُقْرًا ^(٣) لَمْ يُسَمَّ وَرِقًا ، يريد بهذه التفرقة أن لازَكَاةً فى حَيْئِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ ، لأنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه -

(١) وإن كانت اللام لليلة ، فإنها لا تفيد الحصر فى الركوب والزينة ، فإنه ينتفع بالخيـل فى غيرهما ، وفى غير الأكل اتفاقاً .

(٢) عن ابن عمر قال . نهى رسول الله ﷺ عن أكل الجلالة وألبانها ، رواه الخمسة إلا النسائي . وفى رواية أن رسول الله ﷺ نهى عن الجلالة فى الإبل أن يركب عليها ، أو يشرب من ألبانها . رواه أبو داود .

(٣) جمع نقرة ، وهى القطعة المذابة من الذهب والفضة ، وقيل : هو ما سبك بجمعهما .

وسلم - حين ذكر الزكاة قال : في الرقعة الخمس^(١) ، وحين ذكر الربا قال
الفضة بالفضة .

قال المؤلف : وفي هذا الحديث الذي ذكره ابن إسحاق ، وفي أحاديث
سواه قد تتبعناها ما يدل على خلاف ما قال ، منها قوله عليه السلام في صفة
الخوض : يَصُبُّ فِيهِ مِزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ أَحَدُهُمَا [من ذهب والآخر] من
وَرَقٍ^(٢) ، وفي حديث عَرْفَجَةَ حين أصيب أنفه يوم السكّالاب قال : فَاخْذْتُ
أَنْفًا مِنْ وَرَقٍ^(٣) الحديث ، في شواهد كثيرة تدل على أَنَّ الْفِضَّةَ تُسَمَّى وَرَقًا
على أي حال كانت .

(١) زكاة الفضة هي ربع العشر ، ففي حديث رواه أحمد وأبو داود
والترمذي وماتوا صدقة الرقة من كل أربعين درهما درهما ، وفي حديث آخر
رواه البخاري في الرقة - بكر الراي وتخفيف القاف - وهي الفضة الخالصة -
في مائتي درهم ربع العشر وهذا حر .

(٢) من حديث رواه مسلم .

(٣) لما اتحد أنفًا من ورق أنثى ، فاتخذ أنفًا من ذهب ، وقد ظننا لاصمعي
ورقًا بفتح الراء ، ظنًا منه أَنَّ الْفِضَّةَ لَا تَنْتَنُ ، وخطأه القتيبي . والسكّالاب بضم
القاف وفتح اللام اسم ماء كان به يوم من أيام العرب بين البصرة والكوفة .
قال أبو عبيد : كلاب الأول وكناب الثاني يومان كانا بين ملوك كندة ، وبني تميم
وفيه أسرت بنو تميم عبيد يغوث بن أبي وقاص الحارثي فقال قصيدته الياثية
إلى أولها :

ألا لا تلوماني كفى اللوم مايبيا فالكماني اللوم خير ولا ليا
ومنها

جزى الله قومي بالسكّالاب ملاءة هيهمم والآخرين الموابيا =

وقوله: بالذهب العين والورق العين، يريد النقد، لأن الغائب تُسمى ضمراً، كما قال، وعينه كالسكاليء الضمار^(١)، وسى الحاضر: عينا موضع المعانيضة، فالعين في الأصل مصدر عنته أعينه إذا أبصرته بينك، وتسمى المفعول بالمصدر، ونحو منه الصيّد، لأنه مصدر صدت أصيد، وقد جاء في التنزيل: ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ للمائدة: ٩٥ فسماه بالصدر، وأملك أن تلحظ من هذا المطلع معنى العين من قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ طه: ٣٩ فقد أملينا فيها، وفي مسألة اليد مسألتين لا يُعدّل بقيمتها الدنيا بخذاً فبرها^(٢)

= ويقول ابن دريد عن الكلاب: «والكلاب، وضع بالدهناء بين اليمامة والبصرة كانت فيه وقتان إحداهما بين ملوك كندة الإخوة، والأخرى بين بني الحارث وبين بني تميم يذكر ذلك أبو عبيدة في كتاب الأيام، أنظر ص ٤٥ ص ٢٦٧ ص ٢٨ البيان الجاحظ، واللسان، وابن الأثير في مادي كلب وورق وص ٢١ الاشتقاق لابن دريد.

(١) المال الضمار: الغائب الذي لا يرجى. والسكاليء في حديث أنه نهى عن السكاليء بالسكاليء، أي الذسيئة بالنسيئة، وذلك أن يشتري الرجل شيئاً إلى أجل، فإذا حل الأجل لم يجد ما يقضى به، فيقول بعنيه إلى أجل آخر بزيادة شيء فيبيه منه، ولا يجرى بينهما تقابض، يقال: كلاً الدين كلوه، فهو كاليء إذا تأخر.

(٢) من خير من كتب عن هذا الإمام ابن القيم في كتابه «الصواعق المرسلة»، فراجع، وقد سبق القول بأنه يجب الإيمان بكل ما نسبته إلى نفسه من مثل اليد والعين وغيرهما إيماناً مطعماً بأن الله سبحانه له كل هذا الذي نسبته إلى نفسه، فله يدان وله عينان، ولكن لا تشبه يده يد، ولا عينه عين، لأنه جل شأنه ليس كمثله شيء.

منى مرم نطاح المتعة؟

فصل : ومما يتصل بحديث النهي عن أكل الحمر تنبيه على إشكال في رواية مالك عن ابن شهاب، فإنه قال فيها: نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن نكاح المتعة يوم خيبر، وعن الحوم الحمر الأهلية، وهذا شيء لا يعرفه أحد من أهل السير، ورواة الأثر، أن المتعة حُرِّمت يوم خيبر، وقد رواه ابن عسيرة عن ابن شهاب عن عبد الله بن محمد، فقال فيه: إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل الحمر الأهلية عام خيبر، وعن المتعة، فعناه على هذا اللفظ: ونهى عن المتعة بعد ذلك، أو في غير ذلك اليوم، فهو إذاً تقديم وتأخير، وقع في لفظ ابن شهاب، لافي لفظ مالك، لأن مالكاً قد وافقه على لفظه جماعة من رواة ابن شهاب، وقد اختلف في تحريم نكاح المتعة فأغرب ما روى في ذلك رواية من قل: إن ذلك كان في غزوة تبوك، ثم رواية الحسن أن ذلك كان في غزوة الفداء، والمشهور في تحريم نكاح المتعة رواية الربيع بن سبرة^(١) عن أبيه أن ذلك كان عام الفتح. وقد خرج مسلم الحديث بطوله^(٢) وفي هذا أيضاً حديث آخر أخرجه أبو داود أن تحريم

(١) نص النوادي في التهذيب على ضبطها بفتح السين وسكون الياء، وضبطت في نيل الأوطار بضمها.

(٢) ورواه أيضاً أحمد. هذا وقد روى عن ابن مسعود أنه قال: دكنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليس معنا نساء، فقلنا: ألا تختصي، فنهانا عن ذلك، ثم رخص لنا أن نكح المرأة بالثوب إلى أجل، ثم قرأ عبد الله: (با أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) الآية. متفق عليه. وعن =

نِسْكَاجِ الْمُتَمَتِّعَةِ كَانَ فِي حُجَّةِ الْوَدَاعِ ، وَمَنْ قَالَ مِنَ الرِّوَاةِ كَانَ فِي غَزْوَةِ

== أَبِي جَمْرَةَ قَالَ : « سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ مَتَمَتَةِ النِّسَاءِ ، فَرُخِصَ ، فَقَالَ لَهُ مَوْلَى لَهُ :
لِنَمَّا ذَلِكَ فِي الْحَالِ الشَّدِيدِ فِي النِّسَاءِ قَلَّةٌ أَوْ نَحْوُهُ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : نَعَمْ ،
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وَقَدْ رَوَى ابْنُ حَزْمٍ فِي الْمَحَلِّ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ غَيْرِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ :
وَقَدْ ثَبَتَ عَلَى تَحْلِيلِهَا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ « ص » ، جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ مِنْهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ :
أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَهَامُوتَةُ
وَعُمَرُ بْنُ حَرِيثٍ وَأَبُو سَمْعٍ وَسَلْمَةُ ابْنَةُ أُمِّيَّةَ بْنِ خَلْفٍ ، وَرَوَاهُ جَابِرٌ عَنْ
الصَّحَابَةِ مَدَّةَ رَسُولِ اللَّهِ وَمَدَّةَ أَبِي بَكْرٍ وَمَدَّةَ عُمَرَ إِلَى قَرَبِ آخِرِ خُلَافَتِهِ ، وَرَوَى
عَنْهُ أَنَّهُ إِنَّمَا أُنْكِرَ إِذَا لَمْ يُشْهَدْ عَلَيْهَا عَدْلَانِ فَقَطْ ، وَقَالَ بِهَا مِنَ التَّابِعِينَ :
طَاوُسٌ وَعَطَاءٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَسَائِرُ فَقَهَاءِ مَكَّةَ . وَقَالَ ابْنُ الْمُنْذَرِ : جَاءَ عَنِ
الْأَوَائِلِ الرِّخْصَةُ فِيهَا ، وَلَا أَعْلَمُ الْيَوْمَ أَحَدًا يَجْزِيهَا إِلَّا بَعْضُ الرَّافِضَةِ .

وَقَالَ عِيَّاضٌ : « ثُمَّ وَقَعَ الْإِجْمَاعُ مِنْ جَمِيعِ الْعُلَمَاءِ إِلَّا الرُّوَافِضُ ، وَقَالَ ابْنُ
بَطَّالٍ : « رَوَى أَهْلُ مَكَّةَ وَالْبَيْتِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ إِبَاحَةَ الْمُتَمَتِّعَةِ . وَرَوَى عَنْهُ الرُّجُوعُ
بِأَسَانِيدٍ ضَعِيفَةٍ ، وَإِجَازَةِ الْمُتَمَتِّعَةِ عَنْهُ أَصَحُّ ، وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّيْخَةِ . وَنَقَلَ الْبَيْهَقِيُّ
عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَنَّهُ سَأَلَ عَنِ الْمُتَمَتِّعَةِ فَقَالَ : هِيَ الزُّنَا بِعَيْنِهِ ، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ
« الرِّوَايَاتُ كُلُّهَا مُتَّفَقَةٌ عَلَى أَنَّ زَمَانَ إِبَاحَةِ الْمُتَمَتِّعَةِ لَمْ يَطُلْ . وَأَنَّهُ حَرَمٌ ، ثُمَّ
أَجْمَعَ السَّلَفُ وَالْخَلَفُ عَلَى تَحْرِيمِهَا إِلَّا مَنْ لَا يَلْتَفِتُ لِأَيِّهِ مِنَ الرُّوَافِضِ ، أَنْظَرَ
ص ١٣٥ ٦٠ نِيلُ الْاَوْطَارِ . أَقُولُ : وَقَدْ أَسْرَفْتَ فَمَاتَ مِنَ الْآخِذِينَ بِحُلَاهَا
فَأَحَالُوهَا زِنَا بِأَجْرٍ ، وَبَغَاءُ فَاجِرِ النِّسْوَةِ ، آيَةُ قُدَّاسَةِ الْإِسْلَامِ ، وَجَلَالُ
هُدْيِهِ ، وَسَمُو الصَّفَاءِ فِي رُوحَانِيَّتِهِ ، أَرِيقُصَلُ رَجُلٌ بِأَمْرَأَةٍ أَيَّامًا أَوْ أَشْهُرًا
ثُمَّ يَرْكَبُهَا بِمَا حَمَلَتْ ؟ أَرَى لِمَنْ يَنْقَسِبُ هَذَا الْجَنِينُ ؟ وَكَيْفَ يَعْشِشُ وَيَعِيشُ أُمُّهُ ،
رَحِمَى لَا تَعْرِفُ لِابْنِهَا أَبَا ، وَهُوَ لَا يَدْرِي لَهُ أَبَا ؟ وَأَيُّهُ سَلَاكَةُ بِالْعُلَّةِ السُّوءِ
تَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أُمِّهِ . وَمِنْ سِيرَتِ بَاتِرَى ؟ تِلْكَ هِيَ تَسْكِبَةُ لُزْنًا بِعَيْنِهِ .

وَإِذَا قُنَا وَجُوهَنَا وَأَفْكَارَنَا وَفَلَوْ بِنَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ . فَإِنَّا لَا نَجِدُ فِي الذِّكْرِ ==

أوطاس ، فهو موافق لمن قال عام الفتح ، فتأمله والله المستعان .

وذكر قوله - عليه السلام - : لَا أُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

الحكيم شيئاً مما يروج له دعاة المتعة ، أو دعاة الفسوق . نقوله سبحانه في سورة النساء (فما استمتعتم به منهن ، فأتوهن أجورهن فريضة) هذا القول ليس نصاً لا من بعيد ، ولا من قريب يدل على إباحة المتعة ولا بآثاره من فهم إلا فهم الذين يبتغون البغاء اليوم في إباحة المتعة ، فإله سبحانه قد بين في الآية ما يحل من نكاح النساء في مقابلة ما حرم فيما قبلها . وفي صدرها . وبين أنه إذا استمتع الإنسان بامرأة أحلها الله فيمن أحل أى تزوجها فعليه الأجر ، وهو المهر . ولو تدبرنا قوله جل شأنه في صفات المؤمنين (والذين هم لأمورهم حافظون . إلا على أزواجهم ، أو ما ملكت أيمانهم ، فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك ، فأولئك هم العادون) المؤمنون ٦٥ . لو تدبرنا هذا لعلمنا أن هذه المتعة بالمعنى الذى فسروه بها أمر باطل . فإثم في الآية إلا نوعان : زوجات وملك يمين ، فأين نضع صاحبة المتعة بين هذين النوعين ؟ لا يمكن اعتبارها زوجة لأن للزواج شروطه المبينة في القرآن وهذه الشروط لا تنطبق على صاحبة المتعة ، ولا يمكن اعتبارها أمة ، فمن ابتغى وراء هذين فهو من الناذين . ويقول الإمام ابن القيم د ولم يحرم المتعة يوم خيبر ، وإنما كحل تحريمها عام الفتح ، هذا هو الصواب ، وقد ظن طائفة من أهل العلم أنه حرمها يوم خيبر ، واحتجوا بما في الصحيحين ، ثم ذكر ما ورد في الصحيحين ثم ضعف رأى القائلين بأنها حُرمت ، ثم أباحت ثم حُرمت ثم قال : وروضة خيبر لم يكن فيها الصحابة يتمتعون باليهوديات ، ولا استأذنوا في ذلك رسول الله د ص ، ولا نقله أحد قط في هذه الغزوة ، ولا كان للمتعة فيها ذكر البتة ، لا فعلاً ولا تحريماً بخلاف غزاة الفتح . فإن قصة المتعة كانت فيها فعلاً وتحريماً مشهورة ، وهذه الطريقة أصح الطريقتين ، ص ٣٤٦ ح ٢ زاد المعاد .

وَيَفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ ، وَفِي غَيْرِ رَوَايَةٍ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُنَّ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا^(١) وَمَعْنَاهُ مِنَ الدُّوَكَةِ ، وَالْدُّوَكَةُ ، وَهُوَ اخْتِلَاطُ الْأَصْوَاتِ .

على ودعاء الرسول صلى الله عليه وسلم :

وَذَكَرَ أَنَّ عَلِيًّا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - انْطَلَقَ بِالرَّابَةِ يَأْنِيحُ ، وَفِي غَيْرِ رَوَايَةٍ ابْنُ إِسْحَاقَ يَوْجُجُ ، فَمَنْ رَوَاهُ يَأْنِيحُ ، فَهُوَ مِنَ الْأَنْيَاحِ وَهُوَ عُلُوُّ النَّفْسِ ، يُقَالُ فَرَسٌ أَنْوَحَ مِنْ هَذَا ، وَيُرْوَى عَنْ عُمرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَأْنِيحُ بِبُطْنِهِ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقَالَ : بَرَكَتٌ مِنَ اللَّهِ ، فَقَالَ : بَلْ هُوَ عَذَابٌ عَذَّبَكَ بِهِ وَمَنْ رَوَاهُ يَوْجُجُ ، فَمَعْنَاهُ : يُسْرِعُ ، يُقَالُ : أَجَبْتُ النَّاقَةَ تَوْجُجٌ إِذَا أَسْرَعَتْ فِي مَشْيِهَا ، وَزَادَ الشَّيْبَانِيُّ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ حِينَ ذَكَرَ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ أَرْمَدَ ، وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَقَلَّ فِي عَيْنَيْهِ قَبْرًا ، قَالَ : فَمَا وَجِعَتْ عَيْنُهُ حَتَّى مَضَى سَبِيلُهُ^(٢) ، قَالَ : وَكَانَ عَلِيٌّ يَلْبَسُ الْقَبَاءَ الْمَحْشُوشَ الْمُخَيَّنَ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ ، فَلَا يُبَالِي بِالْحَرِّ ، وَيَلْبَسُ الثَّوبَ الْخَفِيفَ فِي شِدَّةِ الْبَرْدِ ، فَلَا يُبَالِي بِالْبَرْدِ ، وَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ ، فَأَخْبَرَ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دَعَا لَهُ يَوْمَ خَيْبَرَ حِينَ رَمِيَتْ عَيْنُهُ أَنْ يَشْفِيَهُ اللَّهُ ، وَأَنْ يُجَنِّبَهُ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ ، فَكَانَ ذَلِكَ .

صاحب المغنم وابن مغلل :

فصل : وَذَكَرَ حَدِيثَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَلَّلٍ حِينَ احْتَمَلَ جِرَابَ الشَّحْمِ ،

(١) فِي حَدِيثِ أَبِي حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ فِي الْبُخَارِيِّ .

(٢) فِي الدَّلَائِلِ لِلْبَيْهَقِيِّ : فَمَا وَجِعَهَا حَتَّى مَضَى سَبِيلُهُ ، أَيْ : مَاتَ .

وأراد صاحبُ المغانم أخذه منه ، ولم يذكر اسم صاحبِ المغانم ، وروى عن ابن وهب أنه قال : كان على المغانم يوم خيبر أبو اليسر كعب بن عمرو بن زيد الأنصاري هكذا وجدته في بعض كتب الفقه مروياً عن ابن وهب ، ولم يتصل لي به إسناد .

الصفى والمرباع :

فصل : وذَكَرَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حَيٍّ ، وأُمُّهَا بُرْدَةُ بِنْتُ مَمُوَالٍ ، أخت رِفَاعَةَ ابنِ مَمُوَالٍ المذكور في الموطأ ، وأنه اصطفاها لنفسه ، وفي حديث آخر عن عائشة قالت : كانت صَفِيَّةُ من الصَّفِيِّ ، والصَّفِيُّ ما يصطفيه أمير الجيش لنفسه قال الشاعر [عبدُ الله بن غنَمَةَ الضَّبِّيُّ يُخَاطَبُ بِسَطَّامَ بنِ قَيْسٍ] :

لَكَ المِرْبَاعُ مِنْهَا والصَّفَايَا [وحكمك والنشيطه والفضول ^(١)]

فَالْمِرْبَاعُ رُبْعُ الْغَنِيمَةِ . والصَّفِيُّ ما يُصْطَفَى للرئيس ، وكان هَذَا في الجاهلية ، فُنِسخَ المِرْبَاعُ بالخُمُسَ وبقي أمرُ الصَّفِيِّ .

مصدر أموال النبي صلى الله عليه وسلم ، وزواجه من صفية :

وكانت أموالُ النبي صلى الله عليه وسلم من ثلاثة أوجه : من الصَّفِيِّ ، والهِدِيَّةِ تُهْدَى ^(٢) إليه ، وهو في بيته لافي القَزْو من بلاد الحرب ، ومن

(١) الزيادة التي بين قوسين من اللسان مادة « نشط و صفي » .

(٢) روى أحمد وأبو داود وصححه ابن حبان والحاكم من طريق أبي أحمد =

(م ٣٦ - الروض الأثف - ٦)

خُمْسِ الْخُمْسِ ، وَرَوَى يُونُسُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُجَمِّعِ الْأَنْصَارِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُثْمَانُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ ، كَانَ فِي حِجْرٍ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيٍّ مِنْ رَهْطِهَا يُقَالُ لَهُ : رَبِيعٌ ، عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيٍّ قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ أَحْسَنَ خُلُقًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ رَكِبَ بَنِي مِنْ خَيْبَرَ حِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى نَاقَتِهِ لَيْلًا فَجَعَلَتْ أَنْعَسُ فَيَضْرِبُ رَأْسِي مُؤَخِّرَةً الرَّحْلَ ، فَيَمَسُّنِي بِيَدِهِ ، وَيَقُولُ : يَا هَذِهِ مَهْلًا يَا ابْنَةَ حُيٍّ ، حَتَّى إِذَا جَاءَ الصُّهْبَاءُ ^(١) ، قَالَ : أَمَّا إِنِّي أُعْتَذِرُ إِلَيْكَ يَا صَفِيَّةُ مِمَّا صَنَعْتُ بِقَوْمِكَ ، إِنْهُمْ قَالُوا لِي : كَذَا ، وَقَالُوا لِي : كَذَا . وَحَدِيثُ إِصْطِفَائِهِ صَفِيَّةَ بِعَارِضَةٍ فِي الظَّاهِرِ الْحَدِيثُ الْآخَرُ عَنْ أَنَسٍ أَنَّهَا صَارَتْ لِدُخْيَةٍ فَأَخَذَهَا مِنْهُ ، وَأَعْطَاهُ سَبْعَةَ أَرْبَعِينَ ، وَيُرْوَى أَنَّهُ أَعْطَاهُ بِذَنْتِي عَمَّهَا عَوْضًا مِنْهَا ، وَيُرْوَى أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ لَهُ : خُذْ رَأْسًا آخَرَ مَكَانَهَا ^(٢) ، وَلَا مُعَارَضَةَ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ ، فَإِنَّمَا أَخَذَهَا مِنْ دُخْيَةٍ

== الزَيْدِيُّ عَنْ سَفْيَانَ الثَّوْرِيِّ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مَائِثَةَ قَالَتْ : كَانَتْ صَفِيَّةٌ مِنَ الصُّفَى ، وَقَدْ فَسَّرَهُ ابْنُ سِيرِينَ فِيمَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْهُ قَالَ : كَانَ يَضْرِبُ لِلنَّبِيِّ دَصً ، بِسَهْمٍ مَعَ الْمَسْلُودِينَ ، وَالصُّفَى يُؤْخَذُ لَهُ رَأْسٌ مِنَ الْخُمْسِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ . وَمِنْ طَرِيقِ الشَّعْبِيِّ قَالَ : كَانَ لِلنَّبِيِّ دَصٌ ، سَهْمٌ يَدْعَى الصُّفَى إِنْ شَاءَ ، عَبْدًا ، وَإِنْ شَاءَ أَمَةً ، وَإِنْ شَاءَ فَرَسًا يَخْتَارُهُ مِنَ الْخُمْسِ . وَمِنْ طَرِيقِ قَتَادَةَ : كَانَ النَّبِيُّ دَصً ، إِذَا غَزَا كَانَ لَهُ سَهْمٌ صَافٍ يَأْخُذُهُ مِنْ حَيْثُ شَاءَ ، وَكَانَتْ صَفِيَّةٌ مِنْ ذَلِكَ السَّهْمِ .

(١) الصُّهْبَاءُ مَوْضِعٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَيْبَرَ بَرِيدٌ كَمَا ذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ ، وَهِيَ الَّتِي بَنَى فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ دَصً ، بِصَفِيَّةٍ كَمَا جَاءَ فِي الْبُخَارِيِّ وَفِي رِوَايَةٍ عِنْدَ سَدِّ الرُّوحَانِ .

(٢) قَدْ ذَكَرَ الْبُخَارِيُّ فِي رِوَايَةٍ لَهُ أَنَّ صَفِيَّةَ كَانَتْ فِي السَّبْيِ ، فَصَارَتْ إِلَى ==

قبل القسم : وما عوّضه منها ليس على جهة البيع ، ولكن على جهة النفل والهيئة ، والله أعلم . غير أن بعض رُواة الحديث في المسند الصحيح يقولون فيه : إنه اشترى صفيّة من دحية ، وبعضهم يزيد فيه : بعد القسم ، فإله أعلم أى ذلك كان .

وكان أمر الصفيّة أنه كان عليه السلام إذا غزا في الجيش اختار من الغنيمة قبل القسم رأساً وضرب له بسهم مع المسلمين ، فإذا قُتل ، ولم يخرج مع

== دحية ، وفي رواية أن دحية جاء إلى رسول الله ﷺ ، فقال : أعطني يا رسول الله جارية من السبي ، قال اذهب ، فخذ جارية ، فأخذ صفيّة ، فجاء رجل ، فقال : يا رسول الله : أعطيت دحية صفيّة سيدة قريظة والنضير ، لا تصلح إلا لك ، قال : ادعوه بها ، فجاء بها ، فلما نظر إليها د ص ، قال : خذ جارية من السبي غيرها ، ثم صارت إلى النبي ﷺ ، فتزوجها ، فجعل عتقها صداقها ، ورواية سبعة أروس . رواية مسلم عن أنس نفسه الذي روى عنه البخاري أنه أعطاه جارية ١١ ولا شك في أن تصرف الرسول صلى الله عليه وسلم فوق ما قيل نبلا وحكمة وسهواً فالرجل العظيم الذي اصطفاه الله للتبيين خاتماً ، واستطاع - بتوفيق الله - تطبيق القرآن كما أمر الله ، وأنشأ به خير أمة أخرجت للناس . هذا الإنسان العظيم لا يجوز أن يقال عنه إن جمال صفيّة هو الذي دعاه إلى هذا التصرف .

إن هذا التصرف قد يترفع عنه قائد عسكري يمتاز الخلق . فإياك بني هو خاتم النبيين يصفه الله بأنه على خاق عظيم ؟ ومن خير ما يقال هنا ما ذكر الحافظ في الفتح لو أن رسول الله ﷺ خص بها دحية - وهي كما روى ابن سعد من أضواء ما يكون من النساء - لا يمكن تغير خاطر بعض الصحابة ، فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه ، واختصاصه عليه الصلاة والسلام ، فإن في ذلك رضا الجميع ص ٢٣٢ - ٢٣٠ المواهب . وانظر ما كتب العقاد عنها ص ١٩٣ حقائق الإسلام ط ١ .

الجيش ضرب له بسنهم ، ولم يكن له صفى ، ذكره أبو داود ، وأمر الصفى بعد الرسول عليه السلام لإمام المسلمين في قول أبي ثور ، وخالفه جمهور الفقهاء ، وقالوا : كان خصوصاً للنبي عليه السلام ^(١) .

صدائق صفية :

وقوله : أعتقها ، وجعل عتقها صداقها ، هو صحيح في النقل ، وقال به كثير من العلماء ، ومن لم يقل به من الفقهاء تأوله خصوصاً بالنبي صلى الله عليه وسلم أو منسوخاً ، ومن لم يقل به مالك بن أنس ، وجماعة سواء لا يرون مجرد العتق يعني عن صداق ^(٢) .

عنق الصفواني :

وذكر حديث حنن الصفناني عن رؤيف بن ثابت . هو حنن بن

(١) سبق الكلام عن الصفى في الشرح

(٢) في حديث متفق عليه عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أعتق صفية وجعل عتقها صداقها .

وقد ذهب الأكثر إلى عدم صحة جعل العتق مهرأ متوالين بأنه « ص » أعتقها بشرط أن يتزوجها ، فوجب له عليها قيمتها ، وكانت معلومة ، فتزوجها بها . والذي يرد هذا التأويل أنه ورد في مسلم بلفظ « ثم تزوجها » وجعل عتقها صداقها ، والحق مع القائلين بعدم صحة جعل العتق صداقاً ، لأن الله يقول : (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ، فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً) . فالصداق فرض ، ولا يجوز للمرأة أن تتنازل عنه كله ، بل عن بعضه

عَبْدُ اللَّهِ السَّبَّائِيُّ^(١) جاء إلى الأندلس مع مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ ، وهو الذي ابْتَدَأَ
جَامِعَ سَرَقُشْطَةَ ، وَأَسَّسَ جَامِعَ قُرْطُبَةَ أَيْضًا ، فِيمَا ذَكَرُوا ، وَتَوَلَّى الْبُخَارَى
أَنَّهُ حَنَشُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَأَنَّ الْاِخْتِلَافَ فِي اسْمِ أَبِيهِ ، وَقَدْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا عَلِيُّ بْنُ
الْمَدِينِيِّ فَقَالَ : حَنَشُ بْنُ عَلِيٍّ السَّبَّائِيُّ مِنْ صَنَعَاءِ الشَّامِ ، وَمِنْهَا أَبُو الْأَشْعَثِ
الصَّنَعَانِيُّ ، وَحَنَشُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّبَّائِيُّ مِنْ صَنَعَاءِ الْيَمَنِ ، وَكِلَاهُمَا يَرَوْنَ
عَنْ عَلِيٍّ ، فَمِنْهُمْ مَنْ دَخَلَ الْوُحْمُ عَلَى الْبُخَارِيِّ ، هَكَذَا ذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ ،
وَيَرَوْنَ عَنْ عَلِيٍّ أَيْضًا حَنَشُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَحَنَشُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ وَهُمَا غَيْرُ
هَذَيْنِ^(٢) .

وَلَا مِنْهُنَّ عَنْهُ :

وَفِيهِ : أَنَّ لَاتُوطًا حَامِلًا مِنَ السَّبَائِيَا حَتَّى تَضَعَ ، وَذَكَرَ بَاقِي الْحَدِيثِ ،
وَقَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي حَدِيثٍ آخَرَ أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى أُمَةٍ يُحِبُّ
أَيُّ مُقَرَّبٍ^(٣) ، فَسَأَلَ عَنْ صَاحِبِهَا ، فَقِيلَ : لِأَنَّهُ يُلِيمُ بِهَا ، فَقَالَ : لَقَدْ تَهَمَّمْتُ أَنْ
أَلْعَنَهُ لَعْنَةً تَدْخُلُ مَعَهُ فِي قَبْرِهِ . وَذَكَرَ الْحَدِيثَ .

(١) مِنْبَطُهَا الْحَزْرَجِيُّ فِي خِلَاصَةِ تَزْهِيْبِ الْكَمَالِ بِدَوْنِ أَلْفٍ ، وَهِيَ فِي
تَزْهِيْبِ الْبَابِ السَّبَائِي . وَقَالَ عَنْهُ الْحَزْرَجِيُّ ابْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ أَوْ ابْنُ عَلِيٍّ ، وَفِي
التَّزْهِيْبِ : وَابْنُ الْمَلِّقِ عَبْدُ اللَّهِ يَرَوْنِ عَنْ عَلِيٍّ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَفَضَالَةَ ابْنَ عُبَيْدِ مَاتَ
سَنَةَ ١٠٠ .

(٢) فِي تَزْهِيْبِ الْكَمَالِ : حَنَشُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ أَوْ ابْنُ رَبِيعَةَ ابْنُ الْمُعْتَمِرِ الْكِنَانِيُّ
أَبُو الْمُعْتَمِرِ الْكِنَانِيُّ .

(٣) هِيَ الْحَامِلُ الَّتِي دَنَا وَلَادَهَا . وَفِي الْأَصْلِ : مَغْرَبٌ .

فهذا وجه في معنى قوله : لا يَحِلُّ لِمَرْءٍ يَؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْتَقِي مَآوُهُ زَرْعَ غَيْرِهِ ، يَعْنِي إِمْتِنَانِ الْحَبَّالَى مِنَ السَّيِّئَاتِ ، فَإِنْ فَعَلَ فَالْوَلَدُ مُخْتَلَفٌ فِي إِحْقَاقِهِ بِهِ ، فَقَالَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ : لَا يُدْحَقُ بِهِ ، وَقَالَ اللَّيْثُ : يُدْحَقُ بِهِ .
فَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَيْفَ يَسْتَقْبِدُهُ ، وَقَدْ غَدَا فِي سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ .

عَلَى يَقْتُلُ مَرْحَبًا :

فصل : ومما يتصل بقصة مَرْحَبِ الْيَهُودِيِّ مع عَلِيٍّ بن أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - من غير رواية الكتاب قول علي :

أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْسِدَرَةَ
أَضْرِبَ بِالسَّيْفِ رُؤُوسَ الْكُفَرَةِ
أَكِيلَهُمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَةِ^(١)

(١) هي من رواية يونس عن ابن إسحاق ، وفيها : كَلَيْتَ غَابَاتٍ شَدِيدِ الْقُسُورَةِ . بدلا من الشطرة الثانية . وفيها أيضاً : أَكِيلُكُمْ . وفي رواية البزار : كَلَيْتَ غَابَاتٍ كَرِبَهُ الْمَنْظَرَةُ ، أَوْفِيَهُمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَةِ . أنظر ص ١٨٧ وما بعدها . البداية والنهاية لابن كثير . وهي في صحيح مسلم أيضاً . ويقول الحافظ : وخالف أهل السير في هذا ، فجزم ابن إسحاق وابن عتبة والواقدي بأن الذي قتل مرحباً هو محمد بن مسلمة ، وكذا روى أحمد بإسناد حسن عن جابر . وقيل : إن ابن مسلمة كان بارزه فقطع رجله . فأجهز علي عليه ، وقيل : قاتله هو الحارث أخو مرحب . ولكن الحافظ يميل إل أن ما في الصحيح مقدم على ما سواه ، ولا سيما وقد جاء عن بريدة أيضاً عند أحمد والنسائي وابن حبان والحاكم . يقصد أن علياً هو قاتل مرحب .

أى أجزيهم بالوفاء . والسندرة : شجرة يُصنع منها مكابيل عظام

مبيرة :

وفى قوله رضى الله عنه : سمّيتنى أُمى حيدرة ثلاثة أقوال ، ذكرها
قاسم بن ثابت ، أحدها : أن اسمه فى الكتب المتقدمة أسد ، والأسد : هو
الحيدرة . الثانى : أن أمّه فاطمة بنت أسد حين ولدته كان أبوه غائبا ،
فسمّته ، باسم أبيها أسد ، فقدم أبوه قسما عليا . الثالث : أنه لُقّب فى صغره
بحيدرة ، لأن الحيدرة الممتلى أجماعا مع عظم بطن ، وكذلك كان
على رضى الله عنه ، ولذلك قال بعض اللصوص حين فرّ من سجنه الذى
كان يسمى نافعا ، وقيل فيه : يافع أيضا بالياء :

ولو أنى مكثت لهم قليلا لجرؤنى إلى شيخ بطين

من مصوره فخير :

وذكر شقاوالنظاة وشقّ بالفتح أعرف عند أهل اللغة كذلك قيده البكرى .

وذكر وادى خاص من أرض خيبر . وقال أبو الوليد : إنما هو وادى
خلص باللام ، والأول تصحيف . وقال البكرى : هو خلس باللام وأنشد
البكرى لخالد بن عامر :

وإنّ بخلص خلس آرة بُدنا نواعم كالغزالان رضى عيونها

الحال المعرفة لفظا :

فصل : وذكر فى أشعار خيبر قول العنبي ، وفى آخره :

فَرَرْتُ يَهُودُ يَوْمَ ذَلِكَ فِي الْوَعَا تَحْتَ الْمَجَاجِ غَمَامُ الْأَبْصَارِ

وهو بيت مُشَكَّلٌ غير أن في بعض النسخ ، وهي قليلة عن ابن هشام أنه قال : فَرَرْتُ فَتَحَتْ ، من قولك : فَرَرْتُ^(١) الدَّابَّةَ ، إِذَا فَتَحَتْ فَاها . وغمائم الأبصار ، هي مفعول فَرَرْتُ ، وهي جُفُونُ أَعْيُنِهِمْ ، هذا قول ، وقد يصح أن يكون فَوَّتَ من الْفِرَارِ ، وغمائم الأبصار من صِفَةِ الْمَجَاجِ ، وهو الغبار ونَصَبَهُ على الْحَالِ من الْمَجَاجِ ، وإن كان لفظه لفظُ الْمَعْرِفَةِ عند من ليس بِشَاذٍ في النحو ، ولا ماهر في العربية ، وأما عند أهل التحقيق ، فهو نكسرة ، لأنه لم يرد الغمائم حقيقة وإنما أراد مثل الغمائم ، فهو مثل قول امرئ القيس :

يُمْنَجَرِدُ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ^(٢)

قَيْدُهَا هُنَا نَكْسَرَةٌ ، لأنه أراد مثل القَيْدِ ، ولذلك نَعَتَ بِهِ مُنْجَرِدًا ، أو جملة في معنى مُقَيَّدٍ ، وكذلك قول عَبْدَةَ بن الطَّيِّبِ^(٣) :

تَحِيَّةٌ مِنْ غَادِرَتِهِ غَرَضُ الرَّدَى

فغضب غرضاً على الحال : وأصح الأقوال في قوله سبحانه : ﴿ زَهْرَةٌ

(١) في الأصل : فرت . وفي اللسان : فر الدابة يفرها ككشف عن أسنانها .

(٢) من معلقته ، وأوله : وقد أغتدى والطير في وكناتها .

(٣) في الأصل : الطيب ، والتصويب من الأمالى للقالى والسمط للبكرى والبيان للجاحظ .

الحياة الدنيا^(١) طه : ١٣١ أنه خال من المضمَر المحفوض ، لأنه أراد التشبيه بالزهرة من النبات ، ومن هذا النحو قولهم : جاء القوم الجماء الغفير انتصب على الحال ، وفيه الألف واللام ، وهو من باب ما قدمناه من التشبيه ، وذلك أن الجماء هي بيضة الحديد تُعرف بالجماء والصلماء ، فإذا جعل معها المغفر ، فهي غفير ، فإذا قلت : جاءوا الجماء الغفير ، فإنما أردت العموم والإحاطة بجميعهم ، أي جاءوا جيئة تسلمهم وتستوعبهم ، كما تحيط البيضة الغفير بالرأس ، فلما قصدوا معنى التشبيه دخل الكلام الكثير كما تقدم ، وكذلك قولهم : تفرقوا أيدي سبأ ، وأيدي سبأ ، أي : مثل أيدي سبأ ، فحسنت فيه الحال لذلك ، والذي قلناه في معنى الجماء الغفير رواه أبو حاتم عن أبي عبيدة ، وكان علامة بكلام العرب ، ولم يقع سييؤبه على هذا الغرض في معنى الجماء ، فجعلها كلمة شاذة عن القياس ، واعتقد فيها التعريف وقرنها بباب وحده ، وفي باب وحده^(٢) أسرار قد أمليناها في غير هذا الكتاب .

(١) في إعرابها أقوال : أولها أن تكون منصوباً بفعل محذوف أي جعلنا لهم زهرة ، ثانيها أن تكون بدلا من موضع به ، ثالثها : أن تكون بدلا من أزواج والتقدير : ذوى زهرة فمحذوف المضاف . رابعها : أن يكون المنصب على الذم ، أي أذم أو أعنى ، خامسها : أن يكون بدلا من ما ، ، لكن يلزم من هذا الفصل بين الصلة والموصول بالاجنبي . سادسها : أن يكون حالا من الماء . أو من ما ، وحذف التنوين لالتقاء الساكنين ، وجر الحياة على البدل من ماء ، سابعها : أنه تمييز لما أولاه في به ، حكى عن القراء وهو غلط لإملاء ما من به الرحمن للعكبري .

(٢) قال أبو بكر : وحده منصوب في جميع كلام العرب إلا في ثلاثة مواضع تقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ومررت بزيد وحده ، وبالقوم =

وَمَسْأَلَةٌ وَحْدَهُ تَخْتَصُّ بِيَابِ وَحْدِهِ ، وهذا الذى ذكرنا من التَّنْكِيرِ بسبب التشبيه ، إِنْما يكون إِذَا شَبَّهْتَ الأولُ بِاسْمٍ مُضَافٍ ، وكان التشبيهُ بصفةٍ مُتَعَدِّيةٍ إِلَى المضافِ إِلَيْهِ ، كَقَوْلِهِ : قَتَلَ الأَوَابِدَ ، أَيْ مُقَتِّلَ الأَوَابِدِ ، وَلَوْ قُلْتَ : مَهَرْتُ بِامْرَأَةِ القَمَرِ عَلَى التشبيهِ لَمْ يَجْزِ ، لِأَنَّ الصِّفَةَ الَّتِي وَقَعَ بِهَا التشبيهُ غَيْرُ مُتَعَدِّيةٍ إِلَى القَمَرِ ، فَهَذَا شَرْطٌ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ، وَمَا يَحْسُنُ فِيهِ التَّنْكِيرُ وَهُوَ مُضَافٌ إِلَى مَعْرِفَةِ اتِّفَاقِ اللَّفْظَيْنِ كَقَوْلِهِ : لَهُ صَوْتُ صَوْتِ الحِمَارِ وَزَيْبِرُ زَيْبِرِ الأسدِ ، فَإِنْ قُلْتَ : فَمَا بِالْجَمَاءِ الْفَقِيرِ ، جَازَ فِيهَا الْحَالُ ، وَإِيسَتْ بِمُضَافَةٍ ؟ قُلْنَا : لَمْ تَقُلِ الْعَرَبُ جَاءَ الْقَوْمُ الْبَيْضَةَ ، فَيَكُونُ مِثْلُ مَا قَدَّمْنَاهُ مِنْ قَوْلِكَ : مَهَرْتُ بِهَذَا القَمَرِ ، وَإِنَّمَا قَالُوا : الْجَمَاءُ الْفَقِيرُ بِالصِّفَةِ الْجَامِعَةِ بَيْنَهَا ، وَبَيْنَ مَا هِيَ حَالٌ مِنْهُ ، وَتِلْكَ الصِّفَةُ الْجَمُّ ، وَهُوَ الاسْتِوَاءُ وَالْعَفْرُ ، وَهِيَ التَّغْطِيَةُ فَعَنَى الْكَلَامُ : جَاءُوا جَيْئَةً مُسْتَوِيَةً لَهُمْ ، مُوَعَّبَةً لْجَمِيعِهِمْ ، فَهَوِيَ مَعْنَى التَّشْبِيهِ بِهَذَا الوَصْفِ ، فَدَخَلَ التَّنْكِيرُ لِذَلِكَ ، وَحَسُنَ النَّصْبُ عَلَى الْحَالِ وَهُوَ حَالُ مِنَ الْجَمْعِ .

الشاة السمومة :

فصل : وَذَكَرَ حَدِيثَ الشَاةِ الْمَسْمُومَةِ ، وَأَكَلَ بَشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ مِنْهَا ،

== وَحْدَى ، قَالَ : وَفِي نَصْبِ وَحْدِهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ . قَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْبَصْرِيِّينَ : هُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ ، وَقَالَ يُونُسُ : وَحْدَهُ هُوَ بِمَنْزِلَةِ عِنْدِهِ ، وَقَالَ هِشَامُ : وَحْدَهُ مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : الْعَرَبُ تَنْصِبُ وَحْدَهُ ، فِي الْكَلَامِ كُلِّهِ لَا تَرْفَعُهُ وَلَا تَخْفِضُهُ إِلَّا فِي ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ : نَسِيجٍ وَحْدَهُ ، وَعَيْبَرٍ وَحْدَهُ ، وَجَدِيشٍ وَحْدَهُ . وَاللَّسَانُ . وَلِكَلَامِهِ عَنْهَا بَقِيَّةٌ أُخْرَى .

وفيه : أن الذراعَ كانت تُعْجِبُهُ ، لأنها هادِي الشاةِ ، وأبْعدُها من الأذى ،
فلذلك جاء مُقْسَراً في هذا اللفظ .

فأما المرأةُ التي سَمَّتهُ ، فقال ابنُ إسحاقٍ : صَنَحَ عنها ، وقد روى أبو داود
أنه قتلها ، ووقع في كتابِ شَرَفِ الْمُصْطَفَى ، أنه قتلها وصَلَبَها ؛ وهي زينب
بنت الحارث بن سلام ، وقال أبو داود : وهي أختُ مَرْحَبِ الْيَهُودِي ،
وروى أيضاً مثل ذلك ابنُ إسحاق . ووجهُ الجمعِ بين الروایتين أنه عليه السلام
صَنَعَ عنها ، أوَّلُ لأنه كان - صلى الله عليه وسلم - لا ينتقم لنفسه ، فلما مات
بِشَرِّ بنِ الْبَرَاءِ من تلك الأكلة ، قتلها ، وذلك أن بشراً لم يزل مُعْتَصِلاً من
تلك الأكلة حتى مات منها بعدَ حَوْلٍ ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم عند
موته : « مَا زَالَتْ أَكَلَةُ خَيْبَرَ تُمَادِّنِي ، فَمَهْذَا أَوَّانُ قَطَعْتَ أَبْهَرِي » وكان
يَنْفُثُ منها مثلُ عَجْمِ الزَّيْبِيبِ . وَتُمَادِّنِي ، أَي تَفْتَادُنِي الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ ،
قال الشاعر :

أَلَا فَيَ مِنْ تَذَكُّرِ آلِ كَيْلَى كَمَا يَلْقَى السَّلِيمُ مِنَ الْعِدَادِ

والأبهرُ : عِرْقٌ مُسْتَنْبِطٌ مِنَ الْقَلْبِ . قال ابنُ مُقْبِلٍ :

وَالْفُؤَادَ وَجِيبٌ تَحْتَ أَبْهَرِهِ لَدَمَ الْوَلِيدِ وَرَاءَ النَّيْبِ بِالْخَجَرِ

وقد روى مَعْمَرُ بنُ رَاشِدٍ في جامعِهِ عن الزُّهْرِيِّ أنه قال : أَشْلَمَتْ
فَتَرَكَهَا النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - قال معمر : هَكَذَا قَالَ الزُّهْرِيُّ :

أُسلمت ، والناس يقولون : قتلها ، وأنها لم تُنْصَلِم^(١) ، وفي جامع معمر بن راشد
أيضاً أن أُمَّ بَشِيرِ بْنِ الْبَرَاءِ قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَرْضِ الَّذِي
مَاتَ مِنْهُ مَا تَتَّبِعُهُمْ يَارَسُولَ اللَّهِ ، فَإِنِّي لَا أَتَّهَمُ بِبَشِيرٍ إِلَّا الْأُكْلَةَ الَّتِي أَكَلْتُهَا
مَعَكَ بِخَيْرٍ ، فَقَالَ : وَأَنَا لَا أَتَّهَمُ بِنَفْسِي إِلَّا ذَلِكَ ، فَبُهِدَا أَوْأَنُ قَطَعْتَ أَبْهَرِي .

مول حديث المرأة الغفارية :

فصل : وذكر حديث الغفارية التي شهدت خيبر ، ولم يُسمَّها ،
وقد يقال : اسمها كَيْلَى ، ويقال : هي امرأة أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيَّ ، وقولها
رَضَخَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَصْلُ الرَضَخِ أَنْ تَكْشُرَ مِنَ
الشَّيْءِ الرُّطْبَ كِشْرَةً فَهَمْطُهَا ، وَأَمَّا الرَضَخُ بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ ، فَكَشْرُ الْيَابِسِ ،
الصُّلْبُ . قَالَ الشَّاعِرُ :

كَمَا تَطَّيَّرَ عَنْ مِرْضَاكِ الْعَجَمِ

(١) يقول الحافظ : ولم ينفرد الزهري بدعواه أنها أُسلمت فقد جزم بذلك
سليمان التيمي في معازيه . وجعلها في الإصابة في القسم الأول من الصحايات ،
هذا وقد روى البخاري قصة الشاة المسمومة ، وفي الصحيحين من حديث شعبة
عن هشام بن زيد عن أنس بن مالك أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله
عليه وسلم — بشاة مسمومة ، فأكل منها . فجاء بها إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فسألها عن ذلك ، قالت : أردت لأقتلك ، فقال : ما كان الله
ليسلطك على ، أو قال : على ذلك . قالوا : ألا تقتلها ؟ قال : لا . قال أنس ،
فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واللهوات جمع لهاة ، وهي
اللحومات في سقف أفعى الفم .

منه أمطس الماء :

وقولها : أمرني أن اجعل في طهوري ملحاً . فيه ردٌّ على مَنْ زعمَ من الفقهاء أن المِلْحَ في الماء إذا غيّر طعمه صيِّره مُضافاً طاهراً غير مُطَهَّر ، وفي هذا الحديث ما يدفع قوله . ومن طريق النظر أن الخاطِطَ للماء إذا غلب على أحدِ أوصانه الثلاثة : الطَّعْمُ ، أو اللون ، أو الرائحة ، كان حكمُ الماء كحكمِ المُخاطِطِ له ، فإن كان طاهراً غير مُطَهَّرٍ كان الماء به كذلك ، وإذا كان لا طاهراً ولا مُطَهَّراً كالتبول كان الماء لمخالطته كذلك ، وإن كان الخاطِطُ له طاهراً مُطَهَّراً كالتراب كان الماء طاهراً مُطَهَّراً ، والمِلْحُ إن كان ماءً جامداً ، فهو في الأصل طاهر مُطَهَّرٌ ، وإن كان معدنياً تُرابياً ، فهو كالتراب في مخالطة الماء ، فلا معنى لقول من جعله ناقلاً للماء عن حكمِ الطهارة والتنظيف ، ووقع في رواية يونس في السيرة أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم اغتسل عامَ الفتح من جَفَنَةٍ فيها ماءٌ وكافور ، وتَحْمَلُ هذه الرواية عندي إن صحَّت على أنه قصدَ بها التَّطْيِيبَ ، وأنه لم يكن مُخَدِّناً ، ولأبي حنيفة في هذه الرواية مُتَعَلِّقٌ أثر خيصة .

من شهراء فخير :

وذكر فيمن استشهد بخَيْرٍ : أبا الضَّيَّاح بن ثابت ، ولم يُسمَّه ، وقال الطبري : اسمه النُّعْمَانُ بن ثابت بن النُّعْمَانِ ، وقال غيره : اسمه عُمَيْرٌ .

وذكر فيمن استشهد : عامر بن الأكوع ، وهو الذي رجع عليه سيفه

فقتله ، فشك الناس فيه ، فقالوا : قتله سلاحه ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه جاهِدٌ مُجَاهِدٌ ، وَقَلَّ عَرَبِيٌّ ، مُشَابِهًا مِنْهُ ، وفي رواية : مَشَى بِهَا مِنْهُ ، ويروى أيضاً : نَشَأَ بِهَا مِنْهُ ، كل هذا يُروى في الجامع الصحيح ، وهذا اضطرابٌ من رِوَاةِ الكتاب ، فمن قال : مشى بها مِنْهُ فالهاء عائدة على المدينة ، كما تقول : ليس بين لابتين مثل فلان ، يقال هذا في المدينة ، وفي السكوفة ، ولا يقال في بلد ليس حوله لابتان ، أى حرتان ، ويجوز أن تكون الهاء عائدة على الأرض ، كما قال سبحانه : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ الرحمن : ٢٦ .

الحال من النكرة :

ومن رَوَاهُ مُشَابِهًا مُفَاعِلًا مِنَ الشَّيْءِ ، فهو حالٌ من عَرَبِيٍّ ، والحال من النكرة لا بأس به إذا دَلَّتْ على تَصْحِيحِ مَعْنَى كما جاء في الحديث : فَصَلَّى خَلْفَهُ رَجُلَانِ قِيَامًا . الحال هاهنا مُصَحِّحَةٌ لِقِيَةِ الحديث ، أى : صَلَّوْا فِي هَذِهِ الْحَالِ ، ومن احتج في الحال من النكرة بقولهم : وقع أمرٌ فجأةً ، فلم يصنع شيئاً ، لأن فجأةً ، ليس حالاً من أمرٍ ، إنما هو حالٌ من الوقوع ، كما تقول : جاءني رجل مشياً ، فليس مشياً حالٌ من رجل ، كما توهموا ، وإنما هي حالٌ من المجيء لأن الحال هي صاحبُ الحال ، وتنقسم أقساماً : حالٌ من فاعلٍ كقولك : جاء زيدٌ ماشياً ، وحالٌ من الفعل ، كقولك : جاء زيدٌ مشياً ورَكْضاً ، وحالٌ من المفعول ، كقولك : جاءني القومُ جالِساً ، فهي صفة للمفعول في وقت وقوع الفعل عليه ، أو صفةُ الفاعل في وقت وقوع الفعل منه ، أو صفةُ الفعل في وقت وقوعه ونعني بالفعل : المصدر .

محدث الحجاج بن علاط :

فصل : وذكر حديث الحجاج بن علاط السلمي : وقد ذكرنا في حديث إسلامه خبراً عجيباً اتفق له مع الجن ، وهو والد نصر بن حجاج الذي جاهد عمر رأسه ، ونفاه من المدينة لما سمع قول المرأة فيه :

أَلَا سَبِيلَ إِلَى خَمْرٍ فَأُشْرِبَهَا أُمَ لَسَبِيلَ إِلَى نَصْرِ بْنِ حَجَّاجٍ

وهذه المرأة هي القُرَيْمَةُ بنت هَمَامٍ ، ويقال : إنها أُمُ الحَجَّاجِ بنِ يُوْسُفَ ، ولذلك قال له عُرْوَةُ بنُ الزُّعَيْرِ : يَا ابْنَ الْمُتَمَنِّيَةِ ^(١) ، وكان من أحسن الناس لِمَةً وَوَجْهًا ، فَأَتَى الشَّامَ ، فَزَلَّ عَلَى أَبِي الْأَعْوَرِ الشَّامِيِّ ، فَهَوِيَتْهُ امْرَأَتُهُ ، وَهَوَاهَا ^(٢) ، وَفَطَنَ أَبُو الْأَعْوَرِ لَذَلِكَ بِسَبَبِ يَطْوُلِ ذِكْرِهِ ، فَأَبْتَنَى لَهُ قُبَّةً فِي أَنْصَى الْحَيِّ ، فَسَكَنَ بِهَا ، فَاشْتَدَّ ضَنَاهُ بِالرَّأَةِ ، حَتَّى مَاتَ كَلْفًا بِهَا ، وَسَمَّى الْمُضْنَى وَضَرِبَتْ بِهِ الْأَمْثَالُ . وَذَكَرَ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي كِتَابِ الْأَمْثَالِ لَهُ خَبْرًا بِطَوْلِهِ ^(٣) .

(١) زعموا أنهما كانا بحضرة عبد الملك بن مروان ، فذكر عروة أخاه عبد الله بن الزبير ، فقال له الحجاج : أعند أمير المؤمنين تسكني أخاك المنافق لا أم لك ، فقال له عروة : يا ابن المتمنية !! إلى تقول هذا لا أم لك ، وأنا ابن عجايز الجنة .

(٢) المعروف في اللغة أن هوى كرضى ، وهو ولاشك خطأ في الطبع أو النقل وقد ذكرها البغدادى وهو بها ، نقلًا عن الروض .

(٣) سبق الحديث عن قصتها وذكرنا بعض مراجع قصتها .

وقوله : الحجاجُ بن عِلَاطٍ ، والعِلَاطُ وَنَمٌ في العنق ، ويقال له : العُلَاطَةُ
أيضاً ، وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم : لا بُدَّ لي أن أقولَ ، فقال له : قل ،
يعني التَّكْذُوبُ^(١) ، فأباحه له ، لأنه من خُدْعِ الحَرْبِ ، وقال : المُبَرَّدُ : إنما
صوابه : أَتَقُولُ إذا أردت معنى التَّكْذُوبِ ، وأخذ هذا المعنى حبيب فقال :
بَحْسَبِ أَمْرِي ، أُنْثَى عليك بأنه يقول ، وإن أُرْبَى فـ لا يَتَقَوَّلُ
أى : يقول الحق إذا مدحك ، وإن أفرط فليس إنراطه بَيَقُولُ .

تفسير أولى لك :

وذكر غير ابن إسحاق في حديث حَجَّاجٍ أن قُرَيْشًا قالت : حين أُنْذِرْتُهُمْ :
أولى له ، وهي كلمة معناها : الوعيد ، وفي التنزيل : ﴿أُولَى لَكَ فَأُولَى﴾
القيامة : ٣٤ ، فهي على وزن أَفْعَل ، من وَلَّى أى : قد وَلَّيَهُ الشَّرُّ ، وقال
الفارسي : هي اسمٌ علمٌ ولذلك لم ينصرف ، وجدت هذا في بعض مسائله ،
ولا تَنَضِّحُ لى الْعَلَمِيَّةُ في هذه الكلمة ، وإنما هو عندي كلامٌ حُذِفَ منه ،
والتقدير : الذى تصير إياه من الشر أو العقوبة أولى لك ، أى ألزم لك ، أى
إنه يَلِيك ، وهو أولى لك ، مَّا قَرَّرْتَ منه ، فهو في موضع رفع ، ولم ينصرف
لأنه وَصَفَ عَلَى وزن أَفْعَل^(٢) ، وقول الفارسي : هو في موضع نصبٍ جملة من

(١) في قصة الحجاج عند أحمد أنه قال للرسول (ص) : «أفأنا في حل إن أنا
نلت منك ، أو قلت شيئاً ، فأذن له د ص ، أن يقول ما شاء .»

(٢) ما في اللسان عنها أنها اسم لدنوت وقاربت . وقال ثعلب : لم يقل
أحد في أولى لك أحسن مما قال الأصمعي . وقد قال الأصمعي عنها : أولى لك :
قاربتك ما تذكره . وانظر مادة أول ففيها الكثير عنها .

باب تَبَّأَ لَهُ ^(١)، غير أنه جعله علماً لما رآه غير مُنَوَّن .

أُمُ الْيَمَنِ :

فصل : وذكر شِعْرَ حَسَّانَ فِي ابْنِ أُمِّ الْيَمَنِ ، واسم أبيه عُبَيْدٌ ، واسم أمه أُمُّ الْيَمَنِ بَرَكَةُ ، وهى أم أسامة بن زيد ، يقال لها : أم الطَّابَاءِ ، قال الواقدي : اسمها بَرَكَةُ بنت ثَعْلَبَةَ [بن عمرو بن حصن بن مالك بن مسلمة بن عمرو بن النعمان] ^(٢) وكانت أُمَّةً لعبدِ الله بن عبدِ المطلب ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : أُمُّ الْيَمَنِ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي ^(٣) ، ويقال : كانت لَأَمِنَةَ بنتِ وَهْبٍ أُمُّ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - وهى التى هاجرت على قَدَمَيْهَا من مَكَّةَ إلى المدينة ، وليس معها أحد ، وذلك فى حَرٍّ شَدِيدٍ ، فَعَطِشَتْ ، فسمعت حَفِيصًا فوق رأسها ، فالتفت ، فإذا دُلُوٌّ قد أَذْلَيْتَ لها من السَّمَاءِ فشرِبَتْ منها ، فلم تَظْمَأْ أبداً ^(٤) ، وكانت تَتَعَهَّدُ الصَّوْمَ فى حَمَارَةِ الْفَيْظِ ، لَتَعَطِشَ فلا تَعَطِشُ

(١) تَبَّأَ له دعاء ، نصب ، لأنه مصدر محمول على فعله كما تقول شقياً لفلان ، معناه : شقى فلان شقياً ، ولم يجعل اسماً مسنداً إلى ما قبله .

(٢) الزيادة فى نسب أم أيمن من الإصابة من أول ابن عمرو بن حصن الخ .

(٣) ذكره ابن أبي خيثمة وانظر ترجمتها فى الإصابة فى الجزء الثامن .

(٤) أخرجه ابن سعد بسنده إلى عثمان بن القاسم يقول : لما هاجرت . . الحديث ، وأخرجه ابن السكن من طريق هشام بن حسان عن عثمان بنحوه . وقد أخرج البخارى فى تاريخه ومسلم وابن السكن أن أم أيمن كانت وصيفة لعبد الله ابن عبد المطلب .

وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يزورها ، وكان الخليفةان يزورانها بعده ،
وقد روى مثل قصتها عن أم شريك الدوسية^(١) أنها عطشت في سفر فلم تجد
ماءً إلا عند يهودي ، وأبى أن يسقيها إلا أن تدين بدينه ، فأبت إلا أن تموت
عطشاً ، فدليّت لها دلون من السماء فشربت ، ثم رفعت الدلو ، وهي تنظر . ذكر
خبرها ابن إسحاق في السيرة من غير رواية ابن هشام ، وهو أطول مما ذكرناه .
وقول حسان :

وَأَيْمَنُ لَمْ يَجْنِبْ ، وَلَكِنْ مُهْرَهُ أَضْرَبَ بِهِ شَرْبُ الْمَدِيدِ الْمُخْمَرِ^(٢)

المديد : وقع في الأصل ، وهو معروف ، ولكن ألفت في حاشية الشيخ
عن ابن دريد : المرید براء ، والمريس أيضاً ، وهو تمر ينقع ثم يمرس
وأنشد :

مُسْتَفَاتٌ تُسْقَى ضِيَاخَ الْمَرِيدِ

أبوأيوب في مرآة النبي صلى الله عليه وسلم :

وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي أيوب حين بات يحرسه :
حَرَسَكَ اللَّهُ يَا أَبَا أَيُّوبَ ، كَمَا بَتَّ تَحْرُسُ نَبِيَّ .

(١) قصتها وقصة عطش أم أيمن لم يخرجهما غير أصحاب السير ، وأما
المحدثون أصحاب الصحيح والمسانيد والسنن ، فلم يخرجوا شيئاً من ذلك .
(٢) شرحه أبو ذر الحشني : بقوله ، هو الدقيق يملط مع الماء فقتربه
الخبيل .

قال المؤلف : فخرس الله أبا أيوب بهذه الدعوة ، حتى إن الروم لتخرس قبره ، ويسندسقون به ، ويسندسحون^(١) ، وذلك أنه غزا مع يزيد بن معاوية سنة خمس ، فلما بلغوا القسطنطينية مات أبو أيوب هنالك ، وأوصى يزيد أن يدفنه في أقرب موضع من مدينة الروم ، فركب المسلمون ، ومشوا به حتى إذا لم يجدوا مساغاً ، دفنوه ، فسألهم الروم عن شأنهم ، فأخبرهم أنه كبير من أكابر الصحابة ، فقالت الروم ليزيد ما أحقك وأحق من أرسلك أن ننبيهه بعدك ، فنجرق عظامه ، فأقسم لهم يزيد لنن فعلوا ذلك آنهتد من كل كنيسة بأرض العرب ، ولتنهشن قبورهم ، فحينئذ حلفوا لهم بدينهم كيكرمن قبره ، وآيجرسنه ما استطاعوا ، فروى ابن القاسم عن مالك قال : بلغني أن الروم يسندسقون بقر أبي أيوب رحمه الله ، فيسندسقون^(٢) .

قسم أموال خيبر وأراضيها

أما قسم غنائمها ، فلا خلاف فيه وفي كل مغمم بنص القرآن كما تقدم في غزاة بدر ، وأما أرضها ، فقسمها النبي صلى الله عليه وسلم بين من حضرها من أهل الحديبية ، وأخرج الخمس لله ولرسوله ، ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وقد تقدم الكلام في معنى : لله ولرسوله ، وما معنى سبهم الله ، وسبهم الرسول ، ولولا الخروج عما صمنا إليه لذكرنا سبها بديماً وفقها عجيباً في قوله تعالى : ﴿ لله وللرسول ولذي القربى ﴾ باللام ، ولم يقل ذلك فيه

(١) عمل جهال قلوبهم في أكنة .

(٢) ليس هذا من هدى الإسلام في شيء ، هذا وكان غزو القسطنطينية سنة ٥٥ هـ .

اليتامى والمساكين ، وقال : وللرسول ، وقال في أول السورة ﴿ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ
والرسول ﴾ وقال في آية النِّفْيِ ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ فَلِلَّهِ وَاللرَّسُولِ ﴾
ولم يقل : رسوله ، وكل هذا لحكمة ، وحاشا لله أن يكون حرف من التنزيل
خالياً من حكمة . وقال أبو عُبَيْدٍ في كتاب الأموال : قسم النبي صلى الله عليه
وسلم أرضَ خَيْبَرَ اثلاثاً اثلاثاً ، السَّلاطِمَ وَالْوُطَيْحَ وَالسَّكَنِيَّةَ ، فإنه تركها
لنواب المسلمين وما يعرفونهم ، وفي هذا ما يُقَوَّى أن الإمام يُخَيِّرُ في أرضِ
الْعَنُوقَةِ إن شاء قسمها أَخْذاً بقول الله سبحانه : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ
شَيْءٍ ﴾ الآية فيجريها تجزى الغنيمة ، وإن شاء وقفها كما فعل عُمرُ - رضى الله
عنه - أَخْذاً بقول الله تعالى : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ إلى
قوله : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ فاستَوْعَبَتْ آيَةُ النِّفْيِ جميع المسلمين ، ومن
يأتى بعدهم ، فسمى آية القرى قَيْمًا وَسَمَّى الأخرى غَنِيمَةً ، قَدْ لَّ عَلَى افتراقهما
في الحكم ، كما افترقا في الدَّسْمِيَّةِ ، وكما اختلف الفقهاء في هذه للسَّأَلَةِ على أقوال
منهم : مَنْ يرى قَسَمَ الأَرْضِ كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم بِخَيْبَرَ ، وهو قول
الشَّافِعِيِّ ، ومنهم من يراها وَقْفًا على المسلمين لَبَيْتِ ما لهم ، ومنهم من يقول
بِتَخْيِيرِ الإمام في ذلك ، فكذلك افترق رأيُ الصَّحَابَةِ عند افتتاح البلاد ،
فكان رأيُ الزُّبَيْرِ الْقَسَمَ ، فكلم عُمرَ وَابْنُ العاصِ حين افتتاح مصر في قَسَمِهَا
فكُتِبَ عُمرُ بذلك إلى عُمرَ بن الخطاب ، فكُتِبَ إليه عمر : أَنْ دَعَهَا ،
ولا تقسمها ، حتى يجاهد منها حَبِيلَ الْحَبَالَةِ^(١) ، وقد شرحنا هذه الكلمة في

(١) يريد: حتى يغزو منها أولاد الأولاد، ويكون عامان في الناس والدواب، أى بكثرة =

فِي الْمُبْعَثِ قَبْلَ هَذَا بِإِجْزَاءٍ ، وَكَذَلِكَ اسْتَأْمَرَ عُمرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - الصَّحَابَةَ فِي قَسَمِ أَرْضِ السَّوَادِ حِينَ افْتَتِحَتْ ، فَكَانَ رَأْيُ عَلِيٍّ مَعَ رَأْيِ عُمرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنْ يَقْفَهَا ، وَلَا يَقْسِمَهَا ، وَأَرْضُ السَّوَادِ أُولَاهَا مِنْ نُحُومِ الْمَوْصِلِ مَدَامِيعُ الْمَاءِ إِلَى عِبَادَانَ مِنَ السَّاحِلِ عَنْ بَسَارِ دِجْلَةَ ، وَفِي الْعَرْضِ مِنْ جِبَالِ حُلُوانَ إِلَى الْقَادِسِيَّةِ مُتَّصِلًا بِالْمَذَنِبِ مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ ، كَذَا قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَقُولُ : دَلَعَ الْبَرُّ إِسَانَهُ فِي السَّوَادِ ، لِأَنَّ أَرْضَ الْقَادِسِيَّةِ كِلْسَانٍ مِنَ الْبَرِّيَّةِ دَاخِلٍ فِي سَوَادِ الْعِرَاقِ ، حَكَاهَا الطَّابِرِيُّ .

وَلَمَّا سَارَ عُمرُ إِلَى الشَّامِ ، وَكَانَ بِالْجَلَابِيَّةِ شَاوِرًا فِيمَا افْتَتَحَ مِنَ الشَّامِ : أَيْقَسِمُهَا ؟ فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ : إِنْ قَسَمْتَهَا لَمْ يَكُنْ لِمَنْ يَأْتِي بَعْدُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ شَيْءٌ ، أَوْ نَحْوُ هَذَا ، فَأَخَذَ يَقُولُ مُعَاذٍ ، فَالْحَ عَلَيْهِ بِلَالٌ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَطَلَبُوا الْقَسَمَ ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا ، قَالَ : اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِلَالًا وَذَوِيهِ ، فَلَمْ يَأْتِ الْحَوْلُ ، وَمِنْهُمْ عَلَى الْأَرْضِ عَيْنٌ تَطْرَفُ ، وَكَانَتِ أَرْضُ الشَّامِ كُلُّهَا عَنُودًا إِلَّا مَدَائِنَهَا ، فَإِنَّ أَهْلَهَا صَالِحُوا عَلَيْهَا ، وَكَذَلِكَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ فَتَحَهَا عُمرُ صُلْحًا بَعْدَ أَنْ وَجَّهَ إِلَيْهَا خَالِدُ بْنُ ثَابِتٍ الْقَهْمِيُّ فَطَلَبُوا مِنْهُ الصَّلْحَ ، فَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى عُمرَ ، وَهُوَ بِالْجَلَابِيَّةِ ، فَقَدَّمَهَا ، وَقَبِلَ صُلْحَ أَهْلِهَا . وَأَرْضُ السَّوَادِ كُلُّهَا عَنُودٌ إِلَّا الْخَيْرَةَ فَإِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ صَالِحُ أَهْلِهَا ، وَكَذَلِكَ أَرْضُ بَاقِيَا ^(١)

= الْمُسْلِمُونَ فِيهَا بِالتَّوَالِدِ ، فَإِذَا قَسَمْتَ لَمْ يَكُنْ قَدْ انْفَرَدَ بِهَا الْآبَاءُ دُونَ الْاَوْلَادِ ، أَوْ يَكُونُ : أَرَدَ الْمَنْعَ مِنَ الْقِسْمَةِ حَيْثُ عُلِقَ عَلَى أَمْرِ مَجْهُولِهِ النِّهَايَةِ لِابْنِ الْاَثِيرِ . (١) هِيَ أَرْضُ بَالَنْجَفِ دُونَ السَّكُوفَةِ .

أَيْضاً صُلَحٌ ، وَأُخْرَى يُقَالُ لَهَا : اللِّيس ^(١) . وَأَرْضُ خُرَّاسَانَ عَنُوءَةٌ إِلَّا زَرَمِدًا ، فَإِنَّهَا قَلْعَةٌ مَنِيعَةٌ وَقِلَاعٌ سِوَاهَا ، وَأَمَّا أَرْضُ مِصْرَ ، فَكَانَ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ قَدْ اقْتَنَى بِهَا مَالًا وَعَابَ ذَلِكَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ، لِأَنَّ أَرْضَ الْعَنُوءَةِ لَا تُشْتَرَى ، وَكَانَ اللَّيْثُ يَرَوِي عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ ، أَنَّهَا فُتِحَتْ صُلَحًا ، وَكَلَّا الْخَبْرَيْنِ حَقٌّ لِأَنَّهَا فُتِحَتْ صُلَحًا أَوَّلًا ، ثُمَّ انْتَسَكَّتْ بَعْدُ ، فَأُخِذَتِ عَنُوءَةٌ ، فَمِنْ هُنَا نَشَأَ الْخِلَافُ فِي أَسْرِهَا ، قَالَهُ أَبُو عُبَيْدٍ ، وَقَدْ احْتِجَّ مَنْ قَالَ بِالْقَسَمِ فِي أَرْضِ الْعَنُوءَةِ بِأَنَّ عُمرَ لَمْ يَقِفْ أَرْضَ السَّوَادِ وَغَيْرَهَا حَتَّى اسْتَطَابَ نَفْسَ الْمُفْتَتِحِينَ لَهَا ، وَأَعْطَاهُمْ حَتَّى أَرْضَاهُمْ ، وَرَوَوْا أَنَّ أُمَّ كُرْزٍ الْبَجَلِيَّةَ سَأَلَتْ سَهْمَ أَبِيهَا فِي أَرْضِ السَّوَادِ ، وَابْتِ أَنْ تَتْرَكَهُ فَيُتَا ، حَتَّى أَعْطَاهَا عُمرُ رَاحِلَةً وَقُطِيفَةَ سَحْرَاءَ وَثَمَانِينَ دِينَارًا ، وَكَذَلِكَ رَوَوْا عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ فِي سَهْمِهِ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ نَحْوًا مِنْ هَذَا ، وَقَالَ مَنْ يَحْتَجُّ لِلْفَرِيقِ الْآخَرِ : إِنَّمَا تَرْضَى عُمرُ جَرِيرًا ، لِأَنَّهُ كَانَ نَفْلَهُ تِلْكَ الْأَرْضَ ، فَكَانَتْ مِلْكًا لَهُ ، حَتَّى مَاتَ ، وَكَذَلِكَ أُمُّ كُرْزٍ كَانَتْ سَهْمَ نَائِبِهَا نَفْلًا أَيْضًا ، جَاءَتْ بِذَلِكَ كُلُّهُ الْآثَارُ الثَّابِتَةُ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ ^(٢) .

(١) فِي مَعْجَمِ السِّبْكَرَى : أَلَيْسَ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ مَعَ فَتْحِهَا ، وَهِيَ بِلَدَةٌ بِالْجَزِيرَةِ وَكَذَلِكَ ضَلَّطَتْ فِي الْمَرَاوِدِ ، وَقَالَ : الْمَوْضِعُ الَّذِي فِيهِ الْوَقْعَةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمَرْسِ فِي أَوَّلِ أَرْضِ الْعِرَاقِ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَادِيَةِ : وَقِيلَ : قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى الْأَنْبَارِ .

(٢) يَقُولُ الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ وَمَنْ تَأَمَّلَ السَّيْرَ وَالْمَغَازِيَ حَقَّ التَّأَمُّلِ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ خَيْرَ لَنَا فُتْحَ عَنُوءَةٍ ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — اسْتَوْلَى عَلَى أَرْضِهَا كُلِّهَا بِالسَّيْفِ عَنُوءَةً ، ثُمَّ سَأَلَ الْأَدْلَةَ عَلَى هَذَا ثُمَّ قَالَ : هَذَا صَوَابٌ =

أبو نيفة :

وذكر فيمن قسم له يوم خيبر أبا نيفة قسم له خمسين وسقاً ، واسمه :

== الذى لا شك فيه أنها فتحت عنوة ، والإمام غير فى أرض العنوة بين قسمها ووقفها ، ووقف البعض ، وقد فعل رسول الله د ص ، الأنواع الثلاثة ، فقسم قريظة والنضير ، ولم يقسم مكة ، وقسم شطر خيبر ، وترك شطرها ، وإنما قسمت — أى أرض خيبر — على ألف وثمانمائة سهم ، لأنها كانت طعمة من الله لأهل الحديبية من شهد منهم ، ومن غاب ، ص ٣٢٥ ٢٠ زاد المعاد .

ويقول — رحمه الله — فى مكان آخر : « وقد اختلف الفقهاء فى النية . هل كان ملكاً لرسول الله د ص ، يتصرف فيه كيف يشاء أو لم يكن ملكاً له ؟ على قولين فى مذهب أحمد وغيره . والذى تدل عليه سنته وهديه أنه كان يتصرف فيه بالامر ، فيضعه حيث أمره الله ، ويقسمه على من أمره بقسمته عليهم ، فلم يكن يتصرف فيه تصرف المالك بشهوته وإرادته ، يعطى من أحب ، ويمنع من أحب ، وإنما كان يتصرف فيه تصرف العبد المأمور بفتح ما أمره به سيده ، ومولاه ، فيعطى من أمر باعطائه ، ويمنع من أمر بمنعه ، وقد صرح ، فقال : والله إنى لا أعطى أحداً ، ولا أمنعه إنما أنا قاسم أضع حيث أمرت ، فكان عطاؤه ومنعه وقسمته بمجرد الأمر ، فإن الله سبحانه خيره بين أن يكون عبداً رسولاً وبين أن يكون ملكاً رسولاً ، فاختار أن يكون عبداً رسولاً ، والفرق بينهما أن العبد الرسول لا يتصرف إلا بأمر سيده ومرسله ، والملك الرسول له أن يعطى من يشاء ، ويمنع من يشاء كما قال تعالى للملك الرسول سلماً (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) ص : ٣٩ ، أى : أعط من شئت ، وامنع من شئت ، لا نحاسبك ، وهذه المراتبة هى التى عرضت على نبينا د ص ، فرغب عنها إلى ما هو أعلى منها ، وهى رتبة العبودية المحضة التى يكون تصرف صاحبها فيها حقصوراً على أمر السيد فى كل دقيق وجليل ، ص ٤٦٧ ٤٠ زاد المعاد .

عَلَقَمَةَ بْنِ الْمُطَلِّبِ ، ويقال : عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَلَقَمَةَ ، وقال أبو عمر : هو مجهول ، وقال ابن الفَرَضِيِّ : أَبُو نَبِقَةَ بْنِ الْمُطَلِّبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، واسم أبي نَبِقَةَ : عَبْدُ اللَّهِ ، ومن ولده : محمد بن العلاء بن الحسين بن عبدِ اللَّهِ بن أبي نَبِقَةَ ، ومن ولده : أبو الحسين الْمُطَلِّبِيُّ إمامُ مسجدِ رسولِ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم ، وهو يحيى بن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبدِ اللَّهِ بن الحسين بنه العلاء بن المقيرة بن أبي نَبِقَةَ بْنِ الْمُطَلِّبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ .

أُمُّ الْحَكَمِ :

وذكر فيهم أم الحكم ، وهى بنت الزُّبَيْرِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ أختُ ضُبَاعَةَ ، هكذا قال : أم الحكم ، والمعروف فيها أنها أم حَكِيمٍ ، وكانت تحت رَيْبِعَةَ ابْنِ الْحَارِثِ ، وأما أمُ حَكَمٍ فهى بنتُ أبي شفيان ، وهى من مُسَلِّمَةِ الْفَتْحِ ، ولولا ذلك لقلت : إن ابن إسحاقٍ إياها أراد ، لكنها لم تشهد خَيْبَرَ ، ولأن كانت أسلمت بعد .

أُمُّ رَمِثَةَ وَغَيْرُهَا :

وذكر فيمن قسم له أم رَمِثَةَ ^(١) ، ولا تُعرف إلا بهذا الخبر ، وشهودها فَتْحُ خَيْبَرَ .

(١) ذكرها ابن سعد ، وزاد مع التمر خمسة أوسق من الشعير ، ونسبها ، فقال : أم رَمِثَةَ بنتُ عمرو بن هاشم بن الْمُطَلِّبِ ؛ بن عبدِ مَنَافٍ ، ويقال أم رَمِثَةَ بالتصغير أسلمت وبايعت . وهى والدة حَكِيمٍ والدة القمقاع ، وذكرها فيمن بايع النبي ﷺ من المهاجرات . الإصابة .

وذكر بُحَيْنَةَ بنت الحارث . وَبُحَيْنَةُ تصغير: بُحْنَةٌ ، وهى نخلة معروفة ،
قاله أبو حنيفة ، ولفظها من البَحُونَةِ ، وهى جُلَّةُ التَّمْرِ ، وهى أمُّ عَبْدِ اللَّهِ بن
بُحَيْنَةَ الفقيه ، وهو ابنُ مالك بن القُشْبِ الأزدى .

القسم للنساء من المغنم :

وفى قَسْمِهِ لهؤلاء النساءُ حُجَّةٌ للأوزاعي لقوله : إن النساء يُقَسَّمُ لهنَّ
مع الرجال فى المغازى ، وأكثرُ الفقهاء لا يرونَّ للنساء مع الرجال قَسْماً ،
ولكن يَرْضِخُ لهن من المَغْنَمِ أخذاً بحديث أمِّ عَطِيَّةَ قالت : كنا نَغْزُو مع
النبي - صلى الله عليه وسلم - فنداوى الجرحى ، ونمرض المَرْضَى وَيَرْضِخُ لَنَا
من المَغْنَمِ (١) .

المصاحفة والمعاينة :

فصل : وذكر قدوم أصحاب السفينة من أرض الحبشة ، وفيهم جعفر بن
أبى طالب ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم التزما وقَبِلَ بين عينيه (٢) ، وقد

(١) الرضخ : العطية القليلة ، وفى حديث عن ابن عباس : أن النبي « ص »
كان يغزو بالنساء ، فيداوين الجرحى ، ويحذين من الغنيمة ؛ وأما بهم فلم يضرب
لهن ، أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وصححه . ويحذين : يعطين . ولهذا قال
الترمذى : إنه لا يسهم لهن عند أكثر أهل العلم ، وهو قول سفيان الثورى
والشافعى . وقال الخطابى عن قول الأوزاعى : أحسبه ذهب إلى حديث حشر
ابن زياد ، وإسناده ضعيف لا تقوم به حجة .

(٢) روى قصة أصحاب السفينة البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى مع
اختلاف يسير وإس في روايته الالتزام والتقبيل ولكنهما فى رواية البيهقى .

احتج بهذا الحديث الثوري على مالك بن أنس في جواز المعاينة ، وذهب مالك إلى أنه خصوص بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وما ذهب إليه سفيان من تحل الحديث على عمومهم أظهر ، وقد التزم النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ، حين قدم عليه من مكة . وأما المصافحة باليد عند السلام ففيها أحاديث منها قوله عليه السلام : تمام تحييتكم المصافحة ، ومنها حديث آخر أن أهل اليمن حين قدموا المدينة صافحوا الناس بالسلام ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن أهل اليمن قد سنوا لكم المصافحة ، ثم ندب إليها باللفظ لا أذكره الآن غير أن معناه : تنزل عليها مائة رحمة تسعون منها للبادي^(١) ، وعن مالك فيها روايتان : الإباحة والكرهية ، ولا أدري ما وجه الكراهية في ذلك .

(١) روى الطبراني بإسناد فيه نظر إلى أبي هريرة قال : قال رسول الله ص ، إن المسلمين إذا التقوا ، فصافحوا ؛ وتساءلا أنزل الله بينهما مائة رحمة تسعة وتسعين لأبشهما وأطلقهما وجهها ، وأبرهما ، وأحسنهما مسألة بأخيه ، وروى البزار بسنده عن عمر بن الخطاب إذا التقى الرجلان المسلمان فسلم أحدهما على صاحبه ، فإن أحبهما إلى الله أحسنهما بشراً لصاحبه ، فإذا صافحوا نزلت عليهما مائة رحمة للبادي منها تسعون ، وللصافح عشرة . وفي المصافحة روى البخاري والترمذي عن قتادة قال : « قلت لأنس بن مالك رضي الله عنه : أكانت المصافحة في صحاب رسول الله ص ، قال : نعم ، وروى الطبراني بسنده إلى أنس قال : « كان أصحاب النبي ص ، إذا تلاقوا تصافحوا ، وإذا قدموا من سفر تعانقوا ، ورواه عتج بهم في الصحيح .

ولد جعفر والنجاشي :

وكان جعفر قد وُلِدَ له بأرضِ الحَبَشَةِ مُحَمَّدٌ وَعَوْنٌ وَعَبْدُ اللَّهِ ، وكان النَجَاشِيُّ قد وُلِدَ له مولودٌ يومَ وُلِدَ عَبْدُ اللَّهِ ، فأرسل إلى جَعْفَرٍ يَسْأَلُهُ : كيف أَسْمَيْتَ ابْنَكَ ؟ فقال : أَسْمَيْتُهُ عَبْدَ اللَّهِ ، فسمى النجاشيُّ ابنَهُ عَبْدَ اللَّهِ ، وأرضعته أُمُّهُ بِنْتُ عُثَيْسٍ امْرَأَةُ جَعْفَرٍ مع ابْنِهَا عَبْدِ اللَّهِ ، فكانا يَتَوَاصِلَانِ بِنَتِكَ الْأُخُوَّةَ .

ضبط اصنادين :

وذكر عمرو بن سعيد ، وأنه استشهد بأَجْنَادَيْنِ ، هكذا تقيد في الأصل بكسر الدال وفتح أوله ، وكذا سمعت الشيخَ الحافظَ أبا بكرٍ ينطق به ، وقيدناه عن أبي بكر بن طاهر عن أبي علي الفسائي : إجنادين بكسر أوله وفتح الدال . وقال أبو عبيد البكري في كتاب مُعْجَمٍ ما استعجم : أَجْنَادَيْنِ بفتح أوله ، وفتح الدال ، وقال كأنه تننية أَجْنَاد .

القادسية ويوم الهرير :

وذكر عمرو بن عثمان القتيبي ، وأنه قُتِلَ بالقَادِسيَّةِ مع سَمْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ والقَادِسيَّةُ آخرُ أرضِ العرب ، وأولُ أرضِ السَّوَادِ ، وفي أيامِهَا قُتِلَ رُسُومُ ملكُ الفُرسِ في يومٍ من أيامِهَا يُسَمَّى يومَ الهَرِيرِ ، وكان قد أُقْبِلَ بِالْفِيلَةِ ، وجموعٌ لم يُسَمَّعْ بِمِثْلِهَا ، والمسلمون في عَدَدٍ دُونَ الْمُشَرِّ مِنْ عَدَدِ الْمُجُوسِ ،

فكان الظفرُ للمسلمين ، وكان الأمير عليهم سعد بن أبي وقاص ، وخبرها طویلٌ
يشتمل على أعاجيب من فتح الله تعالى على هذه الأمة استقصاها سيفُ بن عمر
في كتاب الفتوح ، ثم الطبری بعده ، وسميت القادسية برجلٍ من الهزاة ،
وكان كشرى قد أسكنه بها اسمه : قادس ، وقيل : سميت بقوم نزلوها من
قادس ، وقادسُ بخُرَاسانَ ، وأما القادس في لغة العرب ، فن أسماء السفينة ^(١) .

عن بعض القادسيين من الحبشة :

فصل : وذكر فيمن قدم من أرض الحبشة هشام بن أبي حذيفة بن
المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، واسم أبي حذيفة مهشم ، وذكر

(١) ما ذكره عن قادس أخذه عن البكري ، وقد بدأ أمر القادسية — كما
روى الطبری — في السنة الرابعة عشرة من الهجرة وقيل سنة ١٦ ، في عهد عمر
وقد زحف فيها رستم القائد بستين ألفاً وقيل ١٢٠ ألفاً ، وكان المسلمون اثني
عشر ألفاً أو عشرة آلاف ، وكان مع رستم ثلاثة وثلاثون فيلاً وقيل : ثلاثون .
وسميت ليلة الهرير باسمها هذا ؛ لأن المقاتلين اجتمعوا في تلك الليلة من أولها
حتى الصباح لا ينطقون كلاهم الهرير . وقد قتل فيها من المسلمين قرابة نصفهم ،
وحطم جيش كسرى وقتل رستم ، وافتحم المسلمون القادسية صدر النهار — الذي
أعقب ليلة الهرير ، وقد أتت الصلاة وقد أصيب المؤذن فتشاح الناس في الأذان
حتى كادوا أن يجتمعوا بالسيوف فأقرع سعد بينهم . فخرج سهم رجل . فأذن ،
وقيل — كما روى الواقدي — كان قتال القادسية الخميس والجمعة وليلة السبت ، وهي
ليلة الهرير . أنظر الطبری ج ٣ ص ٤٨٠ إلى ص ٥٩٧ وانظر فتوح البلدان
ص ٢٦٨ . إن قوماً يكادون يجتمعون بالسيوف من أجل الأذان . ولا ينسون
الصلاة لابد أن ينتصر الله لهم .

الواقدي هَشَامًا . هذا فيمن قدم من الحبشة غير أنه قال فيه : هاشم ، ولم يذكره
مُوسَى بن عُقْبَةَ ، ولا أبو معشر في القادمين من الحبشة .

وذكر فيمن قدم من الحبشة عبد الله بن حُذَافَةَ ، وأنه الذي أرسله النبي
صلى الله عليه وسلم إلى كِسْرَى .

وذكر أيضاً سَلِيط بن عمرو ، وأنه كان رسولَ رسولِ الله صلى الله عليه
وسلم إلى هَوْذَةَ بن علي الحَنْظَلِيِّ صاحبِ الْيَمَامَةِ .

فأما كِسْرَى فهو أَبْرَوَيْزُ بن هُرْمُز بن أنوشِروان ، ومعنى أَبْرَوَيْزُ
المظفر فيما ذكر المسعودي ، وهو الذي كان غلب الروم ؛ فأنزل الله في قصتهم :
{ أَلَمْ غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ } وأدنى الأرض هي بَصْرَى وفِلَسْطِينُ ،
وَأَذْرَعَاتُ^(١) من أرضِ الشام ، قاله الطبري .

صه رسل النبي إلى الملوك والرؤساء :

وذكر أبو رِفَاعَةَ وَثِيمَةُ بن موسى بن الفُراتِ ، قال : قَدِمَ عبدُ الله بن
حُذَافَةَ على كِسْرَى قال : يَا مَعْشَرَ الْقُرْسِ إِنكُمْ عِشْتُمْ بِأَحْلَامِكُمْ لَعْدَةً أَيَّامِكُمْ بِغَيْرِ
نَبِيٍّ ، ولا كتاب ، ولا تَمَلَّكٍ من الأرض إلا ما في يديك ، وما لا تملك منها
أكثر ، وقد ملك قبلك ملوكُ أهلِ دنيا وأهلِ آخرة ، فأخذ أهلُ الآخرةِ

(١) تقرأ هكذا : ألف لام ميم .

(٢) قال الخليل : هي منسوبة إلى أذرع مكان أيضاً . قال : ومن كسر الألف
لم يصرفها ، ومن فتحها صرفها .

بمخطهم من الدنيا ، وضَيِّعَ أَهْلُ الدُّنْيَا حُظُّهُمْ مِنَ الْآخِرَةِ ، فَاخْتَلَفُوا فِي سَعْيِ
الدُّنْيَا ، وَاسْتَوُوا فِي عَدْلِ الْآخِرَةِ ، وَقَدْ صَغُرَ هَذَا الْأَمْرَ عِنْدَكَ أَنَا أُنَبِّئُكَ بِهِ ،
وَقَدْ وَاللَّهِ جَاءَكَ مِنْ حَيْثُ خِفْتَ ، وَمَا تَصْغِيرُكَ إِيَّاهُ بِالَّذِي يَدْفَعُهُ عَنْكَ ،
وَلَا تَكْذِيبُكَ بِهِ بِالَّذِي يُخْرِجُكَ مِنْهُ ، وَفِي وَقْعَةٍ ذِي قَارٍ عَلَى ذَلِكَ دَلِيلٌ ، فَاخْذِ
الْكِتَابَ فَمَرْقَهُ ، ثُمَّ قَالَ نَبِيُّ مُلْكٍ هَئِنِ لَا أَخْشَى أَنْ أُغْلَبَ عَلَيْهِ ، وَلَا أُشَارَكَ
فِيهِ ، وَقَدْ مَلَكَ فِرْعَوْنُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَاسْتَمَّ بِخَيْرٍ مِنْهُمْ ، فَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ
أُمْلِكَكُمْ ، وَأَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ، فَأَمَّا هَذَا الْمُلْكُ ، فَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّهُ يَهْدِي إِلَى السُّكْلَابِ ،
وَأَنْتُمْ أَوْلَئِكَ تَشْتَبِعُ بِطَوْنُكُمْ ، وَتَنَابِي عِيُونُكُمْ ، فَأَمَّا وَقْعَةُ ذِي قَارٍ ، فَهِيَ
بِوَقْعَةِ الشَّامِ . فَانْصَرَفَ عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ . وَإِنَّمَا خَصَّ النَّبِيُّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —
عَبْدَ اللَّهِ بْنِ خُذَّافَةَ بِإِسْرَائِهِ إِلَى كَسْرَى ، لِأَنَّهُ كَانَ يَتَرَدَّدُ عَلَيْهِمْ كَثِيرًا وَيَخْتَفِئُ
إِلَى بِلَادِهِمْ ، وَكَذَلِكَ سَلِيطُ بْنُ عَمْرِو بْنِ وَكَّانٍ يَخْتَفِئُ إِلَى الْيَمَامَةِ ، قَالَ وَثَيْمَةُ : لَمَّا قَدِمَ
سَلِيطُ بْنُ عَمْرِو بْنِ وَكَّانٍ عَلَى هَوْذَةَ ، وَكَانَ كَسْرَى قَدْ تَوَجَّهَ ، قَالَ : يَا هَوْذَةُ
إِنَّكَ سَوْدَتُكَ ^(١) أَغْظُمُ حَائِلَةً ، وَأَرْوَاهُ فِي النَّارِ ، وَإِنَّمَا السَّيِّدُ مِنْ مُنْعٍ بِالْإِيمَانِ
ثُمَّ زُوِّدَ التَّقْوَى ، وَإِنْ قَوْمًا سَمِعُوا بِرَأْيِكَ فَلَا تَشُقْ بِهِ ، وَإِنِّي أَمْرُكَ بِخَيْرِ
مَأْمُورِيهِ ، وَأَنْهَاكَ عَنْ شَرٍّ مَنِّهِ عَنْهُ ، أَمْرُكَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ ، وَأَنْهَاكَ عَنْ عِبَادَةِ
الشَّيْطَانِ ، فَإِنْ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ الْجَنَّةَ وَفِي عِبَادَةِ الشَّيْطَانِ النَّارَ ، فَإِنْ قَبِلْتَ نِاتَ
مَارْجُونَ ، وَأَمِنْتَ مَاخِفْتَ ، وَإِنْ أُبْنِيتَ فَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كَشْفُ الْغِطَاءِ ،
وَهَوْلُ الْمَطْلَعِ ^(٢) ، فَقَالَ هَوْذَةُ : يَا سَلِيطُ سَوْدَتِي مَنْ لَوْ سَوْدَتُكَ شَرُفْتَ بِهِ ، وَقَدْ

(١) فِي الْأَصْلِ : إِنَّهُ سَوْدَتُ : وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْمَوَاقِبِ ص ٣٥٥ — ٣٦

(٢) فِي الْأَصْلِ : وَهُوَ الْمَطْلَعُ ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْمَرْجِعِ السَّابِقِ .

كان لي رأي أختبر به الأمور ، ففقدته فوضعه من قلبي هواء ، فأجمل لي
 فُسْحَةَ يرجع إلى رأيي ، فأجيبك به إن شاء الله . قال : ومن شعر عبد الله
 ابن حذافة في رسالته إلى كسرى وقدمه عليه :

أبى الله إلا أن كسرى فريسةً لأولٍ داعٍ بالعراق مُحَمَّدًا
 تقاذف في فُحْشِ الجواب مُصَفَّرًا لأمرٍ العريب الخائضين له الردى
 فقلت له : أرودُ ، فإنك داخل من اليوم في البلوى ومنتهبٌ غداً
 فأقول وأذير حيث شئت ، فإننا لنا المُلْكُ فابسط المُسَالمةَ اليدا
 وإلا فأمسك قارعاً سن نادِمٍ أقرّ بذلٍ أخرج أو مت موحداً
 سَفِهَتْ بَعْمَزٍ بَقِي الكِتَابِ ، وهذه بَعْمَزٍ بَقِي مَلِكِ الفُرْسِ يكفى مبدداً

وقال هوزة بن علي في شأن سَليط :

أنا سَليطُ والحوادثُ جَمَّةٌ فقلت لهم : ماذا يقول سَليطُ ؟
 فقال التي فيها على غَضاضةً وفيها رجلاً مُطَمِّعٌ وقنوطُ
 فقلت له : غاب الذي كنت أجتلي به الأمر عني فالصمود هُبوطُ
 وقد كان لي والله بالغ أمره أبا النضر جَلَسَ في الأمورِ رَبيطُ
 فأذهبَهُ خَوْفُ النَبِيِّ مُحَمَّدٍ فهوزة فسه في الرجال سَقيطُ
 فأجمع أمرى من يمين وشمألٍ كاني ردوداً للنبالِ لَقيطُ
 فأذهب ذاك الرأي إذ قال قائل أناك رسولٌ للنبي خَبيطُ
 رسولُ رسولِ الله راكبُ ناضِحٍ عليه من أوْبَارِ الحِجَازِ غَبيطُ

سَكَرَتْ وَدَبَّتْ فِي الْمَفَارِقِ وَسَنَّةٌ لَهَا نَفْسٌ عَلَى الْفَوَادِ غَطِيطٌ
أَحَازِرُ مِنْهُ سَوْرَةٌ هَاشِمِيَّةٌ فَوَارِسُهَا وَسَطُ الرِّجَالِ عَبِيطٌ
فَلَا تَعْجَلْنِي يَا سَلِيطُ فَإِنَّا نَبَادِرُ أَمْرًا وَالْقَضَاءُ مُحِيطٌ

وسند كرقبة لإرسال النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك ، وما قالوا ،
وما قيل لهم فيما بعد إن شاء الله .

حديث النوم عن الصلاة :

وذكر حديث نوم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الصلاة مَقْفَلَةً مِنْ
خَيْرٍ ، وهذه الرواية أَصَحُّ مِنْ قَوْلٍ مِنْ قَالَ : كَانَ ذَلِكَ فِي غَزَاةِ حُنَيْنٍ ، وَمِنْ
قَالَ فِي رَوَايَتِهِ لِلْحَدِيثِ كَانَ ذَلِكَ عَامَ الْخُدَيْبِيَّةِ ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِمُخَالَفٍ لِلرَّوَايَةِ
الْأُولَى ، وَأَمَّا رَوَايَةُ ابْنِ إِسْحَاقَ لِلْحَدِيثِ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ
مُرْسَلًا ، فَهَذَا كَذَا رَوَاهُ مَالِكٌ وَأَكْثَرُ أَصْحَابِ الزُّهْرِيِّ ، وَرَوَاهُ عَنْهُ صَالِحُ
ابْنِ أَبِي الْأَخْضَرِ ، وَقَالَ فِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : قَالَ التِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ :
قَدْ رَوَاهُ أَيْضًا عَنِ الزُّهْرِيِّ مُسْنَدًا يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ وَمَعْمَرٌ مِنْ طَرِيقِ أَبِي بَانَ
الْعَطَّارِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْهُ ، وَكَذَلِكَ رَوَاهُ الْأَوْزَاعِيُّ مُسْنَدًا أَيْضًا ، وَذَكَرَ فِيهِ
هُوَ وَأَبَانُ الْعَطَّارِ أَنَّهُ أَذَّنَ ، وَأَقَامَ فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ حِينَ خَرَجَ مِنَ الْوَادِي ^(١) ،
وَلَمْ يَذْكُرِ الْأَذَانَ مِنْ رَوَاةِ الْحَدِيثِ إِلَّا قَلِيلٌ .

(١) حديث توكيل بلال بالفجر رواه مسلم أيضاً وابن ماجه . وقد روى
قصة النوم عن صلاة الصبح عمران بن حصين ولم يذكر في أي غزوة كانت ، ولم
يوقت مدتها . وروى مالك عن زيد بن أسلم أن ذلك كان بطريق مكة وهذا مرسل ،
وقيل إنها كانت في غزوة تبوك . وقيل إن الحارس في قصة النوم كان ابن مسعود .

ثم بحمد الله
الجزء السادس، ويليه الجزء السابع
إن شاء الله تعالى
وأوله : (عمره القضاء)

تصحيح الكتاب

انتُدِبتُ للتدريس في قسم الدراسات الإسلامية العليا بكلية الشريعة ، مكة
المكرمة ، فتولى تصحيح الكتاب الأخ الفاضل محمود غانم غيث ، فله جزيل
شكري على مجوده السخى الكريم ؟

عبد الرحمن الوكيل

(١) «س» رمز عن السيرة . و «ن . ل» رمز عن النحو واللغة . و «ش» رمز عن الشعر . أما الروض فبدون رمز .

٢٢	س	دفن الشهداء د س ،	٣٦	س	حول بعض رجال أحد
٢٣	س	حزن حنة على حمزة د س ،	٣٦	س	ابن الجحوح
٢٤	س	بكاء نساء الانصار على حمزة د س ،	٣٧	س	حكم (من) والساكن بعدها
٢٤	س	شان المرأة الدينارية د س ،	٣٧	س	لكناع ولكع دن ، ل ،
٢٥	س	غسل السيوف د س ،	٤٠	س	الرسول يسأل عن ابن الربيع
٢٦	س	خروج الرسول في أثر العدو ليرهبه د س ،	٤٠	س	حميد الطويل وطلحة الطلحات
٢٧	س	مثل استماتة من المسلمين في نصرة الرسول د س ،	٤١	س	أحاديث المثلة والنهي عنمادش ،
٢٧	س	استماتة ابن أم مكتوم على المدينة د س ،	٤٢	س	الصلاة على الشهداء
٢٨	س	شان معبد الخزاعي د س ،	٤٤	س	عبد الله بن جحش المجذع
٢٩	س	رسالة أبي سفيان إلى الرسول على لسان ركب د س ،	٤٦	س	حديث عمر وأبي سفيان
٢٩	س	كف صفوان لأبي سفيان عن معاودة الككرة د س ،	٤٧	س	حديث مخبريق وأول وقف في الإسلام .
٣٠	س	مقتل أبي عزة ومعاوية ابن المغيرة د س ،	٤٨	س	غزوة حراء الأسد
٣٠	س	مقتل معاوية بن المغيرة د س ،	٥٠	س	أبو عزة الجمحي
٣١	س	شان عبد الله بن أبي بعد ذلك د س ،	٥١	س	قول لعبد الله بن أبي
٣١	س	كان يوم أحد محنة د س ،	٥٢	س	ذكر ما أنزل الله في أحد من القرآن د س ،
٣٢	س	قتل الرسول لأبي بن خلف حول عين قتادة	٥٣	س	تفسير ابن هشام لبعض الغريب د س ،
٣٢	س	حول عين قتادة	٥٥	س	النهي عن الربا د س ،
٣٤	س	حول نسب حذيفة اليماني	٥٦	س	الحض على الطاعة د س ،
٣٥	س	الهامة والظما	٥٧	س	ذكر ما أصابهم وتمزيقهم عنه د س ،
			٥٨	س	دعوة الجئنة للجهاديين د س ،
			٥٩	س	ذكره أن الموت باذن الله

ص	ص
٧٣ من راتج دس،	٥٩ ذكر شجاعة المجاهدين من قبل
٧٤ من بنى ظفر دس،	مع الانبياء دس، .
٧٤ من بنى ضبيعة دس،	٦٠ تفسير ابن هشام لبعض
٧٤ من بنى عبيد دس،	الغريب دس، .
٧٤ من بنى السلم دس،	٦١ تحذيره لإياهم من إطاعة
٧٥ من بنى العجلان دس،	الكفار دس، .
٧٥ من بنى معاوية دس،	٦٣ تأنيبه لإياهم لفرارهم عن
٧٥ من بنى النجار دس،	نبيهم دس، .
٧٥ من بنى مبذول دس،	٦٤ تحذيرهم أن يكونوا ممن يخشون
٧٥ من بنى عمرو دس،	الموت في الله دس، .
٧٦ من بنى عدى دس،	٦٥ ذكره رحمة الرسول عليهم دس،
٧٦ من بنى مازن دس،	٦٦ مازول في الغلول دس،
٧٦ من بنى دينار دس،	٦٦ فضل الله على الناس ببعث
٧٦ من بنى الحارث دس،	الرسول دس، .
٧٦ من بنى الأبحر دس،	٦٧ ذكره المصيبة التي أصابتهم دس،
٧٧ من بنى ساعدة دس،	٦٨ الرغبة في الجهاد دس،
٧٧ من بنى طريف دس،	٦٩ مصير قتلى أحد دس،
٧٧ من بنى عوف دس،	٧١ ذكر من خرجوا على الرسول
٧٨ من بنى الحبلى دس،	إلى حمراء الأسد دس، .
٧٨ من بنى سلة دس،	٧٢ ذكر من استشهد بأحد من
٧٨ من بنى سواد دس،	المهاجرين دس، .
٧٨ من بنى ذريق دس،	٧٢ من بنى هاشم دس،
٧٩ عدد الشهداء دس،	٧٢ من بنى أمية دس،
٧٩ من بنى مجاورة دس،	٧٢ من بنى عبد الدار دس،
٧٩ من بنى خطمة دس،	٧٢ من بنى مخزوم دس،
٧٩ من بنى الخزرج دس،	٧٣ من الأنصار دس،

ص	ص
١٠١ شعر كعب في الرد على هبيرة دس.	٧٩ من بنى عمرو دس.
١٠٤ شعر لابن الزبيرى دس.	٧٩ من بنى سالم دس.
١٠٥ رد حسان على ابن الزبيرى دس.	٨٠ ذكر من قتل من المشركين يوم
١٠٦ شعر كعب في بكاء حمزة وقتلى	أحد دس.
أحد دس.	٨٠ من بنى عبد الدار دس.
١٠٧ شعر ضرار في الرد على كعب	٨١ من بنى أسد دس.
دس.	٨١ من بنى زهرة دس.
١٠٨ شعر ابن الزبيرى في يوم أحد دس.	٨١ من بنى مخزوم دس.
١٠٩ شعر حسان في الرد على ابن	٨١ من بنى جميع دس.
الزبيرى دس.	٨٢ من بنى عامر دس.
١١١ شعر عمرو بن العاص في يوم	٨٢ عدد قتلى المشركين دس.
أحد دس.	٨٢ تفسير ما نزل من القرآن في أحد
١١١ شعر كعب في الرد على ابن العاص	٨٣ معنى اتخذ دن ل.
١١٢ شعر ضرار في يوم أحد دس.	٨٤ أدلة على صحة خلافة أبي بكر
١١٣ شعر عمرو في يوم أحد دس.	٨٥ ربيون ورفعها في الآية دن ل.
١١٤ شعر كعب في الرد على عمير بن	٨٦ من تفسير آيات أحد
العاصى دس.	٨٧ حكم القلول
١١٥ شعر حسان في أصحاب اللواء دس.	٨٩ الشهادة والشهداء
١١٧ شعر حسان في قتلى يوم أحد دس.	٩٣ أرواح الشهداء دس.
١٢٠ شعر حسان في بكاء حمزة دس.	٩٧ لغفال ابن إسحاق نسب عبيد
١٢١ شعر كعب في بكاء حمزة دس.	ابن التيهان
١٢٣ شعر كعب في أحد دس.	٩٨ أبو حنة أو حبة
١٢٥ شعر ابن رواحة في بكاء حمزة	٩٩ ذكر ما قيل من الشعر يوم
دس.	أحد دس.
١٢٦ شعر كعب في أحد دس.	٩٩ شعر هبيرة دس.
١٢٧ شعر ضرار في أحد دس.	١٠٠ شعر حسان في الرد على هبيرة دس.

ص	ص
١٥١ شعر حسان اللامى	١٢٨ رجز أبى زعنة يوم أحد «س»
١٥١ ترك تنوين العلم الضرورة	١٢٨ رجز ينسب لعل فى يوم أحد «س»
«ن. ل.»	١٢٩ رجز عكرمة فى يوم أحد «س»
١٥٢ شعر كعب	١٢٩ شعر الأعشى التميمى فى بكاء
١٥٢ قصيدة كعب الزائفة	قتلى بنى عبد الدار يوم أحد «س»
١٥٢ نونية كعب	١٣٠ شعر صفية فى بكاء حمزة «س»
٢٥٩ شعر ضرار	١٣١ شعر نعم فى بكاء شماس «س»
١٦٠ رجز عكرمة	١٣١ شعر أبى الحكم فى تمزية نعم «س»
١٦٠ شعر نعم	١٢٢ شعر هند بعد عودتها من أحد «س»
١٦٠ شعر كعب اللامى	١٣٢ شرح ما وقع فى هذه الغزوة من الشعار
١٦٢ ذكر يوم الرجيع «س»	١٣٣ حول جمع ندى وأسماء الثمور «ن. ل.»
١٦٢ فى سنة ثلاث مقتل خبيب وأصحابه «س»	١٢٥ شرح شعر كعب
١٦٢ نسب عضل والقارة «س»	١٣٧ إقرار الجاهلية بالقدر
١٦٤ مقتل مرثد وابن البكير	١٣٨ شعر حسان يرد به على ابن الزبيرى
وعاصم «س»	١٣٩ متى يضر حذف حرف الجر ؟ «ن. ل.»
١٦٤ حاية الدبر لعاصم «س»	١٤٠ عود إلى شعر حسان
١٦٥ مصرع خبيب وابن طارق وابن الدثنة «س»	١٤٠ شعر كعب بن مالك
١٦٦ مثل من وفاء ابن الدثنة	١٤٢ من شعر حسان
الرسول «س»	١٤٠ شعر كعب بن مالك .
١٦٦ مقتل خبيب وحديث	١٤٣ فى شعر عمرو بن العاص
دعوته «س»	١٤٤ شعر كعب
١٦٨ ما نزل فى سرية الرجيع من القرآن «س»	١٤٥ أجود ما قال حسان
	١٤٧ شعر ابن علات
	١٤٨ شعر حسان الخاقى

ص	ص
١٨١ مقتل ابن ورقاء وورثاء ابن رواحه له «س»	١٦٩ تفسير ابن هشام لبعض الغريب «س»
١٨٢ شعر حسان في بكاء قتلى بشر معوثة «س»	١٧٠ تفسير ابن هشام لبعض الغريب «س»
١٨٢ شعر كعب في يوم بئر معونة «س»	١٧٠ شعر خبيب حنين أريد صلبه «س»
١٨٣ نسب القرطاء «س»	١٧١ شعر حسان في بكاء خبيب «س»
١٨٣ مقتل خبيب وأصحابه	١٧٢ من اجتمعوا لقتل خبيب «س»
١٨٩ ذكر قصة عاصم	١٧٣ شعر حسان في هجاء هذيل اقتلهم خبيلاً «س»
١٩٠ مقتل حجر بن عدى	١٧٦ شعر حسان في بكاء خبيب وأصحابه «س»
١٩١ لقاء عائشة ومعاوية «س»	١٧٧ حديث بئر معونة «س»
١٩٢ لم صارت صلاة خبيب سنة ؟	١٧٧ سبب إرسال بعث بئر معونة «س»
١٩٣ ما أنزل الله من القرآن في حق خبيب وأصحابه	١٧٧ رجال البعث «س»
١٩٧ عدس في شعر حسان في خبيب	١٧٨ عامر يقتل صحابياً «س»
١٩٧ دعوة خبيب على قاتليه	١٧٩ قتل العامريين «س»
١٩٨ ابن كريمة في شعر حسان	١٨٠ كراهية الرسول عمل أبي براء «س»
١٩٩ حول العلم ومنعه من التثوين مع الخفض «ن.ل.»	١٨٠ ابن فهيرة والنجاء «س»
٢٠٠ اشتقاق اسم خبيب وهذيل «ن.ل.»	١٨٠ سبب إسلام ابن سلبى «س»
٢٠١ سالت بدون همزة «ن.ل.»	١٨١ شعر حسان في تحريض بني أبي براء على عامر «س»
٢٠١ خبر بئر معونة	١٨١ نسب حكم وأم البنين «س»
٢٠٢ ملاعب الاسنة وإخواته ومعوذ الحكماء	١٨٢ طعن ربيعة العامر «س»
٢٠٣ شعر لبيد عن ملاعب وإخواته أمام النعمان	

ص	ص
٢١٩ شعر ابن مرداس في امتداح رجال بني النضير «س»	٢٠٥ مصير ابن فهيرة
٢١٩ شعر خوات في الرد على ابن مرداس «س»	٢٠٥ أم البنين الأربعة
٢٢٠ شعر ابن مرداس في الرد على خوات «س»	٢٠٦ الزبان أو الريان
٢٢١ شعر لكعب أو ابن رواحة في الرد على ابن مرداس «س»	٢٠٦ القرطاء
٢٢١ غزوة ذات الرقاع في سنة أربع «س»	٢٠٦ شئ منسوخ
٢٢٢ لم سميت بذات الرقاع ؟ «س»	٢٠٨ أمر إجلال بني النضير في سنة أربع «س»
٢٢٢ صلاة الخوف	٢٠٨ بنو النضير يأترون بالرسول صلى الله عليه وسلم «س»
٢٢٣ هم غوث بن الحارث بقتل الرسول «س»	٢٠٩ الله يعلم نبيه بما دبروا «س»
٢٢٤ قصة جل جابر «س»	٢١٠ حصار الرسول النبي النضير «س»
٢٢٦ ابن ياسر وابن بشر، وقيامهما على حراسة جيش الرسول، وما أصيابه «س»	٢١٠ تحريض الردط لهم ثم محاولتهم الصالح «س»
٢٢٧ رجوع الرسول «س»	٢١٠ من هاجر منهم إلى خير «س»
٢٢٨ غزوة بدر الآخرة في شعبان سنة أربع «س»	٢١١ تقسيم الرسول أموالهم بين المهاجرين «س»
٢٢٨ خروج الرسول «س»	٢١١ من أسلم من بني النضير «س»
٢٢٨ استعماله ابن أبي على المدينة «س»	٢١١ تحريض ياميين على قتل ابن جحاش «س»
٢٢٨ رجوع أبي سفيان في رجاله «س»	٢١٣ ما نزل في بني النضير من القرآن «س»
٢٢٨ الرسول ومخشي الضمري «س»	٢١٣ تفريق هشام لبعض الغريب «س»
	٢١٤ ما قيل في بني النضير من الشعر «س»
	٢١٧ شعر كعب في إجلال بني النضير وقتل ابن الأشرف «س»
	٢١٨ شعر سمالك في الرد على كعب «س»

ص	ص
٢٥٦ معنى الربيعة د ن . ل ،	٢٢٩ معبد وشعره في ناقة للرسول
٢٥٧ فقه الحديث	موت د س ،
٢٥٧ حول رجز معبد وشعر حسان .	٢٢٩ شعر لابن رواحة أو كعب
وأبي سفيان	في بدر د س ،
٢٦٠ غزوة دومة الجندل د س ،	٢٣٠ شعر حسان في بدر د س ،
٢٦٠ غزوة الخندق د س ،	٢٣٠ شعر أبي سفيان في الرد على
٢٦١ اليهود تعرض قرشاً د س ،	حسان د س ،
٢٦٢ اليهود تعرض غطفان د س ،	٢٣٢ غزوة بني النضير وما نزل فيها
٢٦٢ خروج الأحزاب من	٢٣٢ قطع اللينة وتأويله .
المشركين د س ،	٢٣٣ حول أول سورة الحشر
٢٦٢ حفر الخندق وتحاذل المنافقين	٢٣٦ الكاهنان
وجد المؤمنين د س ،	٢٣٦ خروج بني النضير إلى خيبر
٢٦٣ ما نزل في حقيق العاملين	٢٣٧ صاحبة عروة بن الورد
في الخندق د س ،	٢٤١ غزوة ذات الرقاع
٢٦٤ تفسير بمض الغريب د س ،	٢٤٢ صلاة الخوف
٢٦٤ المسلمون يرتجزون في الحفر د س ،	٢٤٤ رفع المنسوب د ن . ل ،
٢٦٥ الآيات التي ظهرت في حفر	٢٤٦ مساومة جابر في جمه وما فيه
الخندق د س ،	من الفقه
٢٦٨ تحريض حي بن أخطب لكعب	٢٤٧ شعيب لا يروى عن أبيه وإنما
ابن أسد د س ،	عن جده
٢٦٩ التحري عن نقض كعب	٢٤٨ الحكمة من مساومة النبي لجابر
للهد د س ،	٢٤٩ سياقه الحديث عن عمرو بن عبيد
٢٧٠ ظهور نفاق المنافقين واشتداد	٢٥٠ عمرو بن عبيد
خوف المسلمين د س ،	١٥١ تعريف ابن تيمية للقدرية د س ،
٢٧٠ أكان معتب منافقاً؟ د س ،	٢٥٣ دفعة الحرة وموقف الصحابة
٢٧١ المهم بعد الصلح مع غطفان د س ،	منها

- س
- ٢٧٢ عبـور نفر من المشركين
الخندق «س»
- ٢٧٢ سلمان وإشارته بحفر الخندق «س»
- ٢٧٣ مبارزة على عمرو بن عبد ود
«س»
- ٢٧٤ شعر حسان في عكرمة «س»
- ٢٧٤ شعار المسلمين يوم الخندق «س»
- ٢٧٤ حديث سعد بن معاذ «س»
- ٢٧٥ من قاتل سعد ؟ «س»
- ٢٧٦ الحديث عن جبن حسان «س»
- ٢٧٧ نعم بخذل المشركين «س»
- ٢٨٠ تعريف ما حل بالمشركين «س»
- ٢٨١ أبو سفيان ينادى بالرحيل «س»
- ٢٨٢ الانصراف عن الخندق «س»
- ٢٨٢ غزوة بنى قريظة «س»
- ٢٨٢ الأمر الإلهي بحرب بنى
قريظة «س»
- ٢٨٢ على يبلغ الرسول ما سمعه من
بنى قريظة «س»
- ٢٨٣ جبريل في صورة دحية «س»
- ٢٨٣ تلاحق الناس بالرسول «س»
- ٢٨٤ الحصار «س»
- ٢٨٤ نصيحة كعب بن أسد لقومه «س»
- ٢٨٥ قصة أبي لبابة «س»
- ٢٨٦ توبة الله على أبي لبابة «س»
- ٢٨٧ إسلام بعض بنى هديل «س»
- ٢٨٧ عمر بن سعدى «س»
- س
- ٢٨٨ تحكيم سعد في أمر بنى قريظة
ورضاء الرسول به «س»
- ٢٩٠ تنفيذ الحكم في بنى قريظة س
- ٢٩٠ مقتل حي بن أخطب س
- ٢٩١ المرأة القتيل من بنى قريظة س
- ٢٩٢ شأن الزبير بن باطا س
- ٢٩٣ عطية القرظي ورفاعة س
- ٢٩٤ الرسول صلى الله عليه وسلم
يقسم في بنى قريظة س
- ٢٩٥ شأن ربيعة س
- ٢٩٥ ما نزل من القرآن في الخندق
وبنى قريظة «س»
- ٢٩٦ تفسير ابن هشام لبعض
القريب «س»
- ٣٠١ إكرام سعد في موته «س»
- ٣٠٣ شهداء الغزوة «س»
- ٣٠٤ قتلى المشركين «س»
- ٣٠٥ شهداء المسلمين يوم بنى
قريظة «س»
- ٣٠٥ البشارة بغزو قريش «س»
- ٣٠٦ غزوة دومة الجندل
- ٣٠٦ غزوة الخندق
- ٣٠٧ عيينة بن حصن
- ٣٠٩ البرقات التي لمعت
- ٣١٠ ما قيل من الرجز يوم
الخندق «س»
- ٣١١ تحقيق اسم زغبة
- ٣١١ يفتل في الذروة والغارب

ص	ص
٣٤١ ما قبل من الشعر في أمر الخندق	٣١٢ اللحن
وثنى قريظة «س»	٣١٥ مصالحة الأحزاب
٣٤١ شعر ضرار «س»	٣١٦ سلبان منا
٣٤٢ كعب برد على ضرار «س»	٣١٦ حول مبارزة ابن أد لملي
٣٤٣ شعر ابن الزبير «س»	٣١٩ الفرعل
٣٤٤ حسان يرد على ابن الزبير «س»	٣٢٠ ابن العرقعة وأم سعد
الزبير «س»	٣٢١ حول اهتزاز العرش
٣٤٥ كعب يرد على ابن الزبير «س»	٣٢٤ أكان حسان جباناً؟
٣٥١ مسافع يبيكي عمراً في شعره «س»	٣٢٤ الحديث عن الصورين ودحية
٣٥٢ مسافع يؤنب الفرسان الذين كانوا مع عمرو «س»	٣٢٥ فقه لا يصلح أحدكم العصر إلا في بني قريظة .
٣٥٢ هيرة يبيكي عمراً ويعتذر من قراره «س»	٣٢٨ حول قصة أبي لبابة
٣٥٣ هيرة يبيكي عمراً في شعره «س»	٣٢٨ لعل وعسى وليت
٣٥٣ حسان يفتخر بقتل عمرو «س»	٣٣٠ من أسماء السماء
٣٥٥ شعر حسان في يوم بني قريظة وبكاء ابن معاذ «س»	٣٣١ فوقية الله سبحانه
٣٥٥ شعر حسان في بكاء ابن معاذ وغيره «س»	٣٣٣ كيسة
٣٥٦ شعر آخر لحسان في يوم بني قريظة «س»	٣٣٤ رفيدة
٣٥٧ شعر أبي سفيان في الرد على حسان «س»	٣٣٤ غزوة الخندق
٣٥٨ شعر ابن جوال في الرد على حسان «س»	٣٣٥ قتل المرتدة
	٣٣٥ الزبير بن باطا
	٣٣٧ حلة حيي
	٣٣٨ سلمى بنت أيوب
	٣٣٨ سلمى بنت قيس
	٣٣٨ تفسير آيات قرآنية
	٣٤٠ اهتزاز العرش

ص	ص
٢٧٧ قيس عيلان وقيس كبة .	٣٥٨ مقتل سلام بن أبي الحقيق «س»
٣٧٨ شعر كعب في الخندق	٣٥٨ الخزرج يستأذنون في قتل ابن
٣٨٢ مقتل ابن أبي الحقيق	أبي الحقيق «س» .
٣٨٦ إسلام عمرو بن العاصي ، وخالد	٣٥٩ التنافس بين الأوس والخزرج
بن الوليد .	في عمل الخير «س» .
٣٨٧ ماقاله الضمرى للنجاشي .	٣٦٠ قصة الذين خرجوا لقتل ابن
٣٨٧ الرسل إلى الملوك	أبي الحقيق «س» .
٣٨٨ السهمرية	٣٦١ شعر حسان في قتل ابن الأشرف
٣٨٩ غزوة بني لحيان	وابن أبي الحقيق «س» .
٣٩١ غزوة ذي قرد «س»	٣٦٢ إسلام عمرو بن العاص وخالد
٣٩٢ نصيحة الرسول لأبي عياش «س»	ابن الوليد «س» .
٣٩٣ مقتل عكر بن نضلة «س»	٣٦٢ عمرو وجمعه عند النجاشي «س»
٣٩٤ أسماء أفراس المسلمين «س»	٣٦٣ اجتماع عمرو مع خالد في
٣٩٤ قتلى المشركين «س»	الطريق «س» .
٣٩٥ استعمال ابن أم مكتوم على	٣٦٤ إسلام ابن طلحة «س»
المدينة «س»	٣٦٤ شعر ابن الزبير في إسلام
٣٩٥ تقسيم الفئ بين المسلمين «س»	ابن طلحة وخالد «س» .
٣٩٦ امرأة الغفاري وما نذرت مع	٣٦٥ غزوة بني لحيان «س»
الرسول «س»	٣٦٦ فصل في أشعار يوم الخندق
٣٩٦ شعر حسان في ذي قرد «س»	شعر ضرار
٣٩٧ غضب سعد على حسان ومحاولة	٣٦٧ شعر كعب
حسان استرضاه «س»	٣٦٧ من شعر حسان حول أسماء الله
٣٩٧ شعر آخر لحسان في يوم ذي	٣٦٩ من شعر كعب
قرد «س» .	٣٧٣ شعر آخر لكعب
٣٩٨ شعر كعب في يوم ذي قرد «س»	٣٧٦ حكم به وما بعدها (ن.ل)
٣٩٩ شعر شداد لعينة «س»	٣٧٧ قصيدة كعب العينية

ص	ص
٤٢٣ جول النذر والطلاق والعق	٣٩٩ غزوة بنى المصطلق «دس»
٤٢٤ من شرح شعر حسان أعضاء الخيل .	٤٠٠ سبب الغزوة «دس»
٤٢٦ بداد ولجار	٤٠٠ مقتل ابن صبابه خطأ «دس»
٤٢٧ عود إلى شرح شعر حسان	٤٠٠ فتنه «دس»
٤٢٨ قصيدة أخرى لحسان	٤٠١ حول فتنه ابن أبي ونفاقه «دس»
٤٢٨ غزوة بنى المصطلق	٤٠٣ مازول في ابن أبي من القرآن «دس»
٤٢٩ تحريم دعوى الجاهلية	٤٠٣ موقف عبدالله من أبيه «دس»
٤٣٠ جهجاه	٤٠٤ قدوم مقيس مسلماً وشعره «دس»
٤٣٠ موقف عبدالله للصحابي من أبيه المتأفق ودلالته .	٤٠٥ شعار المسلمين «دس»
٤٣٢ حول حديث جويرية (ملاحه ومليح) (ن.ل)	٤٠٥ قتلى بن المصطلق «دس»
٤٣٣ غيرة نساء النبي ، والنظر إلى المرأة .	٤٠٥ أمر جويرية بذات الحارث «دس»
٤٣٦ حديث الإفك	٤٠٧ مازول من القرآن في حق الوليد بن عقبة «دس» .
٤٣٧ صفوان بن المعطل	٤٠٨ خبر الإفك في غزوة بنى المصطلق «دس» .
٤٣٨ تفسير أسقطوا	٤٠٨ الهدى في السفر مع الزوجات «دس»
٤٣٩ بريرة	٤٠٩ حديث الإفك «دس»
٤٣٩ أم رومان	٤١٣ القرآن وبراءة عائشة «دس»
٤٤٠ وم للبخاري	٤١٦ تفسير ابن هشام لبعض الأقرب «دس» .
٤٤١ تناصيني أو تناصيني	٤١٧ ابن المعطل يهيم بقتل حسان «دس»
٤٤١ شعر حسان في التعريض بابن المعطل	٤٢٠ شعر في هجاء حسان ومسطح «دس»
٤٤٤ تفسير العجب	٤٢٠ غزوة ذى قرد
٤٤٥ بيرحاء	٤٢٠ أسماء أفراس المسلمين
	٤٢١ سلمة بن الأكوع
	٤٢٣ شرح اليوم يوم الرضع

س	س
٦٥ ذكر البيعة	٤٤٦ حول راءة عائشة
٤٦٦ ر من حلف	٤٤٧ شعر حسان في مسح عائشة
٤٦٧ ذكر كف الرسول عن القتال	٤٤٩ ما نزل في حق أصحاب الإفك
٤٦٧ تفسير ابن هشام لبعض الغريب	٤٥٠ إهداء سيرين إلى حسان
٤٦٩ ماجرى عليه أمر قوم من المستضعفين بعد الصلح	٤٥٢ أمر الحديبية في آخر سنة ست ، وذكر بيعة الرضوان ، والصلح بين رسول الله (ص) وبين سهيل بن عمرو د س ،
٤٦٩ مجى أبي بصير إلى المدينة وطلب فريش له	٤٥٣ الرسول (ص) يسلك طريقاً غير طريق فريش د س ،
٤٦٩ قتل أبي بصير العامري ومقالة الرسول في ذلك	٤٥٥ ذكر من بعثهم فريش إلى الرسول (ص)
٤٧٠ أبو بصير وملاقاة العيص	٤٥٩ عثمان بن عفان في مكة
٤٧١ شعر موهب في ودي أبي بصير	٤٦٠ بيعة الرضوان
٤٧١ ابن الزبيري يرد على موهب	٤٦١ أمر الهدنة
٤٧٢ أمر المهاجرات بعد الهدنة	٤٦٢ على يكتب شروط الصلح
٤٧٢ الرسول (ص) يأتي رد أم كلثوم	٤٦٣ خزاعة في عهد محمد ، وبنو بكر في عهد فريش
٤٧٢ حول آية المباحرات المؤمنات	٤٦٣ جندل بن سهيل
٤٧٤ بشرى فتح مكة وتعجيل بعض المسلمين	٤٦٤ الذين شهدوا على الصلح
(م ٣٩ - الروض الأنف ٦)	٤٦٤ الإحلال
	٤٦٤ المخلفون والمقصرون
	٤٦٥ نزول سورة الفتح

س	س
٥٠٧ شأن على يوم خيبر «ش»	٤٧٥ غزوة الحديبية
٥٠٨ أمر أبي اليسر «ش»	٤٧٥ الميقات والإشعار
٥٠٩ صفية أم المؤمنين «س»	٤٧٦ من شرح حديث الحديبية
٥١٠ بقية أمر خيبر «س»	٤٨٠ وصف الجمع بالمفرد «ن. ل.»
٥١٠ صلح خيبر «س»	٤٨٢ حول المصالحة
٥١١ الشاة المسمومة «ش»	٤٨٥ حكم المهامرات
٥١٢ رجوع الرسول إلى المدينة «س»	٤٨٧ باسمك اللهم
٥١٢ مقتل غلام للرسول (ص) «س»	٤٨٨ عيبة مكفوفة
٥١٣ أمر ابن مغفل والجرباب «س»	٤٨٩ أبو جندل وما جاءه في الخبر
٥١٤ أبو أيوب يحرس الرسول	٤٩٠ الدنية التي رفضها عمر
(ص) ليلة بنائه بصفية «س»	٤٩١ موقف أم سلمة في الحديبية
٥١٤ بلال يفلبه النوم وهو يوقب «س»	١٩٢ المقصرون
الفجر «س»	٤٩٢ أبو بصير
٥١٥ شعر ابن القيم في فتح خيبر «س»	٤٩٣ عمره
١٦ غ حديث المرأة الغفارية «س»	٤٩٤ قتل أبي بصير للكافر
٥١٧ شهداء خيبر «س»	٤٩٥ من موافق عمر في الحديبية
٥١٨ أمر الأسود الراعي	٤٩٦ بيعة الشجرة وأول من بايع
في حديث خيبر «س»	٤٩٦ تعليق عام على الحديبية «ش»
٥١٩ أمر الحجاج بن علاط	٤٩٩ ذكر المسير إلى خيبر «س»
السلمي	٤٩٩ ما قاله أبو جندل
٥٢٢ شعر حسان عن خيبر	٥٠٢ ما نهى عنه الرسول (ص)
	في خيبر «س»
	٥٠٤ شأن بني سهم «ش»
	٥٠٥ مقتل مرحب اليهودي «ش»
	٥٠٦ مقتل ياسر أخى مرحب «ش»

ص	ص
استعمال الكلمة في غير موضعها ٥٤٨	٥٢٢ حسان يعتذر عن أيمن و«س»
الإستاد عن نظام بن أبي مروان ٥٥٠	٥٢٣ شعر ناجية في يوم خيبر د
المكائيل ٥٥٠	٥٢٣ شعر كعب في يوم خيبر د
خربت خيبر ٥٥٠	٥٢٤ ذكر مقام خيبر د
الخيس ٥٥١	وأموالها د
تدنى الحصون ٥٥١	٥٢٥ من قسمت عليهم خيبر د
حكم أكل لحوم الحمر الالهية ٥٥١	٥٢٨ ذكر ما أعطى محمد (ص) د
والخيل ٥٥٤	نساء من قح خيبر د
الورق ٥٥٤	٥٢٨ وعاء الرسول عند موته د
متى حرم الكاح المتعة ؟ ٥٥٧	٥٨ أمز فذك في خبر خيبر د
على ودعاء الرسول (ص) ٥٦٠	٥٢٩ تسمية النفر الدارين
صاحب المغانم وابن مغفل ٥٦٠	الذين أوصى لهم رسول الله
الصفى والمرباع ٥٦١	(ص) من خيبر د
صداق صفية ٥٦٤	٥٣١ عمر يحمي يهود خيبر د
حنش الصنعاني ٥٦٤	٥٣٣ قسمة عمر لوادى القرى بين
وطأ منهى عنه ٥٦٥	المسلمين د
على يقتل مرجأ ٥٦٦	٥٣٤ ذكر قدوم جعفر
حيرة ٥٦٧	ابن أبي طالب من الحبشة
من حصون خيبر ٥٦٧	وحديث المهاجرين إلى
الحال المعرفة لفظاً و ن . ل . ٥٦٧	الحبشة د
الشاة المسمومة ٥٧٠	٥٤٣ مهاجرات الحبشة د
حول حديث المرأة الغفارية ٥٧٢	٥٤٥ غزوة خيبر
من أحكام الماء ٥٧٣	٥٤٥ شرح هنة والحداء
من شهداء خيبر ٥٧٣	

ص	ص
٥٨٥ المصالح والمفاسد	٥٧٤ الحال من النكرة ون.ل.
٥٨٧ ولد جعفر والنجاحي	٥٧٥ حديث الحجاج بن علاط
٥٨٧ ضبط أجنادين ون.ل.	٥٧٦ تفسير أولى لك
٥٨٧ القادسية ويوم الحرير	٥٧٧ أم أيمن
٥٨٨ عن بعض القادمين من الحبشة	٥٧٨ أبو أيوب في حراسة النبي (ص)
٥٨٩ من رسل النبي إلى الملوك والرؤساء	٥٧٩ قسم أموال خيبر وأراضيها
٥٩٢ حديث النوم عن الصلاة	٥٨٣ أبو نبرة
فهرس الجزء السادس	٥٨٤ أم الحكم
	٥٨٤ أم رمثة وغيرها
	٥٨٥ القسم للنساء من المقنن